

قسم التاريخ

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث
والمعاصر

تحت عنوان:

دور علماء كننة في الحياة الإصلاحية والسياسية في موريتانيا والسودان الغربي (1759م-1864م)

المشرف:
أ.د. عمر

إعداد الطالب:
أدب ولد سيد محمد
بوضربه

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
صالح لميش	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	المسيلة
عمر بوضربة	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	المسيلة
بوعزة بوضرساية	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	الجزائر 2
سيد علي أحمد مسعود	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	المسيلة
محمد صالح حوتية	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	آدرار
عبد الله مقلاتي	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	المسيلة

السنة الجامعية: 2021-2022م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"إنّ رأيته أنّه لا يكتب إنسان كتاباً في
يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان
أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحسن
ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا
لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو
دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"

العماد الأصمّهاني



إهداء

إلى روح والديّ الذين ربياني منذ صغري رحمهما الله وطيب
ثراهما.

إلى إخوتي وأخواتي وإلى

جميع الأهل والأقارب

- وإلى بلد المليون ونصف المليون شهيد الجزائر حبا ووفاء..

أهدي ثمرة هذا الجهد.

كلمة شكر

إنني أحس بالغبطة والسرور وأنا أستعد لوضع اللمسات الأخيرة على أطروحتي للدكتوراه علوم، وبهذه المناسبة أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي الفاضل الدكتور عمر بوضربه، الذي قبل مشكورا الإشراف على هذا البحث وعلى ما أحاطني به من توجيهات نيرة، كما أتقدم لأعضاء لجنة المناقشة بجزيل الامتنان مسبقا، والشكر موصول أيضا لأهل المكتبات الخاصة والعامة في موريتانيا، وإلى كل العاملين في المكتبات الجزائرية، وإلى كل من ساعدني في تصوير أو إعاره مخطوط، أو كتاب، أو مجلة... الخ، كما أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل أستاذ وأستاذة رافقتني في مشواري الدراسي الأكاديمي دون أن أنسى أحدا منهم، وشكر موصول لكل زملاء الدراسة في الجزائر وموريتانيا، وأخيرا شكرا لأخوتنا في العروبة والإسلام في دولة الجزائر حكومة وأرض وإنسانا على استضافتهم ورعايتهم لنا خلال سنوات الماجستير والدكتوراه.

شكرا للجميع.

آدب سيد المحمد

مقدمة:

في هذه الدراسة حاولت بقدر المستطاع وبكل تواضع إبراز دور علماء غرب الصحراء الكبرى والسودان الغربي من الكنتيين وما مثلوا من أدوار إصلاحيّة وسياسيّة، وتنظيرهم لزعماء الإمارات الموريتانيّة وزعماء الحركات الجهاديّة، وتحويل مناطق موريتانيا والسودان الغربي إلى مناطق مزدهرة ومجال حيوي بعد أن بعثت فيها الحياة والطمأنينة، وحماية المستضعفين وردع الظلمة والجبارين، وإصلاح ذات البين بين المتنازعين (ممالك وقبائل)، واعماد الأرض بحفر الآبار وغرس الأشجار، وتسيير القوافل التجاريّة، وأسسوا لذلك مؤسسات دينيّة واجتماعيّة وثقافيّة متعدّدة، كما مثلوا قنوات التواصل والحوار الصلبة التي عملت على ترسيخ الثوابت الحضاريّة بين بلدان جنوب الصحراء وشمالها، مستلهمين من روح القرآن ورسالة الإسلام وسيرة النبي محمد ﷺ معالم الطريق وسبل التعارف لبناء الإنسان وتشديد العمران، إذ يرجع إليهم الفضل في ترسيخ الهوية الحضاريّة لهذه الشعوب القائمة على المذهب السني والوسطية، وتصوف الأخلاق والتربية الروحية وفق منهج النبوة والرسالة المحمديّة.

وإلى هؤلاء من المشايخ والعلماء والدعاة يرجع الفضل في نشر الإسلام بين القبائل الوثنيّة الإفريقيّة وتصحيح العقيدة وبعث العلوم الإسلاميّة، وتهذيب الأخلاق وتربية النفوس بالأذكار والأوراد.

يركز هذا البحث خصوصا على فئة من العلماء الكنتيين المصلحون كمعطى بشري وسياسي وديني، لعبوا دورا جوهريا في الأحداث التي كانت موريتانيا أو (شنقيط) والسودان الغربي مسرحا لها، وأسهموا كما هو معروف بدور فاعل في الجو السوسيو سياسي بالمجالين البيضاني الموريتاني والسوداني على حد سواء.

لقد أبدى علماء كننة جهودا في نشر الإسلام والطريقة البكائية بشكل أوسع وأعمق في مناطق السودان الغربي والصحراء، ولقد صنف المختار الكنتي الكبير أكثر من ثلاثمئة رسالة عن الإسلام والمسلمين، وصارت تعاليمه التي حملها طلابه من أبرز العلامات التي ساعدت على أنتشار الإسلام بين الشعوب الزنجية في السودان الغربي والأوسط، حيث أنه بعد وصول الطريقة

القادرية الكنتية لم يعد الاسلام دين جماعة، بل أصبح دين الأغلبية واعتنقه الملوك الوثنيون...¹.

... لاشك أن الزاوية القادرية الكنتية تعتبر من أهم الزوايا الصوفية في غرب الصحراء الإفريقية إن لم تكن أهمها على الإطلاق إذ كانت مهتمة بالإصلاح السياسي ونشر العقيدة الصحيحة، وهي تعرف بالقادرية لأن مشربها الصوفي قادري المنبع، وبالكنتية لأن معظم شيوخها من قبيلة كنتة وتعرف أيضا بالبكائية نسبة إلى الشيخ سيد أحمد البكاي، وبالمختارية نسبة إلى شيخها الرئيس المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي المعروف بالشيخ سيد المختار الكنتي الكبير...².

تعتبر مؤسسة الزاوية الكنتية أهم مَعْلَمَة دينية أسست في المنطقة منذ تأسيس مدينة تنبكتو وجامعها الشهير سونكري، وقد لعب علماء هاته المؤسسة أدوارا إجتماعية وسياسية وإقتصادية على قدر كبير من الأهمية إلى جانب أدوارهم الأساسية الأخرى الدينية والروحية. ويعتقد قسم كبير من مسلمي السودان الغربي والأوسط أن هم ينتمون للقادرية الكنتية ولهم ارتباطا بشكل أو بآخر بها³.

وينقل المنوني عن مؤرخ فرنسي الشهادة التالية: "والْكُنْتِيْن أَشَدَّ المسلمين تحمسا لنشر الدين الإسلامي في غرب إفريقيا من السنغال إلى بنين التي بقرب مصب النيجر، وهم ينشرون الإسلام بطريقة سلمية... وتجد التجار الذين من السودان الغربي على مدن النيجر وفي بلاد كارتا وماسينة: كلهم من مريدي الطريقة القادرية"⁴.

¹ - عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، مكتبة مدبولي، المطبعة الفنية، 1990م، ص38.

² - حماد الله ولد السالم، المجتمع الاهلي الموريتاني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008م، ص348.

³ - ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج3، دار الرشاد الحديثة، ط2، الدار البيضاء، 1994م، ص568.

⁴ - محمد المنوني، المدرسة الكنتية كأبرز قناة للتواصل بين الإفريقيتين في العصر الحديث، العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية، منشورات جمعية موظفي كلية الآداب، الرباط، 1992م، صص63-64.

كما كان دورهم قويا في نشر الإسلام وتجديده وتصحيحه على مستوى صفوف القبائل البيضانية وإماراتها في موريتانيا.

يجمع المؤرخون على الدور المميز الذي لعبته قبائل كنتة بإرسائها دعائم الثقافة العربية الإسلامية، وقد درج الناس على أن اسم "الزاوية" من الانزواء" غير أن "كنتة" كسرت هذا الاصطلاح بفضل ذلك المد العلمي الهائل الذي احتوى عموم صحراء والغرب الإفريقي، إذ كانت بحق منارة فكرية وحضارية اهتدى بنورها كل سكان المنطقة¹،... كما مثلت أهم قناة بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوبي الصحراء طيلة خمسة قرون الماضية².

ويقول آل المغيلي: "من القبائل العربية التي أسهمت بقسط وافر في نشر الإسلام، ومد جسور التواصل بيت توات والأزواد وبلاد التكرور والسودان الغربي بشكل عام قبيلة كنتة³، تلك السلالة العلمية التي إذا ما ذكر اسمها إلا وارتبط رأسا بزوايا العلم، والفقه، والنحو، والبلاغة، والتفسير، والتصوف..."⁴.

يقول الدكتور أبوضيف "... أن هناك قبيلة عربية واحدة كان لها أثر عظيم في إسلام الزنوج في منطقة جنوب الصحراء ومنطقة النيجر الوسطى، وتلك هي قبيلة كنتة التي هاجرت في القرن التاسع الهجري من مواطنها في توات الى أطراف تمبكتو ومع مرور الزمن انصهرت هذه القبيلة العربية

¹ - تضيف باحثة أمريكية من (جامعة ميريلاند) هي: ماري بيرنهام وتقول "... لم يحظ الحضرة من عرب الكنتة بالقوة السياسية فحسب بل كانت لهم مكانة دينية رفيعة بتزعمهم للطريقة القادرية ذات النفوذ الديني القوي...، انظر: خديجة عنشيل، "التراث الكنتي المخطوط قراءة في الدور الحضاري لزاوية كنتة، وأهم أعلام التراث الكنتي المخطوط"، مجلة الذاكرة، العدد 5، جامعة ورقلة، 2015م، صص 103 وما بعدها.

² - نقلا عن: خديجة عنشيل، "التراث الكنتي المخطوط قراءة في الدور الحضاري لزاوية كنتة، وأهم أعلام التراث الكنتي المخطوط"، المرجع السابق، صص 103-105.

³ - وإذا كانت توات قد شاهدت لقبيلة كنتة بريقا دونه بريق الذهب في عروش الأكاسرة، فإن الأزواد وبلاد التكرور وما جاورها من حواضر السودان الغربي قد سمعت هي الأخرى لهذه القبيلة رنين دونه رنين الجوهر في تيجان القياصرة، ولا عجب إذا ما تبوأ هذه القبيلة كل هذه المكانة العالية والدرجة الرفيعة في نفوس المؤرخين والباحثين في أمر الخط والمخطوط، نظرا لما تمتلكه هذه القبيلة من حمولة تاريخية في ماضيها وحاضرها من روايات تاريخية وأسطورية حول عنايتها واهتمامها الشديد بالمخطوط، حتى أضحي عنوانا لها، وغدت هي فضاء له، الصديق حاج أحمد آل المغيلي، من أعلام التراث الكنتي المخطوط الشيخ محمد بن بادي الكنتي، دار الغرب للنشر والتوزيع، دت، صص 14-15.

⁴ - الصديق حاج أحمد آل المغيلي، من أعلام التراث الكنتي المخطوط الشيخ محمد بن بادي الكنتي، المرجع السابق، ص 14 وما بعدها.

الأصل وأصبحت قبيلة مغربية تدين لها الطريقة القادرية بانتشارها في غرب إفريقيا¹.

لقد ظهر في قبيلة كنتة عدد كبير من العلماء، وأصبحت لهم القيادة الدينية في القرن الثامن عشر وتوسعوا خارج الحدود القبلية... وقد أيدت القبائل الحركة الدينية التي يقودها علماء الكنتي، وكانت هذه القيادة تسيطر على ثنية النيجر مما ساعد على انتشار الطريقة القادرية بشكل أوسع في غرب إفريقيا².

وصل الإشعاع العلمي والروحي للعلماء الكنتيين وتأثيره كل بلدان العالم العربي وبقية العالم الإسلامي، ووصلت أصداؤهم إلى الأستانة ومصر، حيث أشاد كل من مرتضى زبيدي شيخ الأزهر³، ورافعة طهطاوي (ت1873م) بأدوارهم وموسوعيتهم العلمية، حيث احتفى رافعة رافع الطهطاوي بالتراث العلمي للشيخ الكنتي وتكلم عن علمه وانفتاحه الذهني في كتابه الشهير "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" الذي عده المؤرخون واحداً من أهم كتب النهضة الثقافية التي كتبت في القرن التاسع عشر،...⁴، حيث استطرد نقاشاً بشأن كروية الأرض كان حاضراً له بين علماء مشاركة ومغاربة، فنبه إلى أنه: (ممن قال من علماء المغرب بأن الأرض مستديرة، وأنها سائرة العلامة الشيخ مختار الكنتاوي بأرض أزوات⁵، بقرب بلاد "تمبكتو"، وهو مؤلف مختصر في فقه

¹ - مصطفى أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، مطبعة دار النشر المغربية، ط2، 1982م، ص269.

² - عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، مرجع سابق، صص37-38.

³ - فقد كانت للشيخ الكنتي صلات وثيقة باللغوي المصري ذائع الصيت محمد مرتضى الحسيني الزبيدي شارح القاموس ومحشي الإحياء وغيرها من التصانيف، ويذكر الزبيدي أنه راسل الكنتي ومنحه وهاداه، وقد أشاد الزبيدي بالعلماء الكنتيين وترجم لمجموعة منهم في كتابه القيم "المعجم المختص"، وكذلك كتابه "معجم المشايخ" وكانت له صلة وثيقة مع شيخ الزاوية القادرية الكنتية بأقبلي المعروف بأبي نعمة الكنتي التواتي ونظرائه، يمكن الرجوع إلى: حماد الله ولد السالم، الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ص56، ومحمد مرتضى الزبيدي، المعجم المختص، اعتنى به وقابل أصوله، نظام محمد صالح يعقوبي ومحمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت، لبنان، 2006م، ص300.

⁴ - محمد عمارة، الأعمال الكاملة للرافعة رافع الطهطاوي، ج1، مكتبة الأسرة، القاهرة ط2010، 1م، ص13.

⁵ - أزوات، أو أزواد البلاد التي تضم معظم شمالي جمهورية مالي الحالية، وتضم معظم الولايات الشمالية الثلاث: تمبكتو، وغاو، وكيدال، وتفسر الرواية الشفهية معنى أزواد بأنها تعني الحوض باللهجة المحلية لسكان المنطقة، وقد شهدت أزواد أزدهارا ثقافيا وعلميا ملحوظا، وخصوصا خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر ميلادي، ومن الأدلة على ذلك نشوء بعض المراكز العلمية،

مالك ضاها به "متن خليل"¹ وألفية في النحو بها ضاها أيضا "ألفية ابن مالك النحوي"² وله غير ذلك من المصنفات في العلوم الظاهرية والباطنية، كأوراد وأحزاب كحزب الشاذلي، وقد ألف كتابا وسماه: "النزهة" جمع فيه جملة علوم، فذكرت لمناسبة علم الهيئة، فتكلم على كروية الأرض وعلى سيرها، ووضح ذلك فتلخص من كلامه أن الأرض كرة، ولا يضر اعتقاد تحركها وسكونها، مات هذا الشيخ سنة ألف ومائتين وست وعشرين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام، وخلفه حفيده المسمى باسمه...³).

في هذا السياق المتسم بالجمود والتحجر يتنزل أهتمام الطهطاوي المتطلع للتنوير بكلام الشيخ سيد المختار الكنتي في كتابه "نزهة الراوي وبغية الحاوي" والذي يتألف من 21 بابا حوت كثيرا من العلوم العجيبة والغرائب

مثل : أبو الأنوار أو أبو المرحان والمبروك، وذلك في المنطقة الواقعة على طريق القوافل التجارية شمال تنبكت، وما زالت هذه المواقع موجودة حتى الآن رغم أن أجزاء منها قد طمرتها الرمال، ويوجد بها ضريح الشيخ سيد المختار الكنتي، وقد عاش في هذه المنطقة علماء افاضوا بنشروا العلوم والثقافة وحملوا السند القادري من الكنتيين وغيرهم من المجموعات الأخرى، ذكرها الحسن الوزان، وصف إفريقيا : ج 2، ص 148 وقال : (فلاة .. وعرة جدا لا تسلك إلى بمشقة عظمى تسمى أزواد، لأماء فيها ولا منزل ...) وتضاعفت أهمية منطقة أزواد وشهرتها بعد أن استقر بها العلامة الشيخ سيد المختار الكنتي وأسس بها مركز الزاوية المختارية حيث تردد ذكر أزواد (بصيغة أزادات، وأزوات) في المصادر المشرقية التي ترجمت للشيخ الكبير مثل : الزبيدي في معجم المشايخ، والطهطاوي تخلص الإبريز، وظل الحال كذلك على عهد ابنه وخليفته الشيخ سيد محمد حين زار الرحالة المشهورر جوردون لينغ المنطقة فذكر أزواد ضمن (بلاد سيد محمد) أي منطقة النفوذ المباشر للقيادة الدينية والسياسية الكنتية في شمال عقبة النيجر، وذكرها ابن الأمين، الوسيط وقال : ("أزواد" بزاي مفخرة بين الظاء والزاي" وهي أرض كبيرة بعد آروان وفيها كثير من قبيلة كنتة، وكانت بها إقامة العالم الصالح الشيخ سيد المختار وذريته بها")، يمكن الرجوع إلى : محمد مرتضى الزبيدي، المعجم المختص، مصدر سابق ، ص 300، ورفاعة رافع الطهطاوي، تخلص الإبريز في تلخيص باريز، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2012م، ص 58 وما بعدها، والشيخ سيد محمد الخليفة، الرسالة الغلاوية، دراسة وتحقيق حماد الله ولد سالم، منشورات مؤسسة أمربيه رب، مطبعة المعارف، الرباط، 2007م، ص 264 وما بعدها، وكذلك، أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، القاهرة، ط 1، 1911م، ص 440.

¹ - يقصد كتاب ((هداية الطلاب)) الذي سمي شرحه ((الفتح الوهاب على هداية الطلاب)) ويقع في عدة مجلدات، طبع منه المجلد الأول والمجلد الأخير المسمى "بالريشان"، من طرف دار قوافل سنة 2017م بانواكشوط - موريتانيا.

² - ((بغية النبيل إلى بيان جمل التسهيل)) هذا هو الاسم الحقيقي للألفية التي تحدث عنها الطهطاوي ، وقد كانت ضائعة ، وتم العثور عليها مؤخرا في مكتبة الحرم النبوي بالمدينة المنورة من طرف أحد الإخوة ، وتمت طباعتها سنة 2017م من طرف دار قوافل للنشر بانواكشوط - موريتانيا.

³ - نقلا عن: رفاعة رافع الطهطاوي، تخلص الإبريز في تلخيص باريز، مصدر سابق، صص 58-59.

الغربية، وبالتحديد في الباب الثالث المتعلق بعلم الهيئة، حيث قال عن كروية الأرض: (إن الأرض مستديرة كالكرة والسماء محيطة بها من كل جانب كإحاطة البيضة بالمحة، فالصفرة بمنزلة الأرض، وبياضها بمنزلة الماء، وجلدها بمنزلة السماء¹)، ولا شك أن بعض مؤلفات الرجل وصلت بسبيل ما إلى المشرق وإلى مصر بوجه خاص حيث يعتقد أن رفاعة الطهطاوي كان من بين من أفادوا منها².

إن الفكر الإصلاحي والسياسي الذي أنتجته الأسرة الكنتية التي كان لها حضور متميز عبر تاريخها الطويل بسبب منتوجها العلمي وعطائها الغزير الذي اتضح جليا من خلال زاواياها ومدارسها العامرة المنتشرة في عموم الصحراء والسودان الغربي.

لقد استطاع علماء كننة الدّفع بمشاريع إصلاح سياسي وفكري ممتدة من بلاد شنقيط وكل منطقة السودان الغربي إلى أواسط إفريقيا، عبر الاهتمام بالسلم الأهلي، وتوطيد الصلة بين أبنائها، والحفاظ على حماية مجتمعات المنطقة من التفكك والضياع.

لقد قدمت عدة بحوث وكتب وأطروحات عن قبيلة كننة وعلمائها من طرف باحثين في الأقطار العربية والإفريقية وفي الغرب، لكن هذه البحوث مازال ينقصها الكثير خاصة فيما يتعلق بالأدوار السياسية والإصلاحية.

صعوبات البحث:

هناك عدة صعوبات اعترضت الباحث من أهمها:

- تشتت المعلومات التي تهتم بموضوع البحث في المصادر والمراجع "المخطوطات، والكتب، والدوريات، والأطروحات الجامعية" التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بموضوع الدراسة.

- أن الفكر السياسي والإصلاحي لعلماء كننة يحتاج إلى إعادة فرزهِ وتصنيفهِ.

¹ - الشيخ سيد المختار الكنتي، نزهة الراوي وبغية الحاوي، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، رقم 0326/0003، نواكشوط، ص 18.

² - حماد الله ولد السّالم، الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص 59.

- وغني عن البيان فإن دراسة مثل هذه لن تكون خالية من الصعاب، لكن قناعة الباحث أن جُل تاريخ المنطقة المدروسة خلال هذه الفترة الزمانية القرنين 18م-19م ورغم أن بعض وثائقه مكتوب باللغات الأجنبية والمحلية، إلا أنه للحظ الكبير كانت أكثرية المصادر مسطرة بالعربية التي كانت تنال ذيوعا وانتشارا قل نظيره في الفترة المدروسة.

- من حسن حظ الطالب الباحث أن تم الحصول على وثائق مهمة إلكترونية (pdf) على شبكة گوگل تحوي في ثناياها معلومات ثرية عن موضوع الدراسة سواء كانت (كتب - أومجلات - أوطروحات جامعية - أوندوات) ساعدت الباحث كثيرا واختصرت له الطريق، وكان الحصول على الوثائق يتطلب جهدا كبيرا، ورغم ذلك فإن الطالب الباحث جاهد وسافر إلى عدة أمكنة قصد الحصول على وثائق مختصة بموضوع الدراسة.

- إن صورة انتشار الإسلام عامة في هذه المنطقة قد شوّهت من قبل كثير من الدارسين، فأبرزت السلبيات بل بولغ فيها، وطمست الإيجابيات، ووجدت مفهومات خاطئة كثيرة عن تاريخ الإسلام وأثره في هذا الجزء من إفريقيا دينياً واجتماعياً وثقافياً وحضارياً، وهي مفهومات لها دوافع مختلفة وجوانب عدة، أتت من قبل بعض المثقفين الغربيين، وأبناء المنطقة، وغيرهم من الذين تأثروا بأولئك، وبخاصة المتغربون منهم واللا دينيون والمسيحيون، وكذلك دعاة الزنجية وبعض علماء الآثار الإفريقيين، والقوميين العرب.

- اتساع مجال الدراسة (مناطق موريتانيا والسودان الغربي)، كما أن العديد من المخطوطات التي اعتمدت عليها مر عليها زمن طويل لذلك يصعب قراءتها واستنطاقها بسبب وضعيتها المزرية وانتشار بقع سوداء من الحبر على أوراقها وهي مهددة بتآكل والضياع في الصناديق البداة بل وعند أهل الحواضر أيضاً، كما أن العديد من أصحاب خزائن المخطوطات لم يبدوا أي تعاون في مقارنة النسخ المخطوطة، بالإضافة إلى أن هذه المخطوطات تتطلب الجهد الفكري وذلك لفهم ومسايرة العلماء ومقاصدهم، وهو مستوى لا يمكن إدراك كنه بحوره ولا الوصول إلى جزء من مراميه، إلا بإرادة وعزيمة صادقة ونية محققة على خدمة التراث الإسلامي والعربي في منطقتنا والعودة

إلى منابع الحقيقة لهذا التراث مما جعلني أفكر جدياً في خوض غمار التجربة.

- نسبة 97 بالمئة من مؤلفاتهم لازالت مخطوطة وتحتاج إلى التحقيق والنشر (تم تحقيق سبعة كتب تقريباً)، كما لا يزال هذا التراث متفرقا في العديد من المكتبات العامة والخاصة في عدد من بلدان الغرب الإفريقي، ويبقى الجزء الأكبر منه مشتتا بين خزائن العائلات الكنتية في الجنوب الجزائري والجنوب المغربي وموريتانيا ومالي والنيجر وبوركينا فاسو وتشاد والسنغال، بالإضافة إلى عدة بلدان أخرى مثل المكتبة الوطنية في فرنسا وكذلك المكتبات الألمانية والأمريكية... الخ ولم تتم مركزته بشكل كامل حتى الآن خاصة الجانب المتعلق بالمدونات الإفتائية في مجال جميع المعاملات، ولست مبالغاً إذا قلت إن الصعوبات التي اعترضتني كانت جمة فلقد كان عليّ أن أقوم برحلة بحثية قادتني إلى النيجر فقد زرت "قسم المخطوطات العربية والعجمية بمعهد الأبحاث والعلوم الإنسانية التابع للجامعة الوطنية" عبدو مُمّني "ب" نيامي "و" مركز إحياء التراث الإسلامي التابع للجامعة الإسلامية بالنيجر"، كما اطلعت على عدة مخطوطات عند الكنتيين القاطنين في النيجر، كما سافرت إلى "انيورو" للبحث عن وثائق خاصة كوثيقة "بيان ماقع" للحاج عمر الفوتي وهي تقع بالقرب من الحدود الموريتانية المالية الجنوبية، وفي تواجدي في الجزائر قضيت فترة زمنية في الجنوب خصوصا عند أبناء العمومة من الكنتيين في تمراست حيث اطلعت على جزء مهم من المخطوطات الكنتية، بالإضافة إلى زيارتنا المتكررة إلى "زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي" بموريتانيا، وقسم المخطوطات بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي الذي يحتوي على كثير من النفائس المخطوطات سواء لعلماء كنتة أو غيرهم، ومكتبة المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية والتي تحتوي على عدد من المخطوطات، وفي كل هذه الأماكن التي زرتها أقوم بتصوير مخطوطات لها علاقة مباشرة بالدراسة أو غير مباشرة، كما حصلت على كثير من الوثائق من خلال إرسالها لي عبر أفراد، أو إرسالها عبر خدمة البريد الإلكتروني، أو على الواتساب... الخ.

– أضف إلى ذلك قلة البحوث والدراسات التي تهتم بدور قبيلة كنتة وأعلامها التي يمكن أن تنير طرق البحث، فهي لا تكاد تتجاوز تسعة أو عشرة بحوث أهمها الأطروحة القيمة التي أنجزها الباحث السوداني الدكتور عزيز بدران سنة 1971م من جامعة برمنغهام في بريطانيا بعنوان "الطريقة القادرية في إفريقيا والصحراء الغربية (حياة الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير)" وقد نشرت نسختها الانكليزية من قبل معهد الدراسات الإفريقية في الرباط 2001م، وفي فرنسا قدم الدكتور عبد الله ولد مولود ولد داداه أطروحة دكتوراه سنة 1974م من جامعة السوربون المعنونة "بالشيخ سيد محمد ولد الشيخ سيد المختار الكنتي (المساهمة التاريخية والسياسية والدينية لبلاد شنقيط والأقاليم المجاورة من خلال المصادر العربية الوسيطة" ، وقد كتب عن كنتة الكثير من المستشرقين والرحالة الغربيين، أمثال بول مارتي أبرز مؤرخي الإدارة الاستعمارية الفرنسية، الذي كتب عن يوميات الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية للمجتمع الكنتي في أزواد والنيجر وجنوب الجزائر في كتابه "كنتة الشرقيون" سنة 1915م وقد ترجمه للعربية وعلق عليه ووضع له ملحقات الوزير والسفير الموريتاني محمد محمود ودادي، كما اهتم هنريش بارث بالكنتيين ويكاد يكون مجلده الخامس من رحلات غرب إفريقيا مخصصا للكنتيين وعن موريتانيا ، ودون كذلك اللوردن لينغ معلومات قيمة عن كنتة، وقد أقام بارث ولينغ زمنا في الحضرة الكنتية ، كما قدّم مؤرخون جزائريون دراسات قيمة عن تاريخ كنتة من بينهم عبد القادر زبادية حيث قدم أطروحته دكتوراه عن "الرسائل المتبادلة بين أحمد البكاي الكنتي والقنصل الانكليزي في طرابلس الغرب باللغة الانكليزية"، كما ألف المؤرخ محمد الصالح حوثية كتابا معنون، "بآل كنتة"، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة الصادر 2008م عن دار الكتاب العربي بالجزائر، وصدر له كذلك "توات والأزواد" الذي يقع في جزئين 2007م، عن نفس دار السابقة، كما نشرت دار قوافل بموريتانيا للمؤرخ أحمد الحمدي كتاب "الريادة العلمية والمشیخة الصوفية بأزواد" 2017م، وفي الجزائر أيضا نشر الأستاذ: يحي سيد أحمد موسوعته الأدبية المسماة: ديوان الصحراء الكبرى ("المدرسة الكنتية والقصائد النيرات") صدر عن دار المعرفة – الجزائر 2009م، وفي المملكة المغربية أيضا صدر عن معهد الدراسات

الإفريقية كتاب تحت عنوان أضواء على الثقافة العربية في إفريقيا ("مساهمة قبيلة كنتة في الحياة الثقافية") 2012م، للدكتور حسن الصادقي، ودراسات للمؤرخ المغربي محمد المنوني "كالمدرسة الكنتية نموذج للدعوة والإرشاد بإفريقيا والمغرب الأقصى"، و"المدرسة الكنتية كأبرز قناة بين الإفريقيتين" وتتبع المنوني بالتفاصيل تلامذة القادرية الكنتية من العلماء والسلطين والساسة في المغرب الأقصى الذين أقاموا زوايا في مكناس وفاس ومراكش وآسفي ووسطات... الخ، وقدم الأستاذ الدكتور أحمد ولد حبيب الله من جامعة نواكشوط 2016م إلى المطبعة كتابا علميا قيما بعنوان: "الأجناس النثرية الأدبية لدى المدرسة الكنتية المضامين الراقية - الخصائص الرائقة" كرس من خلاله قيادة المدرسة الكنتية للنثر الفني في البلاد الصحراوية والسودانية بل إلى أوسع من ذلك والكتاب إلى الآن مازال تحت الطبع، كما تمت أخيرا مناقشة دكتوراه أنجزها الأمريكي "آلان" "تتعلق بالأخلاق والسلم والدبلوماسية عند الإغريقي أرسطو والألماني كانط، والشيخ سيد المختار الكنتي"، الدراسة الأخيرة لاشك أنها ستثري الساحة العلمية والثقافية في الحوار بين الحضارات، وهي الدليل على الثراء العلمي الكبير لأحد أبرز العلماء الكنتيين الذي لم يعد ليفوت الباحثين في جميع أصقاع الدنيا.

- وإضافة إلى كل ذلك الإحاطة بالفكر السياسي والإصلاحي لعلماء متبحرين، تحتاج إلى التمعن والتأني قصد فهم مدارك العلماء.

- أنه لأول مرة تقدم دراسة أكاديمية مستفيضة عن الجانب السياسي والإصلاحي من تراث علماء كنتة.

وقد حاولت في هذه الدراسة الإسترشاد بمصادر نابغة من نفس المكون البشري من أجل تعضيد البحث بمصادر أصيلة بالإضافة كذلك إلى مصادر ومراجع أخرى متنوعة، وعلى العموم فقد وقفنا بإمكانياتنا البحثية المتواضعة على عدد من: الوثائق المخطوطة، والمصادر المنشورة، والمراجع الحديثة العربية والمعرّبة، كما استأنست بالرواية الشفوية، واستفدت كذلك بمقالات، وأطروحات جامعية، وندوات ومؤتمرات تتقاطع مع موضوعنا أو تتعرض بصفة مباشرة أو غير مباشرة لبعض جوانبه.

وفيما يلي نماذج مختصرة من المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة :

أ- "المخطوطات": وهي متنوعة (كتب، مراسلات سياسية تهتم بالإصلاح) وأغلبها من تأليف العلماء الكنتيين، وعملية تقديم وإخراج المخطوطات تعد أهم عمل يمكن أن يقدمه الباحث في الحقل التاريخي بشكل خاص، لما لهذه العملية من إغناء للتراث المكتوب، وهي تعالج جميع شتى أنواع العلوم (سياسة، إصلاحية، اجتماعية... الخ) وتبرز أهمية هذه المخطوطات في أن مؤلفيها من أبرز الشخصيات العلمية التي عاشت في قلب فترة الدراسة ونابعة من نفس المكون البشري لموضوع الدراسة، ومن أهم المخطوطات التي اعتمدت عليها نجد مجموعة من الوثائق سواء في زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي بنواكشوط، أو قسم المخطوطات بمؤسسة المعهد الموريتاني للبحث العلمي، أو مكتبة المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، أو المكتبات الخاصة والعامة لا الحصر إلى غير ذلك من الأماكن التي تتواجد فيها المخطوطات ومن أهمها:

- "مخطوط كتاب الإرشاد أو المنة" للشيخ سيد المختار الكنتي الكبير"، وهو يتعرض لعدة علوم من بينها مادة تاريخية دسمة، كتاريخ كننة وخصوصا مناقب الأجداد الكنتيين ودعوتهم إلى الإسلام السني، والتصوف حيث نقب المؤلف عن التراث الصوفي، والفقه، والعقيدة، والوعظ... الخ،

- "فقه الأعيان" للشيخ سيد المختار الكبير، وهو كذلك يتعرض لجملة من العلوم، وقد تعرض فيه لفكرة التجديد وماهيته، وشروط المجدد، كما يحمل الكتاب في صفحاته قضايا تاريخية متفرغة.

- "مخطوط مجموع رسائل الشيخ سيد محمد الخليفة لأمرأء وقبائل الحوض" للشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، يتعرض للإصلاح والنصح والوعظ، والعبرة، وقضايا تاريخية متنوعة، البعد الديني والسياسي، ضرورة استقامة الأمرأء، والرؤساء، والمجموعات القبلية في موريتانيا، وهو يبرز الدور الإصلاحي لمؤلفه.

- "مخطوط في كظم الغيظ وتوقيف الفتن" للشيخ سيد المختار الصغير"، وهو كتاب بعثه الشيخ سيد المختار الصغير لأحمد لبو الماسني، أهم ما يعالج البعد الديني والإصلاحي، والسياسة الشرعية، والوعظ والنصح، كما يحتوي على

مادة تاريخية، وضرورة المحافظة على الأمن والاستقرار والعمران في المملكة الماسنية، ويذكره بالأحكام العامة والاستقامة، وعلاقة الحاكم بالمحكومين.... الخ.

- "مخطوط البرد الموشى فى قطع المطامع والرُشا" للشيخ سيد المختار الكنتي الكبير"، يركز على القضاة ومكانتهم في الإسلام وخصوصا القضاة في زمان المؤلف في منطقة السودان الغربي وموريتانيا، ويركز فيه على ضرورة إصلاح القضاء، كما يحتوي على مادة تاريخية دسمة ونادرة.

- "مخطوط ذخيرة السرمذ فى جواب الشيخ أحمد بلو" للشيخ سيد البكاي ولد الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي"، يتعرض للإصلاح والنصح والإرشاد لأحمد لبو الماسني، ويبسط ويشرح جملة من الأحكام متفرغة، كما يدعو فيه المحافظة على تثبيت إمارة ماسنا، ومنع الأقتتال... الخ، كما يسرد روايات تاريخية متفرغة.

- "مخطوط نزهة الراوي وبغية الحاوي" للشيخ سيد المختار الكنتي الكبير"، وفيه عدة علوم جمة، التوحيد، والهيئة، والتصوف، والوعظ، والنبات، والمعادن، والأحجار، والتاريخ.

- "مخطوط رسالة إلى هنون ولد بيده" للشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي"، يعالج الوعظ، والنصح، والإرشاد... الخ.

- "مخطوط رسالة إلى هنون ولد بيده وابنه بيده"، يهتم بالإرشاد، والوعظ، ويظهر فيه خطاب البعد الديني والإصلاحي، والعبرة من الآخرين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- "مخطوط رسالة إلى أولاد الناصر ومشظوف" للشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي"، الالتزام، والنصح، والأمر بالمعروف، ويدعو إلى المحافظة على العهود والعلاقات التاريخية.... الخ.

- "مخطوط رسالة إلى قبيلة إدوعيش - الأمير محمد ولد محمد الشين وإخوته" للشيخ سيد المختار الكنتي الكبير"، النصيحة العامة لأمرء إدوعيش من البغي والفساد في الأرض، وضرورة العدل والاستقامة... الخ.

ب- الكتب المطبوعة: ومن أهمها كتب نابعة من نفس المكون البشري:

- كتاب "مبردة الغليل وشفافية الغليل من صدور جميع المؤمنين خصوصا بني محمد غل المشهورة باسم "الرسالة الغلاوية" من أهم المصنفات التي دَبَّجها

الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، وقد قام بتحقيقه الدكتور حماد الله ولد السالم، وهو أهم نص في آداب قبائل الزوايا حول تفسير الجينياالوجيا والسلطة والشرعية الدينية والمجتمعية، وتتبع هذه الأهمية من مضمون الرسالة الثري بالأخبار والنقول والإشارات ذات القيمة الكبيرة في التاريخ الثقافي والديني والسياسي لمنطقة إفريقيا جنوب الصحراء، وكذلك من تعدد المواضيع المطروقة في الفقه السياسي والفكر الصوفي المعروضة بلغة رصينة متقنة السبك.

-كتاب "الرسالة الودية والنصيحة المسدية"، موجهة إلى عثمان الفودي وإبنة محمد بلو وأخوه عبدالله- وكتاب "النصيحة البديعة أو الرسالة العجيبة" موجه إلى باب أحمد والأمير محمد آماش"، تأليف الشيخ سيد محمد الخليفة بن الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، تمت دراستهما وتحقيقهما من طرف الدكتور محمد أحمد جد تحت عنوان "أدب الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي دراسة وتحقيق لنماذج من نثره وشعره"، ويعتبر هذين التّصين من أهم ماكتبه علماء الساحل والصحراء خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، وتستمد تلك الأهمية من سياقهم التاريخي وقيمتهم الثقافية والدينية، بالإضافة إلى مضمونهم السياسي وبعدهم الديني والاصلاحي، وقيمتهم المعرفية والجمالية، فقد اشتملوا على كثير من النصوص النثرية النادرة، واستطرادات كثيرة عن طريق إدارة الحكم... ونماذج مختلفة من أنظمة الخلافة ضرب أصحابها أمثلة رائعة في العدل بين الرعية والزهد في أمور السلطنة، وقد استحضر المؤلف تجارب الصحابة وتابعيهم في تسيير شؤون الدول، كما يتعرض المؤلف للأحكام السلطانية، والنصح للأمراء الفوديين، والأمير محمد آماش، وعلاقة الحاكم بالمحكومين، ودور العلماء، والأستقامة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيمة العلم... الخ.

-كتاب "الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد" لنفس المؤلف وقد توسع فيه الشيخ سيد محمد الخليفة عن حياة والده ووالدته وخاصة علاقة والده الخارجية ومراسلاته مع زعماء الممالك السودانية، وأمراء الإمارات الموريتانية والطارقية وطبقة العلماء ورؤساء القبائل والمجموعات القبلية الأخرى، ويحتوي عددا كبيرا من المعلومات المفيدة حول الدعوة للقادرية في السودان، أي في الحقيقة حول نشر الإسلام في المنطقة كما يهتم فيه بجانب

كرامات الأولياء، وتاريخ كنتة، وهو يعالج على العموم الحياة العامة في موريتانيا والصحراء والسودان الغربي وهو موسوعة قيمة في التاريخ والأنساب والأخلاق مصاغ بلغة متقنة السبك لا نظير لها في النثر الصحراوي ، على أن مايشوش على قيمة هذا الكتاب الموسوعة هو الطابع المناقبي التمجيدي- موضوع التأليف – الذي يسيطر على عرضه واقتضابه ، مما جعل المؤلف ينساق في كثير من الأحيان خلف الكرامات وخوارق العادات التي ((خص ويخص)) الله بها أوليائه الصالحين، فكان لذلك كثيرا مايجنح لسرد الكثير من القصص التي قد يبدوا للوهلة الأولى أنها أقرب للخرافة والخيال من الواقع والحقيقة ، هذا فضلا عما يطفح به الكتاب من الشكر والتعظيم والتمجيد- وهو ديدن الكتب المناقبية عموما- في حق والده – وحق له ذلك- وبعض علماء عصره وسالفه، وبغض النظر عن هذه الملاحظات؛ فإن الطرائف والتلائد يبقى أهم مصدر عن تاريخ الثقافة في موريتانيا الأمس والسودان الغربي خلال القرنين 13/12 الهجريين ، لمايحفل به من إشارات ومعلومات قيمة.

-**كتاب أوثق عرى الاعتصام للأمراء والوزراء والحكام** في (آداب الملوك) وهو لنفس المؤلف كذلك وهو كتاب يتناول في صفحاته الأحكام السلطانية والولايات الشرعية أو السياسة الشرعية بالمعنى الأدق، ويعتبر من أجود الكتب التي تعالج علم السياسة بمفهومه العام فمعظم أفكاره (الحجابه- ونصيحة الملوك -وصفات الحاكم والمحكوم ...الخ، وهو في الأصل موجه إلى أمير ماسنا سيكو أمادو (أحمد لبو الأول) والأمير جلاجو بن بديج للنصح الديني والسياسي.

ومن المصادر المهمة الأخرى التي ساعدتني كثيرا كذلك:

- **المصادر الجغرافية والرحلات:**

"المسالك والممالك"، الجزء الثاني، لعبيد الله البكري ، لدقة معلومات البكري وتنوعها نقل عنه الكثير من الجغرافيين والإخباريين، والكتاب في عدة أجزاء، والجزء الخامس منه يحمل عنوان(كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب)عاش صاحب الكتاب بقرطبة في عصر أمراء الطوائف وهو من أهم النصوص التي أمدتنا بمعلومات قيمة عن الدول المتعاقبة في السودان الغربي(مملكة غانا، مملكة مالي) منذ بداية تأسيسها، وكيف أسلم أهلها، ومعرفة النظام السائد، وحياة السكان والمدن والمسافة بينها، مختلف المسالك والطرق

التجارية العابرة للصحراء والرابطة بين الشمال الإفريقي وإفريقيا جنوب الصحراء... الخ.

-كتاب "رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب

الأسفار"، ج2، **محمد اللواتي الطنجي**، فهو رحالة وشاهد بأمر عينه الأحداث، لذلك اكتسبت أقواله ومعلوماته عن الصحراء والسودان الغربي، شهرة وأصالة بالغتي الأهمية حيث من خلال رحلاته المتعددة جاء إلى دولة مالي أيام الملك المنسا سليمان، وقد أفادنا كثيرا عن حياة المجتمع المالي، عن حياة ملوكه وفقهائه ومدنه ومسالكه، وقد قابل كثيرا من رجالات المملكة المالية، كما تكلم عن الحياة الإسلامية فيها، وتكلم عن مدينة ولاتة ومعاملة السكان له... الخ.

-كتاب "وصف إفريقيا" للحسن بن محمد الوزان المعروف (بليون الإفريقي)

سجل الكثير عن مشاهداته خاصة إذا علمنا أنه رحالة ينتقل من مكان إلى آخر واجتاز كثيرا من الأراضي، فقد أمدنا بمعلومات نادرة عن إفريقيا بمجموعها، وبالمناطق التي تنقسم إليها، ومناخها، وشعوبها، ولغاتها....، إثر ذلك ينكب الكتاب على وصف البلدان كالصحراء... الخ، كما يعالج موضوعات عامة كأنهار إفريقيا ونباتاتها وحيواناتها، والحياة الاجتماعية في السودان الغربي، والتعريف بكل مملكة، وبالمدن، والأقاليم وحدودها، فهو يعتمد الجغرافيا الوصفية التي تستحضر ملامح متنوعة ومناطق مختلفة في إفريقيا حسب مخطط شامل، إلى غير ذلك من المعلومات المهمة والنادرة عن منطقة السودان الغربي... الخ، وقد رافق هذا الكتاب جلّ المؤلفين الذين تعرضوا لإفريقيا والسودان الغربي، ومعلوماته لاتقل أهمية عن سابقه.

-كتب تاريخية متنوعة:

- "تاريخ العلامة ابن خلدون المعروف بالعبر وديوان المبتدأ والخبر" فهو

يحتوي على الكثير من المعلومات النادرة بلغة ابن خلدون، وقد أفادنا فيما يخص بنظريته حول السياسية، وهجرة القبائل المعقلية المصاحبة للهجرة الهلالية، وبدايات وصولهم إلى أطراف جنوب المغرب الأقصى وبداية احتكاكهم بحافات الصحراء الموريتانية، كما أفادنا كذلك في تعريف التصوف.

-كتاب "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع

التكرور وعظائم الأمور"، لمؤلفه محمود كعت التتمبكتي، ويعتبر المؤلف شاهد عيان خاصة فيما يتعلق بحكام دولة صُنغي، فقد عاصر المؤلف عددا

منهم، كما حج مع الأسكيا محمد الكبير عام (902هـ/1496م) ويحتوي مصنف الفتاش على كثير من الاخبار عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لدولة صُنْغِي، كما يلقي كثيرا من الضوء عن مملكة مالي الاسلامية حيث يتعرض لقوتها واتساعها، ويعطينا الكتاب معلومات في غاية الاهمية عن الحالة الدينية والثقافية في منطقة السودان الغربي .

- **"تاريخ السودان لمؤلفه عبد الرحمن السعدي"** يدخل نص تاريخ السودان ضمن نصوص تاريخية مصدرية تقليدية، عمل صاحب النص في بداية حياته إماماً لمسجد سنكري بمدينة بتتبكتو، ثم قاضيا بمدينة جني، ثم صار بعد ذلك كاتباً للباشا أحمد بن عثمان ابتداءً من عام 1664م وقد توفي 1065/1655م، وهو وثيقة نادرة خاصة مايتعلق بمملكة السونغاي وبالغزو السعدي لها، وما أحدثه من نتائج على مختلف الأصعدة سواء السياسية أو الفكرية أو الاجتماعية والاقتصادية على المنطقة المدروسة والمناطق المحاذية لهما، وتبقى الإشارة إلى أن مؤلف "تاريخ السودان" الذي نشر لأول مرة في باريس 1913م، يحتوي ويجمع رواية السعدي عن تنقلاته ورحلاته لعدة كيانات سياسية بالسودان الغربي.

إنفاق الميسور لمحمد بلو بن عثمان دان الفودي ويعتبر من المصادر السودانية البارزة، ويتعرض بإسهاب لعلاقة **الفوديين بالكنتيين**، كما يحتوي على القصائد المديحية التي مدح بها آل الفوديين آل الكنتيين، كما وصف فيه المنطقة وصفا دقيقا سواءا من حيث المعطيات الطبيعية، والتركيبية الاجتماعية، والأحداث التاريخية التي عرفتھا المنطقة قبل الجهاد، وعن حياة الشيخ عثمان دان الفودي، وتكلم عن مراحل تأسيس الخلافة الفودية ومراحل جهادها، كما يترجم لكثير من العلماء في مختلف أقاليم السودان الغربي، ويعتبر الكتاب ذوقية تاريخية ذات أهمية كبيرة ومصدرا أساسيا لاغنى عنه لدراسة تاريخ المنطقة.

- **"سلسلة كتب الدكتور حماد الله ولد السالم"**: وهي عدة كتب مهمة جدا نظرا لما تتضمنه من قراءة متأنية وفاحصة للمجتمع الموريتاني وجواره من السودان الغربي، وفيها كثير من الأخبار الموثقة والهامة عن الفترة المدروسة.

"تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي".

"تاريخ شنكيطي موريتانيا".

"المجتمع الاهلي في موريتانيا".

"موريتانيا في الذاكرة العربية".

"الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى"

"تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية".

- آل كنتة دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، لمحمد الصالح حوئية، وقد اعتمد المؤلف على وثائق أساسية من نفس المكون البشري، وقد تعرض لقبيلة كنتة وتكلم عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والروحية لها، وعلاقات القبيلة الداخلية والخارجية.

- "كتاب دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين" للمؤرخ عبد القادر زبادية وهو مؤلف فيه أخبار مفيدة جدا فيما يخص السودان الغربي في الفترة المدروسة ، كعلاقة أحمد البكاي الكنتي بالتجانية ، وأخبار عن الفوديين ، وأحمد لبو الماسني ، ومحمد الأمين الكانمي...الخ.

- سلسلة كتب تاريخ إفريقيا العام، لمجموعة من المؤلفين الأكاديميين الباحثين تحت إشراف اليونسكو ، وفيه كتابات أكاديمية غير مسبقة رصينة ومعلومات نادرة عن المنطقة المدروسة ، كعلاقة الكنتيين بالاصلاح في الهوسا وماسنا وغيرهم ، كما تتعرض سلسلة كتب تاريخ إفريقيا العام إلى تاريخ السودان الغربي في كل العصور، وعلى جميع مختلف النواحي ، في الفترة القديمة، والوسيطه ، والحديثة والمعاصرة، وكذلك تتعرض لتاريخ موريتانيا ، وابتداء الدعوة المرابطية في صحراء الملثمين...الخ .

- ج.ت. نياني ، "تاريخ إفريقيا العام"، المجلد 4.

- م.أبيتبول ، "تاريخ إفريقيا العام"، المجلد 5.

- ج.ف.آدي آجاي ، "تاريخ إفريقيا العام"، المجلد 6.

كما اعتمدت على عدة كتب تعالج التصوف يمكن الرجوع إلى قائمة المصادر والمراجع.

ولكي لا أطول في سرد دراسة نقدية لقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في الدراسة ، يجب الرجوع إلى القائمة العامة في آخر البحث، كما انبه

إلى اعتمادي على عدة ندوات ومؤتمرات ومقالات في الدوريات المحكمة ورسائل جامعية وهذه نماذج منها:

- "الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر 17م-18م"

لددود ولد عبد الله وهو بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، السنة الجامعية، 1992م-1993م، وفيه يتعرض الباحث كيف استطاع الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير أن يوفق بين التيارات والمدارس الفكرية في بلاد شنقيط، وأن تسيطر مدرسته الفكرية على التيارات والمدارس الأخرى في بلاد شنقيط.

- "مدرسة الشيخ سيدي محمد الكنتي ودورها في التاريخ الموريتاني"، الحسين

ولد محنض (مقال الكتروني)، موقع مركز الصحراء للدراسات والاستشارات، تعرض لحياة الشيخ سيد محمد الكنتي الكبير ولمدرسته ولتأسيسه مقومات حضارة مجتمع البيضان في غرب الصحراء الكبرى، بالإضافة إلى علاقات الشيخ بالقوى اللمتونية -والهلالية المعقلية.

- "الشيخ المختار الكنتي الكبير وأثره في نشر الإسلام"، عزيز يطران، مجلة

البحوث التاريخية، ليبيا، حاول أن يبرز دور التاريخي الذي لعبه الكنتين في نشر الإسلام في السودان الغربي والأوسط وبلاد شنقيط والصحراء، كما أبرز الخصوصية التجديدية للتراث الكنتي، وتكلم بأسهاب عن المختار الكنتي الكبير وفكره الإصلاحية، ودوره في نشر الإسلام .

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الذي تغوص من خلاله في العديد من الأحداث التاريخية المتداخلة التي وسمت تلك الفترة، كما أنها تلجأ للاستخدام المنهج الوصفي التحليلي لتبين أثر المتغيرات السياسية والدينية والذاتية على حالة الاستقرار في منطقة السودان الغربي وموريتانيا، كما تم اعتماد النصوص التاريخية المستقاة من مصادرها الأصلية وذلك بمقارنتها وتحليلها ببعض الروايات الواردة في المصادر الأخرى، التي تناولت الموضوع أو طرقت من إحدى جوانبه، وغرلة الأفكار والآراء حول مجمل قضايا المجتمعات السودانية والموريتانية، فاتجه الباحث إلى القراءات المكثفة لكم لا بأس به من المصادر والمراجع، ومن ثم في مرحلة لاحقة تم استنباط وتفكيك النصوص المصدرية التي تمّ بناء الشكل العام للدراسة عليها، وكذلك عوّل الباحث على المنهج المقارن، وذلك بعدم الاكتفاء بالتاريخ الوصفي السردية، حيث تم إعادة تركيب المعلومات بطريقة منهجية، وأخيرا ورغم ذلك فإنّ الباحث لا يدعي

القدرة على الانفتاح على تلك الطفرة المنهجية الواسعة في مجال دراسة العلوم الإنسانية، ومحاولة توظيفها في انجاز الدراسة، وربما كان ذلك بسبب الموضوع، وتبرز الدراسة جملة من النتائج كان من أهمها تمكن المصلحون الكنتيين من تجاوز السببية السياسية، والتفرقة القبلية وإنجاح مشروعاتهم الإصلاحية والسياسية وتعميق جذور الإسلام المعتدل الوسطي في تربة موريتانيا والسودان الغربي في أصعب الفترات في المنطقة.

إشكالية البحث:

تتناول الفكر الإصلاحي والسياسي للعلماء الكنتيين في موريتانيا والسودان الغربي عبر قراءة متأنية خلال الفترة الزمنية (1759م-1864م) تتخذ الدراسة من عام 1759م منطلقا للبحث نظرا لكون هذا التاريخ يكتسب أهمية خاصة من خلال ما شهدته من أحداث كان من أهمها:

-**أولا:** أنه بدأ فيه تقريبا ظهور الإنتاج العلمي والفكري للنصوص السياسية والإصلاحية المهمة للعلماء الكنتيين وقد تم الوقوف عليها، مما جعل اختيار هذا الموضوع لا ينطلق من فراغ خصوصا وأنها نعتمد على مصادر أصيلة تعزز الموضوع

-**ثانيا:** أنه في هذه الفترة بالذات يتجدد الدور التاريخي الرائد الذي لعبه الكنتيين، سواء على مستوى السودان الغربي، أو المجال الموريتاني.

-**ثالثا:** كما أن هذه الفترة تم فيها استقرار الكنتيين وتأسيسهم لعدة زوايا ومدن¹، لقد أسس الكنتيين مدنهم على طول الطرق التجارية والمحاور المهمة، الشيء الذي يركي دورهم في حماية الطرق التجارية، أما سنة 1864م فهي سنة التي انتصرت فيها الزاوية الكنتية القادرية (فكريا وعسكريا) على أكبر خصم ايديولوجي لها في السودان الغربي هو حركة الحاج عمر الفوتي التيجانية في غرب إفريقيا، كما أن اختيارنا لهذا التاريخ (1759م-1864م) يعود إلى أنه الفترة التي برز فيها علماء كنتيين موسوعيين تميزوا بمصنفات علمية كثيرة ومتنوعة في جميع العلوم الإسلامية، بالإضافة إلى علاقاتهم الواسعة مع منطقتي السودان الغربي وموريتانيا.

¹ - كزاوية المبروك وأبي المرحان والمأمون مثلا في أزواد، الجديد والأحمر وزاوية كنتة بتوات، ثم زاوية الركب النبوي بأقبلي التي كانت تُنَاط بها رئاسة قوافل الحجيج المتجهة إلى الحجاز، ومدينة قصر البركة وتالمست والرشيد وتالغزة في تكانت من موريتانيا وكل هذه المراكز والمدن تشكلت فيها زوايا كنتية ازدهرت فيها الثقافة العربية الإسلامية، بالإضافة إلى كونها محطات مهمة للتجارة عبر الصحراء، وبرز فيها علماء افاضوا كان لهم دور ريادي كبير في منطقتي السودان الغربي وموريتانيا.

وقد دفعني الفضول العلمي إلى طرح عدة تساؤلات أهمها: إذن كيف تمكن الكنتيين من تجاوز السببية السياسية، والتفرقة القبلية حتى يتأتى لهم إنجاح مشروعهم الإصلاحي والسياسي؟ هل لعلماء كنتة دور في الحياة السياسية والإصلاحية في موريتانيا والسودان الغربي؟ وكيف نشأ وترعرع فكرهم الإصلاحي والسياسي؟ وكيف أثروا وتأثروا في مجتمعات موريتانيا والسودان الغربي؟.

أهمية البحث:

- وقد اخترت هذا الموضوع لأسباب عدة أهمها:
- التّمييز بالفكر الصوفي السلمي والثقافة العالمية.
- وفرة الآثار العلمية واتساع دائرة الامتداد الروحي والعلمي للعلماء الكنتيين في أقطار عديدة.
- دور علماء كنتة الهام في تثبيت السلم الأهلي والصمود أمام الفراغ السياسي والفوضى في موريتانيا والسودان الغربي.
- الإسهام في إبراز مكانة علماء قبيلة كنتة ودورهم في الحياة الإصلاحية والسياسية في المجتمع الموريتاني والسوداني.
- كثرة تردد ذكر أسماء العلماء الكنتيين في المنطقة المدروسة، موريتانيا والسودان الغربي، حيث مثّلوا مرجعية دينية ودينية، بالإضافة إلى حضورهم في مناطق الصحراء الكبرى والمغرب وشمال إفريقيا والاستشهاد بأقوالهم والاهتمام بمؤلفاتهم ومدوناتهم النوازلية، لدرجة أن كل زواياهم المنتشرة أصبحت كل واحدة منها تشكل سلطة مرجعية هامة يُرجع إليها، وذلك راجع بحكم يدهم الطولى وباعهم الواسع في كل المعارف والعلوم المرتبطة بالثقافة الإسلامية ومكانتهم الروحية في المنطقة.

خطة البحث:

فقد قسمت البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، معتمداً من الناحية المنهجية وحدة الموضوع لا وحدة الزمن، لأن دراسة الأفعال بمعزل عن

فاعليها قد تفرض على الباحث الانسياق وراء السرد الحدثي بعيداً عن النقد والتحليل وربط الأسباب بالنتائج.

المقدمة: تناولت المقدمة إطار البحث، واشكاليته، وأهميته، ومحاوره الأساسية، وتصنيف مصادره، وإبراز جوانب القوة فيها.

- **الفصل الأول:** الدور السياسي والإصلاحي لعلماء كنتة.

- المبحث الأول: لمحة تاريخية عامة عن كنتة.

- المبحث الثاني: الأوضاع العامة للمنطقة قبل الفترة المدروسة.

- المبحث الثالث: الخطاب السياسي الكنتي ومحدداته.

- المبحث الرابع: فكرة التجديد في موريتانيا والسودان الغربي.

- **الفصل الثاني:** علماء كنتة وعلاقتهم بموريتانيا.

- المبحث الأول: لمحة عن موريتانيا.

- المبحث الثاني: ظاهرة السبية والفراغ السياسي في موريتانيا.

- المبحث الثالث: الجهود السياسية والإصلاحية في موريتانيا.

- **الفصل الثالث:** علماء كنتة وعلاقتهم بالسودان الغربي.

- المبحث الأول: السودان الغربي محدّداته.

- المبحث الثاني: علماء كنتة وعلاقتهم بممالك السودان الغربي.

- المبحث الثالث: الجهود السياسية والإصلاحية في السودان الغربي.

- **الفصل الرابع:** القادرية الكنتية في موريتانيا والسودان الغربي.

- المبحث الأول: نشأة الفكر الصوفي الكنتي.

- المبحث الثاني: محدّدات التصوف.

- المبحث الثالث: نشأة الطريقة القادرية.

- المبحث الرابع: القادرية الكنتية.

وأخيراً **الخاتمة** فتناولت فيها أهم الاستخلاصات التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة، ثم الملاحق وبعد ذلك ذكر مصادر البحث ومراجعته، ممكن أن تكون ساعدتني ظروف الحجر المنزلي في التفرغ للبحث بسبب جائحة كورونا "ربّ ضارة نافعة" كما يقول المثل، لكن مع ذلك مازلت أظن أنني لم استوفي هذا العمل حقه من الدراسة على ما كنت أرجوه له، فلهذا ألتمس العذر عن كل تقصير أو نسيان أو تجاوز لم نقصده. والله المستعان.

الفصل الأول

الدّور السياسي والإصلاحي لعلماء كنتة

إذا كان لابد أن نطلق على هذا الفصل الدور السياسي والإصلاحي لعلماء كنتة، فإنه يستوجب منا صراحة مجموعة من الضوابط التقنية حتى نلم بجل جوانبه وحيثياته من بينها لمحة عامة عن قبيلة كنتة التي نعالج دور علمائها السياسي والإصلاحي في المنطقة المدروسة هذا من جهة، ومن جهة أخرى الاطلاع على الأوضاع العامة للمنطقة قبل بروز الدور الإصلاحي والسياسي للعلماء الكنتيون وعملية استباق تاريخ الدراسة، يعتبر ضرورة منهجية ملحة كما يستوجب منا كذلك من جهة أخرى التعرض للخطاب السياسي الكنتي ومحدداته.

المبحث الأول: لمحة تاريخية عامة عن كنتة:

بعض الروايات تفسر لفظ كنتة بمعنى: الرجل القوي الشديد¹، لكن المؤكد أن تسميتهم أخذوها من والدته جدهم أهوا منت محمد بن ألم بن (كنتة) رئيس إبدوكل ثم عمم الاسم على سائر القبيلة، وتذهب الروايات إلى انتشار أحفاد عقبة في مختلف مناطق المغرب (تلمسان، مستغانم) وبعد أن أصبحت الأوضاع في هذه المناطق الشمالية ببلاد المغرب خلال القرنين 13م و14م غير مستقرة، هاجروا إلى إقليم توات البعيد عن الاضطرابات، إذ كانوا بحاجة إلى الاستمرار في نشر الدعوة وتعليم القرآن...²، لقد اضطرت الأسرة الفهرية عقب استيلاء الفاطميين على الشمال الإفريقي (عام 909م) إلى مغادرة القيروان حيث استقر بعضهم في بادية الظهر في الشمال الشرقي من الجزائر وفي منطقة الجريد بغربي تونس، وقد أسهمت الأحداث السياسية في الشمال الإفريقي طوال أربعة قرون إسهاما كبيرا في حياة العائلة الفهرية، فتنقل أفرادها من مكان إلى آخر حتى ألفت جماعات منهم عصا الترحال في واحات توات جنوبي الجزائر، وهناك عرفوا باسم كنتة³.

¹ - مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، ط1، الدار المدار الإسلامي، ليبيا، 2005م، ص53.

² - محمد الصالح حوئية، آل كنتة دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2008م، صص51 وما بعدها.

³ - عزيز بطران، "الشيخ المختار الكنتي الكبير وأثره في نشر الإسلام"، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، طرابلس، ليبيا، 1981م، ص314.

لقد كانت توات حاضرة الصحراء المنطلق الأول الذي تطورت فيه قبيلة كنتة بمفهومها الحالي، وعليه يمكن الجزم أن تبلور الشخصية الكنتية العالمية كان منذ سنوات الاستيطان الأولى بتوات،...وقد قصدها عثمان للبحث فيها عن الطمأنينة والسكينة التي توفرها الحياة الصحراوية¹، وخلفه ابنه يحيى الأب ثم يحيى الابن الذي ورثه ابنه سيدي علي وأضرحة هؤلاء الأربعة موجودة في عزي معروفة إلى الآن تزار، وبجانبها قبور السبعين الذين تتلمذوا على سيدي يحيى الإبن².

وقد عرف عثمان بن دومان وسيد يحيى بتحفيظ القرآن للصبيان ونشر الطريقة القادرية بين الناس، ثم خلفهم سيد علي الذي كان يخرج للمرابطين لياخذوا عنه الأوراد...بعد ذلك ارتبط تاريخ كنتة بالأحداث التي عرفتھا الأقاليم الصحراوية³.

لقد هاجرت كنتة بالطبع من توات في الجزائر الحالية حوالي القرن التاسع للهجرة /الخامس عشر للهجرة ووصلت أولا إلى جنوب المغرب الأقصى ثم إلى حدود تنبكت⁴.

يعتبر الشيخ أحمد البكاي الكنتي المتوفى سنة 1514م المؤسس الفعلي لقبيلة كنتة بتقاليدها العالمية، وقد عاش طرفا من القرنين 15 (م/16م)، وهو الذي جعل من كنتة دعاء الإسلام والمشرفين الروحيين على القبائل الصحراوية، وهي حركة انساحت في بلاد الزنوج، وعملت على تحقيق أول إسلام راسخ في الزنوج، وقد عظم دوره على مر الأيام وانصرفت جماعة كنتة من بعده نحو هذه الرسالة⁵.

¹ - أحمد أبّا الصّافي الجعفري، من تاريخ توات أبحاث في التراث، منشورات الحضارة، ط1، الجزائر، 2011م، ص111.

² - يحيى ولد سيد أحمد، المدرسة الكنتية: القصائد النيرات، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2010م، ص48.

³ - محمّد الصّالح حوتّية، آل كنتة دراسة تاريخية، مرجع سابق، صص53-54.

⁴ - مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، مرجع سابق، ص53.

⁵ - باحمد عمر دمه الكنتي الفهري، الزوايا الكنتية أعلاما وجغرافية، مطبعة البركة، نيامي، د، ت، ص13.

يصفه بول مارتي كونه المؤسس الفعلي لقبيلة كنتة العالمية، إذ هو الذي جعل كنتة دعاة للإسلام والمشرفين الروحيين على القبائل الصحراوية، وهي حركة إنساحت في بلاد الزنوج وعملت على تحقيق أول إسلام فيهم، ولقد كان دوره عظيما وانصرفت جماعة كنتة من بعده نحو هذه الرسالة، وهي الدعوة والريادة الدينية التي زهت بكل تألقها بزعامة سيدي اعمر الشيخ¹.

هذا وقد عرفت القبيلة الكنتية عبر مسارها الطويل الذي يتجاوز سبعة قرون (أي من زمن الشيخ سيدي احمد الكنتي الكبير (مجموعة من الانتشارات فرضتها الرسالة المنوطة بها والتي لولاها لكان للكنتيين حيّز جغرافي واحد ومقابر أسرية معروفة).

تعد قبيلة كنتة تلك الوحدة السلالية القوية التي تندرج فروعها المختلفة ابتداء من توات بالجنوب الجزائري حاليا حتى منطقة زندر بواسطة الطوق الغربي للصحراء الكبرى المتمثل في (توات، وأدرار الموريتاني، وتكانت والعصابة والحوض وأزواد وعقفة نهر النيجر، وتيمترين، وأدرار إيفوقاس، وحتى ضفة الهوسا الشرقية)²، وفي كل هذه الأماكن، توجد زاوية باسم زاوية كنتة كان يرتادها طلاب العلم، ويجدون فيها ضالّتهم من حيث الإيواء والدراسة بشكل خاص³.

تعتبر كنتة من أكبر قبائل البيضان، وتسكن وسط وشرق أرض البيضان، وهي قبيلة زوايا وشوكة، حيث أن رجالها أهل سيف وقلم، ويقال بأنها من أكثر قبائل البيضان عددا⁴، وقبيلة كنتة من أهم القبائل العربية في الصحراء الكبرى كثرة عدد ومنعة وتقوى وعلم وحفاظا على الدين⁵.

لقد مرت قبيلة كنتة بمراحل تاريخية وصيرورة زمنية طويلة قبل أن تصل إلى ما وصلت إليه، بدأت الرحلة من القيروان مدينة جدهم فاتح إفريقية

¹ - بول مارتي، كنتة الشرقيون، ترجمة محمد محمود ولد ودادي، دمشق، 1985م، ص33.

² - بول مارتي، كنتة الشرقيون، نفس المرجع، ص9.

³ - عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 2010م، ص98.

⁴ - السالك ولد محمد، مجتمع البيضان تاريخ أمة وكفاح شعب، دن، 2016م، ص98.

⁵ - محمد سعيد القشاط، أعلام من الصحراء، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1997م، ص19.

"عقبة ابن نافع الفهري" مرورا بالجريد بتونس ثم الظهر بالجزائر مرورا بمستغانم وتلمسان بعد ذلك الاستقرار بتوات ، ثم الرحلة والسياحة إلى مدن المغرب الأقصى وتيرس زمور فمدينة ولاتة بالحوض الموريتاني وصولا إلى أزواد شمال عقبة نهر النيجر، هذه الرحلة الطويلة التي امتدت بامتداد الزمان والمكان على مدى ثلاثة قرون منذ أن استقر الجد سيدي عثمان بقرية عزي من أعمال توات¹ خلال القرن الثالث عشر الميلادي قادما إليها من القيروان وصولا إلى الشيخ سيدي أحمد الذي اتخذت سلالة من منطقة أزواد مستقرا لها خلال القرن 17 الميلادي على أبعد تقدير، خمسة أجيال من الأسياد الكنتيين من سلالة آل فهر كانت كافية لوضع حجر الأساس لمشروع ديني وإصلاح سياسي سيعم بلاد الصحراء والسودان عامة، وسيكون له كبير وقع على شتى مناحي الحياة.

- فكيف أمكن لهذا التجمع البشري أن ييسط هيمنته الروحية والاجتماعية على هذه الرقعة الجغرافية المهمة؟ وإلى أي حد أسهم هذا التجمع في صيرورة الأحداث السياسية والإصلاحية بالمنطقة؟

انتقل تاريخ كنتة ابتداء من أواسط القرن السادس عشر من تاريخ أفراد إلى تاريخ جماعات، إذ سيتناسل أبناء وحفدة الولي الصالح سيدي أحمد البكاي الشهير بصلاحه وتقواه، إذ يعتبر سيدي أحمد البكاي جدا للفروع الكنتية الثلاثة المقيمون في غرب إفريقيا²، وينتشرون في أماكن متعددة من بلاد موريتانيا والجزائر والمغرب ومالي والنيجر إلى باقي مناطق الغرب الإفريقي، لقد ترك هذا الولي ثلاثة أبناء من أهم المنتمية إلى قبيلة تجكانت الذائعة الصيت ستنتفرع عنهم كل قبيلة كنتة فيما بعد وهؤلاء الأبناء هم:

- سيدي محمد الكنتي الملقب بالصغير تميزا له عن جده.

- الطالب بوبكر الحاج .

- سيد أحمد الشيخ.

¹ - يحيى ولد سيد أحمد، ديوان الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص48.

² - مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، مرجع سابق، ص53 وما بعدها.

وستصبح مخيمات هؤلاء الثلاثة أرومة كل قبائل كنتة المقيمين في إفريقيا الغربية¹، وعليه يعتبر هؤلاء الثلاثة الأجداد الفعليين لعشائر كنتة الحالية، وتنقسم قبيلة كنتة إلى ثلاث تفرعات كبرى أخذت أسماءها وهويتها من الأجداد المؤسسين لها وهي:

أ- كنتة أهل سيدا محمد الكنتي الصغير "كنتة الغرب":

عاش سيدا محمد الكنتي الصغير في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر في منطقة تكانت بموريتانيا الحالية، وورث عن أبيه الولي سيدي أحمد البكاي النفوذ السياسي تاركا لأخيه سيدي أعمار الشيخ المشيخة الدينية²، وقد ترك سيدا محمد الكنتي الصغير سبعة أبناء هم أجداد كنتة الحوض وأفطوط وتكانت وأدرار بموريتانيا، ويطلق عليهم "كنتة الغربيون"، وقد وصفهم الشيخ سيد المختار الكنتي بحسن التدبير في السياسة والاستقامة في الديانة، والشيخ سيد محمد الخليفة وصفهم بانهم اسوة وقدوة، والشيخ سيد أحمد البكاي بودمعه جعل جدهم سيدا محمد الكنتي الصغير قائدا وسائسا للأولاد والأتباع، وقد ظلت العشائر الكنتية الغربية متماسكة في نجعاتها، ترحل وتقيم متقاربة في أغلب الفصول، جاعلة من بلاد شنقيط الحالية – من الساقية الحمراء حتى نهري النيجر والسنغال – مجال تحركها، ونشاطها الديني والتجاري، إلى أن تضخمت وتكاثرت، وصار لكل منها مشايخه الدينيون الذين جذبوا الطلبة والمريدين، فاتجهت إلى الاستقلال عن بعضها، وبصورة تدريجية أصبح لكل عشيرة مواطن خاصة بها³، وتوجد جل فروعهم اليوم بالجمهورية الإسلامية الموريتانية، وهؤلاء الأبناء هم:

- سيدي ويس: جد أولاد بوسيف.
- سيدي حيب الله: جد أولاد سيدي حيب الله.
- سيدي بوبكر: جد أولاد سيدي بوبكر.
- سيدي عمر المتغمبر: جد المتغمبرين.
- سيدي المختار النقرة: جد الركابات.

¹ - بول مارتني، كنتة الشرقيون، مرجع سابق، ص 29.

² - بول مارتني، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تعريب محمد محمود ولد ودادي، دار السراج، بيروت، 2005م، ص 145.

³ - محمد محمود ودادي، وادي الرشيد التاريخ والمجتمع والبيئة، مطبعة المزاياء، نواكشوط، موريتانيا، 2020م، ص 32.

- سيدي الوافي: جد أهل أوكال.
 - سيدي أحمد الكريم: جد أهل أحمد كنتة.
 ويمثل كل فرع من هذه الفروع رمزية سياسية مستقلة تنكمش وتتسع مع الولاءات القبلية وطرفات الخوف والأمن والرخاء، وقد نمت هذه الفروع وازدهرت ازدهارا واضحا، وعند التدقيق في مجموعة من المصادر التي تطرقت لقبيلة كنتة نرى عمليات إنضمام واسعة عرفتها هذه القبيلة، من طرف مجموعات قبلية عدة، طلبا للبركة أو من طرف قبائل كانت مستضعفة باحثة عن حماية دينية أو من طرف مجموعات من التائبين عن حياة السيبة والذين يطلق عليهم المهاجرون أي المتحولون من التقاليد القبلية الحربية إلى نظام قبائل الزوايا¹، وبتحول هذه المجموعات من حمل السلاح، الذي هو سلوك قبائل حسان المحاربة، إلى الزوايا، وتسمى "التياب"²، خصوصا والمنطقة تعرف ضغطا متزايدا من طرف القبائل الحسانية ذات الشوكة، خصوصا أولاد أمبارك وأولاد الناصر والتي كانت ترتبط إلى وقت قريب بعلاقات جد حسنة بكنتة.

ب- كنتة الطالب بوبكر الحاج:

يعتبر الطالب بوبكر الحاج أوسط أبناء الشيخ الولي سيدي أحمد البكاي، لم يعيش طويلا وتوفي في عهد والده³، وهو السبب الذي يفسر قلة عدد المنتمين لهذا الفرع من كنتة، ويعتبر الطالب بوبكر عن طريق أبنائه جد عشيرة الهمال وعشيرة أهل الأزرق والضمان وأكثرية هذه الفصائل توجد بالأزواد رفقة كنتة الشرق، كذلك توجد أقلية منهم في كنتة الغرب.
 وقد بعث الشيخ سيد أحمد البكاي ابنه أبوبكر إلى السنغال على إثر طلب منهم قصد الدعوة ونشر الإسلام، وقد بنوا له مسجدا ومدرسة، فمكث فيهم معلما ومربيا وداعيا، ولازال أحفاده من الهمال الكنتيين قائمين بالأمر، منتهجين نهج آبائهم معتمدين في الفقه على المذهب المالكي، وفي التوحيد

¹ - الشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي، الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، صص 288-289.

² - بول مارتني، القبائل البيضاوية في الحوض والساحل الموريتاني، مرجع سابق، ص 206.

³ - بول مارتني، كنتة الشرقيون، مرجع سابق، ص 29.

العقيدة الشعرية، وفي التصوف والسلوك الطريقة الجنيدية، متأثرين بالطريقة القادرية كما هو شأن عموم الزوايا الكنتية¹.

ج- كنتة أهل سيد أمير الشيخ "كنتة الشرق":

هذا الجزء من كنتة أو الذي يطلق عليه أصطلاحاً "كنتة الشرق" نظراً لتواجدتهم شرق مضارب بقية بني عمومته ينتسبون إلى سيد أمير الشيخ الذي ولد حوالي 1460م، وقد عاش مع والده الولي الشيخ سيدي أحمد البكاي، وكذا رحلاته مع شيخه ومعلمه الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأخذة الورد القادري وتبوأه للمشهد الصوفي بالبلاد، توفي سيدي أمير الشيخ مخلفاً ثلاثة أبناء هم أجداد كنتة الشرق وهم:

- أحمد الفيرم: وهو جد الرقادة.
- سيدي المختار الشيخ: جد عشيرة أولاد سيدي المختار.
- سيدي الوافي: وهو جد عشيرة أولاد الوافي وهو الفرع الذي خرج منه الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير²، الذي يقول فيهم محمود محمد ددب الأرواني ((فهم العمدة القوية لإحياء السنة هنا ونشر التصوف بعد أن كان يحدث انقراضه، وهم الذين فتحوا كثيراً من غوامض المشاكل الفقهية والمنطقية والفلسفية، والسياسية، وذلك مما أفاض الله على جدهم الأكبر الشيخ سيد المختار بن أحمد الكنتي المشهور بالشيخ الكبير³، وحقيقة لامراء فيها سيكون القرنان 18م و19م، بامتياز قرني أسرة آل الشيخ سيد المختار الكنتي بلا منازع، فقد كان عالماً مبرزاً وزعيماً في الطريقة القادرية على الإطلاق وناصحاً أميناً، شملت بركاته الأرض وانتشر عدله في الآفاق وهابه الخاص والعام⁴.

يبقى أن نشير إلى أن سبب إفتراق فروع كنتة الشرقيين عن الغربيين عائد أساساً إلى خلاف شب بين الفريقين (سيدي ويس بن سيد أحمد الكنتي الصغير وبين الوافي بن سيد عمر الشيخ)، اضطرت معها مضارب الحيين إلى

¹ - بوفلج حرمه، "المدرسة الكنتية الرقادية بالزوايا كنتة ودورها التربوي والتعليمي"، مجلة رفوف، المجلد السابع، العدد الرابع، جامعة أحمد دراية، آدرار، ديسمبر 2019م، ص96.

² - مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، مرجع سابق، ص54.

³ - محمود محمد ددب، من تراث تنبكتو والساحل الإفريقي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، الرباط، المملكة المغربية، 2011م، صص182-183.

⁴ - حبيب عمر الفهري، القبائل العربية شمال مالي، نيامي، النيجر، 2004م، ص14.

الإفتراق على مضض، ومنذ ذلك الحين توجه حفدة سيد أمير الشيخ من الساقية الحمراء إلى ازبار¹ إلى الحمادة² إلى آرکشاش³ إلى واد الشب⁴ بشرق توات ومكبلتهم سوس الأدنى⁵ إلى درعة⁶، وسجلماسة⁷، إلى توات، فإذا كانوا بأركشاش وماوالاه سافروا إلى السودان فريق: إلى قرية تمبكتو، وفريق إلى السودان الأكل: كاشنة⁸ وكوبر⁹ وهو صا...، بينما بقي أبناء سيدي محمد الصغير ما بين... تيرس وأدرار وأوكار، وتكانت، وأگان¹⁰.

وعليه يمكن الحسم على أن مضارب كنتة سواء الغربية منها أو الشرقية نمت بشكل متزايد على مشارف الحواضر الكبرى للبلاد، مثل توات وتنبكتو وأروان وولاتة وودان وقصر البركة والرشيد، في مراقبة وحضور دائم على الطرق التجارية المهمة، الشيء الذي يزكي إطلاع كنتة بأدوار حضارية مهمة جدا، منذ الرعيل الأول للكنتيين الأوائل، فلم يقتصر دور الكنتيين على الجانب الديني بل تعدوه ليكون لهم قسم السبق في الجانب التجاري، وقد امتلكوا معدن الملح الرئيسي في الصحراء الغربية وهو سبخة الجل ابتداء من القرن الثامن عشر الميلادي على أيدي المتغبرين، في الفترة نفسها التي هيمن فيها كنتة الشرقيون (مالي النيجر) على تجارة ملح تاودني، بعد نضوب معدن (سبخة) تغازة، وهو ما استمر حتى سبعينيات القرن الماضي، إذ بلغ نصيبهم من الكمية

¹ - أزبار: الكثبان الرملية الممتدة على الساحل الأطلسي.

² - الحمادة: المنطقة الممتدة من الشمال الموريتاني في اتجاه الجنوب الغربي للجزائر.

³ - آرکشاش: هو في الاصطلاح السلاسل الرملية الممتدة بشكل طولي بينها منخفضات أووديان، والمقصود هنا هو آرکشاش الواقع في جنوب شرق لحادة من الشمال الموريتاني الحالي.

⁴ - وادي الشب: المفهوم أنه يقع في أحواز لحادة.

⁵ - سوس الأدنى: من أحواز المغرب الأوسط.

⁶ - درعة: تعريب دارا: المنطقة التي يمر بها درا (درعة) في الجنوب الشرقي والجنوب الغربي كانت بها للقوافل الغادية والرائحة بين طرفي الصحراء.

⁷ - سجلماسة: الحاضرة العتيقة الواقعة ضمن تافيلالت الحالية، كانت في العهد الوسيط محطة كبرى على طريق تجارة السودان، ثم لم تلبث أن هجرتها القوافل، وأضحت أطلال دارسة يعرفها المغاربة بالعامرة تفاؤلا.

⁸ - كاشنة: في شمال نيجيريا الحالية، وصفها الوزان خلال القرن 16م وذكر سكانها وعاداتهم وخضوعهم لمملكة الصانغاي، الحسن بن محمد الوزان الفاسي "اليون الإفريقي"، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي جزء 2، بيروت، 1983م، ص173 وما بعدها.

⁹ - كوبر: من ممالك حوض النيجر، (ضمن نيجيريا الحالية)، وصفها الوزان ج:2، ص170 وما بعدها.

¹⁰ - الشيخ سيد محمد الخليفة، الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، ص269 وما بعدها.

المستخرجة سنويا حمولة خمسة آلاف جمل سنة 1366هـ/1947م، بينما كان نصيب المجموعات الأخرى معا حمولة ألف جمل¹، وقد ساعد النفوذ الديني للكننتيين في ازدهار تجارتهم، حيث كان لوردهم القادري أتباع في جميع الحيز الجغرافي الواسع، فكان سكان تكانت وآدرار وشمالهما يسيرون قوافلهم إلى أرض باغنه في السودان (مالي) وفوته على النهر، لمقايسة الملح والتمر بالزرع ومنتجات القطن، ويرى "بيير بونت pierre bonte" أن انتشار التجارة بين الاغلال وإدو علي كان تقليدا للنمط الكنتي خاصة بعد انتشار الورد التجاني على يد الشيخ محمد الحافظ².

ويعد استقرار كنتة في الخط الرابط بين شمال الصحراء وجنوبها دليلا على تعاطي هذه القبيلة للتجارة، وإذا ما استقينا من الوثائق الأماكن التي كان لكنتة فيها ثقل ديمغرافي كبير، إلى جانب بلاد الأزواد، نرى أنها كانت وبشكل أساسي تشغل المناطق المدنية ذات الاستقرار البشري الكبير، كتوات وأروان وقصر البركة والرشيد وودان³، إن الاستقرار بالمراكز الحضرية هاته يزكي الدور التجاري الريادي للقبيلة، إذ كانت لهم تقاليد راسخة في تسيير القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وتنظيم قوافل الحج السنوية إلى الأراضي المقدسة⁴.

إن هذه الصورة تحيلنا على أن قبيلة كنتة استطاعت أن تزواج بين البعدين الديني الروحي، والدنيوي التجاري، وقد سهل الموقع الجغرافي على كنتة هذا الدور، بوقوعها في مفترق الطرق التجارية الصحراوية، أدى كل هذا إلى ضبط هذه الطرق وحمايتها، وإن أحتاج الأمر في بعض الأحيان من كنتة الدخول في حروب مع جيرانها مضطرة للدفاع عن وجودها ومكانتها، لكنها تصب أساسا في حماية الحرم الكنتي التجاري أحيانا والروحي أحيانا⁵.
أنجبت قبيلة كنتة منذ بدايات الاستقرار الأولى بالمجال الصحراوي شخصيات علمية وروحية مهمة سيكون لها تأثير عميق على البلاد والعباد،

¹ - محمد محمود ودادي، وادي الرشيد التاريخ والمجتمع والبيئة، مرجع سابق، ص30.

² - أحمد مولود بن أيده، الصحراء الكبرى . مدن وقصور، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2009م

³ - أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط مصدر سابق، ص419..

⁴ - مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، مرجع سابق، ص53.

⁵ - محمد الصالح حوثية، آل كنتة دراسة تاريخية، المرجع سابق، ص164.

وقد برز منها رجال أعلام مارسوا نشاطهم عبر مسيرتهم التاريخية في مختلف المجالات، ومنها المجال الثقافي والإصلاح الاجتماعي، كما كانوا عنصر استقرار وبناء على مختلف الصعد¹، إن امتداد قبيلة كنتة في عدة دول من المنطقة يعد بحق حلقة من حلقات التواصل والتمازج بين إفريقيا جنوب الصحراء وشمالها، الشيء الذي جعل المستكشفين الأوروبيين الأوائل يطلقون على الكنتة لقب أسياذ الصحراء.

تأسيس زوايا والمدن الكنتية: فرغم كون الأغلبية الساحقة من الكنتيين كانوا أهل بادية، يحلون، ويرتحلون ويظعنون لمواشيهم، امتلكوا قطعانا مهمة من الأغنام والإبل والأبقار وتكيفوا مع حياة البداوة والتي تلزم صاحبها بالتنقل الدائم بحثا عن المرعى لماشيته، والأمن لأهله وعشيرته، إلا أن هذا لم يمنع هذه القبيلة من المساهمة في الحياة الحضرية، لقد كانت علاقة كنتة وطيدة بالمدن، حيث استقرت أعداد كثيرة من الكنتيين بالمدن، بل الأكثر من ذلك تشييد مدن جديدة، وتنميتها حتى استقطبت أعدادا مهمة من البيضان، ومن أهم المدن التي شيدها الكنتيين:

- **زاوية كنتة:** لعبت هذه الزاوية دورا مهما في انسيابية الحركة العلمية والتجارية على حد سواء إلى العمق الإفريقي، وكذلك لنشر الورد القادري وإعادة فتح إفريقيا، فقد شكلت هذه الزاوية قاعدة خلفية للكنتيين، وصفها المستعمر كابولاني بأنها من أغنى الزوايا التواتية، وأكبر مقاطعاتها من حيث السكان، وعلى العموم هي مؤسسة ثقافية وصوفية هامة، كان لها دور حاسم مشهور في الحركة الفكرية والإشعاع الصوفي في الصحراء، وفي تسيير ركاب الحج وتنشيط التجارة مع السودان الغربي²، أسس زاوية كنتة بإقليم توات حفيد سيد أمير الشيخ ابن الشيخ سيدي أحمد البكاي، المدعو الشيخ سيدي أحمد بن سيدي محمد الرقاد بن سيدي أحمد الفيرم بن سيدي أمير الشيخ المتوفى سنة 1562م، والتي لا زالت تحمل إسمها إلى اليوم بدولة الجزائر تحت اسم (دائرة زاوية كنتة).

¹ مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، مرجع سابق، ص53.

² الشيخ سيد محمد الخليفة، الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، صص268-269.

- زاوية أقبلي: المعروفة بزاوية بونعامة أسسها محمد بونعامة الهاملي، ساهمت في التعليم ونشر القادرية، بالإضافة على أن صاحبها كان يرأس الركب الحج، التي تحتوي خزائنها على ما يقارب ثلاثمائة مخطوط في علوم مختلفة لاسيما العلوم الدينية .

- زاوية قصر الجديد: تم تأسيسها في القرن 12هـ — 18م، لها مساهمة في نشر العلم والتصوف السني المالكي.

- المبروك: تأسست في أوائل القرن الثاني عشر وصارت مركزا لنشر الطريقة القادرية¹، وحسب رواية سيدي محمد الكنتي في الغلاوية أنه "تأسس بعد عامين من أزمان "كفكافة" وهو يوافق تاريخ فك الارتباط بين كنتة الشرق والغرب بعد الحوادث التي وقعت بين الفريقين²، إذ يعود نفس الحدث ليظهر مجددا مع سيدي محمد الكنتي في الطرائف لكن هذه المرة بمسمى آخر وهو "هاوية كنانة"³،، إذ يقول أسس سيدي الحاج أبو بكر بن محمد بن عمر بن الوافي قرية المبروك بأزواد، وهو أحد أعلام قبيلة كنتة وخاصة أولاد الوافي وذلك بعد أن كانت كنتة (أولاد الوافي والركاگدة) يقطنون أروان، وبعد خلاف مع البرابيش أسس أولاد الوافي قرية المبروك وأسس الركاگدة قرية الميمون وكلاهما بأزواد، هذه القرية التي سبى فيها سيدي المختار الكنتي النور وسيعيش في رحابها ويتربى في أجوائها، وأضاف ابن انبوجة في فتح الرب الغفور أن إنشاء المبروك كان قبل ميلاد الشيخ سيدي المختار الكنتي بسنتين⁴، وتعتبر المبروك حاضرة كنتية بكثيب أوغال شمالي الأزواد تقع إلى الشمال الشرقي من تنبكتوا وإلى الجنوب الشرقي من أروان بجمهورية مالي الحالية تأسس بالأزواد في 1133هـ، هذا القصر الذي يقع على مسافة 275 كلم شمال بنبا وقد تأسس في بداية القرن 18م (1720م/1721م) من طرف كنتة أهل الوافي الذين وفدوا أزواد بعد كوارث كانت القبيلة ضحية لها، وذكر جدو بن الطالب الصغير في تاريخه أن 1139هـ، سنة وفاة الحاج بوبكر باني

¹ - عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الافريقية، مرجع سابق، ص37.

² - الشيخ سيد محمد الخليفة، الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، ص265

³ - الشيخ سيد محمد الخليفة، الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد، تحقيق عابدين بن باب احمد بن حمّ الامين، الجزء الثاني، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، 1994م، ص5.

⁴ - سيدي عبد الله بن امبوجة العلوي، فتح الرب الغفور في تواريخ الدهور، تحقيق محمد الأمين بن سيدي المختار، جامعة نواكشوط، 1995م، ص41.

المبروك¹، وبنيت المبروك بجوار بئر يعرف بنفس الاسم وأصبحت مع مرور الوقت محطة مهمة على طرق القوافل الكبرى الشمالية واقام بها التجار وازدهرت التجارة لتعذر قيام الزراعة، وأصبح المبروك منذ إنشائه محطة راحة تمر بها القوافل الرابطة بين بلاد السودان الغربي والمغرب وخاصة واحة توات بجنوب غرب الجزائر، وببئر المبروك قبر الشيخ محمد الأغظف الداودي صاحب الطريقة الصوفية المشهورة بموريتانيا والتي تعرف بالغطفية، وقد نظم عابدين بن الشيخ سيدي احمد الكنتي مقاومته للمستعمر الفرنسي مع بداية القرن العشرين بالمبروك مما أدى بالفرنسيين إلى مهاجمته في 30 نوفمبر 1911 ليدمروه، لم تكن الحواضر الكنتية السالفة الذكر الوحيدة التي يضع السادة الكنتيين الأوائل حجر زاويتها، فهناك العديد من القصور والقصبات والزوايا والرباطات والواحات المنتشرة في طول الصحراء وعرضها، كان للكنتيين سبق السهم فيها، نورد بعضا منها وقد جاءت مفصلة في مقدمة "ديوان الصحراء" الذي بذل صاحبه مجهودا جبارا لجمع كل الشذرات الدالة على دور الكنتيين الحضاري بالصحراء الكبرى².

- **المامون أو الميمون:** وهو قصر صغير يقع غرب قصر الشيخ بحوالي مائة كلم، تم بناؤه قبل قصر الشيخ بمدة، بناه الشيخ محمد بن الصديق الرقادي، وهو قصر الرقادة من آل كنتة.

- **قصر الشيخ:** بناه الشيخ سيد المختار الكنتي، بالقرب من بئر أبو الأنوار، ويقال له أيضا قصر الحلة، يبعد حوالي ثلاثمائة وأربعين كلم شمال مدينة قُاو، كان حاضرة علمية في عهد الشيخ المختار وأبنائه من بعده... ويضم مدافن آل الشيخ المختار، تحول اليوم إلى أطلال بسبب هجرة سكانه³.

- **كُصر البركة:** تأسست في الشمال الغربي من تكانت على رأس القرن 11 هـ وقد استوطنته جماعات من أبناء سيدي محمد الصغير (كنتة الغرب) ودليل ذلك وجود أضرحة بعضهم بالقصر إلى اليوم... وقد روعي في إختيار هذا الموقع

¹ جدو بن الطالب الصغير، تاريخ جدو، صورة من نسخة الميكروفيلم في المعهد الموريتاني للبحث العلمي، ص 66.

² يحيى ولد سيد أحمد، ديوان الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص 65 وما بعدها.

³ مبارك جعفري، الأزواد خلال القرن 13 هـ / 19 م دراسة تاريخية اجتماعية واقتصادية، ط 1، دار الكتاب العربي، الجائر، 2021 م، صص 81-82.

التوسط بين شنقيط شمالا وبلاد النهر الصنهاجي في الجنوب وتمبكتو شرقا وباغنة جنوبا¹، وكّصر البركة عبارة عن حاضرة تقع قرب الواد الأبيض القادم من تيجكجة، وقد مكن هذا الموقع كّصر البركة من مراقبة القوافل القادمة من المغرب الأقصى والمتوجهة إلى ولاتة وتلك القادمة من أدرار نحو تيشيت، لقد ظلت حاضرة كّصر البركة

تقطنها بطون من كنتة (أولاد سيدي حبيب الله- أهل آديه) ومجموعة من قبائل إدوبسات وجمع من قبائل بني حسان ...حتى دخول الفرنسيين، ظلت تدرس فيها جميع العلوم، وكان طلاب العلم يفدون إليها من كل فج ومعاشهم فيها جيد ومنظم².

- **واحة تالمست:** كان أول من غرس نخلها الولي الصالح أعمر بن سيدي أحمد النويكط سنة 1008هـ، وهي تقع في الشمال الشرقي من تكانت.

- **واحة تالغزة:** قامت على يد الطالب بوسيف بن سيدي أحمد الفقيه بن الحاج بوبكر بن الولي سيدي أحمد البكاي بودمعه في زمن يقرب زمن قيام الواحيتين سالفتي الذكر -قصر البركة وتالمست، تقع إلى الشمال من كّصر البركة .

- **واحة تجكجة الأولى:** اختطها ثلاثة مشائخ من كنتة الغرب قبل أن ينتقل إليها إدو علي من شنقيط ويعمروها³.

- **الرشيد:** تم تشييده في القرن العاشر الهجري الثامن عشر الميلادي أي في حدود سنة 1723م من طرف سيدي أحمد بن سيدي الأمين بن الطالب سيدي أحمد الذي ينتمي إلى بطن من كنتة يعرف بأهل سيدي الوافي من أولاد سيد بوبكر، وقد ظل الرشيد مدينة لكننة، وخصوصا أولاد سيد الوافي، ولاسيما في حربهم مع أهل سيدي محمود ثم صراعاتهم مع إدو عيش وغيرهم.

وقد إستفادت هذه الكّصور اولزوايا من مكانة مميزة وإحترام وتقدير كبيرين لدى العامة والخاصة نظرا للدور النبيل الذي تلعبه هذه المؤسسات، إذ تلقت دعما وتشجيعا متواصلا وعناية من البلاط العلوي، إذ يورد الباحث يحيى ولد

¹ - محمد بن المختار بن الشيخ بن بدّه، سطور في تاريخ حاضرة كّصر البركة وشعبها وحكامها، مطبعة الساحل، نواكشوط، 2013م، ص20 وما بعدها.

² - محمد بن المختار بن الشيخ بن بدّه، سطور في تاريخ حاضرة كّصر البركة وشعبها وحكامها، نفس المرجع السابق، ص15

³ - يحيى ولد سيد أحمد، ديوان الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص60.

سيد أحمد إشارة فريدة من نوعها نقلا عن وثائق فرنسية لآجي . ب. مارتان بحوزته فيقول "استفادت الزوايا الكنتية عموما من عناية شرفاء تافيلالت الحاكمين في المغرب الأقصى" كزوايا سيدي عبد القادر بن عمر، والشيخ سيدي المختار بالجديد، وزاوية سيدي محمد بن أحمد وزاوية كنتة، وزاوية بونعامة، وزاوية الهماي بأقبلي، وزاوية سيدي باصباح بدلدول، استفادت جميعها من الهدايا السلطانية وذلك بتاريخ آخر جمادى الأولى 1244 هـ - دجمبر 1828م¹، الشيء الذي يؤكد متانة العلاقات بين البلاط العلوي والزوايا الكنتية.

لقد أسس الكنتيين مدنهم على طول الطرق التجارية والمحاور المهمة، الشيء الذي يزكي دورهم في حماية الطرق التجارية، على أن الأقطاب الكنتيين ومنذ القرن العاشر الهجري وهم يعمرّون هذه الربوع علما وصلاحا إذ ساعد استخراج الملح من تاودني وتغازة على ازدهار الحركة التجارية بين المنطقة ووحدات توات، بل الأكثر من ذلك تسيير قوافل خاصة بهم إذ سيطرت العائلات الكنتية مع مرور الوقت على تجارة الملح وقوافله التي يطلق عليها محليا (أزلاي) على الخط الرابط ما بين تنبكتو وتاودني ببلاد الأزواد، رغم صعوبة هذا المسلك الذي وصفه حسن الوزان أنه "منطقة فلاة وعرة لا يسلكها التجار إلا بمشقة عظيمة تسمى ازواد، لأماء فيها ولا منزل..."².

تجارة الملح هذه والتي سيطر عليها الكنتيين سيطرة تامة جعلت السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله³ يفاوض سيدي المختار الكنتي على استعادة

¹ - يحيى ولد سيد أحمد، ديوان الصحراء الكبرى، مرجع سابق، صص 63-64.

² - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، مصدر سابق، ص 148.

³ - سيدي محمد بن عبد الله : ولد بمكناس (1134هـ - 1204هـ / 1710م - 1790م) أواخر عهد جده المولى إسماعيل، تربى بين أحضان والده المولى عبد الله وجدته المرأة العظيمة خناثة بنت الشيخ بكار المغافري، وفي سنة 1143 هـ ذهب سيدي محمد رفقة جدته خناثة هاته، إلى البقاع المقدسة صحبة عدد من العلماء الأجلاء المغاربة، وهو ما زال في طور الصبي ويوصف بغزارة العلم وهو سلطان مغربي من سلالة العلويين، ناب عن أبيه السلطان عبد الله بن إسماعيل بمراكش سنة 1158هـ - 1750م، وتولى الحكم بعد وفاة والده السلطان 1757م لغاية 1790م، تولى الحكم في ظروف صعبة، بعد عهد الاضطراب مباشرة، وقد تميز بالعقل والرزانة وبعد النظر رجع من رحلته الحجازية، وفي ذاكرته صورة حية عن المشرق العربي وفي قلبه شعور وإحساس قوي بالأخوة الإسلامية، وفي عقله ارتسام وانطباع عن الحياة العلمية بالشرق، للاطلاع أكثر انظر: مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، 2004م، خير الدين الزركلي، الاعلام، جزء 6، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ط 15، 2006م، صص 241-242.

السيطرة على عائداتها¹، الشيء الذي يؤكد أن كننة في إنتشارها في هذه الربوع لم تأل جهدا في تنظيم هذا المرفق الإقتصادي المهم، والعمل على حمايته، الشيء الذي يوضحه سيدي المختار الكنتي في مراسلة نادرة توضح أهمية تجارة الملح داخل المنظومة الإقتصادية للمنطقة بصفة عامة²، وبالنسبة لكننة بشكل خاص، وقد إعتمدت الزاوية الكنتية التي أسسها سيدي المختار الكنتي في تسييرها وتدبيرها على عائدات مراقبة تجارة الملح، ولم يقتصر دور الأسر والعائلات الكنتية على تأسيس المدن والرباطات والزوايا ذات الأهداف الدينية والإقتصادية، بل أسهم الكنتيين بحظ وافر في تعمير المدن البيضانية والسودانية والطّرقية على حد سواء، بما توفر لديهم من ميكانيزمات روحية وأقتصادية، إذ استقرت بعض العائلات الكنتية بالمدن التجارية الكبرى.

- **تمبكتو:** "تنبكت مقامها من السودان مقام الوجه من الإنسان، مادنتها عبادة أوثنان ولاسجد على أديمها قط لغير الرحمن مأوى العلماء والعابدين ومألف الأولياء والزاهدين وملتقى الفلك والسيار"³، كانت مدينة ذات وزن عظيم ودور علمي وسياسي وحضاري كبير، وهي تقع الآن بجمهورية مالي، كانت مركزا تجاريا وثقافيا هاما في القرون السابقة، توضح قصة الشيخ سيدي المختار الكنتي الذي كان يتدخل دائما لإنقاذ المدينة من غزوات الطوارق وغيرهم⁴، وكذا خليفته وإبنه الشيخ سيد محمد الخليفة⁵، تجذر العلاقة الكنتية بتبكتو، وقد كان شيوخ كننة في تبكتو هم أهل الحل والعقد بها بعد إنهيار سلطة الرماة، وخصوصا على يد الشيخ سيدي أحمد البكاي الصغير (1865م) والذي أسس فيها زاوية قادرية كننتية كبيرة، ويرجع إلى الشيخ أحمد البكاي الفضل في استعادة مدينه تمبكتو لازدهارها الثقافي والاقتصادي الذي عرفته منذ أزمان موهلة في القدم، وقد أكد ذلك الرحالة الألماني بارث الذي زار المدينة حينذاك بقوله: ("إنه لم يرجع فقط لمدينة تمبكتو أهميتها التجارية التي اشتهرت بها من قبل بل خلع عليها أيضاً الكثير من الأبهة والأهمية، فقد أصبحت في عهده مقراً لشيخ من مشائخ الدين في هذا الجزء من العالم لا يقل

¹ - الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، رفض الركون لولاية الحيوني، تحقيق. سيداحمد احمد جد، دار قوافل للنشر، الرباط، 2017م، 23 ومابعدها.

² - الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، رفض الركون لولاية الحيوني، المصدر السابق، ص5.

³ - عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، نسخة هوداس، المدرسة الباريسية، 1981م، ص21.

⁴ - بول مارتني، كننة الشرقيون، مرجع سابق، ص57 ومابعدها.

⁵ - بول مارتني، كننة الشرقيون، المرجع نفسه، ص81.

أهمية عن أهمية البابا بروما بالنسبة للأوروبيين، فقد امتدت سلطاته الروحية والسياسية لتشمل مناطق شاسعة من الغرب الإفريقي¹ وقد جمعتة علاقة وطيدة بأمرأ الماسينا²، وحسب الباحث م-لي-تال "فقد نجحت تمبكتو من الحفاظ على ازدهار تجارتها بفضل الحماية التي كان يوفرها لها الكنتيين رغم عمليات الابتزاز والحروب التي غالباً ماتحدث في المنطقة... ، وحقبة الأمر أن السلطة في تمبكتو كانت في أيدي الكونتيين الذين كان زعيمهم – سيد أحمد البكاي – يحرص حرصاً بالغاً على الاحتفاظ بهيمنتها الدينية في كافة أرجاء حوض النيجر³"، كما أسس الكنتيين زاوية كبيرة بتبكتو على يد الشيخ علواتة بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي، وتذهب تواريخ تينبكتو وأزواد⁴، إلى أن إنشاء المدينة كان بخامس القرون الهجرية، كانت تينبكتو على علاقة وثيقة بالمدن الموريتانية الشنقيطية، وتعرضت لغزو مشهور في أواخر القرن السادس عشر من طرف الدولة السعودية المغربية في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي، وأصبح يطلق على بقايا ذلك الجيش "الرملة"⁵، هذه المدينة الأسطورية التي استحوذت على اهتمام الباحثين، كما كانت محط أطماع القوى المحلية والإقليمية المتنافسة،

-ولاية: وهي تقع في أقصى جنوب الشرق الموريتاني الحالي (ضمن ولاية الحوض الشرقي) تأسست في القرن الهجري الثاني / الثامن الميلادي، وهي من كبريات حواضر الإسلام والثقافة العربية في غرب الصحراء والسودان، ثم صارت منذ القرن التاسع الهجري دار علم لامثيل لها في البلاد، كما أنها كانت مركز تجارة قديم...⁶، تعتبر ولاية المدينة العتيقة الضاربة في القدم، والتي تمثل للكنتيين المنشأ ومهوى الأفئدة، فيها قبر الولي الصالح سيدي أحمد

¹ - عمر عبد الماجد، "التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر"، مجلة دراسات إفريقية، العدد 48، ديسمبر 2012م، ص 170.

² - عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص 100 وما بعدها.

³ - ف. أدى آجاي، تاريخ إفريقيا العام، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، المجلد 6، اليونسكو، طبعة حسيب درغام وابنائها، المكلس، لبنان، 1996م، 680 وما بعدها، ص 699.

⁴ - السوقي، تاريخ أزواد، مخطوط، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط، صص 3-4.

⁵ - حماد الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنقيط موريتانيا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ص 181 وما بعدها.

⁶ - مجموعة من المؤلفين، حواضر ولايات، تحقيق سيد عبد الله بن البخاري، جامعة نواكشوط، 1992م، ص 8 وما بعدها.

البكاي الكنتي منشئ شجرة كننة وباعث عزها "فقد كان أرومة كننة ومنشأ سموهم والأساس الذي قامت فوقه قوتهم والسبب الأول لرفعة مكانتهم... ويجيد قيادة الناس مجدد المبادئ التي يجب الالتزام بها"¹، وقد إستوطنت ذرية هذا الولي قبل أن تتفرق في الأقطار، وتستوطن كافة الأمصار، وتدين مدينة ولاتة لهذا الولي بالشيء الكثير إذ دشّن بها ثورة إصلاحية في مطلع القرن 16م وهو ما فصله الشيخ سيدي المختار الكنتي في كتاب المنة، والشيخ سيد محمد الخليفة في الطرائف والغلاوية²، وقد قدم إليها الشيخ سيدأحمد البكاي الكنتي الكبير في القرن العاشر الهجري مع جمعٍ من تلامذته معلماً مربياً، وأضاف إضافة نوعية لمدينة ولاتة، كان لها أثر بالغ في تهذيب سلوك المجتمع، وإحياء النهضة العلمية والروحية فيها، فقد تلقى عنه كما تفيد الروايات العديد من أعلامها العلم والتصوف، وكان أن فرض الحجاب على نساها، في إشارة ربما كانت تعني مسووفة وعناصر الملتزمين عموماً³، وفي ربيع الأول 753هـ زارها ابن بطوطة وسماها في رحلته بأبوالاثن، وتحدث عن رخائها الاقتصادي ومنزلتها التجارية قائلاً: "ويجلب إليهم تمر درعة وسجاسة وتأتيهم القوافل من بلاد السودان فيحملون الملح ويبيع الحمل منه بثمانية مثاقيل إلى عشرة ويبيع في مدينة مالي بعشرين مثقالاً وربما انتهى إلى أربعين مثقالاً"⁴، وكانت تسمى بيرو وقد أطلقه عليها مجموعة من سرغلات أوالبامبرة المجموعة الزنجية المشهورة بغرب إفريقيا، ومعناها بلغتهم "المدخل" حيث كانوا يقولون بيرُ بافه، أي مدخل المدينة، وقد نشطت التجارة الصحراوية بولاتة مما أعطاهم مكانة في القرون الماضية⁵، وقد سكنت ولاتة منذ القدم قبيلة لمحاجيب الشهيرة بالعلم والثقافة العربية الإسلامية، وكانت إمامة المدينة لهم، وقد هاجر إليها في القرن العاشر الهجري وما بعده العديد من علماء تنبكتوا بسبب بطش سني علي ملك صونغا، كما حلّ بها بعض

¹ - بول مارتني، كننة الشرقيون، مرجع سابق، ص28.

² - الشيخ سيد محمد الخليفة، الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، ص257 وما بعدها.

³ - رحال بوبريك، المدينة في مجتمع البداوة التاريخ الاجتماعي لولاتة خلال القرنين 18 و19م، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2002م، ص14.

⁴ - ابن بطوطة، محمد اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج2، قدم له وحققه الشيخ محمد عبد المنعم العريان، دار احياء العلوم، بيروت، 1987م، ص687.

⁵ - مجموعة من المؤلفين، حوليات ولاتة، مصدر سابق، ص28.

سكان جنوب المغرب وربما وصل إليها بعض الأندلسيين، والشرفاء السجلماسيين بنو سيدي حمو بن الحاج القادمين من توات والمعروفون بشرفاء ولاتة وغيرهم، كما عرفت هجرات عرب بني حسان وخاصة أولاد داود المحمد ثم أولاد داود عروگ، فضلاً عن قبائل كان لها بولاتة تأثير مشهور، كبارتيل وإديلبة، وهذا التنوع البشري والنشاط التجاري أعطى لولاتة طابعاً خاصاً لا تجده في غيرها من المناطق الموريتانية، كما نشط فيها إلى جانب دراسة العلوم العربية والإسلامية فن معماري أصيل، لا في طراز البناء فحسب بل في أنماط الزخرفة، غير أن حركة التجارة الأوروبية عبر الشواطئ الموريتانية مع منتصف القرن السابع عشر الميلادي حول الاهتمام من شرق البلاد إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها فتراجعت الأهمية التجارية لولاتة وأخواتها من المدن كتيشيت وودان وشقنيط.

المبحث الثاني: الأوضاع العامة للمنطقة قبل الفترة المدروسة:

تتطلب عملية استباق تاريخ الدراسة إعطاء لمحة عامة عن الأوضاع العامة قبل ظهور الدور السياسي والإصلاحي الكنتي ودوره في المنطقة المدروسة في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادي، وهو لاشك ضرورة منهجية ملحة لا بد منها، ولا تفقد البحث اتزاناً، بل تزيده صرامة وحبكة، خصوصاً إذا كنت أقصد من وراء ذلك التأصيل لبعض الأحداث التي سيكون لها وقع كبير على المنطقة المدروسة، أوللتفصيل في بعض الأمور والحديث، والتي لا يستقيم فهمها دون العودة بها إلى فترات سابقة.

لقد تبلور الدور الإصلاحي والسياسي للعلماء الكنتيين لنتائج حالة الوضع السياسي والاجتماعي والديني الذي عمّ في المجتمع الموريتاني والسودان الغربي منذ الفترة الحديثة، إذ كان له دوره الكبير والمؤثر في تشكيل الإطار العام للفكر السياسي والإصلاحي لعلماء كننة، إذ منذو مجيء الأوروبيون وكشوفاتهم خصوصاً إذا علمنا أن المنطقة ستدخل مباشرة بعد هذه الفترة تحت سيطرة الهيمنة الأوروبية، وانتهيار دولة الأساكي على يد السعديين انزلقت البلاد نحو فراغ سياسي خطير زكته القوى المعقلية الحسانية المتغلبة والتي حولت البلاد إلى مجموعة من الإمارات والمشيوخ المتناحرة، أما في الشق السوداني فكان يعرف حروب طاحنة بين الرماة والطوارق ولم يكن الوضع مستتباً، وأدت هذه الحروب إلى سيطرة الطوارق على عقفة النيجر في بداية القرن 18 م، وأصبح الرماة مطاردين بعد أن كانوا يحكمون من تمبكتو، وظهر الدور للزاوية الكنتية في هذه الفترة نظراً لفعالية تدخلاتها ودورها المركزي

في بناء سلطة أهلية وفي مواجهة المجموعات الحسانية، ونظرا كذلك لدورها في خلق توازن بين القوى المحاربة والزاوية وبين هذه معا والكيانات الدولية الإقليمية مثل سلطة الرماة في تمبكتو وأحوازها¹، وكان شيوخ الزاوية يلعبون دور المصالحة وحفظ السلم الأهلي في هذه الفترة الحساسة من تاريخ المنطقة، وتبقى أهم التحولات التي عرفت المنطقة وما أعقبها من نتائج وتداعيات على مختلف الأصعدة، واستمرت تأثيراتها على المنطقة المدروسة تتمثل في:

- 1- البعثات الكشفية والتواجد الأجنبي في موريتانيا والسودان الغربي.
- 2- هجرة القبائل المعقلية الحسانية إلى غرب الصحراء وتأسيس إمارات.
- 3- انهيار مملكة سونغاي.

1 – البعثات الكشفية والتواجد الأجنبي في موريتانيا والسودان الغربي:

يرجع التواجد الأجنبي على السواحل موريتانيا والسودان الغربي إلى بداية الكشوفات الجغرافية والتجارة الأطلسية، لقد أدى خروج أوربا من مشكل الذهب الشهير وسيطرتها على تقنيات الملاحة في أعالي البحار بعد عدة إخفاقات، إلى حدوث طفرة في الكشوف الجغرافية²، بدأت أوربا تعرف مرحلة من التطور الصناعي والتقني والسلم العالمي والاستقرار النقدي، فضلا عن التضخم الديمغرافي والسلعي، وكلها عوامل شجعت على استئناف النشاط الاستعماري وتكثيفه وهو نشاط تسبقه – وتصاحبه أحيانا – البعثات الكشفية، التي كانت مدفوعة بما وفرت له الثورة الصناعية من قوة اقتصادية وعسكرية وسياسية وفكرية لا يمكن التصدي لها أو مقاومتها³.

شهد النصف الأول من القرن الخامس عشر بداية التوسع الأوربي والبعثات الكشفية وما صاحبها من تأسيس المراكز التجارية على الشواطئ الإفريقية العربية⁴، وكان أول من وطأت قدمه الشاطئ الموريتاني، هم البرتغاليون، ولكنهم لم يفكروا بالداخل... ثم جاء بعدهم الأسبان، وتلاههم الهولنديون، وأخيرا جاء الفرنسيون⁵، حيث استقرت البرتغال في أرغين حوالي سنة 1445م وهدفهم أن يحولوا نحو الأطلسي تجارة السودان، التي درجت

¹ - حماد الله ولد السالم ، تاريخ موريتانيا شنقيط ، مرجع سابق ، ص 230.

² - حماد الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنقيط موريتانيا، مرجع سابق، ص 209.

³ - محمد الهادي الشريف، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، دار سراس للنشر، تونس، 1980م، ص 96 وما بعدها.

⁴ - رياض زاهر، استعمار إفريقية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م، ص 22.

⁵ - محمود شاكر، موريتانيا بلاد شنقيط، نشر وتوزيع مكتبة دار الفتح، دمشق، 1385هـ – 1965م، ص 41.

على الاتجاه شمالا عبر الصحراء¹، كما عمدت إلى احتلال بعض الجزر المطلة على المحيط الأطلسي بغرض التجارة والمبادلات الاقتصادية لتسويق المنتجات الأوربية في المنطقة والحصول على المواد الأولية من الأسواق المحلية²،

ويبدو أن البرتغاليين كانوا في القرنين الأولين يبحثون عن طريق إلى الهند... وكانت موريتانيا أول المراقي في اتجاه الساحل الإفريقي الغربي، وهدفا استراتيجيا للتحكم في مصب نهر السنغال، بواسطة نقاط متقدمة على شاطئ الأطلنطي مثل بورتانديك وأرغين؛ وكان البلد مهما كذلك لموارده من الصمغ العربي الذي كان وقتها مغريا للكثيرين ومحل تنافس شديد في أرض البيضان، بين الفرنسيين والهولنديين³.

بدأ نفوذ البرتغال مع مطلع القرن الخامس عشر متزامنا مع قدوم عرب المعقل، ... وسيتقلص هذا النفوذ إبان القرن الخامس عشر ليمحور حول جزيرة أركين (بكاف معقودة)، تابع البرتغاليون تغلغلهم في المنطقة ففي عام 1434م نزلوا في كابو بوخادور كما يسمى بالإسبانية.... وفي عام 1441م احتلوا رأس الأبيض الذي يقع الآن على حدود موريتانيا مع الصحراء الغربية...⁴.

ولقد ظل البرتغاليون يسيطرون على السواحل حتى تم ضم عرش البرتغال لإسبانيا 1578م، وقد بدأت الدول الأوربية الأخرى تتسابق مع إسبانيا للسيطرة على المراكز البرتغالية في السواحل الإفريقية، وعلى الرغم من أن الهدف الذي سعى إليه الأوربيون هو الوصول إلى المواد الأولية وكسر الاحتكار العربي للتجارة فإن أنظارهم اتجهت إلى تجارة الرقيق التي كانت لها أبعادا خطيرة

¹ - أبيتبول، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الخامس، ص305.

² - علي سالماني علي بدوي، الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903م-1960م)، ماجستر في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 2003م، ص32.

³ - محمد سعيد بن همدى، موريتانيا وأوربا عبر التاريخ، دبت، ص5.

⁴ - محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كرديدية، المسلمون في غرب إفريقيا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ص155.

على إفريقيا، وكان البرتغاليون أول من وضع أسس هذه التجارة لاسيما وأنهم من أول من كانت لهم مراكز على السواحل...¹.

بعد استقرار الأوربيون على السواحل الموريتانية أسسوا عدة مراسي للتجارة مع سكان الدواخل، مرسى أركين، مرسى أكادير دوم، مرسى بور تانديك، ميناء تندغا، وكانت محطة أركين الموريتانية محل صراع بين القوى الأوربية على التوالي، البرتغال 1444م-1633م، هولندا إلى 1678م وفرنسا 1678م حيث تم تحطيمه وتركه للألمان والهولنديون 1095-1711م فرنسا للمرة الثانية 1720-1728م،...².

كان الحضور الأوربي هذا على السواحل بهدف جذب تجارة القوافل إلى المحيط في ظل تحولات سياسية وبشرية، أهمها تقدم البدو الحسانيين، وتصدع دولة سنغاي، بالتساوق مع الصراع مع السعديين في المغرب مما أدى إلى مضاعفة تأثير الأحداث السياسية والبشرية في المجال الشنقيطي... وتأثير ملحوظ للبيئة الصحراوية والجوار السوداني³.

2- هجرة القبائل المعقلية الحسانية إلى غرب الصحراء وتأسيس إمارات:

مما لا شك فيه أن هجرة قبائل بني حسان العربية (المعقل) من المشرق صوب بلاد المغرب الإسلامي أسال الكثير من المداد، خصوصا وأن هاته الهجرات غيرت المرفولوجية القبلية بل وقلبته رأسا على عقب في مناطق شتى بدءا من المغرب الأدنى مرورا بالمغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى وموريتانيا، بدأ العصر الحساني بسيطرة بني حسان على التخوم الشمالية لموريتانيا منذ نهاية القرن السادس عشر، وتقدمهم شرقا وغربا، ليواجهوا آثار التحولات السياسية والبشرية في حوض النهر السنغال وعقفة نهر النيجر⁴.

¹ - طاهر جاسم محمد، إفريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال (دراسة تاريخية)، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2003م، ص 25.

² - المختار ولد حامد، موسوعة حياة موريتانيا . التاريخ السياسي، ط1، دار الغر الاسلامي، 2000م، ص 83.

³ - حماد الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنقيطي موريتانيا، مرجع سابق، ص 190.

⁴ - حماد الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017م، ص 294.

يقول ابن خلدون وهو من أوثق المؤرخين عن أخبار قبائل بني حسان (عرب المعقل) ومجالاتهم وأيامهم: "هذا القبيل لهذا العهد من أوفر قبائل العرب ومواطنهم بقفار المغرب الأقصى مجاورون لبني عامر من زغبة في مواطنهم بقبلة تلمسان، وينتهون إلى بحر المحيط من جانب الغرب، وهم ثلاثة بطون: ذوي عبيد الله وذوي منصور وذوي حسان... وكان دخولهم إلى المغرب مع الهلاليين... قام هؤلاء المعقل في القفار وتفرّدوا في البيداء فنموا نمواً لا كفاء له، وملكوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة¹.

مع التحولات التي طرأت في شمال إفريقيا في مطلع الألفية الميلادية الثانية وتحت ضغط التصحر والحروب نزحت قبائل بنوحسان العربية إلى موريتانيا حيث توطنت واختلطت وتمازجت مع المجموعات الأخرى²، النسابين من بني حسان يعتبرون أنهم من ذرية جعفر بن أبي طالب، أما ابن خلدون فيعتبرهم منحدرين على الأرجح من عرب اليمن (مذحج) (أما أنسابهم عند الجمهور فخفية ومجهولة، وسلافة العرب من هلال يعدونهم من بطون بني هلال وهو غير صحيح، وهم يزعمون أن نسبهم في أهل البيت إلى جعفر بن أبي طالب وليس ذلك بصحيح أيضاً، لأن الطالبيين والهاشميين لم يكونوا أهل بادية ونجعة والصحيح والله أعلم من أمرهم أنهم من عرب اليمن، فإن في اليمن بطنين يسمى كل واحد منهما بمعقل ذكرهما ابن الكلبي وغيره...³)، وتعتبر الهجرة الحسانية المعقلية من أهم الأحداث الاجتماعية والسياسية التي عرفها غرب الصحراء... حيث تغلغت هذه القبائل نحو إقليم السوس، بعد أنزياحهم عن المرينيين في المغرب الأقصى، وفي أيام المنصور الذهبي دفعهم إلى الجنوب ليحموا فتوحه في بلاد السودان واستقر كثيرون منهم في موريتانيا مفضلين لها على بلاد السودان،... وأخذ كثيرون منهم يؤثرون أرض المراعي كما في أرض تيرس الواسعة الواقعة غربي منطقة آدرار والممتدة جنوباً

¹ - عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المعروف بالعبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م، ص77.

² - أبو العباس الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج2، دار الكتب، الدار البيضاء، 1997م، ص179 ومابعداها، وكذلك يمكن الرجوع إلى: المختار ابن حامد، حياة موريتانيا، منشورات الزمن، الرباط، 2009م، ص14 ومابعداها.

³ - عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، مصدر سابق، ص78 ومابعداها.

وغربا حتى المحيط الأطلسي¹، وكان أن تصادفت هذه القبائل بسيد محمد الكنتي الكبير الذي كان ينتقل مع لفيف من طلبته مابين تيرس والساقية الحمراء فتضامن معهم ماداً لهم يد المساعدة حتى تمكنوا من الاستقرار بين القبائل، فكرمه بنو حسان وأجلوه²، لقد بدأ أمر كنتة بهذه القبائل أيام الجد سيد علي بن سيد يحي حيث كان دوره متميزا في الدعوة الإسلامية لدى هذه القبائل في منازلها بغرب الجزائر وجنوبها وجنوب المغرب إلى الساقية الحمراء، كما كان لسيد علي نفس الدور الدعوي مع زناغة (صنهاجة) المحاذية لها جنوبا والمهيمنة على بلاد شنقيط ومحيطها الجنوبي والشرقي الذي نسميه الفضاء الشنقيطي التكروري³، وكان لسيد علي زاوية بإقليم توات بالجزائر للدعوة ونشر الإسلام، وتشير الكتابات التاريخية وخصوصا سيدي محمد الخليفة الكنتي إلى بداية العلاقة بين بني حسان وسيد محمد الكنتي الكبير إذ ترجع إلى تحالفهم ضد اللمتونيين (ابدوكل)⁴ وذلك لسبب "إلى أن جرى القضاء بأمر غاظه على

¹ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي. عصر الدول والإمارات، ط1، دار المعارف، مصر، د، ت، ص553.

² - عزيز بطران، الشيخ المختار الكنتي الكبير وأثره في نشر الإسلام، مرجع سابق، ص316.

³ - محمد محمود ودادي، وادي الرشيد التاريخ والمجتمع والبيئة، مرجع سابق، ص6.

⁴ - ابدوكل: تعريب اللفظ الصنهاجي : إدكلن : المتداخلون والمجتمعون ، ولعل للتسمية صلة باللفظ البربري : تيدوكل : الصحبة : فابدوكل إذا هم : الأصحاب ، الرفقاء ، المجتمعون ، ويسمون أيضا : يدوكلن ، أدى سقوط دولة المرابطين الشمالية والأحداث التي تلتها إلى نزوح متفاوت لعدد من محلات (كثائب محاربة) وطوائف المرابطين التي كانت بشق الدولة الشمالي بالمغرب إلى بلاد شنقيط ، ومن أشهر الطوائف المرابطية النازحة إلى بلاد شنقيط طائفة لمتونة المعروفة باسم الطائفة التندغية بز عامة قبيلة ابدوكل اللمتونية ، حيث أقامت دولة قوية عرفت بدولة المرابطين (الصغرى) .

وتحكمت ابدوكل خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (13-14م) في المجال الواقع بين السودان وتوات وأدرار والساقية الحمراء إلى جهة المحيط الأطلسي ، ومدت سلطتها جنوبا حتى وصلت إلى الحدود السودانية ، كما انتشرت في الصحراء الواقعة شمال أدرار وشرقه، ثم حاولت منصرم القرن الثامن للهجرة (14م) أن تكون لها مغارم وإتاوات في أدرار وتكانت فاصطدمت بطائفة مرابطية أخرى تدعى الطائفة الهوگارية، فاندلعت بين الطرفين حرب شرسة.

وتصادفت حرب طائفة ابدوكل والطائفة الهوگارية مع وصول بني حسان إلى أطراف بلاد شنقيط، ومشاركته للطائفتين في خفارة القوافل ، وبينما كانت إمارة ابدوكل تتوسع وسلطانها يتعاظم حل بها الشيخ التواتي سيدي اعلي بن سيدي يحيى بن عثمان الفرد بن الحسن الفهري الذي كان مستوطنا بتوات (بالجزائر الحالية)، وتزوج في قبيلة ابدوكل من بنت رئيس ابدوكل أهوا (حواء) محمد بن ألما (ومعناها العالم) بن كنت، فكان له من أهوا ابنه سيدي محمد الذي اشتهر بسيدي محمد الكنتي

انظر: الحسين ولد محنض ، "مدرسة الشيخ سيد محمد الكنتي ودورها في التاريخ الموريتاني" ، (مقال الكتروني)، موقع مركز الصحراء للدراسات والاستشارات ، 2013م ، بدون ترقيم، الرابط: <https://bit.ly/2YCoTdu> ، الشيخ سيد محمد الخليفة ، الرسالة الغلاوية ، مصدر سابق ، ص219 وما بعدها ، وكذلك المختار ولد حامد ، موسوعة حياة موريتانيا، التاريخ السياسي ، مصدر سابق ، صص80.81.

أخواله ابْدُوكلْ ، وهم يومئذ المتغلبون على الصحراء ومن فيها إلى أطراف السودان فارتحل عنهم مُغاضبا لهم ، فورد عليه غزو من حسان من أولاد الناصر وقد بلغهم مغاضبته لأخواله فقال بعضهم لبعض: إن فانتكم هذه الفرصة في لمتونة فحرام عليكم الظفر بهم بعدها فقد غاظوا هذا الغوث وأغضبوه، ومايزيل قننسوة الغوث عن رأسه، يزيل ملك السلطان من أسه فاستضافوه ليلتهم وطلبوا منه أن يعطيهم دولة لمتونة¹، إذ عقد الشيخ سيد امجد الكنتي حلفا مع أولاد الناصر، وأستقبلهم في مخيمه بشمال تيرس ومنحهم باسم هيبته الدينية السلطة على القبائل الصنهاجية واشترط لذلك التعهد التالي: "أنكم متى بلغتم منهم الحد الذي تؤمنون شوكتهم، رفعتهم عنهم السيف"².

تقول الروايات المنقولة شفاهايا أن سبب مؤجدة الكنتي³ على أخواله هو رفضهم شفاعته في ردّ المنهوبات التي يحصلون عليها من إغاراتهم على قوافل تلامذته أو أصهاره من تجكانت⁴، بل بلغ الامر ببعض البدوكليين أنهم أسأؤوا معاملة الشيخ سيد امجد الكنتي شخصا، حيث جذبوا رداءه حتى سقطت قننسوته ورموا رحله وكان من نوع "تاغشميت"، والرحل المذكور هو الذي

¹ - الشيخ سيد محمد الخليفة ، الرسالة الغلاوية ، مصدر سابق ، صص 96-97.

² - بول مارتني ، القبائل البيضاوية في الحوض والساحل الموريتاني ، مرجع سابق ، ص 287.

³ - **مؤجدة الكنتي** : ينقل البروفسير حماد الله ولد السالم عن المؤرخ الكبير محمد مولود ولد داداه أن سبب الخلاف بين الكنتي وأخواله ابْدُوكلْ كانوا يغيرون على بعض المجموعات القاطنة في المنطقة ، وحين يأتي سيد محمد الكنتي شافعا لردّ المنهوبات وكف الغارات يرفضون ذلك ، حتى وصل الأمر إلى السخرية منه ، بل رموا رحله من نوع "تاغشميت" وهو رحل تاركّي كان مستخدما في تلك الفترة ، انظر : محمد محمود ودادي، وادي الرشيد التاريخ والمجتمع والبيئة، نقلا عن : الرسالة الغلاوية ، تحقيق حماد الله ولد السالم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2013م ، ص 87.

وللتنبية فإن "تاغشميت" تستعمل حتى اليوم في تكانت وأدرار وتطلق على الرحل البالي، وقد ارتبط هذا الاسم حتى اليوم في الثقافة المحلية بالأحلاف الأولى التي غادرت معسكر ابْدُوكلْ وانحازت للشيخ الكنتي وتحالفت معه، وتسموا "بتاغشامات سيدي محمد الكنتي" بعد أن أصبحت رمزا لمعسكره ، ومنهم مجموعات وأسر من صميم المجتمع الذي شكل التركيبة الحالية لموريتانيا من عربية معقلية أو صنهاجية ، وظلت على علاقات تحالف ومودة مع العشائر الكنتية ، رغم ما طرأ على من تغيرات على التركيبة الاجتماعية لها وعلى الخصوص من الأمتزاج بغيرها ، للإطلاع يمكن الرجوع على: محمد محمود ودادي، وادي الرشيد التاريخ والمجتمع والبيئة، مرجع سابق ، ص 9.

⁴ - **تجكانت** : قبيلة من قبائل الزوايا، كانت تجكانت ربع جيش المرابطين، وتذكر المصادر القائد المرابطي مُدْرِك التلكاني وهو تحريف التجكاني لطبيعة النطق الصنهاجي المعروفة وكان قائد ربع جيش المرابطين مع يوسف بن تاشفين وقد خرجوا بعد انهيار دولة المرابطين في المغرب نحو واحات توات حيث استقروا 70 سنة ثم انتقلوا نحو نواحي أدرار الموريتاني حيث أسسوا حاضرتهم الشهيرة "تينيكى"، للاطلاع أكثر أنظر : الطالب أحمد بن طوير الجنة، تاريخ ابن طوير الجنة، تحقيق سيد أحمد بن أحمد السالم، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1995م، ص 74 وكذلك : الشيخ سيد محمد الخليفة، الرسالة الغلاوية، المصدر السابق، صص 223-224.

كان مستعملا لدى صنهاجة لأنه رحل تارقي مما يؤكد تاريخية الرواية، فضلا عن الطابع المنطقي لسبب الخلاف بين الرجل وأخواله¹. لكن هناك سببا دينيا آخر هو أن الشيخ الكنتي شدد النكير على أخواله بشأن معاملات تخالف الشرع الصحيح، ولعل الرجل كان صاحب نزعة تأصيلية في تجمع يلتزم فقهاؤه فروع المذهب المالكي، اتساع الهوة بين الكنتي وابدوكل صادف تربص القبائل الحسانية بتلك الامارة التي كانت سدا منيعا امام أنسياحهم جنوبا، قبل أن ينبثق التحالف بين الكنتي وأولاد الناصر².

وقد صمد هذا التحالف بصورة جيدة رغم خوف بني حسان الذين كانوا منبهرين من كثرة صنهاجة وتضامنهم، وقد قضى هذا الحلف في نهاية القرن الخامس عشر على هيمنة لمتونة في هذا القسم من موريتانيا العليا، ومهد للفتح العربي في الصحراء الكبرى الغربية والوسطى³.

والمهم ن الخلاف بين الكنتي وابدوكل كان هو السبب المباشر بعبارة المؤرخين في نشوب الحرب الصنهاجية - المعقلية الحسانية⁴.

فقد قاد دوره المحوري في حرب شريبه الكبرى⁵ (دارت من 850هـ/1446م إلى 885هـ/1480م) بين قبائل البلاد الصنهاجية، والقبائل العربية الوافدة من بني حسان، إلى انهيار دولة كانت متحكمة في كامل الصحراء لعدة قرون هي دولة ابدوكل، وقيام دولة جديدة محلها هي دولة بني حسان⁶، فكل الدلائل

¹ - الشيخ سيد محمد الخليفة، الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، ص 99.

² - حماد الله ولد السالم، تاريخ شنكيطي موريتانيا، مرجع سابق، ص 168.

³ - بول مارتى، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، مرجع سابق، ص 288.

⁴ - الشيخ سيد محمد الخليفة، الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، ص 101.

⁵ - وسميت هذه الحرب شريبه أو شريبيا أو شريبيات نسبة إلى بيبا وهو لقب الملك في ابدوكل، كما أطلق عليها حرب "حرب شريبيا الكبرى" لأن هناك حرب "شريبيا الصغرى" التي جرت بين الزوايا وأولاد رزق لجهة ضد بني حسان وأحلافهم لجهة أخرى لسنوات 1671م-1677م في نطاق ضيق بين النهر والبحر في جنوب غربي موريتانيا، ونظرا لتقدم الحرب القديمة نسبت الذاكرة الصحراوية المثلثة للحرب الأخيرة كثيرا من بطولات الحرب القديمة وأخبارها ونتائجها، جهلا أو تجاهلا، للإطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى: حماد الله ولد السالم، تاريخ شنكيطي موريتانيا، مرجع سابق، ص 169 وما بعدها.

⁶ - الحسين ولد محنض، مدرسة الشيخ سيد محمد الكنتي ودورها في التاريخ الموريتاني، مرجع سابق، بدون ترقيم.

التاريخية¹ تؤكد على أن لو لم يكن لحسان ذلك المدد من الشيخ سيد محمد الكنتي الكبير لما كان لجموعهم الوافدة من الخارج أن ينتصروا على الإمبراطوريات الممتونية المتجذرة في البلاد وفي الآماد، والتي تقف حصينة على أرضيتها، متمترسة خلف حصونها البشرية الآمنة وتجربتها التاريخية الغنية وتقاليدها السلطوية الراسخة، غير أن موقف الشيخ سيدي محمد الكنتي قلب ميزان القوة رأساً على عقب، وهي حقيقة تؤكد المصادق²، وكانت هذه الحرب التي عرفت باسم شربيه (الكبرى) سجالات بين الطرفين³، ودامت كما قال الشيخ سيدي المختار الكنتي في وثيقة نادرة نشرت أخيراً خمسة وثلاثين عاماً (من 850هـ/ 1446م إلى 885هـ/ 1480م)⁴، وكان من نتائجها توغل بني حسان في موريتانيا شرقاً وجنوباً عبر آدرار، وتعزيز دورهم السياسي في

¹ - وتتضح جلية من موقف بني حسان الذي وقفنا عليه في النص السابق (إن فاتتكم هذه الفرصة في لمتونة فحرام عليكم الظفر بهم بعدها ...) إن في هذا الموقف دليل على أن القوم لم يكونوا على مسافة قريبة من السلطة ، ثم إن في توجسهم من كثرة عدد وعتاد الأعداء دليل آخر على أن ميزان القوة لم يكن في صالحهم (كيف لنا بجموعهم المتكاثرة ومحالهم المتظاهرة ؟) (ومن الواضح من خلال نفس النص أن موقع الشيخ السياسي والاجتماعي ومرجعياته العلمية والاستراتيجية كانت واضحة بالنسبة للجميع : (... واستوطنها بمن معه من تلامذته وجيرانه محترماً مكرماً معظماً عند سائر دولة المرابطين، من لمتونة وبني حسان، مقدماً عليهم محكماً فيهم).

إن الشيخ سيدي محمد الكنتي بأبعاده الروحية والفكرية والسياسية والاجتماعية والجهادية هو الذي حسم الموقف لصالح بني حسان وأسست سلطنتهم الذي استمر طيلة القرون الخمسة التي سبقت الغزو الاستعماري الفرنسي مطلع القرن العشرين ، لذلك فإن الشيخ هو المؤسس -بدون منازع- لذلك المنعطف التاريخي والتحول الكبير الذي لم تعرف البلاد مثله منذ ما يزيد على خمسة عشر قرناً على الأقل.

نعم لقد حدثت تغيرات وتحولات كبيرة وعميقة مع الفتح الإسلامي، بيد أن تلك التغيرات كانت ملحوظة خاصة على المستوى الفكري والديني والسلوكي والعقدي والتنظيمي لكن البنيات السياسية ظلت، في الأغلب الأعم محافظة على مكانتها، فكان سراة الأمس هم قادة العهد الجديد غير أن اللقاء التاريخي الذي تم بين الشيخ سيدي محمد الكنتي من جهة، وبني حسان من جهة ثانية، قد مثل في الواقع، لحظة تاريخية مشهودة، وتغيراً جذرياً في مجرى الزمن في البلاد إن الشيخ سيدي محمد الكنتي عالم وموقفه اجتهد، لذلك فهو في الحقيقة مفكر ذلك التحول الكبير ، انظر : محمد ولد البرناوي ، الشيخ سيدي محمد الكنتي الولي، العالم ، المؤسس، جريدة تقدم الإلكترونية، 1017/12/23م ، التوقيت 23:12 ، الرابط : <https://bit.ly/3a2QuGX>.

² - محمد ولد البرناوي، الشيخ سيدي محمد الكنتي الولي، العالم ، المؤسس، المرجع السابق ، بدون ترقيم.

³ - واستمرت هذه الحرب التي عرفت في ذلك العهد باسم شربيه ... سجالات لسنوات عديدة، لكن بني حسان نجحوا في آخر الحرب بفضل تدخل جيش من السودان من أعداء ابدوكل من حسم الحرب لصالحهم بعد أكثر من ثلاثين سنة من تاريخ اندلاعها 1442م ، الذي تدل المقارنات التي قمنا بها على أنه كان بين 870هـ و 875هـ (1465م و 1470م) ، للإطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى : الحسين ولد محنض ، تاريخ موريتانيا القديم والوسيط ، مرجع سابق ، ص 219.

⁴ - الحسين ولد محنض ، مدرسة الشيخ سيد محمد الكنتي ودورها في التاريخ الموريتاني ، مرجع سابق ، بدون ترقيم.

المنطقة التي انتعشت بسبب وصول المستكشفين الأوروبيين إليها وفتحهم لخطوط تجارية فيها مع البيضان¹، وكذلك تأسيسهم لرئاسات منذ 10هـ / 16م حتى القرن 11هـ / 18م².

إن اللقاء التاريخي الذي تم بين الشيخ سيدي محمد الكنتي من جهة، وبني حسان من جهة ثانية، قد مثل في الواقع، لحظة تاريخية مشهودة، وتغيرا جذريا في مجرى الزمن في البلاد إن الشيخ سيدي محمد الكنتي عالم وموقفه اجتهاد، لذلك فهو في الحقيقة مفكر ذلك التحول الكبير³، فقد أسس الشيخ سيدي محمد الكنتي لهذه التراتبية الاجتماعية الجديدة التي حلت محل الترابية الاجتماعية الصنهاجية القديمة، في حوار تاريخي -نقله لنا حفيده الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي في كتابه الرسالة الغلاوية⁴ - دار بين الشيخ سيدي محمد الكنتي وقبيلة أولاد الناصر الحسانية التي هي إحدى القبائل الرائدة في بني حسان حول ظروف وشروط حرب شريبه قبيل اندلاعها، وعندما انتهت الحرب أدى تداخل قبائل الطرفين الحساني والصنهاجي وانصهار ثقافتيهما في بعضهما البعض، وفق المنهج الذي رسمه سيد محمد الكنتي ورغب في وقوعه إلى نشوء البيضان بثقافتهم وحضارتهم الحالية...⁵، وقد ظل أبناؤه الكنتيين سادة للأرض بعد مقدم بني حسان... وانتشر تأثيرهم الديني في عموم غرب إفريقيا⁶.

كما أسست القبائل الحسانية كيانات دُولِيَّة شبه مركزية عبارة عن إمارات ظهرت جلها في بداية القرن الثاني عشر الهجري / 18م نتيجة السيطرة الحسانية على شرقي البلاد وغربها وشمالها، وهذه الإمارات هي: إمارة أولاد

¹ - الحسين ولد محنض ، تاريخ موريتانيا القديم والوسيط ، نفس المرجع السابق ، ص 220 وما بعدها.

² - حماد الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007م، ص 195.

³ - محمد ولد البرناوي، الشيخ سيدي محمد الكنتي الولي، العالم ، مرجع سابق ، بدون ترقيم .

⁴ - الشيخ سيد محمد الخليفة، الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، ص 96 وما بعدها.

⁵ - الحسين ولد محنض، مدرسة الشيخ سيدي محمد الكنتي ودورها في التاريخ الموريتاني، مرجع سابق ، بدون ترقيم ، كذلك يمكن الرجوع إلى: الحسين ولد محنض، تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، مرجع سابق، ص 217 وما بعدها.

⁶ - الحسين ولد محنض، تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، مرجع سابق، ص 259.

أ مبارك، وإمارة البراكنة¹، وإمارة الترازة²، وإمارة أولاد يحي ابن عثمان، وبالإضافة إلى هذه الإمارات العربية، ظهرت إمارتان صنهاجيتان...³. هذا المجتمع السياسي - العسكري كان السند المباشر للمجتمع الاهلي، على الرغم من التعارض الوظيفي بين قبائل الشوكة التي تقود الإمارات وقبائل الزوايا التي تدير المؤسسات الأهلية، وكانت "أيدولوجيا" القبائل الزاوية هي مصدر الشرعية لتلك الكيانات السياسية، أي أن الزوايا هم الذين "يُجْتَعُونَ" من (الاجتماع) المؤسسة السياسية بواسطة خطابهم الديني - المعرفي⁴.

3- انهيار مملكة سونغاي:

وكما عانى الشرق العربي من العثمانيين وماشاب نظمهم وتقاليدهم من ألوان من الفساد، تعرض السودان الغربي أو غرب إفريقية للاحتلال المراكشي، هذا الاحتلال الذي قضى على دولة سنغي التي كانت توحد بين أقاليم السودان، وتبسط عليها ظل الأمن والطمأنينة... وقد أدى هذا الفتح إلى انكماش دولة سنغي، ثم إلى القضاء عليها آخر الأمر⁵.

اهتم ملوك المغرب من السعديين من محمد الشيخ إلى المنصور مبكرا بالممالح الصحراوية وحاولوا مرارا الحصول على جزء من موارد الضرائب المتأتية

¹ البراكنة : هم بنو بركني بن هدا ج بن عمران بن عثمان بن مغفر وهم من القبائل الحسانية وبطنهم: أولاد عبد الله واليتامي وأولاد أحمد وإلهم ينتسب أولاد أبييري وإجمان كذلك. وقد تفرعت من أولاد عبد الله بطون هي أولاد نغماش وأولاد السيد وأولاد اعلي بن عبد الله وأولاد منصور بن عبد الله، وكان للبراكنة إمارة قوية وذات تأثير قوي في تاريخ موريتاني، وكانت في البداية في أسرة أولاد نغماش ثم انتقلت إلى إخوانهم أولاد السيد، انظر : محمد فال بن بابيه العلوي، كتاب التكملة في تاريخ امارتي البراكنة والترازة، تحقيق، أحمد ولد الحسن، بيت الحكمة، تونس، 1986م، ص 27 ومابعداها، وكذلك المختار ولد حامد، الجغرافيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ص 89.

² الترازة : قبيلة من أشهر قبائل المغامرة وهم بنو تروز بن هدا ج بن عمران بن عثمان بن مغفر، وقد أسس الترازة إمارة قوية في منطقة الكبلية ولها تأثير واسع في موريتانيا وكان بيت الإمارة في أولاد أحمد بن دمان وخاصة في ذرية اعلي شنظورة بن هدي بن أحمد دمان، وتنقسم الترازة إلى عدة قبائل، وللتوسع في أخبار الترازة وأنسابهم يمكن العودة إلى: محمد فال بن بابيه العلوي، المصدر السابق، ص 37 ومابعداها، والمختار ولد حامد، الجغرافيا، مصدر سابق، صص 90-91.

³ حماد الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنقيطي موريتانيا، مرجع سابق، ص 310.

⁴ حماد الله ولد السالم، المجتمع الأهلي الموريتاني، مرجع سابق، صص 37-38.

⁵ حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 3، 1986م، ص 255.

منها، ودخلوا في سبيل ذلك عدة مناورات سياسية وحربية مع ملوك دولة سنغاي، وكان المنصور يطمح بعد انتصاره في معركة وادي المخازن 1578م، فقد أحله الانتصار على البرتغاليين مكانة بين الكبار المدافعين عن الإسلام¹. ومعلوم أن أول التفاتة من المنصور لبلاد السودان كانت هي مطالبة الأسكيا بتسليم مداخل الضرائب المفروضة على التجارة الملح في تغازا لبيت مال المسلمين في مراكش².

وكانت الحملة السعدية في الفترة الحديثة أهم حدث في السودان الغربي وموريتانيا، تلك الحملة التي أراد منها المنصور السعدي إخضاع الصحراء والسودان، وإحاقهما بالإمبراطورية المغربية التي كان يطمح إلى إقامتها في مواجهة الخلافة العثمانية التي وصلت الحدود الشرقية لبلاده، وكذلك مواجهة القوات المسيحية في الشمال الجزيرة الأيبيرية إسبانيا، البرتغال³، لقد كان المنصور السعدي يرى أن السيطرة على الذهب والملح لمملكة صونغاي سيزيد السلطة السعدية بقوة جديدة ويجعلها رقما صعبا في معادلة الدول القائمة في المنطقة، "وبعد أن اقتنع المنصور السعدي بصعوبة انتزاع موارد السنغاي بالديبلوماسية، أرسل جيشا من المرتزقة الأسبان المسلمين المطرودين من الأندلس مؤلفا من أربعة آلاف مقاتل بقيادة الباشا جوذر⁴، بدأ الجيش زحفه باحتلال ممالح "تغازا" عام 1585م، ثم تابع سيره نحو تمبكتو عام 1591م، دخل الجيش المدينة يحمل الأسى والخراب مزودا بالأسلحة النارية التي أوقعت في نفوس الإفريقيين الخوف والهلع، فقد فر جيشهم المكون من ثلاثين ألف مقاتل، ولم تنفع أفيالهم التي كانوا يركبون عليها، وقد ذبح الناس في تمبكتو ذبح النعاج... وكان وصولهم إلى غاو 1592-1593م...⁵، وهناك

¹ - أبيتبول، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الخامس، مرجع سابق، ص 343.

² - أحمد بابا التمبكتي، معراج الصعود، تحقيق وترجمة فاطمة الحراق وجون هانويك، ط 1، معهد الدراسات الإفريقية، مطبعة المعارف، الرباط، 2000م، ص 18.

³ - أبيتبول، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الخامس، مرجع سابق، صص 343-344.

⁴ - جوذر : أو الباشا جوذر، كانت أصوله إسبانية من إحدى قرى غرناطة، يقال أن جده كان مسلما أجبرته محاكم التفتيش الإسبانية على التنصير، وقد أسر أو اختطف من قريته وهو طفل وتربى في القصر الملكي بمراكش، ووصف عبد الرحمن السعدي جوذر في كتابه تاريخ السودان بقوله: "وهو فتى قصير أزرق" وهو أول قائد مغربي يتولى السلطة في تنبكتو وگاوة بعد سقوط دولة الأساكي ومدة ولايته تسعة أشهر، وتولى بعده القائد محمود بن زرقون وللتوسع يمكن العودة إلى: تاريخ السودان، نسخة هوداس، مصدر سابق، ص 137 وما بعدها.

⁵ - نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة عمر الحكيم، سلسلة الثقافة الشعبية، 1960م، صص 74-75 وما بعدهما.

رواية أخرى تقول أن تعداد الجيش بضع وعشرين ألف مقاتل، منهم 6000 رام مسلحين بالبنادق الطويلة، ولذلك عرفوا باسم الرماة، ثم أطلقت التسمية على جيش الحملة السعدية بكامله، ودرج على ذلك كتاب السودان والاقاليم الصحراوية المتاخمة لها¹، وعلى العموم لا يوجد اتفاق بين المؤرخين حول عدد القوات التي احتلت المنطقة السودانية، يقول السعدي مؤرخ السودان ((...)) بعث المحلة الكبير إلى سغي لقتالهم، فيها ثلاثة آلاف رامياً من بين أصحاب الخيل ورجل، ومعهم من الأتباع ضعفها، كل صنف وأجناس من الصناعات والأطباء وغيرهما، جعل عليها الباشا جودار ومعه نحو عشرة من القياد²))، أما الكعتي فيقول في ذلك: "فلما تسلطن أسكي محمد كاع بعث رسولاً إلى جودر سراً يطلب المصالحة معه وبدخوله في طاعة السلطان مولاي أحمد الذهبي ويعطيه الجزية والغرامة، وأجابه جودر وكتب له أنه عبد مأمور لا يقدر أن يفعل ذلك إلا بمشاورة السلطان مولاي أحمد نصره الله واستئذانه... وقدموا صبحة الخميس في اليوم الأول من رجب، ومكثوا على ربوة تنبكت شهراً، ثم دخلوا ديار البلد وبنوا القصبه...³".

واتفق جؤذر مع قاضي المدينة على ترتيب مقام القادة وتأمين المؤونة والعمال لبناء مقر الحاكم الجديد⁴، وأحس بخيمة أمل شديدة حين قيل له إن مناجم الذهب التي يقصدها لاتزال بعيدة جداً بُعد المغرب الأقصى عن تمبكتو، وأرسل بذلك إلى المنصور فغضب وعزله عن قيادة الجيش وأرسل مكانه محمود زرقون⁵، الذي نكل بعائلة الشريف الصقلي، ونكب العلماء قتلاً ونهجيراً ورحل أغلبهم في قوافل إلى مراكش، وكانت آخر قافلة تحمل من بقي

¹ - محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، بغداد، دار الرشيد، 1982م، صص 206-207.

² - تاريخ السودان، نسخة هوداس، مصدر سابق، ص 137.

³ - محمود كعت التنبكتي، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، دراسة وتعليق، آدم بمبا، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، سوريا، 2014م، ص 171 وما بعدها.

⁴ - محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مرجع سابق، ص 282.

⁵ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي. عصر الدول والإمارات، مرجع سابق، ص 551.

منهم في 27 أبريل 1594م¹، واشتهر من بين العلماء المنكوبين العالم الشهير أحمد باب التنبكتي².

وأهم ما عااد على موريتانيا من انتصار هذا الجيش المغربي الضخم أنه رفع يد دولة السونغاوي عن البلدان الموريتانية التي دانت لها، وأكثر من ذلك أهمية أن المنصور رأى أن يرسل إلى بلاد موريتانيا والسودان رجالا كثيرين وخيلا من عرب المعقل وجشم ... ولّباه من عرب المعقل قبيلة حسان وغيرها، ونزلت عشائر منها في شنقيط ...³.

لم يحقق المنصور السعدي أي نتائج ذات قيمة من غزوه للسنغاوي، لكنه في المقابل أدى إلى انهيار الدولة في السودان الغربي، وحملت إلى البلاد الموريتانية المتاخمة لها المزيد من الهجرات والاضطرابات البشرية والسياسية... وقد رافق الحملة السعدية نهب واسع، وتزامن معها مسلسل من الطواغن، والمجاعات والوهن الاجتماعي⁴.

كان السعدي شاهدا على انهيار تنبكتو التي غزاها جيش المنصور الذهبي سنة 1591م ووثق بدقة تواريخ الباشوات وعرض وقائع تدمي القلوب من البطش والفساد والقتل الذي أشاعه الرماة في تنبكتو وحواضر مملكة سنغاوي. يقول في نص بالغ الدلالة: (("وجدت هذه المحملة أرض السودان يومئذ من أعظم أرض الله تعالى نعمة ورفاهية وأماناً وعافية في كل جهة ومكان ... فتغير الجميع حينئذ، وصارت الأمن خافاً والنعمة عذاباً وحسرة والعافية بلاء وشدة... وخرّبوا جميع البلادات ونهبوا جميع الأموال، واتخذوا الحرائر جوارى وتناسلوا معهم، فكانت الذراري مجوسيين والعياذ بالله... ")⁵.

¹ - محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مرجع سابق، صص 325-328.
² - أحمد بابا التنبكتي : (963هـ - 1036هـ / 1556م - 1627م) عالما بارزا ينتمي إلى أسرة شهيرة تعرف بـ "آل أقيت" أصلها من مدينة ولاتة الشهيرة في بلاد الحوض من شرقي موريتانيا، نشأ أحمد بابا تحت حكم الأسكيا داود الذي تعتبر أيامه من أزهى الفترات، نُفي إلى مراکش زمن الحملة السعدية على مملكة السونغاوي، ترك العديد من المؤلفات، انظر : الطالب محمد بن أبي بكر البر تلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق الأستاذين حجي والكتاني، بيروت، 1981م، صص 31 حتى 37، وحماء الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنقيطي موريتانيا، مرجع سابق، صص 187-188.

³ - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي . عصر الدول والإمارات، مرجع سابق، ص 551.

⁴ - حماء الله ولد السالم، تاريخ شنقيطي موريتانيا، مرجع سابق، ص 188.

⁵ - عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، تحرير وتعليق وتقديم حماء الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م، ص 13.

والظاهر أن الحملة السعدية التي اخترقت المناطق الغربية لبلاد شنقيط (موريتانيا) سنة (922هـ - 1584م) لم تلق حرباً وأذعن لها السكان... فكانت هذه الحملة سبباً في انتشار محلات العروسيين المشهورة بجبايتها المغارم في مناطق مختلفة من بلاد شنقيط فترة من الزمن، وفي توطن بعض المجموعات التكنية، والسباعية المبكر بأرض الكبل¹، ولم تؤد إلى نتائج ملموسة، بدليل أنها لم تبقى في ذاكرة السكان المحليين إطلاقاً عكس سكان بلاد السودان الغربي الذي بقيت الحملة ملتصقة في أذهانهم بسبب انهيار المجتمع الذي كان متشكلاً تحت دولة السونغاوي².

3-1- نتائج انهيار مملكة سونغاوي على السودان الغربي وموريتانيا:

من أهم الأحداث التي أثرت على موريتانيا والسودان الغربي كان الحملة التي وجهها المنصور السعدي واحتل بموجبها مدن مملكة سونغاوي السياسية والثقافية والتجارية وأنهى فصولاً من تاريخ الدولة والمجتمع في الصحراء وبلاد السودان الغربي.

لقد كان الغزو السعدي لسونغاوي كارثة على بلاد عقفة نهر النيجر، لكنه صار برداً وسلاماً على البلاد الموريتانية، التي وصلتها هجرة بشرية خصيبة، غالبيتها من العلماء والتجار والأعيان، ماسيعرز من النشاط الثقافي والإقتصادي في المدن الصحراوية³.

لقد أثارت الحملة السعدية على السودان الغربي القيل والقال، منهم من عزاها لظروف اقتصادية قاهرة دفعت السعديين لاتخاذ هذا القرار، فقد وجد المنصور حين وصوله للحكم خزائن فارغة وخسائر كان لا بد من تعويضها⁴، ومنهم من ذهب أبعد من ذلك حين قال "لقد كان الفتح المراكشي وما أعقبه من احتلال وما صحبه من فوضى لا يكاد يختلف من حيث آثاره ونتائجه عن غزو المغول لبغداد"⁵، ومهما كانت النتائج المدمرة لهذا الغزو فلن تكون بمكانة الغزو المغولي لبلاد المسلمين.

¹ - الحسين ولد محنض، تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، مرجع سابق، صص 193-194.

² - حماد الله ولد السالم، تاريخ شنقيط موريتانيا، مرجع سابق، ص 188.

³ - حماد الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص 208.

⁴ - محمد رزوق، ملاحظات حول الوجود المغربي بالسودان الغربي خلال فترة أحمد المنصور الذهبي، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ، الدار البيضاء، 1989م، ص 288.

⁵ - حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، مرجع سابق، ص 257.

ومهما يكن من أمر فقد كان سقوط مملكة سونغاي دور كبير في إضعاف الوضعية السياسية في المنطقة، حيث أدت انهيار المجتمع الاهلي التي كان قائما في في المثلث الشهير الصحراوي -السوداني: ولاتا - تنبكتو- جني¹ - ... وحملت إلى البلاد الموريتانية المتاخمة لها المزيد من الهجرات والإضطرابات البشرية والسياسية... وهو ما أدى إلى انهيار الإجماع الإسلامي الذي أطرته وقادته نخبة العلماء في تمبكتو ومدن السهل في ظل الدول الإسلامية السودانية المتعاقبة : مالي، سونغاي²، وكان الاختلال الاجتماعي واحدا من أهم العواقب التي خلفها انهيار امبراطورية الصنغاي، ومن السمات الرئيسية لأوائل القرن السابع عشر، الزحف الجارف لبدو الصحراء نحو وادي النيجر ومنطقة البحيرات جنوبي تمبكتو³.

وقد وصف أحد علماء كنتة الأفذاذ الشيخ سيد المختار الكنتي وريث علم تنبكتو ومدرستها مسار انهيار ذلك الإجماع، إذ يقول: في نص بليغ لامزيد عليه في وثيقة تاريخية لا تقدر بثمن: ((..."وعلى رأس المائة الحادية عشرة دخول جنود المنصور أحمد الذهبي بصحبة قائده جودر وسعيد بن زرقون . فحربوا بلاد التكرور واستأصلوا شأفتها وقتلوا العلماء وأسروا من أبناء ملوك السودان ثلاثين ألفا جعلها أحمد الذهبي في مشروع الرمل فهي تجاهد الروم، ثم إن سعيد بن زرقون لعنه الله غدر بفقهاء تنبكتو في المسجد وهو يصلون...))⁴. حتى إذا توفي السلطان المنصور وهو صاحب الفكرة وئدت بوفاته احتلال السودان، فتخلّى المراكشيون عن أحلامهم هذه ...انقطع المدد عن الجيش فاضطر الباشاوات لسد هذا الفراغ في صفوفه، بعناصر من الزنوج من أهل

¹ - جني: ويسمى بها التجار الأفارقة "كناوة"، تقع حاليا في دولة مالي إلى الجنوب الغربي من مدينة تمبكت، كانت مدينة جني لها صلات وثيقة بالشرق والمغرب العربيين، حيث استقبلت أفواجا متتالية من طلاب العلم عمرت بها مساجدها ومدارسها، ولم تزل جني تؤدي ذلك الدور الثقافي الهام حتى قال عنها السعدي: "...وقد ساق الله تعالى لهذه المدينة المباركة سكانا من العلماء الصالحين من غير أهلها من قبائل شتى وبلاد شتى..."، وكانت أسواق جني عامرة طوال أيام الأسبوع، ويعد من أعظم أسواق المنطقة، انظر : عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، نسخة هوداس، مصدر سابق، ص116.

² - حماء الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص211.

³ - أببتيبول، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الخامس، مرجع سابق، ص357.

⁴ - عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، تحرير وتعليق وتقديم حماء الله ولد السالم، مصدر سابق، صص13-15.

البلاد... وتزوج الجند من نساء البلاد، وأنجبن عنصرا مولدا خليطا، هذا الجيش المختلط الذي جمع بين البربر والزنوج أطلق عليه لقب الرماة¹. وكان هؤلاء الجند أي "الرماة" ينتخبون الباشاوات الحكام الذين اتخذوا تنبكتو مقرا لهم، والتي كانت قبل نزول هذه المحنة بها في غاية الحسن والجمال وإقامة الدين وإحياء السنة بها... والفتح المرا كشي وما عقبه من احتلال، وما صحبه من فوضى لم يسيء إلى الناحية الاقتصادية فحسب، بل أساء إلى الناحية الثقافية... فكتابات تاريخ السودان للسعدي وتاريخ الفتاش حافل بأنباء نفي العلماء وتشريدتهم...²، لقد ترك الاحتلال المراكشي مرارة وحسرة في قلوب أهل السودان، مما كان له أسوأ الأثر خلال الأعوام التالية، وهكذا أسدل الستار على أقسى ماتعرض له السودان من الغزو³، وقد اعتبر الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي أن احتلال المراكشيين كان من أسبابه أنهم "قد أذهبوا ريح دولة السونغانيين"⁴ وأوهنوا دولة العلم بالبلاد السودانية وأظهروا الحيف في البلاد وشهروا السيف على العباد، وطبقوا البلدان بالخراب، ووضعوا الجزية والمكوس على الرقاب، فضعفت الدولة السودان، وانحلت وأدبرت عمارته...⁵.

لقد عم الضعف المجتمع السوداني الذي صار غارقا في حروب وصراعات... وكان من أبرز تلك الصراعات وأكثرها تأثيرا الحرب بين تدمكت، وجيش الرماة، والتي وضعت نهاية لسيطرة الرماة، فانكسرت بذلك شوكة الرماة وتفرقوا في الأنحاء بحثا عن المغارم فكانت لهم ببلادموريتانيا جبايات وحروب وفتن مع قبائل المنطقة ومع بني حسان...⁶، وظلت حملاتهم متكررة على شرقي موريتانيا... ففي سنة 1734م قدموا إلى مدينة ولاتة ومارسوا الكثير من الضغوط الجبائية... ثم لم يلبث الرماة في باغنة⁷ أن شعروا

¹ - حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، مرجع سابق، ص255، نقلا عن : عبد الرحمن السعدي، التاريخ السودان، ص220 وما بعدها.

² - حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، مرجع سابق، صص256-257.

³ - عبد الرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص61.

⁴ - السنغانيين : هم أهم البلاد الأصليين الذين أستهدفهم الغزو المغربي.

⁵ - محمد فرقاني، "مخطوط أوثق عرى الاعتصام للأمرء والوزراء والحكام". عرض وتحليل، مجلة عصور العددان 05/04 - دسمبر 2003م ويونيو 2004م، ص26 وما بعدها.

⁶ - الحسين ولد محنض، تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، مرجع سابق، صص205-206.

⁷ - باغنة :منطقة جغرافية تقع إلى الشرق من كرطة في جمهورية مالي الحالية على الحدود الموريتانية، وقد أوقع الرماة بمجموعة الماصصي الزنجية البمبارية في باغنة، وهي منطقة متميزة

بنقص الشرعية، فأصبحوا في أخريات أيامهم يتقرَّبون من الزاوية الكنتية وشيخها الشيخ سيدي المختار الكبير (ت1811م)، الذي كان نفوذه قويا وكبيرا بين الرماة والطوارق على حد سواء¹.

بثرواتها المعدنية والحيوانية، وبموقعها الجيد في شبكة العلاقات التجارية فلذلك تنازعتها القوى السياسية والعسكرية في المنطقة، وقد بسط عليها أولاد امبارك وخاصة أهل بهدل نفوذاً قوياً منذ أواخر القرن 11 هـ (نهاية ال 17 م)، للاطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى : الناني ولد الحسين، إمارة أولاد امبارك في الحوض 1712م-1841م، مذكرة نهاية الدراسة، كلية الآداب، جامعة انواكشوط 1985م-1986م .

¹ - حماء الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص296.

المبحث الثالث: الخطاب السياسي الكنتي ومحدداته:

إن تفكيك دلالة مفردات عنوان (الخطاب السياسي الكنتي ومحدداته) يعد أولوية ضرورية لفهم هذا الخطاب، وللإجابة كذلك عن مجموعة من الأسئلة التي من المفروض أن تطرح من قبيل:- عن أي خطاب سياسي نتحدث؟ من هم الأشخاص أو المؤسسات التي أنتجت هذا الخطاب؟؟؟

أ- **الخطاب:** هو تعبير عن الفكر وتطوره بواسطة متوالية من الكلمات والقضايا المتسلسلة المترابطة، فهو إذن تعبير عن الفكر بواسطة قول ملفوظ أو مكتوب، يتكون من متواليات أصغرها الجملة، وهذه الأخيرة هي وحدة أساس الخطاب لأن لسانيات الجملة هي التي تدعم جدل الحدث والمعنى حسب ريكور¹، وذلك لأن الجملة تتشكل من رسالة ذات بداية ونهاية وهي: مخاطب (مرسل) ومخاطب (متلقي) وخطاب (رسالة) ورابط مبلغ أو ناقل، والرسالة كما هي عند اللسانيين سواء كانت كتابية أو شفوية فهي بحاجة لفك رموزها لكي تتم عملية التواصل بين المتخاطبين من خلال النص الخطاب، وهنا يأتي دور تحليل الخطاب ولن يتأتى ذلك إلا إذا كانت اللغة الخطاب ورموزه تتجذر مدلولاتها في ثقافة المجتمع المقصود، وإلا فإن الخطاب سيظل غامضاً² وبناءً عليه نجد أن هناك تداخلاً بين النص والخطاب، مما قد يجعل منهما شيئاً واحداً، وهذا ما يهملنا نحن من الخطاب حيث أنه نصوص أنتجها أصحابها وفق شروط معينة قصدوا من ورائها إبلاغ رسالة ما، وانطلاقاً من الخطاب نختبر طبيعة التواصل والهدف المتوخى منه في وسط المؤسسة المنتجة لهذا الخطاب (العلماء الكنتيين).

ب- **السياسة:** تعرف السياسة أنها مجموعة ممارسات الساسة في إدارتهم لشؤون الدولة والمجتمع³، كما تُعرف كذلك بأنها القيام على الأمر بما يصلحه القيام بما يشمله من معاني الحفظ والرعاية والصيانة والأمر بمعنى مطلق الأمر سواء في الفرد والجماعة والصالح الذي يشير للغاية التي تبرر الوجود الجماعي في هيئة اجتماعية، وغالباً ما تُعرف السياسة بأنها الصراع ضمن أي

¹ - بول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة محمد برادة، حسان بورقية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2004م، ص71.

² - الحسن الفيلاي، "من مستويات الخطاب في النص القرآني"، مجلة كلية الآداب، عدد7، فاس، 1991م، صص66-67.

³ - عبد الكريم بكار، مقاربات في السياسة الشرعية، رؤية للثقافة والإعلام، 1438هـ/2017م، ص11.

مجموعة على النفوذ الذي يمنح فرداً أو أكثر القدرة على اتخاذ قرارات نيابة عن المجموعة¹.

فالسباسة بالكسر والمثناة التحتانية كما قال "التهانوي في كشف اصطلاحات الفنون والعلوم" مصدر ساس وأساس الوالي الرعية أي أمرهم ونهاهم فالسباسة إصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في الدنيا والآخرة...². إن الخطاب السياسي يصعب فهمه حقلاً معرفياً دون فهمه مصطلحاً معرفياً سياسياً مركباً لا بد من فهمه من خلال التوقف عند كل مفردة من مفرداته لمعرفة كيف تأتلف وتتكامل لتكون المفهوم فيه (أي الفكر) إن الفكر السياسي الإسلامي ظاهرة تاريخية تتعلق بعصور لا نستطيع أن نشاهدها أونلاحظها مباشرة...، والوسيلة الوحيدة للتعامل معها هي استقراء كتاباتها من خلال مصادرها الموثقة سعياً للبحث عن ماهية الموضوع وعناصره³.

تأثر علماء كنتة بمحددات الخطاب السياسي الإسلامي، وكانت لهم رؤية فكرية سياسية متقدمة بمعيار عصرها، ولقد عاش في الفترة المدروسة شخصيات كنتية عالمة يمكن أن نطلق عليها "بالمصلحين الهادئين"، كان القاسم المشترك بينهم تجديد الخطاب، سواء على المستوى الديني أو السياسي، وهو ما يبدو جلياً في مؤلفاتهم الكثيرة إلى الأمراء والملوك في المنطقة المدروسة التي أثنت الحياة السياسية والإصلاحية ليس في موريتانيا والسودان الغربي فحسب بل في العالم الإسلامي قاطبة، وتعطينا هذه المؤلفات الكنتية نموذجاً ممتازاً يمكن اعتباره مرجعاً أساسياً في المجالات التي تتعلق بتنظيم المعاملات والحياة المجتمعية ونظرية الحكم خلال الفترة المدروسة في موريتانيا والسودان الغربي، ونعتقد أن هذه المؤلفات لا تقل أهمية عن المؤلفات السياسية التي اشتهرت في تاريخ الفكر السياسي الإسلامي، بل تعطي نموذجاً للتلاقح والتمازج العربي الإفريقي، وتقدم هذه المؤلفات الكنتية نموذجاً ممتازاً

¹ - باتريك ه أونيل، مبادئ علم السياسة المقارن، ترجمة باسل جبيلي، ط1، دار الفرقد، دمشق، 2012م، ص13

² - محمد علي التهانوي، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة. رفيق العجم، تحقيق. علي دحروج، ج1، ط1، بيروت، لبنان، 1996م، صص 993-994.

³ - نصر محمد عارف، في مصادر التراث السياسي الإسلامي. دراسة في إشكالية التعميم قبل الاستقراء والتأصيل، تقديم د. منى أبو الفضل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1415 هـ - 1994م، ص40 ومابعد، وهي دراسة إحصائية تكشف محدودية مصادر الفكر السياسي في الدراسات التراثية، كما تبرز بطريقة كمية مرجعيات هذه الدراسات.

وموروثا ثقافيا ضخما، يعطي فكرا سياسيا إصلاحيا خاصا، ويكشف عن العلاقة في التفكير بين التنظير السياسي وبين الوضع المجتمعي الذي تفاعل فيه ذلك التفكير، وبالتالي فإنها تعتبر مصدرا لتجديدات وإبداعات كثيرة أسهمت في اغناء الثقافة العربية وفي صياغة مجتمع جديد، وتعبر عن دلالات وتطور الفكر السياسي العربي الإسلامي، واستجابة لإشكالية تطرحها طبيعة الأوضاع القائمة في فترة تاريخية معينة، وارتبط الفكر السياسي عند العلماء الكنتيين بما يعرف اليوم بتنمية الإدارة في صناعة الأحداث، حيث أدركوا أن التاريخ ليس أقدارا حتمية لا يد للإنسان فيها، بل أنه نتاج الإدارة البشرية، ومن هنا آمنوا بالضرورة إصلاح الفرد ومن خلاله إصلاح المجتمع، وركزوا على أهمية التربية والتعليم والتوعية لمالهم من دور في إصلاح المجتمعات.

لقد اعتنى علماء كنتة بالظاهرة السياسية، كدأب اهتمام رجالات التصوف ومشايخه، وتحدثوا عنها في كلّيتها أوجزئياتها، وتحضرنا في هذا السياق مجموعة من النصوص السياسية بعضها معروف ومتداول، والبعض الآخر مجهول، ومازال بعيدا عن الأيدي، وقد امتازت نصوصهم بالتوثيق والتحليل والدقة والصدق وبمسحة صوفية وفقهية وتربوية تميز خلفيتهم العلمية والإصلاحية، كما أنها تمتاح من رؤية وتصور عقلائي، ولاشك أن مثل هذه النصوص الكنتية تضعنا أمام لون من ألوان التراث السياسي الإسلامي، كما أنها قادرة على إخصاب التراث الإسلامي وتحريره من بعض الضعف أمام التراث الآخر، وفيمايلي نماذج من هذه النصوص:

- "الرسالة الودية والنصيحة المسدية" إلى الشيخ عثمان فوديه وأخوه وإبنه:
وقد تضمنت الأحكام السلطانية، والأفكار الإصلاحية، والنصائح التوجيهية والترشيديّة علاقة الحاكم بالمحكوم وطبيعتها، استقامة الوالي، العلم والعلماء ودورهم في السلطة، كما تعرض لقضايا تاريخية مهمة.

- "رسالة في كظم الغيظ وتوقيف الفتن": تهتم بالأفكار الإصلاحية، ضرورة المحافظة على الاستقرار والأمن وازدهار العمران، والنظرة السياسية والنصائح التوجيهية، والإرشادات الأخلاقية، فقه السياسة بمفهومه العام القائم على المقاصد العامة للشرعية... الخ ، وهي موجهة إلى المملكة الماسنية، وفيها سرد لأحداث تاريخية متعددة.

- "أوثق عرى الاعتصام للأمرء والوزراء والحكام": (آداب الملوك) ومايعني ذلك من فقه سلطاني ونظرية الحُكم، الحسبة ومايندرج تحتها... الخ.

- "مجموع رسائل لأمرء وقبائل الحوض في موريتانيا": الإرشادات الإصلاحية، والنصائح التوجيهية، والحياة المجتمعية، نبذ الفتنة، وجوب تغيير المنكر، التفكير بين التنظير السياسي وبين الوضع المجتمعي، الالتزام بالآداب العامة، بالإضافة إلى الكلام عن روايات تاريخية عن تجارب سابقة، وتعبّر هذه الرسائل عن نموذج من الفكر السياسي الرائد في المنطقة.

- "النصيحة البديعة أو الرسالة العجيبة" موجهة إلى باب أحمد والأمير محمد آماش": وقد استحضر المؤلف التجارب الإصلاحية كتجارب الصحابة وتابعيهم في تسيير شؤون الدول، كما يتعرض المؤلف للأحكام السلطانية، وعلاقة الحاكم بالمحكومين، ودور العلماء، والاستقامة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيمة العلم... الخ.

- "الرسالة الغلاوية": الفقه السياسي والفكر الصوفي، التاريخ السياسي والديني والثقافي في غرب إفريقيا وشمالها، التجارب الإصلاحية السابقة وضرورة أخذ العبرة منها، ضرورة تغيير المنكر، وفيها يتعرض المؤلف لتاريخ كنتة وبعض المجموعات الأخرى.

- "ذخيرة السرمد في جواب الشيخ أحمد بلو": نصيحة ولالة الأمر غاياتها وحدودها ومن يقوم بها، مفهوم السياسة، ضرورة الاستقامة والتوبة، الأمر بالمعروف، وهي في الأصل موجهة إلى أحمد لبو الثالث أمير دولة ماسنا.

- "رسالة إلى السلطان الطّوارق كّاوي": النصائح والإرشادات المجتمعية.

- "رسالة إلى أهل جني ومن معهم من البيضان والسودان": ضرورة المحافظة على الأمن والسلم، النصائح التوجيهية، والإصلاح المجتمعي، العبرة من الأحداث التاريخية السابقة.

- "الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد": ويحتوي على كثير من الرسائل السياسية والإصلاحية للمجتمعات في السودان الغربي وموريتانيا، والإرشادات الأخلاقية، ويعتبر موسوعة قيمة في التاريخ السياسي للمنطقة والأنساب والأخلاق.

- "الرسالة العيديدية": النصح، والترشيد السياسي والديني، صفات الحاكم بالمحكوم، والمحافظة على العلاقات التاريخية، وجوب تغيير المنكر، استحضر التاريخ.

- "رسالة إلى هنون ولد بيده": الأهتمام بالسلم الأهلي، الابتعاد عن الفتن، والمحافظة على العهود والعلاقات.

وإجمالاً؛ إن هذه العينة من بعض النصوص تقدم لنا النموذج الكنتي في ميدان الفكر السياسي، وتشكل منطلقاً مناسباً لاستخلاص سمات وخصائص فكرهم السياسي، وقد اعتمدوا في مخاطباتهم للملوك والأمراء وزعماء القبائل على قواعد فقه الحكمة السياسية من خلال أدبيات مدارس الفكر السياسي الإسلامي (بالأفكار الإصلاحية، والنصائح التوجيهية، والإرشادات الأخلاقية، والنظرة السياسية المحنكة التي تحملها)، ولسنا مبالغين إذا قلنا أن الجانب من النصوص الكنتية الذي يعالج فقه السياسة يُذكر ((بنصيحة الملوك)) للإمام أبو حامد الغزالي، وبكتابات الماوردي (الأحكام السلطانية) وكتاب الإمام الحضرمي (الإشارة في تدبير الإمارة) الذي كتبه لابي بكر بن عمر أمير المرابطين، وكتابات المغيلي لملوك السودان وغيرها إن لم يكن أحسن منها، لقد ساهم العلماء الكنتيين سياسياً وفكرياً في تاريخ المنطقة بصفة خاصة والتاريخ الإسلامي بصفة عامة، وروحنة الكثير من أحداثه، وما زالت الآثار والشواهد التاريخية المختلفة ناطقة، ومعبرة عن حجم الحضور الكنتي وتنوع أشكاله، ورغم ضعف العناية بفقه السياسة من لدن معظم الفقهاء، بالإضافة إلى اختلاط موضوعاتها بأبواب الفقه العامة، فإن العلماء الكنتيين كانوا على عكس ذلك فقد اهتموا بالظاهرة السياسية بمنعزل عن موضوع الفقه.

ج- الظاهرة السياسية عند علماء كنتة ؟:

إن الحديث عن الظاهرة السياسية عند الكنتيين يعني الحديث عن مشروع سياسي متكامل، لقد ارتبطت الظاهرة السياسية أو نشوء الأفكار السياسية عند الكنتيين بتطور الأحداث التاريخية في المنطقة، ومن المعروف أن النظريات السياسية- ولاسيما في أدوار نشأتها الأولى -تولد أو تكون دائماً مرتبطة أو ثق ارتباطاً بحوادث التاريخ ؛ ولذلك فقد وَلَدَ وارتبط الفكر الإصلاحي والسياسي الكنتي كنتيجة حتمية للتطورات والأحداث التاريخية التي عرفت المنطقة المدروسة، لقد امتلك علماء كنتة خطاب إصلاحي يزاوج بين الدعوة

والسياسة¹ والتصوف، إن مقارنة الظاهرة السياسية عند العلماء الكنتيين التي تتجسد في تراثهم، هي مقارنة في سلوك الحاكم أو الأمير وتصرفاته، فصلاح الأحوال، واستقامة الدولة أو المملكة، مرتبط بصلاح واستقامة الأمير أو الحاكم، فما وُجد أمير أو مَلِك صالح عادل، إلا وفاض عدله وصلاحه على المملكة، يقول الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي ((... فإذا عدل انتشر العدل في رعيته... وإذا جار السلطان، أعاذكم الله، انتشر الجور في البلاد وعم سائر العباد وَرَقَّتْ أَدِيَّائُهُمْ، واضْمَحَلَّتْ مروءاتهم ففشت فيهم المعاصي... إن الرعية لتفسد بفساد الوالي، وتصلح بصلاحه...²)) وهذا لا يتأتى إلا بالخوف من رَبِّ والتزام الشريعة، والاستعداد ليوم الرحيل، وهو ما يجمعه اللفظ التقوى، وتجسيداً لهذه القناعة، استثمر العلماء الكنتيين عددًا مهما من الروايات والآثار والقصص، التي تحيل الأمير أو الحاكم إلى هذه المعاني، وتخوفه من المعاد، وسوء العاقبة، وتحثه - بالمقابل - على العدل، وتحذره "من ترك الظلم، والعدل في إزالة المظالم..."³، ("... أعلم أيها الاخ⁴ المتقلد بقلادة محنة الولاية أنها ثقيلة المحمل محجومة المنهل، فوجه الإستقامة في آثارها... أن تلزم نفسك البحث عن الرعية والعدل بينها في القضية والحكم فيهم بالسوية... وتجنب الهوى والميل والغرض... ثم لا بد أرشدك الله لمن كلف بمنزلة الولاية أن يتخذ بواباً ووزراء وصاحب ديوان وكاتب سر ومَوْقِعاً وناظر جيش وأمير وعلماء ونقباء وواليا وأمراء دولة..."⁵) تستحق الظاهرة السياسية عند الكنتيين بحثاً أطول وأشمل، فهي صرح فكري عظيم، يستند إلى رؤية عقلانية للظاهرة السياسية في المجال الإسلامي، ولا بد من العناية بهذا الصرح والأهتمام به وتقديمه كمعرفة إنسانية للآخر، فالسياسة عند العلماء الكنتيين ليست مجرد هامش على صحيفة الفقهاء والمتكلمين، بل هي الإسهام في إغناء أشواق التخليق التي تشغل الكثيرين، كما أنها أسمى من أن تكون صحيفة لأنظام فقه

¹ - حماد الله ولد السالم، الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص 63.

² - محمد أحمد جد، أدب الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي دراسة وتحقيق لنماذج من نثره وشعره، منشورات المركز الثقافي الكنتي، مطبعة شمس برينت، سلا، المغرب، ط1، 2020م، صص 174-175 وما بعدهما.

³ - محمد أحمد جد، أدب الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي دراسة وتحقيق لنماذج من نثره وشعره، مصدر سابق، صص 114-271.

⁴ - يعني أمير ماسنا مؤسس المملكة الماسنية أحمد لب .

⁵ - الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، أوثق عرى الاعتصام للأمراء والوزراء والحكام، تحقيق بادي بن باي بن باب، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة، ط1. 1999م، صص 77-91.

أو جدل لمتكلم، ولا شك أن الحفاظ عليها أنه سبب للأصالة، ومن ناحية أخرى كان الفكر السياسي الكنتي ومن خلال آثاره منهجه التعايش والسلم والتسامح وسندا للاستقرار، والوسطية والاعتدال، ومحذرا من الفتن، ومرغبا في الجماعة، ولم يكن في يوم من الأيام يشتهر أئمة وشيوخه بالمشاركة في النزاع والخلاف، بل كان معين للطاعة وحسن للجماعة، ولم يكن محرصاً أو باعثاً على الخروج والتمرد ورافضاً للطاعة.

والظاهرة السياسية التي نعني هي عبارة عن نتاج ذهني بشري جاء منفعلاً بعالم السياسة مع استحضار لتاريخ المنطقة المدروسة في عمومياته وخصوصياته وما عرفته من تغيرات، وصفوة القول أن الفكر السياسي الكنتي كل ما يحتاجه هو نظر فيه والاعتناء به وإعادة فرزه وقراءته، والإقرار له بدوره الحضاري، والنظر في خصوصياته، ومن ثم تعريفه وإبراز أدواره، ولقد اجتهدوا بصفته علماء تصوف مصلحين بمصيرهم الروحي وانشغلوا تقريبا في تخليص وجدانهم، وقد قادهم هذا الانشغال إلى مواقف سياسية رائدة في الإصلاح، تتوسل بالموعظة الحسنة ولين القول لتحقيق استقامة الأحوال، وحرصهم الشديد على حفظ الاستقرار، والمصالح العامة للخلق ((... ومصلحة الخلق فيما شرعه خالقهم الذي هو أعلم بمصالحهم ومفاسدهم، وشريعة نبينا محمد ﷺ متكفلة بجميع مصالح الخلق ... فما وجدنا من سلطان ولا نائب سلطان ولا أمير ولا حاجب ولا صاحب شرطة يلقي الأمور إلى الشرع، إلا وينجو بنفسه من مصائب الدنيا والآخرة...¹))، لقد كان علماء كننة علماء سياسة من الطراز الأول وكان موقفهم دائما مخالفا لنظرية الخلدونية الشهيرة التي تقول [فصل في أن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها²] وهم بذلك أكثر تطورا من موقف ابن خلدون الذي نجده يتفادى الحديث عن الظاهرة السياسية بل ويعلن صراحة بأن طبيعة العلم تقتضي التجريد الكلي الذي لا يتقيد بزمان أو مكان، وهو أمر يختلف بالنسبة للسياسة³ ؟ وهذا عكس علماء كننة الذي عرفوا بالتنظير السياسي، ويعتبر

¹ - الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، أوثق عرى الاعتصام للأمرء والوزراء والحكام، مصدر سابق، ص 89 وما بعدها.

² - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م، ص 745.

³ - حامد عبد الله ربيع، مدخل في دراسة التراث السياسي الإسلامي، الجزء الثاني، تحقيق وتعليق، سيف عبد الفتاح إسماعيل، إشراف حسن نافعة، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط 1. 1428هـ - 2007م، ص 138.

الباحث يحي بن البراء بأن للكنتين صفة يتميزون بها ذلك بأنهم جمعوا بين العلم والتصوف والسياسة، بالإضافة إلى تخريجهم لطلبة لهم إسهام في السياسة، كما أن لهم حضورهم العلمي والروحي المميزين، ولذلك تجد الحضرة الكنتية ممتاز بمناخ علمي وروحي يتآخى فيه المتنافسون من أهل السلطان ، ويتلاقى فيه المتناذبون بالحروب والسيوف، وتتناغم فيه أصوات الذاكرين من مختلف الأجناس والبلدان¹، والدليل على ذلك مواقفهم التي تعتبر نموذجاً ممتازاً للعلاقة بين التحولات السياسية والأوضاع الاجتماعية، حيث جمعوا بين الناحيتين السياسية والعلمية، فالسياسة كانت بالنسبة لهم جزءاً من رؤية إصلاحية متكاملة (حياة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية) هدفها التغيير نحو الأحسن وليست تعبيراً فلسفياً ولا صورة من المنطق كما هو رأي ابن خلدون.

ويمكن إدراك ذلك بسهولة من خلال مطالعة مواقفهم من ممالك الجهاد والإصلاح التي قامت في السودان الغربي في القرن 19م، وكذلك الإمارات المغربية التي قامت في موريتانيا، والتي تولوا فيها مهمة التنظير والنصح، وكذلك اهتمامهم الكامل بشأن السياسي في كل صغيرة وكبيرة تحدث في موريتانيا والسودان الغربي²، وقد اهتموا بتبسيط مسائل السياسية ليستوعبها أكبر عدد ممكن من سكان المنطقة سواء حكاماً أو محكومين وذلك بتنزيل الأحكام على الواقع وإدراك حاجات الناس وطموحاتهم والتحديات التي يواجهونها، وما هو أرفق بهم من الفتاوى، وطبقوا قاعدة أن تغيير الفتوى بتغيير أحوال الناس أو الظروف العامة، ولذلك يرجع للعلماء الكنتينيين تزعم الإفتاء في المنطقة³، واعتبروا أن السياسة الشرعية بمبادئها وقواعدها، هي التي تساعد في هذا الأمر مساعدة تامة، كما اعتبر علماء كنتة أن الممارس للسياسة الشرعية، لا بد أن يتخذ من الشريعة الغراء منطلقاً ومرجعاً، وأن يأخذ بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر بالمعروف يحتاج إلى

¹ - محمد الأمين فاضل، "الطرق الصوفية في موريتانيا، والتعريف بمشائخها"، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، المجلد 2، العدد 4، أبريل 2021م، ص 561.

² - الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، فتح الودود شرح القصور والممدود، مصدر سابق، صص 14.13.

³ - عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص 98.

خمس أشياء أولها العلم فالجاهل لا يحسن المعروف فكيف يأمر به، والثاني قصد وجه الله تعالى، والثالث الشفقة على المأمور، الرابع الصبر والحلم، الخامس العمل بما يأمر به¹، كما أن الممارس للسياسة المرتكزة على قواعد الشريعة لا بد أن يجد نفسه دائماً في سعي إلى استلهاهم مقاصدها ومبادئها، وعلى قدر وسعه وطاقته لا بد أن يكون مقيداً نفسه بأدائها وأحكامها، ويرتبط في تعاطيه مع السياسة بمقاصد الشريعة وحكمة التشريع، وهذا في الحقيقة يشكل فلسفة علم السياسة الشرعية، إن لدى سكان مجتمعات موريتانيا والسودان الغربي الكثير من العادات والأعراف التي لم ينشئها نص شرعي، ولم تتعرض لها الشريعة بزم أو بمدح، فهذه قابلة للتغيير، ويتغير بناء عليها الحكم الشرعي، خاصة أن هذه العادات والأعراف كانت تتعايش مع الديانات الإفريقية التقليدية "الأرواحية"²، ومن أمثلة هذه العادات مثلاً عادة التتريب لدى الأفارقة التي تكلم عنها الإخباريون العرب كثيراً، وهي العادة التي يعمل من خلالها المواطن السوداني بوضع التراب على رأسه إذا ما امتدحه الملك أو السلطان والتي استمر عليها البعض حتى وقت متأخر، لذلك فقد دعى علماء كننة للنظافة والتطهر من هذه العادات السيئة، مما دفعت الكثير من سكان السودان الغربي حُكاماً وشُعَباً لنبذ تلك العادات وتركها، تعامل علماء كننة مع هذه الأمور باستحضار واضح للسياسة الشرعية وإظهارهم أن قوانين الشريعة الإسلامية تصلح لكل زمان ومكان، يعتبر علماء كننة أن أصحاب السلطة السياسية الذي يتمثل دورهم في رعاية قوانين السياسة الشرعية ويبحثون عن ما يُدبّر به شؤون الدولة من القوانين والنظم التي تتفق وأصول الإسلام وتتفق مع أحكام الشريعة وأصولها العامة، ويحافظون على الاستقرار والأمن بما يحقق مصلحة الأمة، هم أعلى المجددين مرتبة وأعلامهم شأننا لأن أصناف التجديد الأخرى تتوقف عليهم ذلك أن (...انتفاع الناس بالعلماء وإن

¹ - الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، أوثق عرى الاعتصام للأمرء والوزراء والحكام، مصدر سابق، ص 25.

² - الأرواحية: تعني وجود أشكال مُتعددة من العبادات والآلهة المحلية، التي لم يكن لها ارتباط بالديانات السماوية، وفي إطار هذه العبادات المحلية، عبد بعض الأفارقة الشجر والحجر، والأحياء والأموات من البشر وفق طقوس تعبدية مخصوصة كان يتم التقرب من خلالها إلى عدد هائل من الآلهة -المفترضة- عبر تقديم عدد كبير من القرابين الحيوانية والبشرية والنباتية، أو غيرهما من أصناف القرابين والأضاحي التي كانت تُشكل جسراً مشتركاً ربط إفريقيا الغربية مع باقي ماعرفته قارات العالم في هذا الميدان قبل وبعد نزول الرّسائل السماوية.

كان عاما فانتفاعهم بأولى الأمر من ولاية العدل سيما إن كانوا علماء أكثر ألا ترى قوله ﷺ، إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن... ولأن الأمة قد جعلوا أهم المهمات بعد وفاة النبي ﷺ نصب الإمام حتى قدموه على الدفن... إذ الكثير من الواجبات الشرعية تتوقف عليه...¹ ("

وهي رؤية مستنيرة مبنية على فهم مميز لـ "سنة التدافع"، قال الله تعالى: {...ولولا دفاع الله الناس...} الآية² يعني: لولا أن الله تعالى أقام السلطان في الأرض فيدفع به القوي عن الضعيف وينتصر للمظلوم من الظالم، لأهلك القوي الضعيف ولتوانثب الخلق بعضهم على بعض فلا ينتظم لهم حال ولا يستقر لهم قرار، فتفسد الأرض ومن عليها، ثم امتن الله على الخلق بإقامة السلطان فقال: {وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} يعني: في إقامة السلطان ليكون فضله على الظالم: كفَّ يده وفضله على المظلوم كفَّ يد الظالم عنه، وأمانه³."

كان علماء كنتة يعتقدون أن علم السياسة (الشرعي) يمكنه أن يشكل مدخلاً لتجديد الخطاب الإسلامي، ومساعدة العلماء الدعاة على أن يصبحوا أكثر تأثيراً في المجتمع، وذلك من خلال توفر أسس للإصلاح العام، كما أن المتمتع لفكرهم سيلاحظ بوضوح حضور خطاب فقه السياسة وصلته بالواقع المعيشي، حيث أن فقه السياسة عندهم يركز على المقاصد العامة للشريعة، وفقه الموازنة بين المصالح والمفاسد، الذي يعني مرونة الشريعة، ولا أبالغ إذا قلت إن الموازنة بين المصالح والمفاسد، تعد أهم باب في السياسة الشرعية على الإطلاق، والشريعة كلها مصالح: إما تدرأ مفاسد، أو تجلب مصالح، وقد أبان سبحانه ما في بعض الأحكام من المفاسد حثاً على اجتناب المفاسد، وما في بعض الأحكام من المصالح حثاً على إتيان المصالح⁴، يقول الشيخ سيد المختار الصغير في رسالته لأمير ماسينا أحمد بن لوبو:

¹ - الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، أوثق عرى الاعتصام للأمرء والوزراء والحكام، مصدر سابق، صص 40-72.

² - سورة البقرة، الآية 251.

³ - الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، رفض الركون لولاية الحيواني، مصدر سابق، ص 41.

⁴ - عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، القواعد الكبرى الموسوم بقواعد الأحكام في إصلاح الأنعام، تحقيق نزيه كمال حماد وعثمان جمعة ضميرية، ج 1، ط 1، دار القلم، دمشق، 2000م، ص 14.

"...وتتظر في قليل ما هو باق بيده على تقدير أنه باق فتناظر في مصلحة أخذه ومفسدة تنفيره من الإسلام وإخراجه منه، ومصلحة إدخاله في الإسلام وتألفه عليه ومفسدة فوت ذلك المال الباقي، فأيهما كان أعظم مصلحة وأخف مفسدة، ارتكبت فيه الأخف ضرراً واستجلبت الأعظم مصلحة جرياً على قاعدة ارتكاب أخف الضرر... "ربما دفع التلف بالتلف كما فعلت أم موسى فإنها ألقته في اليم، وهو عين التلف لينجو من آل فرعون فنجي من التلف بالتلف..."¹.

المبحث الرابع: التجديد الكنتي في موريتانيا والسودان الغربي:

التجديد لغة تصيير الشيء جديداً، وجدّ الشيء، أي صار جديداً، ... فالتجديد لغة يعني وجود شيء كان على حالة ما، ثم طرأ عليه ما غيره وأبلاه، فإذا أعيد إلى مثل حالته الأولى التي كان عليها قبل أن يصيبه البلى والتغيير كان ذلك تجديداً، وأما التجديد شرعاً فهو التجديد اللغوي عينه، مضافاً إليه ماتقتضيه طبيعة الإضافة إلى الشرع من مدلول خاص ومعنى جديد²، وعلى العموم فالتجديد من الناحية التأصيلية أي جعله جديداً، أي حوّل القديم فجعله جديداً، ولا يعني ذلك تغيير الدين أو تبديله، وإنما يعني المحافظة عليه ليكون غرضاً طرياً...، فالتجديد هو ترك التقليد الفاسد القائم على الاتباع والمحاكاة على غير بصيرة، ومن هنا يتبين أن التجديد عملية إصلاحية محافظة، وليس عملية تخريبية متقلّبة، وقد بين النبي ﷺ أن الدين محفوظ من التغيير والتبديل³.

علينا أن نفهم أن عبارة "من يجدد لها دينها" الواردة في حديث: (يبعث الله للأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) بأن التجديد الديني المقصود موضوعه دين الأمة وليس دين الله، فدين الله ثابت محفوظ كما نص على ذلك الجليل، أما دين الأمة فهو معرض لتبدل ويصح ويمرض وينقص ويزيد ولذا فهو مجال التجديد وموضوعه .

¹ - الشيخ سيد المختار الكنتي الصغير، رسالة في كظم الغيظ وتوقيف الفتن، مخطوط، رقم 3276، قسم المخطوطات، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، ص 21 .

² - عدنان محمد أمانة، التجديد في الفكر الإسلامي، ط1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1424هـ، ص 16.

³ - محمد بن شاعر الشريف، تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، ط1، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، الرياض، 2004م، صص 11-12.

ولم يكن لفكرة التجديد في أية بقعة من بقاع دار الإسلام التأثير العميق الذي كان لها في الغرب الإفريقي خلال القرن التاسع عشر وكان الناس آنذاك ينتظرون بفارغ الصبر ظهور المجدد¹.

لقد كانت للنتائج الدعوة إلى الإصلاح والتجديد الإسلامي الذي قاده العلماء الكنتيين الأثر البالغ في نفوس الشعوب المسلمة بين نهري النيجر السنغال وكانت الرافد والملهم الأول للحركات الإسلامية التي قادها الشيخ عثمان الفودي في بلاد الهوسا، والشيخ أحمد لبّ في بلاد ماسنا، والحاج عمر في فوتا...².

إن مظاهر التجديد والتميز تبدوا جلية في الإرث العلمي والإصلاحي للعلماء الكنتيين في الفضاء الموريتاني(الشنقيطي) الصحراوي- والسوداني، وذلك راجع إلى تنوع ثقافتهم وموسوعيتهم العلمية، بالإضافة إلى ماتمتاز به مصنفاتهم من حيث الجودة والأصالة الفكرية المكيّنة، التي جعلت الباحثين يعتبرون أن النثر الكنتي يفوق كل نثر في البلاد الموريتانية بل وفي العالم الإسلامي في القرنين 12هـ/13هـ³، وتعود أيضا فكرة التجديد للعلماء الكنتيين نتيجة لتراكمات ثقافية وعلمية وخلفيات تاريخية متأصلة، واستمرارا وتزكيةً لِنهج أسلافهم في الدعوة الإسلامية التي بدأت في الشمال الإفريقي وحافات الصحراء منذ القرون الأولى لانتشار الإسلام، وهم بذلك لا ينطلقون من فراغ علمي أو دعوي، إذ ينتمون إلى جذور مدرسة موهلة في الفكر والإصلاح، إذ تعود المدرسة الكنتية- كمعطى إصلاحي وسياسي وكشخصيات مؤثرة في الفضاء الصحراوي السوداني - إلى سيد اعلي الذي يعتبر قطبا للقادرية⁴، وكان مستوطنا بتوات (بالجزائر الحالية) وكان مسموع الكلمة عند زعماء العرب ومشائخ البربر وصنهاجة، فانتقل إلى صحراء بلاد شنقيط بعيد سنة ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م، وتزوج في قبيلة ابدوكل اللمتونية من أهوا (حواء) بنت رئيس ابدوكل محمد بنءالم (ألما) بن كنت، فكان له من "أهوا" ابنه

¹ - ج . ف . آدى آجاي، تاريخ افريقيا العام، المجلد السادس، مرجع سابق، ص609.

² - عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، تحرير وتعليق وتقديم حماد الله ولد السالم، مصدر سابق، ص14 وما بعدها.

³ - حماد الله ولد السالم، الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص60.

⁴ - عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الافريقية، مرجع سابق، ص37.

سيدي محمد الذي اشتهر بسيدي محمد الكنتي¹، الذي يعتبر أقدم مؤسس لمدرسة علمية وروحية تعددت فروعها وتسلسلت في أحفاده على مدى قرون متطاولة...²، بل قل هو منارة الهداية في إفريقيا ؛ فقد كان له ولأبنائه وأحفاده من بعده دور مكين في نشر الإسلام والعربية في موريتانيا ومنطقة الساحل الإفريقي ودول المغرب العربي... لقد أسس الشيخ سيدي محمد الكنتي المدرسة الكنتية التي كان لها تأثير عميق وحيوي في خدمة الدين واللغة العربية، وهي مدرسة محفورة في عمق الذاكرة الجمعية في المنطقة المدروسة وغيرها من المناطق³، وهو أيضا أول من أدخل التصوف إلى البلاد فكان بذلك هو مؤسسه في إفريقيا جنوب الصحراء...، والواقع أن حدث مجيء التصوف⁴ إلى المنطقة يشكل في الحقيقة، انطلاقا مما سياتر على، فتحا إسلاميا كبيرا وتحولا اجتماعيا لا مثيل له، ذلك أن ما يسميه علماء الاجتماع والانتربولوجيا بالإسلام الشعبي وأحيانا بالاسلام الأسمر أو الاسلام الطريقي...⁵، كما أن ابنه وخليفته الشيخ سيد أحمد البكاي بودمعة⁶ يعتبر من أشهر قادة القادرية في إفريقيا الذي

¹ - الحسين ولد محنض، تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، مرجع سابق، ص 217.

² - الحسين ولد محنض، "مدرسة الشيخ سيدي محمد الكنتي ودورها في التاريخ الموريتاني"، مرجع سابق، بدون تاريخ وترقيم .

³ - خديجة عنشيل، التراث الكنتي المخطوط قراءة في الدور الحضاري لزاوية كنتة وأهم أعلام التراث الكنتي المخطوط، مرجع سابق، ص 106.

⁴ - وهو الذي فيه وبه انتظمت معظم مجتمعات القارة في الدين الاسلامي الحنيف، وتحصنت في أسواره التي منعها من حملات التبشير المسيحية وغزوات الاستعمار وما صاحبهما من إغراءات لم تكن السلامة منها بديهية ولا متاحة للجميع بشكل دائم ، لقد حقق الشيخ سيد محمد الكنتي بالعلم والتربية الروحية والجهاد والهمة ما عجزت عن تحقيقه الصوارم والأسنة والخيول المسرجة والجيوش الجرارة المجهزة ، أجل لقد حقق ما أسميه بالفتح الثاني لإفريقية، بعد أن تحقق فتحها الأول على يد جده الصحابي الجليل عقبه بن نافع رضي الله عنه، يمكن الرجوع إلى: محمد ولد البرناوي، الشيخ سيدي محمد الكنتي الولي، العالم، المؤسس، جريدة تقدم الإلكترونية، مرجع سابق ، بدون ترقيم.

⁵ - محمد ولد البرناوي، الشيخ سيدي محمد الكنتي الولي، العالم، المؤسس، جريدة تقدم الإلكترونية، مرجع سابق ، بدون ترقيم.

⁶ - الشيخ سيد أحمد البكاي (بودمعه) ولد الشيخ سيد أحمد الكنتي الكبير: (ت 1514/920م) وسمي بالبكاي لأنه تواتر عنه وصح أنه لبث مائة عام لم ترقأ دمعه، وذلك من صلاة واحدة فاتته في الجماعة وقبره مشهور بمدينة ولاتة القديمة بموريتانيا يقصده الزوار من كل الجهات، ومثل وصول الشيخ سيدي أحمد البكاي إلى ولاته حدثا فريدا في تاريخ قبائل المنطقة التي تروي كيف حول ولاته إلى قرية آمنة من السباع بنفس الطريقة التي قام بها جده عقبه بن نافع في القيروان ويتضح أن الشيخ سيدي أحمد البكاي أضاف إضافة نوعية لمدينة ولاته، كان لها أثر بالغ في تهذيب سلوك المجتمع، وإحياء النهضة العلمية والروحية فيها، فقد تلقى عنه كما تفيد الروايات العديد من أعلامها العلم والتصوف، وتجمع المصادر المحلية على أن الشيخ سيدي أحمد البكاي لم يكن شخصا عاديا، بل كان عالما جليلا متبحرا، وشيخا مربيا وقطبا كبيرا على غرار والده الشيخ سيدي محمد الكنتي نزيل فस्क

عمل على نشر دعوته في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى¹، وكانت له كما لابنه سيد امر الشيخ مكانة خاصة عند آل أسكية²، وقد شاع خبر زاويته التي قُصِدَتْ من الآفاق، وأرسل مريديه وأصحابه إلى أعماق إفريقيا السوداء للدعوة إلى الإسلام وأجاب الدعوة العديد من القبائل الوثنية³، ومن أبناء البكاي وتلاميذه تمددت الطريقة القادرية وترسخت في أصقاع عديدة من غرب إفريقيا⁴، ليأتي من بعده سيد امر الشيخ المتوفى (960هـ/1552م) الذي لازم المغيلي ثلاثين سنة، وكان له دور كبير في الدعوة الإسلامية وترسيخ جذور القادرية في الساحل السوداني مما منحه شهرة واسعة أكثر من المغيلي الذي عرف بنشر الإسلام والصالح في توات⁵، بالإضافة إلى أنهم من أقدم المؤسسين لمدرسة كُنتية تجديدية إصلاحية كُنتية ذات خبرة علمية تعددت فروعها وتسلسلت في أحفادهم على مدى قرون متطاولة، ورغم ندرة تقاليد الكتابة في المنطقة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر (المرحلة الرقادية) الذين لم يخلفوا تراثا مكتوبا، فغالبيتهم لم يكن يؤمن بقضية التأليف

الذي كان له تأثير كبير في تاريخ وحضارة هذه البلاد، أخذ الشيخ سيد أحمد البكاي العلم والولاية عن أبيه الشيخ سيد امجد الكنتي ومشائخ كثيرين من عصره فأخذ القرآن وتفسيره وعلومه والفقه والأصول والعقائد والقواعد والنحو وعلوم البيان والمنطق وسائر الفنون فنبح وبلغ الغاية القصوى في كل ذلك، ورقي إلى مرتبة الاجتهاد رغم أنه لم يزل مقلدا للإمام مالك رحمه الله تعالى، يشهد لذلك ما نقله الشيخ أبو محمد زين العابدين في كتاب الإرشاد عن أئمة ولاتة الذين درس عليهم الشيخ سيد المختار علم الأصول كاندغ عبد الله الولاتي وابنه محمد، قال حدثني الفقيه محمد بن اند عبد الله الولاتي قال حدثه أبوه الفقيه محمد ابن الفقيه أحمد عن الفقيه أحمد عن جده سيدي عبد الرحمن المحجوبي أنه تقطب، وأنه أخذ العلم والولاية عن القطب الكامل سيدي أحمد البكاي، ترجم له البرتلي وقال ((كان من عباد الله الصالحين، والأولياء المعروفين المشهورين، يزوره الناس من كل فج في كل ساعة، يزوره الشرفاء والأولياء والصالحون وغيرهم أكثر ... هو جد كُنتة كلها : كُنتة الحجر وكُنتة أزواد، وأخرج الله تعالى من نسله كثيرا من الأولياء والصالحين ...))، أنظر: البرتلي، فتح الشكور، مصدر سابق، صص 30-31 والإرشاد أو المنة، مصدر سابق، صص 189-192، والرسالة الغلاوية، مصدر سابق، ص 253 ومابعدا.

¹ - أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، الجزء السادس، الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقية من دخلها الإسلام حتى الآن، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1990م، ص 212.

² - أحمد الشرقاوي بوكاري، "دور العلماء المتصوفة والزوايا في ترسيخ روابط المغرب الإفريقية"، جريدة هسبريس إلكترونية، 14 أبريل 2015م، الرابط : <https://bit.ly/3ulxliu>.

³ - عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2014م، ص 376.

⁴ - محمد سالم محمد، الأبعاد الاجتماعية للتصوف في غرب إفريقيا، البنى والوظائف والعلاقات، مركز الجزيرة للدراسات، ستمبر 2018م، ص 4.

⁵ - أحمد شيخي، "الطريقة البكائية الكنتية بالصحراء ودورها العلمي والصوفي"، مجلة المناهل، العدد 82-83، مطبعة دار المنار، وزارة الثقافة المغربية، الرباط، المغرب، 2007م، ص 177.

والكتابة، بقدر ما خلفوا مدارس وزوايا ورجال، وتعرض التراث الصحراوي المكتوب عموماً لسرعة الضياع للأسباب البيئية، إلا أن هذه المدرسة عرفت في القرنين الماضيين 18 و19م، حركة ثقافية ظلت وتيرتها تشهد طوراً كبيراً وانتشاراً واسعاً ونتاجاً غزيراً وذلك مع ظهور المؤسس الثاني للطريقة البكاية في السودان الغربي والأوسط والصحراء العلامة الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير¹ وأولاده وأحفاده وأبناء عمه من علماء كننة الغربيون ليقوموا بتجديد ذلك المسار العلمي للمدرسة الكنتية الذي وصل معهم إلى ذروته بالجزارة والتنوع والإبداع، فالشيخ سيد المختار الكنتي الكبير يعتبر مجدد القرن الثاني عشر الهجري² في عموم العالم الإسلامي³، وهو شيخ عدد كبير من العلماء والمشايخ حتى سمي "شيخ المشايخ"⁴، ويعتبر عهد الشيخ الكنتي من أزهى العهود التي عرفها الإسلام والقادرية في المنطقة⁵، وبذلك يعتبر مجدد المدرسة الكنتية وقد استمرت هذه المدرسة في العطاء بعد وفاته عبر إسهامات العديد من شخصياتها الرائدة، واتسع إشعاعها حتى غطى مساحات واسعة من موريتانيا والصحراء الكبرى والسودان، بل وصل إشعاعها إلى المغرب الأقصى والأوسط ونيجيريا وبورنو ومصر والدولة العثمانية⁶.

لقد شغل التجديد الديني لدى علماء كننة حيزاً كبيراً على نحو غير مسبوق – من حيث تناول والعمق والشمولية – في التقاليد العلمية والدينية في الفضاءات الصحراوية والسودانية، فمن الأمراض الفكرية التي تفشت في السودان الغربي والصحراء هو غياب التجديد الديني والاقتصار على الجمود والتقليد في الفقه والتوحيد والتصوف، وهيمنة التقليد وغياب الفكر الموسوعي وذويع

¹ محمد سالم محمد، الأبعاد الاجتماعية للتصوف في غرب إفريقيا، نفس المرجع السابق، ص4.

² دود ولد عبد الله، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر 17م-18م، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، السنة الجامعية، 1992م-1993م، ص163.

³ الحسين ولد محنض، "مدرسة الشيخ سيدي محمد الكنتي ودورها في التاريخ الموريتاني، مرجع سابق، بدون تاريخ وترقيم .

⁴ عثمان برايمباري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين، القاهرة، ط2000م، ص158.

⁵ الحسين ولد محنض، مدرسة الشيخ سيدي محمد الكنتي ودورها في التاريخ الموريتاني، مرجع سابق، بدون ترقيم .

⁶ حماد الله ولد السالم، الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى، مرجع سابق، صص56-57.

البدع بأصنافها، والعجز عن فهم مقاصد الشرع والاستدلال على عظمة الخالق من جمال المخلوقات .

التجديد في نظر العلماء الكنتيين هو مهمة صعبة كما يؤكد على ذلك الباحث عزيز بطران لا تحدث إلا مرة على رأس كل قرن، المجدد لا يجب أن يدعي القيام بهذا الدور أو يصف نفسه بالمجدد، فعلماء عصره هم من سيطلقون عليه هذا اللقب تلقائياً، إذا كانت تتوفر فيه شروطه، فاختر المجدد إذا يكون بإجماع من أئمة وعلماء عصره¹، وبهذا الفهم دخل العلماء الكنتيين نادي التجديد الإسلامي، لقيادتهم حركة التجديد في القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي²، فقد كان الشيخ سيد المختار "مجتهداً لتوفر شروط الاجتهاد فيه علماً واستقامة وأدباً وفتحاً وقوة عارضة وكمال قريحة وجودة حفظ وكمال ضبط، بل كان رضي الله عنه المجدد في القرن الثاني عشر...³"، كان رضي الله عنه موسوماً بسمات التجديد، من بين القريب من سائر علماء العصر والبعيد، حتى لم يبق فيما بين الهنود والصين إلى برك الغماد، إلى ما بين عدوة الأندلس ومُنقطع الإسلام من بلاد السودان عالم إلا سَلَّم له وألقى القياد بين يديه، إذ قد انتشر ذكره رضي الله عنه في أقاصي البلدان، وصارت بتأليفه وأدعيته ورسائله وقصائده إلى الأقطار عواملُ الرُّكبان...⁴، ينضاف إلى ذلك أن الشيخ الكنتي قد جدد التصوف ونقى الطريقة القادرية من البدع وسعى إلى تأصيلها وفق تعاليم الإسلام السني المالكي⁵.

من أهم المسائل الفكرية التي شغلت بال العلماء في غرب إفريقيا والصحراء خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة موضوع التجديد، وقد تمحورت اهتماماتهم حول فكرة "ظهور المجدد"، وقد ناقش الشيخ الكبير الكنتي مسألة المجدد في أكثر من موضع وذكر أنه هو المجدد الذي أشار إلى

¹ - عزيز بطران، الطريقة القادرية في غرب إفريقيا، حياة الشيخ سيد المختار الكنتي، جامعة هوارد في واشنطن، المعهد الإفريقي للدراسات، الرباط - المغرب - ط1، 2001م، ص 87.

² - يتضح ذلك من أحزابهم وأورادهم المحفوظة في المكتبات.

³ - دود ولد عبد الله، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط، مرجع سابق، ص 163.

⁴ - الشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي، الطرائف والتلائد في حياة الشيخين الوالدة والوالد، تحقيق يحي ولد سيد أحمد، دار المعرفة، الجزائر 2011م، ص 137 وما بعدها.

⁵ - حماء الله ولد السالم، الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص 56.

صفاته الحديث النبوي الشريف. (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها....)

وأشد قصيدة جاء فيها:

رأيت المصطفى في النوم حقا فبشرني وأدناني إليه
وقال: إنك المبعوث حقا تجدد سنتي فاصبر عليه
واقبل بالثناء على ضيوفي وأخبر أنهم من صفتيه
ولوح نحوهم ببهاء نور وأتحفهم بنظرة لحظتيه.

ويذكر كذلك في المجلد الثاني من مصنفه الشهير، فقه الأعيان، فيقول: وفي القرن الثالث عشر على ما يقوله أولياء الوقت (إن المجدد هو صاحب هذا التصنيف...) ¹، ويخلص الكنتي في نقاشاته لفكرة التجديد أنها ضرورة شرعية يملئها بل ويحتمها سوء حال المسلمين في مختلف مناحي الحياة، وهو ما يعبر عنه الشيخ سيدي المختار الكنتي بقوله: "وقوع أمر عظيم عند أرس كل مائة سنة" ²، حيث علم من نفسه حيازة الشروط المطلوبة في حق المجدد، دون أن يكون أنانيا أو متفوقا على ذاته، فقد اعتبر أن أمرا بهذا الثقل لا ينبغي أن يكون حكرا عليه وحده بل هو هم أمة، وعمل شاق يحتاج إلى تضافر جهود أهل العلم، والورع والرشاد، يقول في ذلك: "لا بد أن يكونوا من أولي الأمر، ومن العلماء، ومن القراء، ومن المحدثين، ومن أهل الزهد، والورع وغيرهم، فإن كل فريق من هؤلاء ينتفع به في غير ما ينتفع بالآخر" ³.

وكان الشيخ المختار الكنتي يحمل في ذهنه مشروعا إصلاحيا، ودينيا مرده (فكرة التجديد)، وقد نبنت هذه الفكرة -كما يرى عزيز بطران- في وسط الشيعة في المشرق الإسلامي، ثم ما فتئت أن وصلت إلى بلاد السودان، والصحراء عن طريق مخطوطات جلال الدين السيوطي، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي، وأفاض العلماء الحديث حولها ⁴، لكن الشيخ المختار الكنتي كان يعي

¹ - حماد الله ولد سالم، "العلماء الموريتانيون والاستعمار الفرنسي"، مجلة مصادر كراسات التاريخ الموريتاني، جامعة نواكشوط، العدد الثالث، مطبعة ميسك، نواكشوط، 2003م، ص 96.

² - الشيخ سيد المختار الكنتي، البرد الموشي في قطع المطامع والرشى، مخطوط، زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، نواكشوط، ص 38.

³ - الشيخ سيد المختار الكنتي، فقه الأعيان، مخطوط، زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي، نواكشوط، ص 564.

⁴ - عزيز بطران، الشيخ المختار الكنتي الكبير وأثره في نشر الإسلام، مرجع سابق، ص 319.

تماما ظروف الزمان والمكان، ويتطلع - بعد أن وافته الفرص - إلى تمرير فكرة مشروع التجديد .

وعلى العموم فإنه كانت للرجل رؤية تجديدية مكينة الجذور، حيث يقول في كتابه فقه الأعيان: "أن يكون الشخص معروفا مشارا إليه، وأن تتقضي المائة، وهو مشهور حي مشار إليه، ولا يكون المجدد إلا عالما بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة، ناصرا للسنة قامعا للبدعة، لا تأخذه في الله لومة لائم، غير مDAHن، يعلن بقول الحق، غير مبال بمن قبله أوردّه..."¹.

فالتجديد في الفكر الكنتي عمل جماعي يقوم به العديد من المجددين، كل في مجاله وتخصصه "فإذا علمت هذا ظهرت لك بديهة أن المجدد لابد أن يكون من أولي الأمر، ومن العلماء، ومن القراء ومن المحدثين، ومن الصوفية أهل الزهد والورع، فإن كل فريق من هؤلاء ينتفع به في غير ما ينتفع فيه بالآخر ومقصود الشارع ﷺ إنما هو في حفظ قوانين الشريعة وضبط قواعدها"².

الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي يعتبر وظيفة المجدد كما يفهم من الشرع وكما تقرر في التجربة التاريخية للمسلمين، على أنه تجديد ما أندرس من معالم الدين، والعودة بالناس إلى الفهم والممارسة الإسلامية الصحيحة كما تجسدت في العهد النبوي والراشدي: "فلما ضعفت الأمة عن القيام بما ذكر على الرسم المذكور انتدب للقيام بكل خطة من تلك الخطط من يقوم بأعبائها من أعيان الأمة: يجدد ما قد أندر من آثارها، ويهمل ما انكشف من أنوارها،..."³.

لقد انتقد علماء كنتة بشدة الجمود والتقليد الذي كان سائدا في عصرهم، فمثلا نجد المختار الكنتي الكبير يشن حملة على فقهاء عصره، الذين اقتصروا على المختصرات الفقهية واكتفوا بها عن الأصول والأمهات، فهو لا يعتقد بهم إذ حبسوا أنفسهم في دائرة المختصرات والتعليقات، ولا يطمئن لما يجترونها من سفاسف وترهات، ويعتبرهم آفة على العلم وخطرا عليه، وكان يقول

¹ - الشيخ سيد المختار الكنتي، فقه الأعيان، مصدر سابق، ص 564.

² - الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، أوثق عرى الاعتصام للأمرء والوزراء والحكام، مصدر سابق، ص 41.

³ - الشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي، الطرائف والتلائد، مصدر سابق، صص 139-140.

ويردد: "من لم يثبت على دعيمة أصل تلاعبت به أقوال المذاهب"¹ وله في ذلك قصيدة طويلة، توضح منهجه العلمي، وطريقته في استنباط الاحكام.

وإياك ترضى باقتناص فروعها بغير ارتشاف من مشاربها العذب
فإن الأصول كالقواعد تقتضي طمأنينة للقلب والنجاح بلا ريب
ومن يترك القرآن نسيا وراءه فقد زلَّ في التمثيل عن ناجح الرتب
ومن حاد عن نص الحديث سفاهة فقد أبدل الجياد بالحرر².

من نتائج التجديد الكنتي في المنطقة:

- 1- الإبقاء على جذوة الإسلام والثقافة الإسلامية متَّدة في هذه الربوع الإفريقية وإلى اليوم.
- 2- الإجماع على الاعتصام بكل ما يمت إلى السنية بصلة من اعتدال ووسطية وتعايش اعتمادا على مصدرَي العقيدة والشريعة والأخلاق، القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالإضافة إلى سيرة واجتهاد السلف الصالح كما جسدهت الأشعرية والمالكية والجنيدية.
- 3- التآزر في دفع أسباب وعوامل الضعف والفرقة سواء كانت داخلية (أشباه العلماء وأدعياء التصوف) أو خارجية متمثلة في تهديدات الوثنية والاستعمار.
- 4- أشهر العلماء المصلحين المتخرجين من المدرسة القادرية الكنتية نذكر الفقيه العالم الصوفي الشيخ ابن دح الأزموري الذي كان يمثل واحدة من المعابر الهامة في نقل تصوف المختارية نحو شمال الصحراء حيث تتلمذ عليه جم غفير من العلماء والمتصوفة المغاربة والمشاركة عبر مختلف أنحاء البلاد، كما انخرط في طريقته السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان وبعض خاصته.
- 5- تصدير الزاوية القادرية الكنتية كم أكبر من العلماء المصلحين في منطقتي الغرب والشمال الإفريقي، حيث تعتبر الزاوية من أمهات قلاع الدين في المنطقة.
- 6- تفعيل مبدأ الدين النصيحة....³

¹ - الشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي، الطرائف والتلائد، مصدر سابق، ص288.

² - نقلا عن الحمدي أحمد، الريادة العلمية والمشيخة الصوفية بأزواد، دار قوافل للنشر، موريثانيا، ط1، 2017م، ص193.

³ - أحمد الشرقاوي بوكاري، "دور العلماء المتصوفة والزوايا في ترسيخ روابط المغرب الإفريقية"، مرجع سابق، بدون ترقيم.

الفصل الثاني
علماء كننة وعلاقتهم
بموريتانيا

المبحث الأول: موريتانيا العامل الطبيعي والبشري:

أ- العامل الطبيعي:

1- الموقع:

موريتانيا¹ أو بلاد شنقيط – كما تعرف تاريخيا – دولة عربية إفريقية إسلامية تقع في الجزء الشمالي الغربي من القارة الإفريقية وفي الزاوية الجنوبية الغربية من الوطن العربي وبالتحديد بين دائرتي عرض 14 – 30 و 24 – 27 شمالا وبين خطي طول 45 – 4 و 8- 17 غربا على مساحة تقدر ب 1030850 كم²، وهذه المساحة الواسعة جزءا كبيرا منها عبارة عن صحاري قاحلة وهي الامتداد الغربي للصحراء الكبرى، وتشغل هذه الصحاري حوالي ثلثي الأراضي الموريتانية بينما تغطي حشائش السّفانا الجزء الجنوبي من أراضي الدولة المنتمي إلى إقليم الساحل المناخي³، ويحدها من الشمال الشرقي

¹ - موريتانيا (Mauritanie) : وهو اسم لمملكة رومانية قديمة قامت في شمال إفريقيا خلال القرن الخامس قبل الميلاد، وشملت أراضي المملكة المغربية الحالية، والجزائر، وكانت مقسمة إلى منطقتين عرفت إحداهما بموريتانيا الطنجية، والأخرى بموريتانيا القيصرية، وموريتانيا في الاشتقاق اللغوي تركيب لكلمتي (Maures) اليونانية وتعني السمر و(Tania) اللاتينية وتعني بلاد أو أرض فهي إذا بلاد السمر، وقد أيقظ الفرنسيون هذا الاسم من مرقده الروماني القديم في إطار سعيهم الدؤوب لتسوية سياستهم الاستعمارية، فظهرت من جديد هذه التسمية لأول مرة في العصر الحديث في مذكرات الرحالة الفرنسيين الذين زاروا المنطقة في إطار مهامهم الاستخبارية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وقد وردت هذه التسمية أول مرة في تقرير الضابط الفرنسي جان فرانسوا كاي سنة 1843م والمعنون بـ "ملاحظات حول سكان موريتانيا وسكان بلاد الزوج المتاخمين لنهر السينغال" والذي ركز خلاله على تركيبة السكان وتقسيماته، وتقديم تقديرات بأعداد السكان وأعداد الثروة الحيوانية وطرق انتجاعه، إلا أن هذه التسمية لم تأخذ صبغتها الإدارية إلا مع الإداري الفرنسي الكبير كزافي كبولاني Coppelani (1866م-1905م)، وخلال الأسبوع الأخير من القرن التاسع عشر وتحديداً يوم 27 كانون الأول-دجمبر 1899 ظهرت هذه التسمية في إطار مشروع احتلال الإقليم الموريتاني، وكان المشروع المقدم إلى مجلس الوزراء الفرنسي يحمل اسم موريتانيا الغربية، وقد اعتمد كبولاني في رسمه لحدود الإقليم المعيار الثقافي، وتجانس المجتمع، واقترح أن تكون حدوده من الشرق خاي وتيمبكتو، ومن الغرب المحيط الأطلسي، ومن الجنوب نهر السنغال، على أن يمتد شمالاً ليشمل الصحراء الغربية، للإطلاع أكثر يمكن مراجعة : محمّد بن محمّد، المجتمع البيطان في القرن التاسع عشر، قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، الرباط، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ط1، 2001م، صص 99-101، الخليل النحوي، بلاد شنقيط. المنارة والرباط عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)، مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987م، صص 24-25.

² - أحمد إسماعيل راشد، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 2004م، ص325.

³ - فوزان بن عبد الرحمن الفوزان، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المجلد 11، إقليم الصحراء الكبرى، المملكة العربية السعودية، 1999م، ص527.

الجزائر ومن الشمال والشمال الغربي الصحراء الغربية، وأما من الشرق والجنوب فتحدها جمهورية مالي ومن الجنوب السنغال، ومن الغرب المحيط الأطلسي.

ويؤكد الأستاذ محمد يوسف مقلد قائلاً أن: "موريتانيا" اسم لم اختره أنا، ولا اختاره أهلها، وإنما اختارته القوة الاستعمارية الأوروبية حين استعمرت الأقطار الإفريقية¹.

إن الكتابة الجغرافية عن بلد مثل موريتانيا أمر ليس باليسير نظراً لضآلة ما هو مكتوب عن هذه الدولة من بحوث ودراسات جغرافية، بل إن معظم ما هو مكتوب عنها عبارة عن دراسات منشورة وغير منشورة باللغة الفرنسية، معظمها قد عفى عليه الزمن، وهو ما يقلل من أهميتها للكثير من الباحثين².

وعرفت البلاد الموريتانية عدة تسميات وقد ارتبطت هذه التسميات إما بوصف بشري (بلاد لمتونه وصحراء الملثمين³، وصحراء صنهاجة⁴، وبلاد التكرور⁵، والبلاد البيضانية⁶، وبلاد المغارة⁷)، أما جغرافياً (المفازة الكبرى والمنكب البرزخي وعبارة المنكب البرزخي هي أحد الدوال المتعددة التي يطلقها مثقفوا بلاد شنقيط على أرضهم حين يكتبون غير متأثرين بالسياق المشرقي⁸) وسياسياً (البلاد السائبة⁹ بلاد الفترة¹⁰ وبلاد لقاح)، وصحراء صنهاجة (الملثمين) من أقدم هذه التسميات ومرد ذلك إلى أن الملثمين من

¹ - محمد يوسف مقلد، موريتانيا الحديثة أو العرب البيض في إفريقيا السوداء، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1960م، ص19.

² - فوزان بن عبد الرحمن الفوزان، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، مرجع سابق، ص528.

³ - الناني ولد الحسين، صحراء الملثمين وعلاقتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف القرن 2 هـ/8م إلى نهاية القرن 5 هـ/11م، دار المدار، 2007م، ص9 وما بعدها.

⁴ - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، مصدر سابق، ص148.

⁵ - محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي، فتح الشكور في تراجم أعيان علماء التكرور، مصدر سابق، ص26.

⁶ - باب ولد الشيخ سيديا، إمارتا ايدو عيش ومشطوف، دراسة وتحقيق ازدييه بن محمد محمود، المعهد التربوي الوطني، ط3، نواكشوط، 2003م، ص76.

⁷ - خليل النحوي، بلاد شنقيط، المنارة والرباط، مرجع سابق، ص21.

⁸ - أحمد ولد الحسن، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري مساهمة في وصف الاساليب، ط1، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، 1995م، ص15، نقلاً عن الشيخ محمد المامي، مخطوط كتاب البادية.

⁹ - الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، ص373.

¹⁰ - أحمد ولد الحسن، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري مساهمة في وصف الاساليب، مرجع سابق، ص16.

صنهاجة توطنهم بهذه البلاد يبدو ضارباً بجذوره في التاريخ وليس طول الأمد على أهميته هو المسئول عن تسويغ التسمية، بل أن الدور الريادي الذي اضطلع به هؤلاء، كان هو الفاعل بإبداع التسمية، فقد أرسى المثلثون قواعد الدولة التي نشرت الإسلام بشكل لا رجعة فيه، ودكت عروش الكفر، وظهرت مناطق عديدة من أدراك الشرك، وأنجدت المسلمين في الأندلس (معركة الزلاقة 479 هـ - 1086م) وأقل النتائج التي انبثقت عنها أنها حولت الحروب الصليبية من الأندلس إلى المشرق، وقد أطالت عمر الإسلام في الأندلس وأدخل أبنائها نور الإسلام إلى أدغال القارة الإفريقية بواسطة الحكمة والموعظة الحسنة والكلمة الطيبة، واقتضت حكمتهم رفع القلم في الجنوب (غرب إفريقيا) والسيف في الشمال (المغرب والأندلس)¹.

وحين انبرى الشيخ سيد بابا² لإعطاء اسم لهذه البلاد صعب عليه أن يأتي باسم جامع، وهو بصدد الشكوى من ندرة الموارد التاريخية والتدوين بشكل عام عند سكان هذه البلاد يقول "كنت أتعجب من علماء هذه البلاد البيضانية الصحراوية المغربية وأدبائها، على فضلهم ونبلمهم كيف لم يعتنوا بتاريخها في كتاب معتبر من أول الزمان؟ مع كثرة ما وقع فيها من الأمور الكبار التي ينبغي الاعتناء بكتابتها وكثرة من كان بها من الأكابر من كل صنف الذين لا ينبغي أن تترك أخبارهم نسياً منسياً على جلالتها"³.

إلا أن أشهر الأسماء وألصقها التي أطلقت على موريتانيا وصارت علماً على البلاد وعلى سكانها في المشرق العربي وعموم العالم الإسلامي قبل الاستعمار الفرنسي للبلاد هو اسم "شنقيط" التي هي في الأصل إسم لمدينة تقع في أعالي هضبة آدرار في شمال البلاد الآن، أسست سنة 160هـ / 770م وكانت حينها تسمى "آبير" ثم أعيد بناؤها في الموقع نفسه تقريباً سنة 660هـ / 1372م⁴، وعن الظروف التي اكتنفت التحول في السياق الدلالي للتسمية، أول ماتجب المبادرة

¹ - إزيدبيه ولد محمد محمود، الزوايا في بلاد شنقيط في مواجهة الاستعمار الفرنسي، المطبعة الوطنية، نواكشوط 2002م، ص 39.

² - الشيخ سيدي بابا بن الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيديا (ت 1342هـ — 1924م) أحد أبرز الوجوه الفكرية والسياسية في البلاد الموريتانية في ملتقى القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين جمع بين الفقه والأصول والتاريخ والسياسة، حول هذه الشخصية بالتفصيل عد إلى: باب ولد الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشطوف، مصدر سابق، ص 27 ومابعدها.

³ - باب ولد الشيخ سيديا، إمارتا إيدوعيش ومشطوف، مصدر سابق، ص 76.

⁴ - دود ولد عبد الله، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط، مرجع سابق، ص 23.

بإثباته أن إطلاق اسم شنقيط على هذه البلاد لم يكن من فعل أبنائها، بل هو توسع في الاستعمال مشرقى، نجد تعليقه المرتبط بالحج عند ابن الحاج إبراهيم في رسالته ((صحيحة النقل، في علوية إدو علي وبكرية محمد قلي)) إذ يقول، في أقدم تحليل عثرنا عليه في الموضوع، ((وكان الركب يمشي من شنقيط كل عام، ويحج معهم من أراد الحج من سائر الآفاق، حتى إن أهل هذه البلاد، أعني من الساقية الحمراء إلى السودان إلى أوران يعرفون عند أهل المشرق إلى الآن بالشناقطة))، ويتخذ محمدي بن سيدنا هذه التسمية محمداً لأهل مدينة شنقيط¹، وكان ركب الحاج الولاتي هو ركب حجاج أهل البلاد كلها قبل أن تسمى بلاد شنقيطي، وهو ما يرجع إلى أسبقية مدينة ولاتة على مدينة شنقيطي زمنياً وتنظيماً لركب الحاج، وبفعل اتجاه طرق القوافل التي كانت أقرب لولاتة قبل القرن الثالث عشر الهجري 19م منها لشنقيطي التي سوف تتحول نحوها الطرق في ذلك القرن وتصبح مركزاً للركب الشنقيطي الكبير²، ورغم أسبقية مدينة ولاتة في تنظيم أركاب الحج إلى المشرق الإسلامي إلى أن شهرة التسمية كانت من نصيب حجاج ركب شنقيطي ثم سمي به القطر كله، فصار من باب تسمية الشيء باسم بعضه³، وقد استقر هذا الاستعمال عند بعض الباحثين الموريتانيين المعاصرين⁴، وعلى الرغم من بعد الشقة بين مدينة شنقيط والبقاع المقدسة - حوالي 7000 كلم - فإن الحجاج الشنقيطي كان أحياناً يتجاوز 600 حاج وكان الطريق التي يسلكها هي: شنقيطي-ولاتة - توات-القيروان-القاهرة-مكة المكرمة.

ومع مرور الأيام أصبح الشناقطة يتميزون عن غيرهم بسحناتهم وملابسهم وسلوكهم وفصاحة لغتهم وتضلع العديد منهم في مختلف المعارف وما لبثوا أن اشتهروا بسعة الاطلاع والتمكن من الفقه والأدب، فراج إسم الشناقطة في الأدبيات المشرقية.

¹ - أحمد ولد الحسن، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري مساهمة في وصف الاساليب، مرجع سابق، ص 14 .

² - حماد الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص 219.

³ - أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مصدر سابق، ص 413 وما بعدها.

⁴ - أحمد ولد الحسن، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري مساهمة في وصف الاساليب، مرجع سابق، ص 11 وما بعدها، والخليل النحوي، بلاد شنقيط، المنارة والرباط، مرجع سابق، ص 20 وما بعدها .

ودون أن نكثر في الخوض في الحديث عن دلالات التسميات التاريخية التي كانت تعرف بها موريتانيا علينا أن نعتد على التسمية التي تعتبر أكثر شيوعاً والتي أحرأها بالاعتماد وهي بلاد "شنقيط" لاعتناء أهل القلم بها وهي أنظف التسميات من الشحنات العاطفية وأنقاها من الشبهات السياسية والإيديولوجية وفوق هذا فهي أكثر شيوعاً عند العامة والخاصة، إن الموقع الإستراتيجي للبلاد الموريتانية قد مكنها من لعب دور أساسي فيما عرف بالتجارة الصحراوية بسبب موقعها كنقطة تواصل بين الشمال العربي والجنوب السوداني، ففي الشمال كانت القوافل تأتي محملة بالمنتجات النحاسية والحلي وأدوات الزينة والخيول وسروجها ومصنوعات الحرير من اللباس، والمنتجات الزراعية كالمح والشمع والتمر¹، أما في الجنوب فكانت تحمل الذهب والذرة البيضاء والعبود، وقد لعبت مدن على وجه التحديد الدور الريادي في ازدهار هذه التجارة كما هو الحال بالنسبة لمدينة أوداغست الأثرية ومدينة ولاته وودان وتيشيت وشنقيط².

2- التضاريس:

تعتبر موريتانيا من الناحية التضاريسية جزء من إقليم إفريقيا السفلى الذي يقع غرب العمود الفقري التضاريسي للصحراء الكبرى والمكونة من هضبة الهكار وكتلة تيبستي وهضبة الطاسيلي التي تربط بينهما، وتشغل معظم أراضي البلاد المنخفضات ذات الشكل الحوضي (مثل المنخفض الحوضي الواقع بين هضبة الهكار والمحيط الأطلسي ومرتفعات فوتا جالون في الجنوب)،... وبالنسبة لأعلى قمة في البلاد فإنها لا تزيد عن 917م وهي كدية الجل³.

ويغلب الاتجاه العام للتضاريس في موريتانيا اتجاه الشمال الشرقي إلى الجنوبي الغربي كما يمكن ملاحظة ظاهرة التناوب لكتل الكثبان الرملية

¹ حفظه ولد الطالب أعلي، دراسة علاقة السيطرة و التبعية في المستعمرات الفرنسية من خلال الواقع الموريتاني (1902-1960)، بحث لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية مرقون، 1999م، ص101.

² الخليل النحوي، بلاد شنقيط، المنارة والرباط، مرجع سابق، صص94-96.

³ محمد الراظي ولد صدفن، السياسة الإستعمارية في موريتانيا وأثرها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، نواكشوط، 1995م، ص15.

والسهول الحصوية-الرق- التي تنتشر فيها تلال شديدة الانحدار تعرف بـ "أكلاي" أي التلال بالمصطلح المحلي.

ويمكن تقسيم سطح البلاد الموريتانية إلى أربعة أقسام أساسية:

1 - المنطقة الساحلية في الغرب:

تمتاز هذه المنطقة بانتشار الوديان وسلاسل الكثبان وهي تمتد من الصحراء الغربية شمالا إلى غاية نهر السنغال جنوبا ويتراوح ارتفاع هذه المنطقة الانكسارية ما بين 60 و30 قدم.

2- المنطقة الصحراوية الشرقية: تضم هذه المنطقة معظم الأراضي الموريتانية، إذ تشمل السهول الشمالية وشمال السهول الغربية ووسطها وهي امتداد للصحراء الكبرى وتتميز بندرة المياه مما كان له انعكاسه السلبي على التواجد والنشاط البشري¹.

3 - منطقة الهضاب في الشمال والوسط:

وهي عبارة عن أراضي صخرية متوسطة الارتفاع، وتوجد على حافاتها الشمالية والجنوبية عدة مجموعات جبلية يمكن أن تتخذها حدودا طبيعية لهذه المنطقة التي تأخذ شكل القوس المفتوح جهة الشرق وتمتد هذه المرتفعات من الشمال الشرقي في اتجاه الجنوب الغربي ثم تتحني محترفة وسط البلاد نحو الجنوب ثم تعود فنتجه نحو الجنوب الشرقي وتتكون هذه المنطقة من أربعة مجموعات جبلية وهي الحنك وأدرار وتكانت ولعصابة.

4- المنطقة الجنوبية:

هي المنطقة المتاخمة لنهر السنغال التي تمتاز بالخصوبة وفيها تتجمع أهم مظاهر النشاط البشري بسبب وفرة المياه وتسمى هذه المنطقة بأرض "شمامة" أو الساحل ومعظم سكانها من الزنوج، ويتعرض السطح الموريتاني لدرجات حرارية متباينة، حيث يمكن أن تصل في فصل الصيف ما بين 40 و55 درجة تحت الظل، في حين تنخفض درجة الحرارة هذه إلى درجة الصفر شتاء في بعض المناطق وذلك نتيجة لجملة من العوامل أهمها: سمت الشمس

¹ - سيدات بن الداه، التغيرات المناخية في موريتانيا في القرن العشرين، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مرقون، 1996م، ص223.

وارتفاع نسبة التبخر وقلة الأمطار بالإضافة إلى العامل الجغرافي المتمثل في وقوع البلاد بين المحيط الأطلسي والصحراء¹.

ب: المجال البشري:

ينتظم المجتمع الموريتاني أو الشنقيطي بصفة عامة في عشائر تقليدية ويغلب عليه الطابع القبلي بكل مظاهره، سواء من حيث طبيعة الحياة التي تقوم على التنقل والترحال طلباً للماء والكأ أو من حيث العلاقة بين فئات المجتمع الشنقيطي، وأصل ساكنة المنطقة قبائل من البربر كانت تقطن صحراء المنطقة، وبعد الفتوحات الإسلامية صاروا قسمين عرباً وبربراً، وقد انصهر القسمان واختلطت دماؤهما إلى حد يستحيل تمييز أحدهما عن الآخر، وقد تبلورت البنية الاجتماعية للسكان تبعاً للتقسيم الوظيفي.

يكاد يجمع أغلب المهتمين بدراسات المجتمع الموريتاني على أنه مجتمع يقوم على الطبقية أو هو مجتمع منقسم إلى عدة فئات تتحدد معالمها من خلال تقسيم العمل السائد في البلاد والذي يعتبر المعيار الحقيقي للمنزلة الاجتماعية، ويسود النظام القبلي في هذا المجتمع على نطاق واسع وهذا ما جعل بعض الدراسات تطلق عليه نظام الطوائف، كما أن مختلف كتابات الباحثين الغربيين هي الأخرى أجمعت حول ظاهرة تقسيم المجتمع الموريتاني حيث أعادت هذه الكتابات هذا التقسيم إلى حرب شربية²، باعتبارها الأسطورة المؤسسة للمجتمع البيطاني الحديث وعلى الرغم من تناقض هذا الطرح مع بعض المعطيات التاريخية المتوفرة في البلاد حيث تفيد بعض المصادر المحلية المكتوبة بوجود هذا التقسيم لدى قبائل المنطقة فقد نوه الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي أن قبيلة أبدوكل اللمتونية أحوال جده كانت منقسمة إلى الزوايا (أهل علم وسلم) ومحاربون (أهل السلطة والظلم)³، كما نوه بذلك المختار ولد حامدن بأن قبيلة اينيزريك الصنهاجية كانت تسيطر على منطقة الجنوب الغربي (الكلبة)

¹ - محمد ولد أشريف أحمد، الإدارة الاستعمارية في موريتانيا (1902-1960)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مرقون، 2004م، ص11.

² - حماد الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص178 وما بعدها.

³ - الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، 102.

في الوقت الذي تسيطر فيه قبيلة الأنباط على منطقة تكانت وقبيلة ايديشلي على منطقة آدرار خلال القرن 13م¹.

وينبغي التنبيه للوهلة الأولى، إلى أن هذه التراتبية الاجتماعية والتخصص الفئوي ليس المجتمع الموريتاني فيها بدعا من مجموعات الرحل والظواغن في الصحروات الكبرى (الجزيرة العربية، الصحراء الكبرى بإفريقيا)، ومن أكثر المجتمعات شبيها في هذا التخصص بالمثل الموريتاني هذا، مجتمع اليمن حيث توجد في جهات بلاد اليمن في أقاليم: "تعز" و"حضر موت" فئات وقبائل تختص بالشؤون الدينية والتعليمية، والأمر ينسحب على الجيران الأقربين للمجتمع الموريتاني البيضاني مثل "الطوارق" حيث توجد قبائل "عزلاء" مختصة بالشؤون الدينية والثقافية تسمى: إنسلمين، والحال نفسه ينسحب على القبائل السودانية من الهالبولار والسوننكي².

وعلى العموم يمكن تقسيم الآراء المحلية فيما يتعلق بجذور التقسيم الاجتماعي للسكان إلى مجموعتين:

1- المجموعة الأولى وهي التي تتمسك بالرواية الشعبية المحلية القائلة بأن أصول هذا التقسيم تعود إلى مبادرة تقسيم العمل التي أمر بها الأمير الصنهاجي أبو بكر بن عمر اللمتوني الذي قسم جيشه إلى ثلاث فئات: الفئة الأولى: تخصصت في الشؤون الحربية والسياسية واحتكرت لنفسها وظيفة القتال، في حين احتكرت الفئة الثانية وظيفة الإشراف على الأمور الثقافية والدينية، أما الفئة الثالثة فانصرفت إلى خدمة الفريقين، وهذه الفئة هي أصل الأتباع المعروفين ب ((آزناكه أو اللحمه...)) وبالرغم من اللاتاريخية والميكانيكية التي صيغ بها هذا الرأي، إلا أنه سيظل تعبيراً واضحاً عن دور المرابطين في وضع أسس النظام الاجتماعي الحالي، أو إكسابه بعض المشروعية التي سيظل المجتمع محكوماً بضوابطها على مر الأيام³.

¹ - المختار ولد حامد، التاريخ السياسي، مصدر سابق، ص 79.

² - حماد الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص 239.

³ - الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، ص 151.

- وهذا رأي أقل ما يمكن أن يقال عنه أنه لا يخلوا من دلالات سياسية تهدف إلى إثبات وترسيخ الرأي القائل بأن مرجعية التراتب الاجتماعي والسياسي في المنطقة مرتبط بالحركة المرابطية¹.

2 - أما المجموعة الثانية فتري أن المجتمع البيضاني ينحدر من اندماج عناصر عربية وصنهاجية تغلبت على السكان الأصليين للبلاد إلا أنها وأثناء تنظيم نفسها تبنت نفس التقسيم الاجتماعي الثلاثي الذي كان قائما قبلها².

وبذلك يكون المجتمع الموريتاني (البيضاني) حسب هذا الرأي قد قام وبكل بساطة بتقليد التقسيم الاجتماعي للسكان الأصليين للبلاد مع وجود بعض الخصوصيات التي تعود إلى الخلفية الثقافية والاجتماعية السابقة لهذه العناصر، وما يمكننا أخذه على مختلف هذه الآراء حول جذور وأصول التقسيم الاجتماعي للمجتمع البيضاني هو تجاهلها للظروف الطبيعية (الصحراوية) المميزة والتي أثبتت عبر التاريخ الحديث والمعاصر أنها العامل الأساسي إن لم يكن هو ابرز العوامل المتحكمة في تحديد نمط وطبيعة عيش سكان هذه المنطقة.

ولفهم الخصوصية التي ميزت هذا المجتمع عن غيره من مجتمعات المنطقة نرى أنه من الضروري إعطاء فكرة عن تقسيم مختلف المجموعات المكونة للمجتمع ومعرفة الدور والمهمة الموكلة إلى كل فئة من فئات هذه المجموعات طبقا للتقسيم الوظيفي للمجتمع.

I - فئة العرب:

ينقسم المجتمع الموريتاني إلى عدة فئات يتفاوت ترتيبها الاجتماعي حسب وظيفتها، ففي قمة الهرم الاجتماعي الأرستقراطيين المحاربة والزاوية وإن كانتا متميزتان من حيث الاختصاص، فالأرستقراطية المحاربة ظلت صاحبة السلطة السياسية والعسكرية للمجتمع فيما كان للأرستقراطية (الزاوية) سيطرتها الاقتصادية والإيديولوجية (الدينية) وتأتي بعد هاتين الفئتين الفئات

¹ - ددود بن عبد الله، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط، مرجع سابق، صص 40-41.

² - المختار ولد حامد، التاريخ السياسي، مصدر سابق، ص 126.

التابعة، وهي بالأساس الطبقة الموالية التي توجد أسفل الهرم الاجتماعي، وتمارس كل فئة من هذه الفئات نشاطا معيناً حسب مكانتها الاجتماعية¹.

أ – الفئة المحاربة:

ويطلق عليها لفظ لعرب أوحسان وهي الفئة المسيطرة سياسياً وعسكرياً، ويوصفون: "إن شيمهم اقتناء السلاح ومداومة الكفاح وملك الرقاب واستلاب الأسلاب والأخذ بالثارات وإدمان الغارات، لا يأكلون الدماء ولا يملون مقارنة الأعداء، أموالهم سلاحهم وحصونهم ظهور خيلهم ونجائلهم، جل عيشهم الصيد وما يأخذون من المغنم وينهبون من الأعداء، وما عدا ذلك فهو عيب عندهم من تجارة أو حرث أو اقتناء ماشية²، وقد ظلت هذه الفئة على الرغم من الأهمية السياسية ذات وزن ديموغرافي واقتصادي ضعيف وذلك بفعل عزوفهم عن مزاوله الأنشطة الاقتصادية التي ظلت حكراً على الفئة الزاوية في الغالب الأعم، كما أن الصراعات والحروب الدائمة بين مختلف عناصر الفئة المحاربة كان لها تأثيرها السلبي على وزنها الديمغرافي، وقد تمثلت الموارد الاقتصادية التي اعتمدت عليها هذه الفئة في غنائم الحروب والغارات التي اشتهرت بها إضافة إلى الضرائب والمكوس التي كانت تفرضها هذه الفئة من خلال ممارستها لحقوقها الملكية على الأراضي الخاضعة لها، فضلاً عن الضرائب التي تدفعها الفئات التابعة مقابل توفير الحماية لها وللممتلكاتها.

ب – الفئة الزاوية:

ويسمون كذلك بالمرابطين والطلبة، وهي تعني القبائل المختصة بالشؤون الدينية (الإمامة، القضاء، الفُتْيَا) والوظائف التعليمية من تعليم وتدرّيس، إضافة إلى الشؤون الاقتصادية من حفر الآبار وتربية المواشي وتسيير القوافل التجارية مع ملكية الجميع، وقد تسمى أيضاً قبائل الطلبة اختصاراً في أغلب الأحيان، وهي لاتحمل السلاح من حيث المبدأ لكن بعض قبائل الزوايا في الشرق الموريتاني تحمل السلاح لكنها لاتتخلص من وظيفتها الدينية والعلمية³، يقول صاحب الوسيط معرفاً هذه الفئة، وهو الذي يعرف تاريخها، بحكم الانتماء "إن لفظة الزوايا صار علماً على قبائل كثيرة، أغلب سيرها في تعلم

¹ - المختار ولد حامد، التاريخ السياسي، مصدر سابق، ص 175.

² - المختار ولد حامد، التاريخ السياسي، المصدر سابق، ص 162.

³ - حماد الله ولد السّالم، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص 238 وما بعدها.

العلم وتعليمه، وتعمير الأرض بحفر الآبار وتسيير القوافل، وقرى الضيف ... ويحمد من أمرهم عدم شهادة الزور، والتخرج من مال الغير، والتعليم والإمامة يكونان مجانا عندهم"¹، وبخصوص تشكيل هذه الفئة فقد ضمت جميع القبائل والعناصر البشرية التي اهتمت بمزاولة مهنة التعليم، إذ أن كل قبيلة تعنى بالعلم تعلمًا وتعليمًا تصبح قبيلة زاوية، وقد استطاعت هذه الفئة شأنها في ذلك شأن الفئة المحاربة الاستفادة من المجموعات التابعة كالعبيد واللحمة وأزناكة ولعلمين، وعلى العموم فقد ظلت فئة الزوايا والمحاربون تتبادلان العطاء والوظائف، فهناك قبائل من الفئة المحاربة تتحولون إلى زوايا، وقبائل من الزوايا يصبحون محاربين، ...².

جـ — المجموعة التابعة: تتكون هذه المجموعة من خمسة فئات، ترتبط كل فئة منها بالوظيفة الاقتصادية والاجتماعية التي يقوم بها أفرادها، وتعتبر هذه المجموعة من الناحية العددية الأكثر أهمية، كما تتميز هذه الفئات بتفاوت بعضها عن البعض وذلك من حيث المركز الاجتماعي والوزن الديمغرافي، وتتكون من قبائل لم تعرف بالسطوة ولا بالاهتمام بالشؤون الدينية، فبسط عليهم الطرفان الأولان نفوذهما، وسخروهم لأغراضهم الشخصية من رعي ماشية وخدمة وغير ذلك.

1 — أزناكة أو اللحمة: وهم الأتباع وينتمون من يستظلوا به، وتتكون هذه الفئة من بقايا الصنهاجة والقبائل الأخرى التي أنهكتها الحروب والنزاعات فضربت عليها المغارم، وبعضها من عرب حسان الذين أخضعهم بنو عمومتهم في المعارك وعملها محصور في تربية المواشي المملوكة للزوايا وحسان، ولعل المثل الشعبي الحساني "ازناكي ألا تحت الركاب ولا تحت كتاب"، إذ سخرتها الفئتين السابقتين للرعاية وتنمية الماشية³، وينقسم (زناكة) إلى ثلاث طبقات أعلاها اللحمة التي تفيد كثرة المال وحسن الخلق، وأزناكة التي يعتبر أصحابها أقل مالا وأقل خلقا، أما الرعيان فهم غير المالكين وكل عملهم بالأجرة⁴.

¹ - أحمد الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مصدر سابق، ص 478.

² - محمد الراطي ولد صدفن، مرجع سابق، ص 23.

³ - الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، مرجع سابق، ص 37.

⁴ - محمد الأمين ولد سيد أحمد، السلطة والفقهاء في إمارة الترارة، ط 1، مطبعة المنارة، نواكشوط، موريتانيا، 2003م، ص 47.

2- الزَقَانُون (المُعْتُون): ويسمون في لهجة البربر: إيغاون = مفردها: إيغوي = تحريف: الغاون، أي صفة الشعراء المذكورة في القرآن، وهم الذين يحترفون الغناء والموسيقى، ويمارسون نوعا من الشعر التكسبي، وأصول بعضهم أندلسية أو عربية عموما، وبعضهم من الطوارق والسودان.

3- الصنّاع: (المُعْلَمون): المُعْلَم في المجتمعات الأخرى هو رئيس الحرفة ويتمتع بمكانة معتبرة، لكنه هنا وصف للا نتماء إلى فئة تمتن الحداثة ولا ترجع إلى أصل واحد،... وأهم وثيقة حول تاريخية مجتمع "الصنّاع"، هي ورقات الشيخ باي بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي، ومن كلامه "وما ذكر عن الحدّادين بديهي البطلان، إذ من المعلوم لا يرجعون إلى أب واحد، وإنما جمعتهم الحرفة، فمنهم من هو شريف الأصل ومنهم من هو عربي محض، والظاهر من حال أكثرهم أنه من السودان، وفيهم أئمة وأفاضل وعوامهم كسائر العوام...¹".

4- الحراطيين: (الخُطّارة) وهم في الحقيقة فئة من المجتمع الأمازيغي تحتل المرتبة الثالثة بعد (إمازيغن) و(إكُرامن)، وبرز منهم ولاية وقادة في الدولة المرابطين، وهذه الفئة تميل ألوانها إلى السمرة الداكنة أو السواد، وهي من مجتمع البيضان العربي اليوم ومنها من كان من الموالي أو العتقاء، وهي الفئة المستعبدة قديما والتي حصلت على عتقها حديثا...²، لم تحظى هذه الفئة بما تستحقه من الدراسة، إذ يمكن أن تفك الغموض حول الأصول السوداء للمنطقة، خصوصا وأن هذه الفئة تنتشر شمالا إلى حدود واحات المغرب الشرقي، فهل هذه الفئة تمثل العنصر الزنجي الذي نزع منذ فترات متقدمة من التاريخ وعمر هذه الأرض، إلى حدود وصول القبائل الأمازيغية وبعدها القبائل العربية ؟ مما جعلها تنكمش وتنحصر في الواحات والمناطق الفلاحية، قد يحتاج هذا لسنوات من البحث والتنقيب.

¹ - حمّاه الله ولد السّالم، تاريخ بلاد شنقيطي موريتانيا، مرجع سابق، ص432.

² - حمّاه الله ولد السّالم، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، صص16-17.

5- فئة العبيد:

تعود أصول الرقيق في موريتانيا إلى التجارة الصحراوية والأطلسية التي مكنت الموريتانيين من اقتناء الكثير من العبيد عن طريق الأسرى وشرائهم من الأسواق المجاورة في مالي والسنغال، وذلك تحت تأثير الحاجة الماسة للإنتاج الرعوي الذي يتطلب رصيذا هائلا من هذه المجموعة، وكان هؤلاء العبيد يعتبرون ملكا خاصا لأسيادهم يتصرفون فيهم تماما كما يتصرفون في بقية ممتلكاتهم....¹.

II - المجموعة الزنجية:

تتميز هذه المجموعة بالاستقرار على العكس من المجموعة العربية، وتمتحن المجموعة الزنجية النشاط الفلاحي، وتوزع على ثلاثة إثنيات على الرغم من التشابه الملحوظ في بناها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وهي:

أ - فئة الهالبولار:

تعتبر هذه الفئة الأهم من بين الإثنيات المكونة للمجموعة الزنجية الموريتانية لا من حيث التاريخ فقط ولكن كذلك نتيجة للنسبة التي يمثلونها من هذه المجموعة 70%²، وتتركز هذه الفئة في منطقة فوتاتورو إلى جانب نهر السنغال في جزؤه الأوسط، وفي بعض المناطق الأخرى حيث يعيشون مع البيضان في منطقة الترارزة، وتحترف هذه الفئة الزراعة وصيد الأسماك، وتنقسم هذه الفئة إلى أربع طبقات اجتماعية رئيسية لكل منها الحق بالاحتفاظ بعبدها الخاصين بها.

1- الطبقة الأولى:

توردو مفردها(تورودو): تختص هذه الطبقة بتعاليم الإسلام والتوجيه والدعوة إليه وهي طبقة لها وضعها الأرستقراطي القيادي.

2- الطبقة الثانية:

هي الطبقة الوسطى وتدعى رمب ومفردها (ديمو) وتلي الطبقة السابقة في الترتيب الاجتماعي، وتنقسم بدورها إلى ثلاثة أقسام داخلية هي: سوبالب

¹ محمد ولد أشريف أحمد، الإدارة الاستعمارية في موريتانيا (1902-1960م)، مرجع سابق، ص20.

² محمد المختار ولد بيه، المسألة القومية في موريتانيا، الجذور والآفاق، شهادة الكفاءة في البحث، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مرقون، تونس 1988م، ص36.

ويحترفون صيد السمك "السبل" هم المزارعون والمحاربون (نتيجة لأهمية الزراعة في المنطقة فهم يجمعون بين التخصصين: الجانب العسكري والزراعي) وأخيرا إدياوامب وهم الموظفون والإداريين والتجار والوسطاء.

3- الطبقة الثالثة:

هي الطبقة الوسطى الدنيا وتعرف ب (إميب)¹ باللهجة السرقلاوية الإفريقية أو الحرفيين المهرة من الرجال والنساء، ومن هذه الطبقة (وليب) ومفردها (بيلوا): وهم الحدادون وصناع المجوهرات، ولوب ومفردها (لابو) وهم النجارون وصناع القوارب وكل من يعمل في صناعة الخشب بشكل عام. (مانيب) ومفردها (مانوبو) وهم النساجون، والساكوب ومفردها (سالك) وهم العاملون في صناعة الجلود والأحذية، وألوب ومفردها (كايو) وهم جماعة المغنيين والرواة.

4 – الطبقة الرابعة:

هي الأخيرة من الهالبولار وهي الطبقة الدنيا أو طبقة الخدم والعمال اليدويين غير المهرة: وتضم هذه الطبقة كالومكوب ومفردها (كالومك) وهم العبيد المحررون الذين يتركون خدمة سيدهم الأول ويفضلون البقاء في خدمته كخدم، كما تضم هذه الطبقة العبيد (ماتيمبد) ومفردها (ماتودو)، ويعيش الهالبولار في قرى تضم كل قرية عددا من التجمعات تنتمي في الغالب إلى خط أبوي واحد.

ب – فئة السار كولي (sarkolé):

تتركز هذه الفئة في منطقة كيدماغا في أقصى الجنوب الموريتاني بمحاذاة النهر السنغال، كما يوجد القليل منهم في منطقة لعصابة ولا يختلف التنظيم

¹ - تطلق هذه التسمية على الأقلية الزنجية في موريتانيا المحاذية لنهر السنغال وهذه اللغة المستعملة (اللغة الإفريقية).

الاجتماعي لهذه الفئة كثيرا عما هو موجود لدى فئة الهالبولار، وإن كان يتميز عنه بأنه أكثر تعقيدا فلا يجوز لأحد أفراد الطبقات أن يتزوج إلا من طبقته وإلا تعرض لأشد أنواع العقاب¹.

ج - الفئة الولفية:

من ضمن الأقوال في تفسير معنى كلمة ولف أنها تعني القادمين من ضفة النهر، إن مفهوم اللف كان يطلق في البداية على النخبة القيادية، القادمة من والو مع انجبان انجاي الذي يقال أنه من ولد أبوبكر بن عمر الأمير المرابطي، تلك التي رسمت بسلوكها العام معالم هوية المجتمع ثقافة وقيما، فتوسع المفهوم ليشمل كل المنتسبين إلى تلك الهوية، وصار المجتمع الأصيل في جلف- بمختلف أعراقه وأصوله- يدعى بالولف²، وهي أقلية محدودة الأثر، كما أنها لا تختلف كثيرا في تنظيمها الاجتماعي عن الفئات السابقة.

الثقافة العربية الإسلامية في موريتانيا (شنقيط).

تلقت بلاد شنقيط تعاليم الدين الإسلامي وما واكبها من علوم اللغة العربية عن طريق الفاتحين الأولون عقبة وأبناؤه³، وتتالت بعد عقبة الحملات، كحملة موسى بن نصير سنة 86هـ/705م⁴، وحبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري سنة 116هـ/735م⁵، ولعل من أهمها حملة عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة ابن نافع الفهري، وقد سعى هذا القائد، في نطاق محاولته الانفراد بحكم المغرب الإسلامي أواخر عهد بني أمية، إلى ربط المغرب بالسودان عن طريق حفر الآبار على طول الطريق العابر للصحراء⁶، وبعد حملات الفاتحين الأوائل، كان التجار العرب لهم دور كبير في انتشار الاسلام في المنطقة، تقبل الشناقطة المعارف الاسلامية الجديدة قبولا حسنا

¹ - محمد المختار ولد بيه، المسألة القومية في موريتانيا، الجذور والآفاق، مرجع سابق، ص37.

² - المختار ولد كأكيه، مجمل تاريخ الموريتانيين، ط2010م، ص127.

³ - الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة و الرباط، مرجع سابق، ص283.

⁴ - ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار إفريقية والأندلس والمغرب، طبعة ليفي بروفنسال، 1980م، ص42.

⁵ - ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، طبعة ليدن، 1920م، ص217.

⁶ - عبيد الله البكري، الممالك والممالك، مصدر سابق، ص846 وما بعدها.

وقاموا ببلورتها والتوسع فيها، ثم عملوا في فترة لاحقة على بثها وتدريسها في منطقة إفريقيا السوداء جنوبا ومنطقتي المغرب والمشرق العربيين.

ترسيخ الإسلام:

سهلت الآبار التي حفرها حبيب ابن أبي عبيدة ابن عقبة ابن نافع وهو في طريقه لفتح بلاد شنقيط عبور القوافل التجارية بين الشمال الإفريقي ومناطق الساحل السودانية ويقع بعض هذه الآبار في المناطق الشمالية لبلاد شنقيط¹، وعلى العموم انتظمت حلقات الوصل بين الشمال والجنوب، وحفرت الآبار التي امتدت على مراحل الطريق بين سجلماسة والسودان وأصبحت السبل عبر الصحراء معبدة تسلكها القوافل بانتظام² فوصل عن طريق هذه القوافل العديد من التجار والدعاة العرب إلى مدن صنهاجة حيث حطوا الرحال واقبلوا على الدعوة والتدريس، وفي سنة 1033م عاد الأمير الصنهاجي يحيى ابن إبراهيم الكدالي من حجته والذي شكل البوتقة التي تكونت فيها حركة المرابطين منها وانطلقت منها الحروب الجهادية صوب الممالك السودانية في الجنوب وباتجاه المغرب في الشمال³،

وبعد حملاته الجهادية في المغرب الأقصى عاد الأمير ابوبكر بن عمر اللمتوني إلى بلاد شنقيط بعد مقتل عبد الله بن ياسين سنة 1059 وقد اصطحب معه لفيفا من العلماء والفقهاء ... وقد اضطلع هؤلاء العلماء بمهام القضاء والتدريس والإفتاء والإرشاد فشكلوا اللبنة الأولى للحركة العلمية بالبلاد واستمرت هذه الحركة في الاتساع إلى أن بلغت ذروتها⁴.

وقد دامت عملية انسياب المعارف من المغرب والمشرق العربيين نحو بلاد شنقيط من القرن الحادي عشر إلى غاية القرن الخامس عشر... لقد ترسخ الإسلام في موريتانيا وقام دعائها بدور هام بترسيخه، وأصبحت حلقة وصل

¹ - الحسين ولد محنض، تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، مرجع سابق، ص96 وما بعدها.

² - محمد المختار ولد أباه، الشعر والشعراء في موريتانيا، دار الأمان، الرباط، ط2، 2003م، ص12.

³ - المختار ولد حامد، التاريخ السياسي، مرجع سابق، ص43 وما بعدها.

⁴ - المختار ولد حامد، التاريخ السياسي، المرجع السابق، ص48 وما بعدها.

مهمة بين افريقيا السوداء و افريقيا الشمالية العربية الإسلامية، وبعبارة أخرى، فهي تمثل نقطة ارتكاز هامة في قلب الصحراء¹.

المبحث الثاني: ظاهرة السبية والفراغ السياسي في موريتانيا:

ذلك أنه يمكن القول دون بالغ حذر إن هذه البلاد لم تعرف منذ الدولة المرابطية حكماً سياسياً مركزياً، وظل السكان يحتكمون إلى الأعراف العشائرية، حيث لا رادع سوى القوة الذاتية و سطوة العشيرة ووزن القبيلة وثقلها السياسي، وفي ظل هذا الواقع المتأزم، حظيت ظاهرة السبية وقضية الفراغ السياسي بنصيب وافر من البحث والاهتمام في كتابات العلماء الكنتيين، حيث أن مصطلح "السبية" نلقاه عند سيد محمد الكنتي²، فكان يطلق على المجال الصحراوي - على سبيل الإدانة والتهكم - لقب "البلاد السائبة"، داعياً في كتابه "أوثق عرى الاعتصام للأمراء والوزراء والحكام" إلى إنهاء الفوضى وإقامة الدولة: "فصل في وجوب نصب الإمام لما يترتب عليه من أمور المسلمين"³.

والسبية مفهوم سياسي يدل على عدم خضوع البلاد إلى أي سلطان، أو أية دولة مركزية، وكانوا بذلك يعبرون عن هم سياسي ديني كرسه غياب "سلطان يسوس العباد ويقود البلاد، وتقام في ظل حكمه الحدود الشرعية يدفع من ظلم الظلمة وجور الجورة وعدوان العادين و سطوة العادين"⁴.

عمل علماء كنتة على ملئ الفراغ السياسي بالمنطقة وعلى استتباب الأمن وتوفير الحماية للقبائل الضعيفة، فقد كانوا يتولون فض النزاعات، ويحرصون على اطفاء نار العداوة والبغضاء بين المجموعات، فيجبرون المظلومين ويجزرون الظلمة، ... ويجمعون بين الأعداء في حماهم حتى يصيروا إخواناً...⁵، اتجه الإسهام الفكري والتربوي والسياسي للعلماء الكنتيين إلى

¹ - اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 257.

² - أحمد ولد الحسن، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري مساهمة في وصف الاساليب، مرجع سابق، صص 16-17.

³ - الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، أوثق عرى الاعتصام للأمراء والوزراء والحكام، مصدر سابق، ص 72.

⁴ - الشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي، الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، صص 373-374.

⁵ - أحمد شيخي، الطريقة البكائية الكنتية بالصحراء ودورها العلمي والصوفي، مرجع سابق، صص 185-186.

هدف مركزي هو إنهاء الفراغ السياسي، ومما شجعهم على المضي قدما في هذا الاتجاه علامات الترهل والانقسام التي بدأت تظهر على القوى الفوضوية المسيطرة، وفي مواجهة هذه المعضلة اتبعوا استراتيجيات ذكية، تتمثل في مواجهة الممارسات الخاطئة للأمرء المتغلبين بغية الارتقاء بأدائهم السياسي نحو الالتزام بالقيم والضوابط الإسلامية و"أنه لابد أن يتم تنظيم وربط المجتمع رأسيا وأفقيا وتسليك الأتباع في إقامة شبكة تواصل منظمة وبتراتيب إدارية صوفية"¹، أهتمام العلماء الكنتيين بانتهاء حالة الفراغ السياسي عبروا عنها في كثير من رسائلهم الإصلاحية، من ذلك مجموعة رسائل مستقلة للشيخ سيد المختار الكنتي الكبير خصصها لإسداء النصائح للحكام والشيوخ ... ومع ذلك كان لايفد على أشياخ الأعراب، ورؤساء العجم إلا بعد مايلقي إليه أحدهم بقاء الطاعة، ويدعن له إذعان البازل في الخدمة جهد الاستطاعة، وقد تآتى للعلماء الكُنتيين أن تكون لهم السيادة على مناطق شاسعة من الصحراء بفضل علو قدمهم في العلم ورسوخهم فيه².

لقد كان إنهاء الفراغ السياسي وإقامة الدولة هدف استراتيجي للعلماء الكنتيين خلال القرنين 18-19م، ولكن سنتباين الرؤى والأستراتيجيات تجاه الأوضاع السياسية في المجتمعات الموريتانية البدوية بخلاف المجتمعات السودان الغربي ذات الطابع المديني والأقتصاد الزراعي، ففي الأولى تم التركيز على مقاربة إصلاحية شاملة بعيدة المدى، وفي الثانية تم اللجوء إلى المقاربة الثورية-الجهادية كخيار وحيد حاسم.

من خلال خلفيتهم الإصلاحية كان علماء كنتة يؤرقهم حالة "السبية" والفراغ السياسي والفوضى في الامة والذي يعتبرونه أساس الفتن ومصدرا رئيسيا لأغلب المشاكل والتحديات، حيث أدى "تدمير الدولة(سنغاي) إلى حدوث فراغ ... مما دفع الشيخ الكنتي إلى تفضيل وجود دولة حتى لو كانت ظالمة على

¹ - حسن مكي، "رواد الفكر والتجديد في السودان وإفريقيا جنوب الصحراء في المئتي سنة الأخيرة"، مجلة دراسات إفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، العدد 41 - 2005م، ص5.

² - أحمد شيخي، الطريقة البكائية الكنتية بالصحراء ودورها العلمي والصوفي، مرجع سابق، ص185 وما بعدها.

غرار الدولة المغاربية على الفوضى، لأنه على الأقل يوجد عند المغاربة فكر الملكية وحفظ الأمن وإقامة المؤسسات على الشريعة الإسلامية...¹.

حاول علماء كنتة محاربة الفراغ السياسي من خلال تحقيق التوازن الاجتماعي والاستقرار الاقتصادي بالمنطقة بما يحقق سبل العيش الكريم، وقد مكنتهم من ذلك مرتبتهم العلمية والدينية، مما ذاع به صيتهم عند قبائل البيضان والسودان، علاوة على الظروف الطبيعية التي اهلتهم لذلك ومنها:

- إقامة المحطات الأمنية والزوايا لحماية المستضعفين والمغلوبين وإجارتهم من جور الظلمة.

- إسعاف الفقراء والمحتاجين.

- إشراف قبيلتهم على عدة سباخ (سبخة تاودني- سبخة الجل) لإنجاز مجموعة من المشاريع الإصلاحية في المنطقة مع (غرس واحات النخيل – وحفر الآبار على طول طرق التجارية²).

وتمدُّنا الوثائق التاريخية في الفترة المدروسة بنماذج عدّة من وساطات العلماء الكنتيين بين المتخاصمين وحلّ النزاعات، وسعيهم الدؤوب في الحض على إقامة العدل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفض الخلافات، وإطفاء الفتن والعداوات، وبث السكينة والطمأنينة في الإمارات القبلية³.

كان علماء كنتة شبه حكام دينيين احتياطيّين يتدخلون لفك الأزمات وحل الأمور الشائكة في موريتانيا والسودان الغربي، وكان لهم مزية أخرى يمتازون بها هي وقارهم الديني الجذّاب، وباعتبارهم شيوخ طرق صوفية، عرفوا كيف يعبرّون عن مظالم الناس، وفوق كلّ شيء، كان لهم ولاء مطلق للجماعة، وكان الدعاة الإصلاح من العلماء الكنتيين يتفوّقون بمزايا حميدة، إذ كانوا شديدي الإيمان بقدسية رسالتهم.

¹-حسن مكي، "رواد الفكر والتجديد في السودان وإفريقيا جنوب الصحراء في المئتي سنة الأخيرة"، مرجع سابق، ص5.

²- أحمد شيخي، الطريقة البكاية الكنتية بالصحراء ودورها العلمي والصوفي، مرجع سابق، ص184.

³- أحمد البكاي الكنتي، رسالة إلى أمير آدرار أحمد ولد عيدة المعروفة (بالعيدية)، مخطوط، نسخة شخصية بحوزتنا.

علماء كنتة ودورهم في الترابط التاريخي بين المكونين الموريتاني والسوداني:

لقد نجح علماء كنتة في خلق وتمتين الترابط التاريخي بين المكونين الموريتاني (البيضاني¹) والسوداني، إذ تعتبر الطريقة القادرية الكنتية إحدى أهم الطرق الصوفية التي رسّخت وجذرت الفضاء الروحي بالمجالين البيضاني والسوداني على حد سواء، إذ هي بيضانية المنشأ، سودانية الامتداد، التي كان لها دور مهم في تأطير الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية في المنطقة، ومما لاشك فيه فان الجاذبية التي اتسمت بها أورادها بطولها وحلقات ذكرها وأناشيدها قد صادفت هوىً كبيراً ومتجذراً في نفوس سكان هذه المناطق ... فضلاً عن التقوى والقوة الحسنة التي تمثلت في مشايخها الذين تعاقبوا على زعامتها².

لقد تحكم علماء كنتة ببراعة في النزاعات على مستوى المجموعات السودانية ومختلف مجموعات الطوارق وقبائل البيضان في تكانت والحوض وفي أزواد

¹ - البيضاني : هذا المصطلح "بيضان" ابتعث له الفرنسيون معادلاً les maures (ولا يخفى أنه كان يعني سكان كل شمال إفريقيا) ومنه اشتقوا اسم موريتانيا mauritanie الذي بعثوه من مرقده الروماني ليطلقوه على أكبر جزء من بلاد شنقيط حولوه إلى مستعمرة فدولة مستقلة، يعرف العرب الشناقطة في اللهجة الحسانية "بالبيضان أو البيضان " وبهذا الاسم عنون محمد يوسف مقلد كتابه " موريتانيا أو العرب البيضان في إفريقيا السوداء"، وقد استخدم بابا بن الشيخ سيديا مصطلح " تراب البيضان" دالا على بلاد شنقيط، كما أطلق الرحالة العرب هذه التسمية في إطار الحديث عن مشاهداتهم في المنطقة التي تشغلها موريتانيا اليوم. استعملت المصادر العربية القوطسية مصطلح "البيضان" للدلالة على مجموع القبائل الصحراوية المنتشرة فيما بين المحيط الأطلسي إلى حواف بحيرة التشاد، والتوظيف هنا يعتمد تمييزهم عن السودان المجاورين لهم من جهة الجنوب، بيد أن الاصطلاح منذ مطلع القرن 18م عرف تطوراً في شحنته الدلالية، فأصبح دالا على بعد ثقافي أكثر منه عرقي، وقد اتخذ مفهوم "البيضان" بعداً ثقافياً أكثر مما ارتبط بالعرق أو بلون البشرة؛ فالبيضاني هو ذلك الشخص الذي يتكلم اللهجة الحسانية، ويرتدي زيّاً مميزاً وله هوية ثقافية تميزه من الساكنة المجاورة، ويمتد المجال الثقافي البيضاني من واد نون شمالاً إلى نهر السنغال جنوباً، ومن المحيط الأطلسي غرباً إلى مالي شرقاً، وأطلق البيضان على جيرانهم الشرقيين تسميات كالأعاجم بالنسبة إلى الطوارق في الحدود الشرقية، ولكور (السنغال ومالي)، والشلوح بالنسبة إلى جيران الشمال للتمييز منهم ثقافياً، ومنذ القرن السابع عشر درج الفرنسيون على استخدام مصطلح " بلاد البيضان " (Le Pays Maure) في وثائقهم المتعلقة بالمنطقة، حيث ظهر الاسم في الاتفاقيات مع الإمارات الموريتانية - للاطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى : محمد يوسف مقلد، موريتانيا الحديثة أو العرب البيض في إفريقيا السوداء، مرجع سابق، ص19 وما بعدها، باب بن الشيخ سيديا، إمارتا إدوعيش ومشطوف، مصدر سابق، صص75-76، ابن بطوطة، محمد اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج2، مصدر سابق، صص693-694.

² - عمر عبد الماجد، التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص168.

وقد أظهروا قدرتهم على التحكيم وفض النزاعات الناجمة عن الصراعات الطائفية أوتلك التي تحصل بين القبائل¹.

لقد اضطلع علماء كنتة بمكانة مميزة على المستوى الاجتماعي والديني والعلمي، جعلت منهم الحكم في معظم الخلافات التي كانت تشب في صفوف الرحل أو بين هؤلاء والمستقرين².

لقد راكم علماء كنتة قدرا مهما من التبجيل والتقدير في الوسطين البيضاني والسوداني وهو ما أهلهم للعب دور الوساطة وسهل عليهم حل العضلات المستعصية، وكان الرّهان المرفوع لدى المصلحين من العلماء الكنتيين هو تحدي العصبيّة القبليّة، إذ أن الرباط الديني يرفع من مستويات الولاء حول الدولة، وإلى تحويل الاهتمام من الرابطة القبليّة إلى الألفة الدينيّة³، مما حقق قدرا مهما جدا من الوحدة والتكتل حول الرموز السياسية والدينية، مما أفرز مع الوقت مجتمع منسجم تنتفي فيه الفواصل العرقية واللغوية .

ومن الاهتمام على الترابط بين المكونين السوداني والبيضاني وضرورة المعاملة الحسنة بالجار وتوقيره يقول الشيخ سيد المختار الصغير في بعض رسائله إلى الأمراء الماسنيين: "واعلموا أن حفظ الجار وحماية الذمار أمر واجب على الكرام دون اللئام ..."⁴.

ومن أمثلة الدّور الإصلاحي للعلماء الكنتيين بين مجتمعات البيضان والسودان: "وإياكم ومحاربة الفلان فإنهم تلامذتنا وحزبنا يقاتلون أعداء الله في الله، ويسالمون من بان بدين الله واتبع سنة رسوله، وإياكم وإياهم فلكم في الكفار من بمباريه وأشياهم غنى عنهم، ومنجى لغزوهم"⁵.

¹ - بيير بونت، روايات أصول المجتمعات البيطانية، مساهمة في دراسة ماضي غرب الصحراء، ترجمة وتحقيق الدكتور محمد بن بوعلييه بن الغراب، دار جسر للنشر، 2015م، نواكشوط، ص476.

² - الحسين العمري، "الزوايا كقناة للتواصل التجاري والثقافي والروحي بين المغرب وبلاد السودان خلال العصر الحديث وبداية المعاصر"، مجلة المناهل، عدد 80 - 81، فبراير 2007، ج1، ص286.

³ - سعيد سامي، العلماء ومجتمع السودان الغربي خلال العصر الإسكي، الدار البيضاء، المغرب، ص280.

⁴ - الشيخ سيد المختار الصغير، رسالة في الحظ على كظم الغيظ وتوقيف الفتن، مصدر سابق، ص10.

⁵ - الشيخ سيد محمد الخليفة، رسالة إلى هنون ولد بيده، ضمن مجموع الرسائل إلى قبائل الحوض، مخطوط، مركز الشيخ سيد المختار الكنتي للوثائق في كاو، أزواد، مالي، من دون تصنيف أوترقيم .

لقد قام علماء قبيلة كنتة بدور الوسيط بين المتنازعين وضمان الأمن بين المجموعات المستوطنة والمترحلة، ولعبوا دوراً مهماً جداً على المستوى الإصلاحي والديني وكان ذلك منذ اللحظات الأولى لتواجدهم بالصحراء، إذ يرى عزيز بطران أن هذا الدور كان منذ الأيام الأولى لمؤسس القبيلة سيدي محمد الكنتي، الذي ألّزم الحياد في وقت كان الصراع على أشده بين حسان (المقل) وصنهاجة، إذ حاول القيام بدور ديني وسياسي في المجتمع عن طريق احتواء كل من العرب والبربر¹.

ونتيجة لتربيتهم العلمية والروحية العالية وأهتمامهم الواسع بالفضاء الموريتاني الصحراوي والسوداني فقد قبل الجميع من الطوارق والبنبارا والبرابيش وغيرهم بوساطتهم مع النظم القائمة، وهو الذي هيا الاستقرار لتلك المنطقة في معظم الفترات².

فقد دأب العلماء الكنتيين إلى تنظيم العلاقة بين المجتمعات البيضانية الموريتانية والسودانية، فالشيخ سيد المختار الكبير كان المفتاح إلى الصلح والمستشار الحكيم في النزاعات التي قامت بين جماعتي أرمة والطوارق من جهة، ثم بين هؤلاء وبين جماعة المور (البيضان) من جهة أخرى...، وبفضل بركته وشجاعته، ساد الأمن وسكنت النزاعات وزادت الخيرات والثقة والتنقل والتبادل... وصار الكل يطلب حمايته³.

كما نجد الشيخ سيد المختار الكنتي الصغير يشفع لأمير ماسينا في تجار البيضان الموريتانيين "وأشفع لك سيدي في هؤلاء البيضان أن يوضع عنهم ما اقتطع عليهم من هذه الستة الآلاف تخفيفاً عنهم وعطفاً على ضعف قلوبهم، وصفحاً عن زلاتهم وعيوبهم، وتأنيساً لوحشتهم وغربتهم، فمثلك من أحسن

¹ - عزيز بطران، الطريقة القادرية في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 16.

² - عزيز بطران، الشيخ المختار الكنتي الكبير وأثره في نشر الإسلام، مرجع سابق، ص 314 وما بعدها.

³ - مجموعة من المؤلفين، الحضارة الإسلامية في مالي، تقديم ألفا عمر كوناري، ترجمة محمد وقيدي، الرباط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، مطبعة الهلال العربية، ط1، 1996م، ص 235.

فأضعف وخفف عن ضعف وعفا عن أسرف وتعطف واستعطف فالرسول ﷺ يقول (نحن نصبر على أذى الفقراء)¹.

وعلى العموم فقد كان لدور علماء كنتة السياسي والإصلاحي نتائج جد مهمة فقد استطاعوا أن يجمعوا بين ثقافات متعددة، وأعراق مختلفة، وحضارات متباينة، وفي السودان الغربي وموريتانيا كان نجاحهم واضحا، فقد وحدوا بين السودانيين بجميع قبائلهم، والبيضان الموريتانيين بشتى مشاربهم، على مبدأ أسمى وأرقى وهو "المسلم أخ المسلم".

المبحث الثالث: الجهود الإصلاحية والسياسية في موريتانيا

بذل علماء كنتة جهودا سياسية وإصلاحية كبيرة في الصراعات بين الإمارات الموريتانية، كدخلهم بين إمارة أولاد أمبارك وإمارة إدوعيش، وبين هؤلاء وتلك القبائل بأجمعها، وكذلك تدخلوا بين قبائل الحوض وقبائل "الساحل" الشمالية: أولاد دليم وغيرهم، وقد مكنهم موقعهم الممتاز من مباشرة التوسط في النزاعات القبلية الكبرى ².

كان علماء كنتة من خلال خلفيتهم الدينية التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر يهتمون ويتابعون الوضع العام للإمارات والقبائل الموريتانية وذلك قصد المحافظة على الاستقرار وبسط الأمن وتهيئة الصلح بين التنازعين، وترسيخ السلم الأهلي والدفاع عن الضعفاء وإشاعة روح العمل الجماعي³.

فهؤلاء العلماء بكتاباتهم ومواقفهم وسلوكاتهم وممارستهم، قد طبعوا الحياة الروحية والعملية لسكان هذه المناطق عبر العصور، بأخلاقهم السامية وكتاباتهم البليغة وإشرافاتهم الإلهية وكراماتهم الثابتة، التي عمادها السنة منهجا والتربية سلوكا والعبودية غاية.

¹ - الشيخ إهماده الميمون وآخرون، التراث الكنتي الإشعاع الروحي والامتداد البشري. مساهمة الكنتيين في استنباط الأمن في مناطقهم من خلال دراسة لأدب الرسائل، تنسيق وتقديم سعيد كويس، ط1، مطبعة شمس برنت، المغرب، 2020م، ص126.

² - حماد الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا قبل الأحتلال الفرنسي، مرجع سابق، صص251-252.

³ - الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، فتح الودود شرح القصور والممدود، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه مأمون محمد أحمد، الناشر محمد طن إيجي، سوكتو، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2002م، ص13.

وقد اتسم سلوك قبيلة كنتة بأسلوب الحكمة في النزاعات وبتر الخصومات... وكان علماء كنتة يعرفون بالتعقل والحكمة وعدم الإفراط وتأنيب المخالف والمرتكب للمخالفات حتى لا يبتعد عن السلوك الاجتماعي ويرتكب المزيد من المخالفات، وكانوا يعتبرون العصبية القبلية نوعاً من الحمية الجاهلية التي ظلت منتشرة في الوسط الصحراوي وأورثت العداء والبغضاء، ... وتميز سلوكهم بإظهار الصبر ...¹.

"فقد كانت مهمة العلماء الكنتيين تتلخص في نشر روح التسامح والتعاطف، على عكس الروح الجهادية التي تبناها آخرون، لقد انتهج علماء كنتة، هذه الفلسفة التسامحية، حيث يعتقدون أن المعاملة الحسنة والكلمة الطيبة، والمداواة هي ما يجب تبنيه لإقناع الناس بالطريقة على عكس التشنج والعنف الذي يطبع بعض التصرفات"².

وظف علماء كنتة خبراتهم الفكرية والسياسية دون أدنى مشكلة، بالنصح والموعظة، لقد كان الفكر الإصلاحي السياسي الكنتي مرآة صادقة لسياقه التاريخي بتفاعلاته وتأثيراته المختلفة، وإذا كان من شيء يستحق الاحتراف به فهو نجاحه في حل المعضلات الكثيرة، حيث امتاز رجاله بالوجاهة التي يعطيها لهم عادة كونهم علماء ورجال حكمة وفقه³، وكان الفكر الإصلاحي الكنتي مواكباً للواقع والتاريخ وغير مفارق له، وأثبت قدرته العالية على الاندماج في عصره والتريث في الأمور والمصالحة.

لقد اشتهر شيوخ كنتة برسائلهن العديدة التي تناولت عدة مواضيع سواء اجتماعية أو قضايا سياسية، إلا أن هذه الرسائل لاتحمل أغلبها تاريخ كتابتها، وجاءت متفاوتة من حيث حجمها⁴.

وقد كانت سياسة المراسلات للسلطات السياسية قصد الإصلاح والنصح والتوسط بين المتنازعين وتوظيفهم للقيم الروحية، والنصوص الدينية؛ من أجل حمل المتنازعين على السلام والمصالحة، ديدنا دأب عليه علماء كنتة تلخص

¹ - محمد الصالح حوتية، آل كنتة دراسة تاريخية، مرجع سابق، صص 160-161.

² - عزيز بطران، الطريقة القادرية في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 114.

³ - عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص 98.

⁴ - محمد الصالح حوتية، آل كنتة دراسة تاريخية، مرجع سابق، ص 224.

في مضمونها إنشغالاتهم وبما يدور حولهم من أحداث، يتفاعلون معها ويساهمون فيها، ويبدلون قصارى جهدهم كي لا يكونون في منأى عنها، في تصور دائم لضرورة الحضور في مجريات الأحداث في ظل غياب تام لسلطة سياسية قاهرة يمكن أن تللم المجتمع البيضاني الموريتاني تحت لواء واحد، وتتعدد وجهات هاته الرسائل ومصادرها، وما هو متوفر بين أيدينا منها موجه لقيادة سياسيين "كزعماء الإمارات والقبائل المحلية" في موريتانيا، وزعماء التوارك" أو إلى ملوك وأمراء السودان الغربي "أحمدو بن أحمدو الأول" مؤسس مملكة ماسنا وخلفاؤه من بعده أحمد الثاني وأحمدو الثالث ملوك دولة ماسينا"، و"عثمان دان فودي أمير الهوصا وخليفته وإبنه محمد بلّو"، و"الحاج عمر الفتوي"، كما أن هناك رسائل موجهة لعلماء وفقهاء المنطقة، وتشكل كل رسالة بمفردها إبداعا نثريا قل نظيره وهي لاغنى لأي باحث لرجوع إليها والاستفادة منها فيما يخص الأدوار الاصلاحية والسياسية التي تحملها في ثناياها ، وقد وصل أدب الرسائل مع علماء كنتة شأواً بعيداً إذ أصبح مستقلاً بفسنه، فالرسالة وسيلة للاتصال والمخاطبة والتفاوض والشفاعة بين الفئات المتناحرة كما أصبحت وسيلة العلماء لتوجيه النصح وتبادل النوازل ولغيرها من المهمات، وقد وصل النثر في المدرسة الكنتية أعلى مراتب رقي الكتابة، ويمكن القول أن المراسلات كان لها دور جد كبير في وضع الصورة السوسيو سياسية للمنطقة لأنها تلقي الضوء على مجموعة من الأحداث المهمة التي تركز على الجانب الوعظي الإرشادي لحكام وأمراء المنطقة.

لقد كان لعلماء كنتة وزاواياهم صمام أمان حقيقي لمجتمع تطغى عليه ثقافة البداوة العربية الضاربة في تقاليد السببية.

1- الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير ودوره الاصلاحى والسياسى في موريتانيا:

يعتبر هذا الشيخ شخصية فذة في تاريخ المنطقة، ولا يمكن - في هذه العجالة - أن نحيط بجوانب تأثيره السياسى والاجتماعى وإشعاعه الثقافى، وقد نشأ في ظرف مكاني وزماني ومحيط اجتماعي لهما خصوصيتهما، وأنضافت إليهما

مؤهلات ذاتية مكنته من تجاوز كل العراقيل ليتبوأ مكانة دينية واجتماعية قل من نازعه فيها¹.

ولاجدال في أن الشيخ سيد المختار الكنتي هو علم البلاد الصحراوية والسودانية في العلم والورع خلال العهد الحديث، وقد أهله لذلك مكانة علمية قل من نازعه فيها، وإشعاع ديني واسع وصلات فكرية وسياسية مع مشاهير العصر من علماء ومصلحين وسلاطين من مختلف جهات الإسلام... خاصة الدولة العثمانية ووالي مصر محمد علي²، إنه بحق علم بارز من أعلام بلاد شنقيط، وهو الشيخ المشهور والمصلح الاجتماعي ترجم له ابنه الشيخ سيدي محمد الخليفة في كتابه الطرائف والتلائد بلغ مدى تأثيره جميع بلاد شنقيط والسودان الغربي³.

وتكاد تجمع المصادر التاريخية المكتوبة والشفهية أن الشيخ سيد المختار الكنتي (ت 1226هـ / 1811م) كان أبرز علماء ومشائخ المغرب والسودان الغربي والصحراء، لقد اشتهر بالورع والعلم وموسوعية الثقافة والنظرة السياسية المحنكة والعلاقات الواسعة مع مختلف جهات منطقة المغرب العربي وإفريقيا وكان فعلا كما يقال عنه رجلا من الطراز الأول وفاتحا إسلاميا حقيقيا⁴.

كانت ولادته في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، نشأ في بيئة علمية وصوفية، في أسرة اكتسبت أهميتها ومكانتها الدينية والاجتماعية داخل قبائل كنتة وخارجها، بفضل ما قام به أفراد العائلة من إسهامات فكرية وروحية، وما اضطلعوا به من مسؤوليات لنشر العلم وإشاعة التعاليم الإسلامية⁵.

¹ - ددود ولد عبدالله، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط، مرجع سابق، ص 162.

² - حماد الله ولد السالم، الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى، مرجع سابق، صص 56-57.

³ - المختار ولد حامد، حوادث السنين، تقديم وتحقيق، سيد أحمد ولد أحمد السالم، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2009م، صص 157-158.

⁴ - بول مارتني، كنتة الشرفيون، مرجع سابق، ص 39 وما بعدها.

⁵ - أحمد بوكاري، الإحياء والتجديد الصوفي بالمغرب، المملكة المغربية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط 1، 2006م، ص 120.

وهو من الشوامخ الاعلام الواصلين وصدور أعيان الاولياء المحققين، كان الشيخ المذكور من أفراد عصره علما وصلاحا، ولم نرى أحدا يطعن في ولايته، ويكفي أن الشيخ سيديا حسنة من حسناته، روي أنه قال جئته وقد انتهيت من تحصيل العلوم فردني مبتدئا ومن نظر في كتبه تبين له فضله، سواء كانت في الحقائق أو غيرها¹.

وقد تبوأ الشيخ سيدي المختار المكانة العليا في العلوم الشرعية حتى اعتبر من المجددين، يقول الشيخ محمد المامي في "رد الطرد": "أفعدك أن الشيخ المختار الكنتي وابنه الخليفة وأحمد بن العاقل والأمير الصنعاني ما بلغوا درجة الاجتهاد وإن نفوه عن أنفسهم"، وقال في الدلفينية: وقطبها شيخنا الوافي ذاك عزا == لعدة مالكيات أماكن².

كان هو المؤسس الأول للتصوف الطرقي المحتضن من قبل تشكيلات اجتماعية مكيئة في غرب الصحراء والسودان، بعد أن كان التصوف السائد من قبل تصوفا نظريا مداره النصوص الزهدية كحكم ابن عطاء الله، وقوت القلوب لأبي طالب المكي وغيرها من التصانيف، كما كان الكنتي المؤسس الفعلي للقادرية والمدشن الرئيس لعهد تدوينها الثاني منذ نشأتها على يد طبقة الجيلاني ومن تلوها³.

وقد فتحت له بلاد السودان صدرها وخلعت عليه الألقاب، وأشتهر بذكائه وأتساع مداركه واتصافه في البحث والمناظرة ورجوعه إلى الحق، ... وصارت تعاليمه التي حملها كل من وفد إليه من أبرز العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام في افريقيا الغربية والوسطى، وقد استقطبت الزاوية الكنتية في عهده أبناء مختلف المناطق الموريتانية والمغربية والسودانية...⁴، لقد للعب العلماء الذين تخرجوا على الكنتيين أدوارا مهمة وحملوا على أكتافهم هم العام في مختلف المناطق، وكانوا دائما في قمة الهرم الديني

¹ - أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مصدر سابق، ص356.

² - الشيخ محمد المامي، الدلفينية، مخطوط، المعهد الموريتاني للبحث والتكوين في مجال التراث والثقافة، رقم 0000/1379، نواكشوط، موريتانيا.

³ - حماد الله ولد السالم، الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص52.

⁴ - مجموعة من المؤلفين، الحضارة الإسلامية في مالي، مرجع سابق، ص235.

والسياسي¹، وقد حمل خريجوا زاوية الكنتي تعاليمه والبعض من مؤلفاته إلى مواطنهم، وكانوا من مختلف القبائل والأقاليم²، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

- 1- أولاده الثمانية وكانوا علماء أفذاذ.
 - 2- ألفا نوح طاهر الفلاني.
 - 3- أحمد لبو الماسني.
 - 4- الشيخ العافية.
 - 5- الشيخ السيد الكبير التازاري في غينيا.
 - 6- ألفا إبراهيم في فوتا جلولون.
 - 7- الشيخ القاضي الإيجيبي.
 - 8- الشيخ سيديا بن المختار الهية.
 - 9- الشيخ المصطفى ولد الحاج
 - 10- الشيخ سيدي أحمد ولد أعويسي
 - 11- الشيخ سيدي محمد ولد امني
 - 12- الشيخ بابا الحي ولد محمود
 - 13- الشيخ المختار السباعي
 - 14- الشيخ أبات ولد الطالب عبد الله
 - 16- الشيخ المصطفى ولد العربي
 - 17- الكوري ولد المختار السالم التركي.
 - 18- ويقي ولد سيدي الأمين البوسيفي.
 - 19- الشيخ محمد الأمين ولد عبد الوهاب.
 - 20- سيدي المختار بن أحمد بن محمد الغلاوي التواتي.
 - 21- والمختار باباه بن محمذن بن بوحبيني التندغي... الخ.
- هذا بالإضافة إلى الكثير من الأمراء والولاة والأعيان وأهل الفضل والعلم، فكان له الأثر الكبير في تنشئة أجيال من المثقفين ثقافة عالية، وصارت تعاليمه

¹ يحيى ولد البراء، الفقه والمجتمع والسلطة، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط، 1994م، ص127.

² حماد الله ولد السالم، الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص59.

التي حملها تلاميذه من أبرز العلامات التي ساعدت على أنتشار الإسلام بين الشعوب الزنجية في السودان الغربي والأوسط¹.

لقد كان الشيخ سيد المختار الكنتي شخصية قيادية، وكان تلاميذه مبلغين أوصلوا رسالته إلى العديد من مناطق غرب إفريقيا، كما أنه جعل من كنتة شيوخا ودعاة للإسلام في قبائل الساحل والصحراء، وهو ما يعود إلى شخصيته الكارزمية وفاعلية حركة تلاميذه².

وترجم له النبهاني معددا بعض كراماته فقال: "الشيخ المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي القادري من ذرية عقبة بن نافع الفهري فاتح بلاد المغرب، والكنتي نسبة إلى كنت اسم أرض في أقصى بلاد الصحراء من المغرب ولد سنة ١١٤٢، ووفاته سنة ١٢٢٦، وهو من أشهر أولياء المغرب وأعظمهم قدرا وأجلهم معرفة...³.

وقال عنه محمد مخلوف: "كان من أعلام العلماء، والأئمة الفضلاء، وأحد الأساتذة المشهورين، والجهابذة المعروفين"⁴.

وقد اشتهر رحمه الله في هذه الربوع وغيرها بالبراعة في العلم والصلاح والفضل وكثرة التأليف المفيدة النافعة، والتربية الحسنة، فلقبه الناس بشيخ الشيوخ وتاج الأجلة والبحر الخضم وغير ذلك من الألقاب التي حلوه بها في أشعارهم وكتبهم، كقول الشيخ سيديا:

شيخ المشائخ نبراس النبارس في: ليل الجهالة للمستبصر الساري.

من صار من فقه نحر العلى عطلا: من بعد زهوته بفرد تقصار⁵.

ويعتبر من المكثرين في التصنيف، بل لعله أعظم المصنفين في البلاد الصحراوية قاطبة، وهو ما يرجع إلى غنى مكتبته الخاصة التي حوت من الكتب ما لم يتوفر لغيره من مؤلفي بلده، ولغته الفصحى الصافية... وتبرز

¹ - عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، أضواء على الطريقة الصوفية في القارة الإفريقية، مرجع سابق، ص38.

² - يحي ولد البراء، "حياة الشيخ سيد المختار الكنتي، علماء تنبكتوا"، الجزء 3، المحررون، شاميل جمبي وسليمان ديانغ، مجلس البحث حول العلوم الإنسانية، جنوب إفريقيا، 2008م، ص201.

³ - الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، جامع كرامات الأولياء، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض، ج2، مركز اهلسنت بركات رضا، الهند، ط1، 2001م، صص 460-461.

⁴ - محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ص377.

⁵ - هارون بن الشيخ سيد باب، كتاب الأخبار، ج1، ط1، الشركة الإفريقية للطباعة والنشر، 1998م، ص77.

مصنفاته سعة معارفه من حيث مواضيع التصنيف أو طرافتها العلمية قياسا بالرائج من المعارف العربية - الإسلامية في ذلك العهد...¹.
وقد ألف بناء على ما ذكره مؤرخوا حياته ثلاثمائة وأربعة عشر كتابا وكتيبا، وأهم هذه المؤلفات مايلي:

- هداية الطلاب: وهو كتاب في الفقه المالكي، وقد كتب عنه أيضا تعليقا تحت عنوان: فتح الوهاب في هداية الطلاب، ويتكون هذا الكتاب من أربعة أجزاء تشكل في مجموعها ثلاثة آلاف وستمئة صفحة من الحجم الكبير.
- نزهة الراوي وبغية الحاوي: وهو كتاب من جزأين ويتطرق لموضوعات متنوعة من توحيد وفقه... الخ.

- الجرعة الصافية والنفحة الكافية: وهو كتاب في التصوف.
- كشف اللبس فيما بين الروح والنفس: وهو كتاب قيم في علم التوحيد والتصوف.

- نضار الذهب في كل فن منتخب: وهو كتاب في جزأين لم يتم المؤلف كتابته، ويتطرق الكاتب لموضوعات في التصوف والأدب والتاريخ والفقه.
- البرد الموشى في تحريم في تحريم الرشا: وهو كتاب في جزأين يتوجه فيه الكاتب بنقد عنيف للقضاة المرتشين.

- المنة في اعتقاد أهل السنة: كتاب في التوحيد وفق المنهج التقليدي، وهو في جزء واحد.

- نفح الطيب: كتاب في الكلام عن الصوفية، يتركز الحديث فيه حول الشخصية النبي محمد في تجليه التاريخي وواقعه الميتافيزيقي، من حيث هو حقيقة محمية أو عقل أبدي.

- تعليق على المقصور والممدود لابن مالك: وهو كتاب في جزء واحد، موضوعه النحو العربي .

- الأجوبة المهمة: كتاب في التوحيد والتصوف على طريقة أسئلة وأجوبة .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الكتب التي ذكرناها جميعا توجد، بالإضافة إلى ثلاثين كتابا آخر ألفها سيدي المختار، محفوظة بمركز أحمد بابا بتومبوكتو².

¹ - حماء الله ولد السالم، الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى، مرجع سابق، صص 60-63.

² - مجموعة من المؤلفين، الحضارة الإسلامية في مالي، مرجع سابق، صص 234-235.

كما يقال أيضا إنه ألف من الكتب ما يساوي عدد سني عمره أي 84 كتابا، وهي تغطي مختلف مناحي العلوم الإسلامية من تفسير وتوحيد وفقه ونحو وتصوف... الخ وقد أحصى المختار بن حامدن في الجزء الخاص بقبيلة كنتة من موسوعته حياة موريتانيا المشهور من تأليف هذا الشيخ¹، وقد عكست تأليفه تعدد منابع فكره من الكتاب والسنة وشروحهما إلى أمهات الفقه المالكي ونوازله إلى علم الأصول وقواعده إلى المعارف اللغوية والنحوية المكيعة، فضلا عن المشارب الصوفية البعيدة الغور، والآراء الفلسفية والكلامية المتشعبة المباحث والصور، وكان الشيخ سيد المختار الكنتي صاحب نزعة توفيقية بين الشريعة والتصوف...².

أما عن جانبه السياسي والاصلاحي فقد أثر تأثيرا كبيرا في الأحداث والحروب التي عاشتها المنطقة التي كان يعيش بها وخاصة حروب البرابيش وكنتة والطوارق وأولاد بله والبراكنة وأولاد علوش وأولاد أمبارك وادوعيش وغيرهم فكانت مواقف الشيخ وإصلاحاته ومبادراته سببا في فض الكثير من النزاعات فحقن الله الدماء بجاهه³.

كما كانت له مراسلات مع المولي سيدي محمد بن عبد الله بن مولاي إسماعيل⁴، بالإضافة إلى علاقاته بالقادة والأمراء في غرب الصحراء والسودان⁵.

ووصفه البرتلي "بالقطب الرباني والغوث الصمداني الولي الصالح ذو البركات الشهيرات وشيخ الأشياخ السادات من ظهرت بركاته شرقا وغربا ومناقبه في الناس عجما وعربا ساقى المريد عمدة أهل التوحيد شيخ المحققين ومربي السالكين أبو المواهب السنية صاحب الأخلاق المرضية ذو الكرامات الظاهرة السيد الأسنى والذخيرة الحسنى وقد راسله المرتضى من مصر ومنحه"⁶.

¹ - المختار بن حامد، موسوعة حياة موريتانيا . جزء قبيلة كنتة، التاريخ السياسي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000م، ص5 .

² - حماد الله ولد السالم، الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص63.

³ - المختار ولد حامد، حوادث السنين، مصدر سابق، ص158.

⁴ - الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، رفض الركون لولاية الحيوني، مصدر سابق، 22 وما بعدها.

⁵ - حماد الله ولد السالم، الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص56.

⁶ - محمد بن أبوبكر البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، مصدر سابق، صص 152-153 .

وقال عنه صاحب كتاب منح رب الغفور "هو القطب الرباني والغوث الصمداني السالك الناسك العارف ذو المآثر الشهيرة، والفتوحات الغزيرة، كان رحمه الله ولياً عارفاً كاملاً... لم يبق فن من فنون العلم إلا ألف فيه، وكتبه مفيدة جدا نافعة لا ينظرها أحد إلى انتفع بها وكان من أعظم الناس وقاراً داسمت حسن كثير السكوت قليل الكلام كثير المروءة...¹.

وجزم النابغة الغلاوي، بأن لفظ كلمة "الشيخ" إذا أطلقت في البلاد الشنقيطية فالمقصود بها الشيخ سيد المختار الكنتي دون منازع وفي ذلك أنشد بيتين جميلين:

الشيخ بالإطلاق للمختار ** ابن أحمد على الخيار.

و غيره لا بد أن يقيدا ** باسم به سمي حين ولدا².

وقال عنه الشيخ هارون بن الشيخ سيديا في كتاب الأخبار: "كان الشيخ سيدي المختار المذكور في غاية العلم وكان هو المجدد في القرن الثاني عشر كما يشهد له افتتاحه لكتابه هداية الطلاب بقوله: "الحمد لله الذي خص هذه الأمة المحمدية بأن جعل لها في كل قرن وارثا يجدد لها دينها"³.

ظل الشيخ سيدي المختار داعياً إلى الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويعلمهم دينهم، ويصلح بينهم، فذاع في البدو والحضر صيته وشاع فيهم خبره، وقد توفي الشيخ سيد المختار سنة 1226هـ/1811م ودفن في مقبرة بوالأنوار، وقد ترك الشيخ سيد المختار ثمانية أبناء⁴.

لقد كان لعلماء كنتة دور مركزي في بناء سلطة أهلية خارج المدن ودورهم كذلك في خلق توازن أهلي بين القوى المحاربة والزاوية...⁵، وكانت علاقتهم عموماً مع القبائل الحسانية في مجال أرض البيضان تتراوح بين التحكيم

¹ - أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاتي، منح الرب الغفور فيما أهمله صاحب فتح الشكور، دراسة وتحقيق، محمد الأمين ولد حمادي، 2011م، ص86.

² - الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، فتح الوهاب على بيان ألفاظ هداية الطلاب، ج1، دراسة وتحقيق، يحيى ولد الغزالي، أطروحة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، 2013م، ص3.

³ - هارون بن الشيخ سيد باب، كتاب الأخبار، ج1، مرجع سابق، ص94.

⁴ - بول مارتني، القبائل البيضانية، مرجع سابق، ص46.

⁵ - حماد الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص248.

والشراكة الفعلية الناتجة عن تحول إلى مستوى أعلى من دور قبائل الزوايا ...، ولم يكن هذا الدور مقصورا على وظيفة التحكيم، التي درسها رواد النظرية الانقسامية التجزئية في أبحاثهم حول دور المرابطين والصلحاء في المغرب، بل كان أوسع مدى وأقوى فاعلية، وهو ما تكشف عنه رسائل الشيخ المختار الكنتي إلى المعنيين¹.

كان الشيخ سيد المختار الكنتي رمز الإصلاح والتجديد في الصحراء والسودان، لذلك أصبح اسمه ذائع الصيت ...²، فدانت إليه المنطقة كلها، على الرغم من اتساعها وتنافر سكانها، ودانت له رغبة لارهبية، ومحبة لاطمعا، تأتية الوفود من الجميع، يستوي في ذلك العدو والصديق والعربي والطارقي والزنجي، يزودهم بماله وعلمه ونصائحه، يعلم الجاهل ويرشد الضال ويطعم المحتاج ويؤمن الخائف، كما تأتية الرسائل والهدايا من الأمراء الذين يضعون أنفسهم تحت تصرفه³.

قام علماء كنتة بدور رائد في تمتين أواصر التواصل الروحي والسياسي والإجتماعي بين ضفتي الصحراء، وحفظ السلم والتوازن الأهلي، والسهر على المصالح العامة للمجتمعات الشنقيطية الموريتانية، ومن البراهين المعبرة عن الدور السياسي والإصلاحي الرائد الذي كان يقوم به علماء كنتة، هو رسالة الشيخ سيد المختار إلى أمير إدوعيش محمد ولد محمد الشين واخوته، بعدما طلب منه الأخير الترشيح والنصيحة، ورسالة تحمل مضامين توجيهية وأخلاقية وإصلاحية على خطى نمط من الكتب والرسائل مشهور عرفته حركة التأليف في الحضارة العربية الإسلامية عموما والمغربية خصوصا يهتم بالحكمة السياسية والنصح للأمراء، وقد كانت سياسة المراسلات للسلطة السياسية تلخص في مضمونها إنشغالات البيت الكنتي بما يدور حوله من أحداث، يتفاعل معها ويساهم فيها، و يبذل قصارى جهده لإيجاد حلول لها.

- علاقته بإمارة إدوعيش اللمتونية:

¹ - حماء الله ولد السالم، المجتمع الاهلي، المرجع السابق، ص 352.
² - مجموعة من المؤلفين، الحضارة الإسلامية في مالي، مرجع سابق، ص 235.
³ - الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، فتح الودود شرح القصور والممدود، مصدر سابق، صص 13-14.

يعتبر الكاتب ببيير بونت أن كنتة ساعدوا إدوعيش على التخلص من وصاية أولاد أمبارك وعلى إخراجهم من تكانت (بكاف معقودة) مساهمين بذلك في تكوين إمارة إدوعيش¹، وكان للشيخ سيد المختار الكنتي صلة بمؤسسي إمارة إدوعيش، بكار ولد أعمر وابنه محمد شين فقد لقيهما فتشبتا به حسب العلامة باب ولد الشيخ سيديا في كتابه القيم إمارتا إدوعيش ومشطوف²، وقد توطدت هذه الصلة بعد زيارة الشيخ سيد المختار الى تكانت في أيام محمد بن محمد شين وطلب هذا الأخير من الشيخ سيد المختار النصيحة العامة والمشورة في شؤون الإمارة³، وإدوعيش من أحفاد اللمتونيين الذين أسسوا دولة المرابطين بالمغرب الإسلامي، وقد أسس إدوعيش في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي إمارة في وسط البلاد الموريتانية اتخذت منطقة تكانت مركزا لها، وتنقسم إدوعيش الى ستة مجموعات كبرى⁴ تأتي في طليعتها مجموعة أهل محمد خونه التي احتكرت السلطة الأميرية الاعيشية منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر...⁵.

لقد استطاع محمد شين في حصار احنيكات بغداده الذي دام ستة أشهر أن يغزوا كل قبيلة من المغافرة على حده وينتصر عليها⁶، ويعتبر محمد شين المؤسس الفعلي لإمارة إدوعيش، إلا أن وفاته في سنة 1788م قد فتحت الباب للصراع بين البيت الأميري، غير أن ذلك الصراع سينتهي بعد وصول الأمر إلى محمد بن محمد شين وهو الأمير الذي في زمن إمارته كتب الشيخ سيد المختار رسالته هذه الى قومه إدوعيش، وقد بلغت إمارة إدوعيش في عهده أوج تألقها السياسي

¹ - ببيير بونت، روايات أصول المجتمعات البيطانية، مساهمة في دراسة ماضي غرب الصحراء، مرجع سابق، ص 463.

² - باب بن الشيخ سيديا، إمارتي إدوعيش ومشطوف، المصدر السابق، ص 96.

³ - للإطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى : رسالة الشيخ سيد المختار الكنتي إلى إدوعيش، مخطوط، زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي، نواكشوط.

⁴ - أهل محمد خونه، والأنباط ذات التقاليد العريقة في السلطة ببلاد الملثمين، أما المجموعات القبلية الأخرى فهي: أولاد اعلي نتوفه، وتغد، وجلافه، وسارة محمد شين التي هي ثمرة من ثمار انتصاره على المغافرة في احنيكات بغداده.

⁵ - محمد المختار ولد السعد وآخرون، تاريخ موريتانيا. فصول ومعالجات، نواكشوط، 1999م، ص 164.

⁶ - باب بن الشيخ سيديا، إمارتي إدوعيش ومشطوف، مصدر سابق، ص 64.

...فاستطاع أن يوحد تحت رايته جل إدوعيش خلال فترته الطويلة¹، وقد امتاز عهده كذلك بالبحث عن منفذ على النهر لتجارة الإمارة الصمغية².

وبعد هذا الأمير القوي ستعرف الإمارة أزمة تمثلت في الصراع بين ابنه أسويد احمد وأعمامه ومنها دخلت تكانت في حروب بين المتخاصمين، ويرجع لقبيلة كنتة الفضل في أنها أنقذت أسويدأحمد من أعمامه بعد أن احتفى بهم ، وستسترد إدوعيش عافيتها بعد وصول ابن أسويد أحمد بكار المعروف برجاجة العقل"ولو أراد الله تعالى اتفاق كلمة إدوعيش لكان عليه وهو أهل لها، لعقله وسياسته وكرمه وعزمه"³، وقد أنهى هذا الأمير حياته الطويلة بعد أن جعل إدوعيش أهم جبهة في مقاومة الاحتلال الفرنسي الى أن استشهد في معركة غير متكافئة مع الفرنسيين من أرض أفله⁴.

والرسالة عبارة عن نُصح ووعظ وجهه الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير الى قبيلة إدوعيش عامة والأمير محمد بن محمد شين وأخويه اعلي والمختار⁵ خاصة وعمهم محمد بن بكار وسيدي احمد بن اعلي بابي والرسول ولد اعلي نبكه، وتاريخ المخطوط الذي كُتب فيه 1226هـ الموافق 1811م، وهو سنة وفاة مؤلف الرسالة وعلى ذلك الأساس تكون الرسالة في الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي وهي تأتي بعد رجوع الشيخ سيد المختار الكنتي مباشرة من تكانت⁶ إلى أزواد.

واصل الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير الدّفع بخطابات إصلاحية للإمارات الموريتانية، إن الرسائل التي كان الشيخ يتوجه بها إلى القبائل تعتبر أوضح الشواهد والبراهين على نوع التدخل وشكله وسياقه العام، وقد استنكر الشيخ

¹ - مجموعة من المؤلفين، حوايات تجكجة، تحقيق عائشة بنت ديدي، جامعة نواكشوط، 1990م، ص28.

² - محمد المختار ولد السعد، تاريخ موريتانيا فصول ومعالجات، مرجع سابق، ص169.

³ - باب بن الشيخ سيديا، مصدر سابق، ص 113.

⁴ - باب بن الشيخ سيديا، مصدر سابق، ص 115.

⁵ - المختار بن محمد شين : أحد زعماء إدوعيش تنازع هو وأسويد احمد على الإمارة بعد وفاة محمد بن محمد شين وكان زعيم اشرايتيت، انظر : الطالب أحمد بن طوير الجنة، مصدر سابق، ص93.

⁶ - تكانت: ومعناها الغابة باللغة الصنهاجية وهي حلقة كآدرار يحفها من الجانبين جبل عظيم ويسمونه سن تكانت، وتقع في الوسط من موريتانيا حاليا، وهي إحدى الولايات في التقسيم الإداري وأجزاؤها الطبيعية هي، أدافر، إيزيف، الحريكة، تامورت نجاج، الحصيره، السن، الخط، أفطوط، للاطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى : المختار ولد حامدن، الجغرافيا، مصدر سابق، صص219-220، وكذلك، وأحمد بن الأمين الشنقيطي، مصدر سابق، ص428.

سيد المختار الكنتي الكبير في هذه الرسالة على أمراء إدوعيش ما بلغه عنهم من اتباع سياسات مستبدة وظالمة كان ضحيتها بعض المجموعات القبلية داخل الإمارة وخاصة من قبائل الزوايا، وبعد أن يذكرهم بدوره في تثبيت الإمارة، خلص الشيخ سيد المختار الكبير إلى نصيحة زعماء إدوعيش بالتواضع والحكمة والابتعاد عن منطق القوة والقهر.

" ... من عبد ربه المختار بن أحمد بن أبي بكر إلى جماعة إدوعيش أخص منهم محمد بن محمد شين¹.... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أياكم وطلب غاية الظلم لأن من طلب الغاية صار آية... واعلموا أن الدولة لا تقبل الهجوم على حرمان الله وأن حرمان الله هم أوليائه وعياله، ... فإن كنتم على العهد الذي خَلَفْتُ عليه آبائكم من الطاعة والمتابعة وحسن الاعتقاد فأنتم وذلك هو الذي أَلِيقُ بكم في رفع صيتكم وإبقاء دولتكم وأنتم تعلمون بأنكم بعثتم إلي رسولا ووجدني حاجا بأدافر² فرجعت إليكم من مسافة ثلاثة أيام وأنكم معتقدين فيما اعتقد بنو حسان في سيد أحمد الكنتي...³.

- علاقته بقبيلة أولاد داود:

تعتبر أولاد داود من أهم قبائل البيضان التي تعمر أرض موريتانيا فهي قبيلة مستقلة تنتمي إلى داود بن أعروك تسكن في باسكنو⁴، ويشمل اسم أولاد داود بن أعروك خمس قبائل تنتجع في الشمال الشرقي وفي غرب وجنوب غرب إقليم افكيبين، وأصبحت هذه القبائل منذ تفككها معروفة بصورة أكثر شيوعا،

¹ - محمد بن أحمد شين : أمير إدوعيش الشهير تولى الإمارة من (1208هـ - 1236هـ / 1793م - 1820م) وكان من أعظم أمراء إدوعيش ديناً وسياسة وكان يقدر العلماء والصالحين ويغدق عليهم ، وقد لقي الشيخ سيد المختار في تكانت عام 1811م سنة وفاة الشيخ وهذا اللقاء مثبت في الرسالة التي أرسلها الشيخ سيد المختار إلى إدوعيش وكان من أغنى الناس بتكانت، واعتمد في القضاء في إمارته على العلامة سيد عبد الله ولد الحاج إبراهيم ، توفي محمد بن أحمد شين بالصبيير وهو موضع قريب من المجرية جهة أفطوط وسبب موته انفجار بارود عليه كان بيده، وقد أشعل موته نيران حروب داخلية، فعرفت إدوعيش انقساماً جديداً بين ابنه وأعمامه، إلا أن ابنه استطاع بمساعدة كنتة بعد عدة معارك تكوين إمارة من أنصاره من إدوعيش عرفت "بأبكاك" ، يمكن الرجوع إلى : باب ولد الشيخ سيديا، مصدر سابق، ص 96 ومابعداها، والخليل النحوي، مرجع سابق، ص 526 .

² - أدافر: تقع الى الشمال الشرقي من تكانت وهي المنطقة الممتدة بين تيشيت شنقيط وتجكجة والرشيد، وهي أرض كثير الرمال قليلة المياه وتستجدها الإبل في فصل الشتاء - يمكن الرجوع الى : احمد بن الأمين الشنقيطي، مصدر سابق، ص 428.

³ - للإطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى : الشيخ سيد المختار الكبير، رسالة إلى إدوعيش، المصدر السابق، ص 1.

⁴ - مجموعة من المؤلفين، حوليات ولاتة، تحقيق، سيد عبد الله بن البخاري، جامعة نواكشوط، 1992م، ص 25.

تحت أسمائها الخاصة بها أي أولاد علوش وأهل بوردة وأولاد زيد وأجعافرة¹ ولهم أصل مشترك، إذ ينحدرون جميعاً من داود بن عروق بن أودي بن حسان².

وقد كان أولاد علوش بعد يوم "تكلط" أهل بقر تيامنوا، وأهل إبل تياسروا. فكثرت هؤلاء وكوّنوا بعد حين رئاسة عامة على أولاد داود، كانت تديرها عائلة أهل بوموسى (من العثمانيين)³، ولاتنقل لنا الرواية سوى القليل من المعلومات عن علوش الذي عاش في القرن السادس عشر ويقال أنه جاء من الجنوب المغربي وبلغ ولاتة ... وأبتداءاً من أواخر القرن 18م وبالأخص مع بيده بن باب أحمد نجد بعض المعلومات التي بدأت في الظهور، ومنها أنه شن حروباً شعواء على أهل الحوض ...، وقد خلفه ابنه هنون بن بيده عام 1805م، الذي مات خلال حملة في منطقة الظهر حيث جرى دفنه هناك حوالي عام 1825م⁴، وكانت فترة حكمه متميزة بالحروب مع قبائل الحوض ...⁵، كما حدثت في زمنه حرب مع لادم، ويعتبر هنون ولد بيده من أعظم رؤساء أولاد داود على الإطلاق وفي عهده تنامت علاقاته بالزاوية الكنتية ولا أدل على ذلك من الرسائل المتبادلة بينه والشيخ الزاوية، وقد خلف هنون ابنه بيده والذي سيخلفه أخوه سيدي الذي طالت رئاسته كمثل أبيه هنون...⁶.

كانت علاقات الشيخ سيد المختار قوية وودية مع زعماء قبيلة أولاد داود فقد خضع زعماء أولاد داود لتأثير الروحي للشيخ الكنتي الشهير الشيخ سيد المختار الكبير، فقد مارس هذا الشيخ في عدة مناسبات نفوذه السلمي على هؤلاء المحاربين المحترفين، وأنقذ في ظرف يذكره الجميع عدة خيام من البرابيش المطاردين من قبل أولاد علوش بعد لجوئهم إلى مخيمه ...⁷ ومن دلائل تلك العلاقة الوثيقة رسالة بعثها الشيخ سيد المختار للجواب على هنون

¹ - أبناء داود بن أعروق ستة هم : عقبة وزيد وجعفر وعلوش وممّ وسعيد، حسب الحسوة البيسانية للعلامة صالح بن عبد الوهاب الناصري .

² - بول مارتى، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، مرجع سابق، ص 26.

³ - المختار ولد حامد، التاريخ السياسي، مصدر سابق، ص 170.

⁴ - بول مارتى، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، مرجع سابق، ص 31.

⁵ - المختار ولد حامد، التاريخ السياسي، مصدر سابق، ص 172.

⁶ - بول مارتى، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، مرجع سابق، ص 32.

⁷ - بول مارتى، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، مرجع سابق، ص 31.

ولد بيده رئيس أولاد داود الذي كان يرغب في سماع رأي الشيخ سيد المختار حول الإقامة المؤقتة لأولاد داود في الناحية الغربية من أزواد، وكذلك رغبتهم في قيامه بإيقاع الصلح بينهم وبين القبائل الطارقية المعادية لهم، نتيجة للعلاقات المتوترة بينهم بسبب الحروب والإغارات المتبادلة بينهم، والتي يتوقع أن ترفض بشدة أجتياز أراضيهم من طرف أولاد داود، وقد احتوت رسالة الشيخ سيد المختار أفكارا ومعلومات مهمة تعكس بجلاء دوره الاصلاحى العميق الذي كان يطلع به في عموم المنطقة¹.

"... وإنه من عبد ربه المختار بن أحمد ... إلى عين نصحه وأهل وده وأبنائه عموما، وخصوصا السميزع الحلال هنون بن بيده² ألف سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فليكن في كريم علمك أن كتابكم العزيز ورد علينا وتلقيناه براحة القبول والإقبال، ثم تصفحته فإذا هو متضمن لإرادة النقلة من وطنكم ومسقط رؤوسكم إلى استيطان راس الماء وأخذ الخير لكم من التوارق،... وحاصل الأمر أن عيني من ورائكم ... حتى أرى التوارق ويروني وأشافهم بالكلام فأعلم ما عندهم وأنظر في حقيقة أمرهم فياتكم رسولي بالأمر الذي (لا) مرية فيه، ...³).

2- الشيخ سيد محمد الخليفة ودوره السياسى والاصلاحى في موريتانيا:

هو الشيخ سيد محمد الخليفة بن الشيخ سيد المختار بن احمد بن أبي بكر ولد سنة 1175 هجري الموافق 1765م بمنطقة أزواد الشمال الشرقى لتومبوكتو، ولقب

¹ - الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، الطرائف والتلائد، تحقيق يحي ولد سيد أحمد، ج 2، مصدر سابق، ص 410.

² - **هنون بن بيده** : رئيس أولاد علوش بل رئيس أولاد داود اعروگ كلهم في الفترة ما بين 1805م- 1825م، وفي فخذة العثمانة رئاسة متوارثة فهو ابن بيده بن احمد بن إبراهيم بن موسى، وكان أبوه بيده رئيسا وبعده احمد بن بيده، وكان هنون معاصرا للشيخ سيدي المختار الكنتي وورد ذكره مرارا في كتاب الطرائف والتلائد للشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي، وقد توفي هنون بن بيده سنة 1235 هـ، وفي عهده نشبت الحرب بين أولاد محمد (لادم) وبين أولاد داود، كما حدثت في زمنه كذلك حرب بين إجمان وأولاد علوش وبدأت بيوم بطحاء 1210 هـ وكان آخرها يوم بقي سنة 1213 هـ حيث تناصرت أولاد داود اعروگ كلهم يدا واحدة وانضم أولاد بلة وأولاد بوفائدة وأولاد نخلة إلى إجمان، ثم وضعت الحروب أوزارها بينهم، انظر: صالح ولد عبد الوهاب، الحسوة البيسانية في معرفة الأنساب الحسانية، تحقيق الحسن بن إبراهيم ولد صالح، المطبعة الجديدة، نواكشوط، ص 60، وكذلك المختار ولد حامد، التاريخ السياسى، مصدر سابق، صص 171-172-173

³ - للإطلاع أكثر يمكن العودة إلى: الشيخ سيد المختار الكبير، رسالة إلى هنون ولد بيده، مخطوط، من دون تصنيف وترقيم

بالعديد من الألقاب، إلا أنّ أهم لقب اقترن باسمه هو "ال خليفة" وذلك لخلافته والده الشيخ المختار في مهامه الدّينية وعمله السياسي، ولقد تعددت مهامه فشملت التدريس، وقيادة الزاوية القادرية وغيرها¹، وقد ظهرت عليه منذ سن مبكرة ملامح التقوى ومحبة العلم كما أن والده كان يصحبه معه على الدوام جاعلا منه بذلك نائبا له، وكان يدير أملاك الأسرة، كما كان والده يكلفه بأغلب المهمات، وهكذا فقد تكون بجانب والده الشيخ الكبير، واستوعب سلوكه الذي كان يطبعه ميل عميق إلى التصوف، ويبدوا أن والده قد علمه علم الأسرار، ليخلص هو إلى التأمل في الفقه والتصوف².

ولقب الكنتي هو نسبة الى قبيلة كنته، وكان أول من حمل هذا اللقب من أجداده هو سيد محمد الكنتي بن علي وقد أكتسبه من إسم جد أمه أهوى بنت محمد العالم بن كنت بن زم، زعيم قبيلة ابدو كل الصنهاجية³، نشأ الشيخ سيد محمد وسط الزاوية الكنتية وتربى في كنف والده في بيت من أكبر بيوتات العلم والسيادة في غرب الصحراء، ولا يعرف عنه الشيء الكثير، غير أن ورعه وعلمه قد جذبا إليه إنتباه والده، ولهذا اصطفاه ليخلفه عند موته عام 1811م⁴.

ولم تكن هذه الخلافة تقتصر على مسؤولية زعامة الطريقة القادرية بالصحراء والسودانيين الغربي والأوسط فقط، بل تعدتها لتشمل مسؤولية عشائر كنته، و من بين الاسباب التي جعلت والده وشيخه الشيخ سيد المختار الكنتي يختاره ليكون خليفته مايلي:

أولا: الورع والتقوى الذي كان يتميز به دون باقي إخوته، فقد ذكر بول مارتي أن ورعه ونبوغه أجتذب انتباه والده ولهذا اصطفاه ليخلفه بعد موته⁵.

ثانيا: كونه عالما جليلا وصوفيا متبحرا أخذ عنه علماء كثيرون⁶.

ثالثا: مكانته المتميزة لدى قبائل كنتة والقبائل الأخرى، حيث كان يتدخل للإصلاح بين ذات البين بين مجموعة من القبائل، كما فعل حين أصلح بين

¹ - فردوس حناني، "محمد الخليفة الكنتي شيخ الطريقة القادرية بغرب إفريقيا ومريديه"، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 29، رمضان 1437هـ/جوان 2016م، ص 487.

² - مجموعة من المؤلفين، الحضارة الإسلامية في مالي، مرجع سابق، ص 247.

³ - بول مارتي، كنتة الشرقيون، مرجع سابق، ص 79.

⁴ - الشيخ سيد محمد الخليفة، الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، ص 13.

⁵ - بول مارتي، كنتة الشرقيون، مرجع سابق، ص 79.

⁶ - الخليل النحوي، المنارة والرباط، مرجع سابق، ص 516.

رئيس لبرابيش علي بن محمد بن رحال وأبي بكر بن الشين الترمزي سنة 1205 هـ.

رابعاً: اتباعه سمت شيخه الوالد، وتتبعه لجميع خطواته ويظهر هذا الأمر جلياً من خلال الرسائل التي تبادلها فيما بينهما خاصة أثناء دخول المؤلف سلك الرياضة الروحية والتكوين العلمي¹.

عند وفاة الشيخ سيدي المختار سنة 1811م، بعد أن كان داعيته ووزيره، تقلد الشيخ سيد محمد الخلافة، وقد أدى مهمته الجديدة ببسر وفطنة، وتدين الانسانية له بعملين هامين هما: إنقاذ مدينة تومبوكتو من الخراب عند الهجوم الوحشي عليها من قوات البول سنة 1825م-1826م، واستضافته للماجور الانجليزي غوردين لينغ الذي كان قد أصيب بجروح عندما هاجمه قطاع طرق بالصحراء، فقد عالجه الشيخ وعمل على ضمان أمنه...².

يقول بول مارتني عنه "أن له نفسية متفتحة ومتقف شديد الذكاء، ويخلده التاريخ بمظهر أكثر الوجوه جاذبية"³.

كان الشيخ سيدي محمد فعلاً خليفة لوالده في العلم والورع والتصوف فهو عالم جليل وشيخ صوفي ذو مكانة مرموقة وعلم من أعلام موريتانيا ذو صيت واسع و تأثير عميق⁴، أخذ عن أبيه جميع العلوم العربية الإسلامية وتصدر عليه في التصوف، فصار عالماً من أجلاء العلماء الشناقطة ومؤلفاً من أكثرهم تأليف وأوسعها انتشاراً وأكثرها قبولاً عند الناس، وصيت أسرة أهل الشيخ سيدي المختار الكنتي بلغ في الأقطار والأمصار ما لم يبلغه صيت أسرة شنقيطية⁵، وقد راسل الشيخ سيدي محمد الخليفة سلاطين الدول الإسلامية المعاصرين له كالسلطان المولى سليمان بن محمد سلطان المغرب، والسلطان عبد المجيد العثماني، وهنا الشيخ سيدي محمد الخليفة محمد علي باشا حاكم مصر في معاركه مع الدولة الوهابية⁶.

¹ - الشيخ سيد محمد الخليفة بن الشيخ سيد المختار الكنتي، جنة المريد دون المريد، تحقيق محمد المهداوي، منشورات الرابطة المحمدية، 2012م، ص 141.

² - مجموعة من المؤلفين، الحضارة الإسلامية في مالي، مرجع سابق، صص 248-249.

³ - بول مارتني، كنتة الشرقيون، مرجع سابق، ص 82.

⁴ - الشيخ سيد المختار الصغير بن الشيخ سيد محمد الخليفة، الرسالة العلوية، تحقيق سيد احمد ولد أحمد السالم، نواكشوط 1994، صص 6.5.

⁵ - المختار ولد حامد، حوادث السنين، مصدر سابق، ص 369.

⁶ - حماد الله ولد السالم، الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص 56.

-تلاميذه وإجازاتهم (مريديه):

وقد أخذ عنه خلائق كثيرة لا يحصون كثرة وصاروا مصدر إشعاع في بلاد شنقيط وغرب إفريقيا فقد أدى مهامه النبيلة، في تلقين العلم على أكمل وجه، وتخرج على يده العديد من الطلبة حتى إن منهم من أصبحت له طريقة، وقد قدمت الباحثة فردوس حناني قائمة بخريجي مدرسة الشيخ سيد محمد الخليفة، وقبلها قدم حماه الله ولد السالم لائحة بأسماء الطلبة الذين أجازهم الشيخ محمد الخليفة، وحسب فردوس حناني فهم كالتالي:

- 1- "سيديا بن المختار بن الهيبة الإنتشائي"، ويعد من أكبر الخريجين الذين أولوا أهمية بالغة لمؤلفات شيخه، نسخا ورواية وفهرسة.
- 2- "غالي بن المختار فال".
- 3- "محمد المختار من آل الأعمش".
- 4- "محمد بن محمد فاضل" ولعله محمد فاضل بن مامين الشيخ الطريقة الفاضلية.
- 5- "المختار الصغير" الملقب "باد" وهو ابنه الأكبر.
- 6- "محمد بن البركة".
- 7- "صالح بن محمد الأغظف".
- 8- "المختار بن مولود".
- 9- "الطالب أبي بكر".
- 10- "علي بن المختار العلوي".
- 11- "محمود بن القصري".
- 12- "أحمد بن الحاج بن أحمد بن الفغ".
- 13- "الحبيب بن أحمد الجكني".
- 14- "محمد الخرشي".
- 15- "البخاري بن محمد الأمين".
- 16- "أحمد بن حبيب الله".
- 17- "الأمين الكلّمي" أو "القلقي".
- 18- "محمد المصطفى".
- 19- "الحاج أحمد التركي".

20- "أحمد الطالب ابن محمد بن جد بن خليفة ابن الطالب المصطفى الغلاوي ثم الأحمد".

21- "عبد القادر بن معلوم البوسيفي".

22- "محمد محمود".

23- "أحمد محمود التندغي".

24- "نوح بن الطاهر" وهو من قبيلة سَنَقْرُ من قبائل الفلان.

25- "محمد العاقب بن علي الفلاني".

وغيرهم كثر ممّن نقل العلم عن "محمد الخليفة الكنتي"، وعن أبيه "المختار" في الغرب الشنقيطي أمثال: "عبد الله العلوي"، و"المصطفى العربي"، و"القاضي بن الحاج الفُغّة"، و"المصطفى بن الحاج الفُغّة"، و"محمد بن غُوَيْسَى" الخ¹.

وقد بلغت الزاوية المختارية أوج عطائها المعرفي في هذه المرحلة على يد والده الشيخ سيدالمختار الكنتي الكبير، ولم يكن مترجمنا ليضيع هذه الفرصة الثمينة،...، يتضح ذلك من خلال ترجمة المحجوبي في مصنفه المشهور: "كان رحمه الله تعالى من أولياء الله العارفين...، جمع بين الشريعة والحقيقة... أخذ العلوم والادب عن أبيه وشيخه سيدي المختار، جمع العلوم كلها: فقها وحديثا وتفسيرا...، قام بعد أبيه بتربية المريدين وجلب المنافع للخلق، وكان كريما سخيا عفيفا ألف تواليف عديدة على قدر تواليف أبيه،...².

يقول في حقه صاحب معجم المؤلفين: العالم الإمام والقُدوة الهمام الشيخ الأجل إمام أهل التصوف والطريقة هو الذي أجاز الشيخ سيديا الكبير الإبيرى³.

آثاره :

يعد الشيخ سيدي محمد الخليفة من كبار الموسوعيين بكثرة التآليف وعمقها، فكان مؤرخا، وفقهيا أصوليا نحويا منطقيا، بارعا في فنون الحساب وعلم الفلك⁴، وقد

¹ - فردوس حناني، محمد الخليفة الكنتي شيخ الطريقة القادرية بغرب إفريقيا ومريديه، مرجع سابق، ص 489 وما بعدها.

² - أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاتي، منح الرب الغفور فيما أهمله صاحب فتح الشكور، مصدر سابق، ص 109.

³ - سيدي محمد بن عبد الله ولد يزيد، معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1996م، ص 53.

⁴ - فردوس حناني، محمد الخليفة الكنتي شيخ الطريقة القادرية بغرب إفريقيا ومريديه، مرجع سابق، ص 488.

خلف تراثا كبيرا منه كتب مطولة ورسائل وقصائد ومنظومات، وقد شاعت تأليفه وعرفت كثيرا من القبول في الصحراء الكبرى والسودان والشمال إفريقيا وغيره، وقد اعتنى تلميذه الشيخ سيديا الأبيري بمصنفاته، وألف بذلك كتاب يحتوي على عناوينها، ويصح أن يجعل هذا الكتاب مرجعية حقيقية يعود إليها كل من أراد التحقق من نسبة كتاب إلى هذا المؤلف¹.

للشيخ سيد محمد الخليفة عدة تصانيف كثيرة والمتداول منها:

- ارشاد السالك الى اقوم المسالك في الفقه.

- علم اليقين وسنن المتقين لحسم الاتاة المزورة بحق المستحقين في الفقه.
- الروض الخصيب: شرح نفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب لواده.
- شرح الأسرار.
- الأجوبة الفلانية في الفقه.
- الشرح الصغير المسمى كفاية الكبير عن الشرح الكبير.
- الفوائد النورانية في شرح "الاسم الأعظم" نشره تزويرا باسمه الطوخي الفلكي(مصري) تحت عنوان "الاسم الأعظم".
- العقد النظيم في أقوال العلماء في الاسم الأعظم.
- الرسالة الغلاوية.
- الطرائف والتلائد، من كرامات الشيخين الوالد والوالدة.
- منح الفعال وهو نظم لورقات إمام الحرمين الجويني في الأصول.
- ترجمان المقال شرح منح الفعال في أصول الفقه.
- الوسيلة الكبرى في إصلاح الدين والدنيا والأخرى.
- الفتحات اللدنية: الاشعريات في التصوف.
- مهجة النفوس في علم الكلام.
- اقليد الكنوز على ما في الياقوت من الرموز.
- الفتوحات الدنياوية الاشعريات في شرح الصلاة الناصرية الدرعية.
- بغية النص.
- النصيحة المحمودة والعظة المصمودة (نظم في التوجيه).

¹ - عبد الرحمان العربي، "مخطوط: إحصاء مؤلفات محمد بن المختار الكنتي لسيديا بن المختار الهيبة - دراسة وصفية وتحليلية"، مجلة رفوف، العدد الثامن، مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، جامعة أدرار، الجزائر، 2015م، صص 80-83.

- فتح القدوس (نظم لكتاب الشموس الاحمدية لوالده في التوجيه).
- نظم مثلث خالي الوسط في أسرار الحروف.
- رسالة الى مريد في التصوف.
- جنة المريد في التصوف.
- السلم الأسنى الى أسماء الله الحسنى في التوحيد.
- كتاب الأسرار في التصوف.
- الإشارات الإرادية في التصوف.
- الصوارم الهندية في حسم دعاوى المهدية.
- أوثق عرى الاعتصام للأمراء والوزراء والحكام (أدب الملوك).
- السراج النفيس في التصوف.
- طرد الذم عن تباك والشم في الفقه.
- ديوان شعر.
- مجموعة من الرسائل¹.
- وله كذلك وقد يكون بعضها لأبيه وكلها في خزانة الرباط... الاجوبة المهمة لمن له في امر دينه همة"...والجرعة الصافية والنفحة الكافية" الى غير ذلك²، توفي على اثر مرض ألم به، بسبب انتشار جائحة من الحمى يوم العاشر من ماي سنة 1242هـ/1826م ودفن الى جانب والده في بوالأ نوار، وهو بئر واقع على مسافة 200 كلم شمال بمبا وعلى مسافة 100 كلم جنوب المبروك وقد حول صلاحه هذه المنطقة الى مكان يقصد للزيارة³، ومن خلال القصائد التي مدح بها العلامة ابن انبوجه التيشيتي الشيخ سيدي محمد الخليفة تتضح المكانة الاخلاقية الرفيعة والتميزة التي كان يتمتع بها، ومنها قصيدته من البحر الطويل وهذه بعض أبياتها:

له المجد عرشٌ والسماحة والتقى جليساہ صفح إن جفاه بليدُ
أبا السَّيِّد المختار جزت المدى فهل بمثلک أيَّام الزمان تجودُ؟

¹ - الشيخ سيد المختار الصغير، الرسالة العلوية، مصدر سابق، صص 30-31

² - خير الدين الزر كلي، الاعلام، جزء 7، مرجع سابق، ص 92.

³ - كنتة الشرقيون، مرجع سابق، ص 82.

فصيتك صيت شاع في كل بلدة ومجدك مجد خلفته جدود¹.

-العلاقة بسلطنة أولاد امبارك:

أولاد امبارك: من أشهر المجموعات المغربية لما تركته في الذاكرة الشعبية وعلى السنة المطربين من ذكر ومجد ونجدة، وما اتصف به سلاطينها من نخوة وإباء وعزة، وهم ينسبون إلى امبارك بن امجد بن عثمان بن مغفر بن أدي (أحمد) بن حسان، وقد أسسوا إمارة ورئاسات بالحوض²، وجددهم مبارك هو الحفيد الخامس لحسان وذلك استنادا إلى الرواية التاريخية، كان امبارك يقود الحروب خلال القرن السادس عشر في موريتانيا العليا وتيرس والذي ستتولد عنه قبيلتا أولاد محمد (باحمد)³ وأولاد مبارك⁴، قبل أن يستقر أولاد أمبارك في الحوض، مكثوا فترة في منطقتي إنشيري والقبلة خلال القرن 16م، كما قضوا فترة في تكانت واستقروا في المناطق الشرقية ابتداء من القرن 18م⁵، وبعد انتصارهم على اولاد بوفايذة في معركة كساري الشهيرة توطد ملكهم في الحوض وبدأ تحكمهم في موارد الاقليم التجارية والرعية، وعرف عنهم أنهم أهل أبهة عظيمة وكرم وعدل⁶، وفي فترة هنون بن بهدل مؤسس الامارة 1712م رسخ ملك أولاد أمبارك في "باغنه" من أرض مالي، حيث أسس إحدى أكبر الإمارات المغربية في البلاد ما بين 1712م- 1841م⁷، كما تميزت فترة

¹- سيدي عبد الله ابن انبوجه التيشيتي، ضالة الأديب، تحقيق ودراسة احمد ولد الحسن، منشورات الأسيسكوا، 1996م، صص 183-184

²- **الحوض** : البلاد التي تشمل الجنوب الشرقي الموريتاني الحالي وما يتصل به شمالا من سهل أوكار المتصل بهضبة تكانت في النطاق الشرقي الموريتاني أيضا، وما يلاصقه جنوبا من الأراضي المالية، وكانت بلاد الحوض من أهم مراكز ثقافة البيضان العالمية لوجود المدن الكبرى فيها كمدن : تيشيت، ولاتة (= ولاتا)، النعمة، ولاتصالها المبكر والدائم بالأمصار العربية...كما كانت مركز الثقافة البيضانية الشعبية من حرف وموسيقى وشعر ملحون لأن هذه إنما نشأت وتطورت في تلك الربوع منذ أيام إمارة أولاد أمبارك الشهيرة، وقد دخلت هذه المنطقة تحت نفوذ دول وممالك (غانا، مالي، السنوغي).

³- **أولاد مؤحمد** (باحمد) حسب ما قال بول مارتي ليسوا من ذرية أمبارك، وهو غلط دائما مايقع فيه الفرنسيين في تناولهم للمجتمعات المسلمة، والصحيح أن أولاد مؤحمد (باحمد) كانوا في منطقة الحوض ضمن الحيز الجغرافي لإمارة أولاد امبارك.

⁴- بول مارتي، القبائل البيضانية، مرجع سابق، ص 359.

⁵- محمد المحجوب ولد بيه، موريتانيا جذور وجسور، مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع، نواكشوط، موريتانيا، 2016م، ص 143.

⁶- احمد بن الأمين الشنقيطي، مصدر سابق، صص 464-465.

⁷- حماد الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا، العناصر الأساسية، مرجع سابق، ص 196.

ملك ابنه أعر (1155-1171هـ/1742م-1757م) بتركيز السلطة في يد ذرية بهدل التي أصبحت منذ تلك الفترة أسرة السلطة العامة في أولاد امبارك¹.

بلغ أولاد امبارك من القوة والهيمنة درجة أنهم تخلوا عن لقب الأمير رسمياً- واتخذوا بدله لقب السلطان لكن التجربة السياسية لهؤلاء السلاطين، لم تنضج إلا في عهد اعلي ابن أعر (1171-121هـ/1758-1779م²)، وقد وصفه صالح بن عبد الوهاب بقوله "كان اعلي بن أعر هذا أرفع ملوكهم (أولاد امبارك) ذكراً وأنفعهم للمسلمين طراً، وأطولهم في الملك مدة، وأكثرهم عددا وعدة"³، وقد ملك (42) اثنين وأربعين سنة، وكان عادلاً في ملكه فلقب (اعلي العافية) وقد زار الرحالة الإنجليزي مونكو بارك m.park سلطنة أولاد امبارك في عهد اعلي بن أعر بن هنون... وقد كان قدوم (مونكو بارك) "بالنعوم" مركز سلطنة اعلي يوم 12 مارس 1796م ، وقد وصف الرحالة مجلس الأمير، وذكر ما شاهده من ضرائب يدفعها السودان لأولاد امبارك مقابل حمايتهم⁴، بينما كانوا يعفون أصحاب القوافل المرتبطين بكبريات القبائل الزاوية والأسر الشريفة والأسر العالمية من الضرائب في المدن والبادي، ويقول الناني بن الحسين عن اعلي إنه "تقلد السلطة بعد وفاة أبيه أعر إمارة مترامية الأطراف تشمل تگانت التي كانت يومها تابعة لهم والحوض وبعض أجزاء الإمارات الزنجية المجاورة فشهدت الإمارة في عهده قوة وازدهاراً كبيرين"⁵، ونتيجة لطول عهده وشيوع الأمن فيه أصبحت فترة حكمه مقياساً زمنياً لتحديد "تواريخ وفيات الأعيان من العلماء ومشايخ الإقليم"،...والدليل على ذلك أن المصادر المحلية لا تذكر أكثر من وقعتين في بلاد الحوض الشرقية طيلة فترة حكمه والوقعتان هما: يوم "بالنعوم" سنة 1788م، ووقعة "أرطان" سنة 1784م⁶، ثم تلاه ابنه أعر ولد اعل ولد اعر وهو الذي

¹ - الناني ولد الحسين، إمارة أولاد امبارك في الحوض 1712م-1841م، مذكرة نهاية الدراسة، كلية الآداب، جامعة انواكشوط 1985-1986م، ص96.

² - حماد الله ولد السالم، تاريخ شنكيطي موريتانيا، مرجع سابق ، ص314.

³ - محمد صالح ولد عبد الوهاب، مصدر سابق، ص65.

⁴ - الناني ولد الحسين، إمارة أولاد امبارك في الحوض 1712م-1841م، مرجع سابق، ص99 وما بعدها.

⁵ - الناني ولد الحسين، إمارة أولاد أمبارك، مرجع سابق، صص93-97.

⁶ - حماد الله ولد السالم، تاريخ شنكيطي موريتانيا، مرجع سابق، ص315.

أتاه المؤرخ القاضي صالح بن عبد الوهاب¹ في أواخر عهده فقلده القضاء فلم يزل معه حتى مات السلطان في ذي الحجة سنة 1223 هجري الموافق 1809م، ثم ابنه محمد أماش وهو أمير قومه يوم شلم وكان مسرفا في الدماء ثم تلاه أخوه أعل وكان من خيار ملوكهم².

وخلال عهد ازدهار الإمارة (1171-1244هـ/1758-1829م) تعاضمت سلطنة أولاد امبارك، بفعل تنامي قوتهم العسكرية، وشيوع الرخاء الاقتصادي، وتراكم الثروة والموارد البشرية في مجالهم الأميري...³.

شهدت الإمارة هزات عنيفة تمثلت في استقلال ايدوعيش عن نفوذ إمارة أولاد امبارك وتأسيس إمارة خاصة بهم في تكانت وأجزاء من العصابة،...، إلا أنهم عوضوا خسارتهم في إدوعيش بالتوسع جنوبا في الأقاليم السودانية، كما شهدت الإمارة فرز ثلاثة أجنحة متصارعة تتقاسم النفوذ داخل الإمارة،...⁴.

-البعد الصوفي للشيخ سيد محمد الخليفة ودوره الاصلاحى في سلطنة أولاد أمبارك:

شكل التصوف منذ ظهوره على الساحة الدينية والسياسية معطى جديد ذو أهمية بالغة، ونشر فكرة الأخوة الدينية فوق الأخوة القبلية، ومع الوقت ترسخ الفكر الصوفي لدى العامة والخاصة، وأصبح المتصوفة رجالا مسموعي الكلمة، مهابي الجانب، مما دفع بالسلطات السياسية لاستغلال نفوذهم من أجل تهدئة المجتمع، أو الاحتماء بهم في الأوقات الحرجة، بل أكثر من ذلك استغلال دعوتهم لبناء منظومة سياسية.

منذ ذلك العهد أصبح هذا المعطى الجديد المتمثل في التصوف مطلبا أساسيا لبناء أي دولة جديدة، فكان لزاما على الأمراء التحالف مع رجال الزوايا من أجل حلول البركة عليهم من جهة، وهذا ما كان يبدوا ظاهريا، ولكن الأساسي هو الاستعانة بقوتهم المعنوية قصد تثبيت هيبتهم وحكمهم، ولعل علاقة الشيخ سيد محمد الخليفة والأمير محمد أماش خير مثال على ذلك في موريتانيا.

¹ - محمد صالح بن عبد الوهاب : (ت 1271هـ / 1854م) ينتمي إلى قبيلة أولاد الناصر المغفرية، وهو مؤرخ وقاضي ورحالة، زار جميع بلاد البيضان، وأحد أكبر العلماء في زمنه، له عدة مؤلفات، أهمها كتاب الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسانية، وكذلك كتاب أنساب صنهاجة الضائع ومجموعة من النوازل والفتاوى.

² - محمد صالح ولد عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سابق، ص 65.

³ - حماد الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا. العناصر الأساسية، المرجع السابق، ص 200.

⁴ - ولد الطوير الجنة، مصدر سابق، صص 70-71.

تم في بداية القرن التاسع عشر، في منطقة الحوض بموريتانيا وفي ظروف حساسة في أكثر من سبب، تولية محمد بن أحمد ولد اعلي ولد أحمد الملقب أماش على إمارة أولاد أمبارك، كان الأمير أماش ولد اعلي ولد أحمد يتطلع إلى إعادة إمارة أولاد أمبارك إلى سابق مجدها، وكان يدرك وهو في بداية حكمه الأهمية القصوى للشرعية الدينية لتقوية مركزه السياسي، وقضية الشرعية الدينية بالنسبة لإمارة أولاد أمبارك في ذلك الوقت، تُعيد إلى ذهن قضية لطالما شغلت بال الباحثين في التاريخ الإسلامي عامة، وتاريخ السودان الغربي والصحراء بشكل خاص الأمر يتعلق هنا بثنائية الأمير والعالم في المنظومة السياسية الإسلامية، ثنائية السيف والقلم، وكانت الزواية الكنتية هي قبلة القلم التي توجه إليها السلطان المباركي أماش لمنحه هذه الشرعية، فهي الزواية التي يملك شيوخها علاقات تاريخية مع قبائل المنطقة علاقات وطيدة، سواءا الحسانية منها أو الزاوية، كما كانت لهم علاقات مع القبائل السودانية المجاورة لهم في الجنوب إمارة سيقو وماسينا مثلا، وإلى جانب ذلك كانت لدى الكنتيين امتدادات علمية وروحية كبيرة في منطقة الحوضيين، بدأت العلاقة بين الأمير محمد أماش والكنتيين عندما وفد محمد أماش إلى الزاوية الكنتية في وفد من خاصته على الرسم التجرد مما هو فيه، فقام إليه الشيخ رضوان الله عليه، وبش في وجهه واحتضنه كعادته مع من يكرم من الوافدين ثم دفعه إلي وأمرني بالخلع عليه، وقال قد وليناه مابين ولاتة وصصند¹ على أن يعدل فيما ولاه الله من ذلك ويحسن ولايته².

كما كانت لمحمد أماش علاقة وطيدة بباب أحمد ولد الشيخ سيد المختار الكبير الكنتي³ الذي كان يقيم في منطقة الحوض بموريتانيا، وهو الذي تولى مراسلة

¹ - مدينة في وسط مالي تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة سيكو.

² - محمد أحمد جد، أدب الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي دراسة وتحقيق لنماذج من نثره وشعره، مصدر سابق، 2020م، ص 270.

³ - باب أحمد ولد الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي : ولد القطب الجليل، والعالم الرباني الشيخ سيد باب أحمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي عام 1762م في إقليم " أزواد " شمال جمهورية مالي، وعاش وترى في كنف أبويه ؛ الشيخ الكبير الشيخ سيد المختار الكنتي، والشيخة الجليلة لال عيشه بنت لزرگ التي كانت أول امرأة في التاريخ الإسلامي تحمل هذا اللقب (الشيخة)، وقد تلقى تعليمه بالكامل في حضرة والده (الحضرة المختارية) التي كانت تعد يومئذ أكبر جامعة إسلامية على الإطلاق، فكانت تضرب إليها أكباد الإبل من شتى أصقاع المعمورة، فنهل من معين تلك المدرسة ما جعله أهلا لما وصفه به صاحب كتاب " منح الرب الغفور " ؛ حيث يقول فيه : "كان رحمه الله من أولياء الله المشهورين عارفا تقيا وكان ذا جد واجتهاد ولزوم أذكار، ساعيا في مصالح المسلمين، وفي

الشيخ سيد محمد الخليفة في شأن نية الأمير آماش ولد اعلي ولد أعمر التوبة والاستقامة وتطبيق أحكام الشرع في إمارته، كما تفيد رسالة الشيخ سيد محمد الخليفة الجوابية لباب أحمد "وأما ما أنهيت إلينا من قضية محمد بن أعمر بن اعلي بن أعمر بن هنون ابن بهدل المدعو آماش وتوبته وانضواؤه إلينا

إصلاح ذات البين، وكان نقيًا، متواضعًا، فاضلاً، مهذبًا، عاقلاً، أديبًا، لبيبًا، وقوراً، حسن السيرة، حسن الهيئة، معظمًا عند العامة والخاصة، محبوبًا عند العلماء والصلحاء، حسن الخلق والخلق، لا يطوي بشره عن أحد، وفي الحديث أن أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق، وكان يتصدق بجميع ما يملك، وقد أتاه أخوه يوما فخرج له من خيمته وأهداها له بجميع ما فيها وما عليها من الإبل والغنم، وبقي لا يملك شيئاً، وهذا هو السخاء الذي لم يُسمع بمثله، فرحمة الله عليه، أمين"، وهو رابع أبناء الشيخ سيدي المختار الكنتي، كان الشيخ سيد باب أحمد يتميز بالصلابة، وقوة الشخصية، والحكمة السياسية، وهي صفات من بين أخرى أهّلته لاختيار والده له، ليكون خليفة له في حياته قبل مماته ؛ فأرسله سفيراً كامل السلطة وفوق العادة إلى " أرض الكبله " (موريتانيا) ليكون ممثلاً له قريباً من الإمارات والقبائل التي ترتبط بعلاقات وطيدة مع الزاوية المختارية ؛ يستلم منهم الهدايا والمؤن المقدمة إلى الزاوية، ويقدم إليهم باسمها الأوراد والتوجيهات عن قرب، وهي فكرة رائدة، وسنة حسنة سنها الشيخ الكبير، وأسهمت أيما إسهام في نشر الطريقة القادرية المختارية، وسلك نهجها من بعده أقطاب طرق صوفية أخرى ؛ فوزعوا أبناءهم في أصقاع الأرض لنشر طرقهم الصوفية، وبوصول الشيخ سيد باب أحمد إلى الحوض بموريتانيا ؛ اتسعت دائرة الإشعاع العلمي والنفوذ السياسي للحضرة المختارية، حيث أقام على الفور علاقات واسعة وقوية مع الإمارات والقبائل ذات الشوكة في المنطقة، كإمارة أولاد مبارك في الحوضين حيث كانت له علاقة روحية وصداقة خاصة بأمير أولاد مبارك محمد آماش، وإمارة إدوعيش في لعصابه وتگانت، وكذا مع قبائل قوية أخرى كقبيلة أولاد الناصر وغيرها، وهي علاقات مكنته من لعب أدوار هامة في العديد من أحداث المنطقة الفاصلة، كدوره المشهود في تأسيس مدينة "النعمة" في الحوض الشرقي، وإسكان الشرفاء فيها، وقد رحلهم على مائة جمل من الإبل ؛ بعد المحنة التي أصابت الولاتيين، وتدخلت فيها الحضرة المختارية بواسطته هو (الشيخ سيد باب أحمد) لتضع حداً لها، كعادتها مع جميع أزمات المنطقة، وقد شكل قدوم الشيخ سيد باب أحمد إلى الحوض أول عودة تذكر لكننة الشرقيين إلى موريتانيا بعد هجرتهم أيام حرب "تينينكي"، كما شكل - بصورة أخص - النواة الأولى لوجود آل الشيخ سيد المختار في المنطقة، على الرغم من قدوم أخيه الأصغر الشيخ سيد أحمد البكاي إليها قبله، حيث توفي بها، ودفن في منطقة "الفوز" قرب قرية "الگران" التابعة لمقاطعة "كيفه" عاصمة ولاية لعصابه، إلا أن وجوده هذا كان عابراً، ولم يكن بدافع الاستقرار ممثلاً للزاوية المختارية، عاش الشيخ سيد باب أحمد ثمانية وسبعين سنة (78) حافلة بالعطاء العلمي والسياسي، تنقل خلالها ما بين "أزواد" و"الحوض"، ثم استقر به المقام أخيراً في الحوض حتى وافاه الأجل المحتوم به عام 1840م، ودفن في منطقة "مُفْتَاَحَة" إلى الشرق من مدينة "النعمة" الموريتانية، على بعد 40 كلم، وقبره هناك مشهور يُزار، والواضح أن الشيخ سيد باب أحمد - رغم علمه الجَمِّ - لم يكن لديه اهتمام بالتأليف، حاله كحال العديد من إخوته الذين كانوا على قدر كبير من العلم والأدب، وعلى الرغم من عزوفه الواضح عن التأليف ؛ فقد ترك لنا بعضاً من التراث المكتوب، تمثل أساساً في مجموعة من الرسائل كان أغلبها نثرية، ومنها كذلك ما هو شعري، كقصائده الطوال المعروفة بالسُبُديّات، والمتبادلة بينه والشيخ سيد محمد الخليفة، ولولم يكن للشيخ سيد باب أحمد من فضلٍ يحسب له سوى تربيته وتخرجه لأبنائه الستة العلماء الأعلام لكفاه ذلك، وهم :سيد المختار (باب) وحمادي والبكاي وعابدين وسيد أحمد (أج) وسيدحييله، للاطلاع أكثر انظر: أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاتي، مصدر سابق، ص 106، وكذلك، بول مارتني، كننة الشرقيون، مرجع سابق، ص 78 .

وانتسابه علينا ...، فإنما نحن ظل الله وركنه الذي يأوي إليه كل مهتضم ومهين...وقد أركبنا محمد المذكور سرج ولاية لاينزله عنه غيرنا (فمن شاء فاليؤمن ومن شاء فاليكفر)"¹.

بعد ذلك يطالب الشيخ سيد محمد الخليفة أماش بضرورة محافظة الحاكم على المحكومين وهو هنا يعني الرعايا على مختلف اصنافهم، الذين يعتبر إقامة العدل فيهم وصيانة حقوقهم من أمارات صلاح السلطان ودلائل أهليته في الحكم والقيادة: "فإن رددت محمد بن أعمار (أماش) إلى ولايته فلا عليك أن تصحبه إلى محله وتتعزم عليه بالعدل والإحسان فيما ولاه الله، وبتبجيل الأولياء وإعظامهم وإجلال العلماء وإكرامهم والبر بأهل الدين والرفق بالضعفاء والمساكين، ..."².

ثم يدعوا الشيخ سيد محمد الخليفة إلى العدل ونفع العباد في البلاد...حتى إنه قيل إن أقرب الدعوات من الإجابة دعوة السلطان العادل:" وقال قيس بن سعيد ليوم من إمام عادل خير من عبادة رجل في بيته ستين سنة، ويتضح لك وجه أفضلية عمل العامل في رعيته على عبادة العابد في بيته، ...، وبالسلطان العادل صلاح الدارين ... وأن يكون شرفه عند الله عظيما، كما كان قدره في العقول جسيما ومقامه عند الله كريما، كما كان نفعه للعباد عميما، وعلى قدر المنفعة تشرف الأعمال،..."³.

كانت منطقة الحوض تمر بأوضاع حرجة وحساسة في هذه المرحلة التاريخية وكان الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي بحكم ميوله الاصلاحية ومن مسؤوليته كخليفة عام للزاوية الكنتية القادرية في السودان الغربي وغرب الصحراء الكبرى، يتابع الأوضاع العامة في المنطقة، وقد استنكر على أهله في رسالة وجهها إلى أخيه باب أحمد، كثرة الفتن والصراعات الاهلية "وإن رأيت أكحل الله عيني وعينك بإثم الاعتبار... أن تثوي بمن معك ما بين رأس الماء والظهر لتخرج زعماء أهل الحوض، وتسلم من كثير مما جبلوا عليه من الفتنة

¹ - هارون بن الشيخ سيد باب، كتاب الأخبار، مصدر سابق، صص 84-85.

² - محمد أحمد جد، أدب الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي دراسة وتحقيق لنماذج من نثره وشعره، مرجع سابق، ص 275 ومابعد.

³ - محمد أحمد جد، أدب الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي دراسة وتحقيق لنماذج من نثره وشعره، مرجع سابق، ص 271.

والخوض، ولتقرب منا فنتمكن من زيارتك إذا لم تزرنا، ونستأنس بقرب الدار، وتوارد الأخبار، عند تعذر المزار¹."

- موقفه من الحرب في سلطنة أولاد أمبارك:

تعتبر ظاهرة الحروب والفتن القبلية من أبرز الظواهر الإفريقية، إذ لا يكاد يخلو إقليم من أقاليم القارة الإفريقية من صراع أوحرب أهلية عنيفة كانت لها آثارها العميقة ليس فقط على الحياة السياسية وإنما على كافة مناحي الحياة في عموم القارة، وتتسم ظاهرة الصراعات الأهلية بأنها ظاهرة معقدة، "إِغْلَمَ أَنَّ الْحُرُوبَ وَأَنْوَاعَ الْمُقَاتَلَةِ لَمْ تَزَلْ وَاقِعَةً فِي الْخَلِيقَةِ مِنْذُ بَرَاَهَا اللَّهُ وَأَصْلُهَا إِرَادَةُ انْتِقَامِ بَعْضِ الْبَشَرِ مِنْ بَعْضٍ وَيَتَعَصَّبُ لِكُلِّ مِنْهَا عَصَبِيَّتُهُ أَهْلُ عَصَبِيَّتِهِ فَإِذَا تَذَامَرُوا لِذَلِكَ وَتَوَافَقَتِ الطَّائِفَتَانِ إِحْدَاهُمَا تَطْلُبُ الْإِنْتِقَامَ وَالْأُخْرَى تُدَافِعُ كَانَتْ الْحَرْبُ وَهُوَ أَمْرٌ طَبِيعِي فِي الْبَشَرِ لَا تَخْلُو مِنْهُ أُمَّةٌ وَلَا جِيلٌ وَالسَّبَبُ هَذَا الْإِنْتِقَامُ فِي الْأَكْثَرِ إِمَّا غَيْرَةً وَمَنَافَسَةً"².

في النصف الاول من القرن التاسع عشر الميلادي (1803م- 1824م) وفي فترة إمارة أماش ولد اعلي ولد أعمر حدثت حرب طاحنة³ في سلطنة أولاد

¹ - محمد أحمد جد، أدب الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي دراسة وتحقيق لنماذج من نثره وشعره، مرجع سابق، ص268.

² - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص334.

³ - **الحرب : أو الفتنة** التي وقعت في الحوض بدأت في يوم عيد الأضحى بين أولاد موحمد (لادم) وإفلاق وفونتي من أولاد امبارك، ضد أولاد داود اعروگ، ومعهم أهل هنون العبيدي وفاتة وأهل بهدل بقيادة امحمد أماش بن أعمر بن اعلي أمير أولاد امبارك، وقد مات في هذا اليوم : سيدي محمد بن محمد بن الفراري الزيدي - وكانت الحرب في الأصل بين أولاد موحمد (لادم) وأولاد داود اعروگ فانحاز إلى كل طرف متحالفون وشملت الحرب الكثير من قبائل الحوض الشرقي، وقد ظلت نيرانها مشتعلة أكثر من ثلاث وعشرين سنة، فكان يوم أولها **كُبْيَّة** وهو على أولاد داود اعروگ 1217هـ موضع يقع في جمهورية مالي، وبعده بسنة ونيف يوم **المخيشبة**، وهو أيضا على أولاد داود اعروگ ومن معهم، وبعد ذلك بخمس سنوات يوم **الرماشية** عليهم كذلك، ثم يوم **كبد** سنة 1233هـ أو 1234هـ الموافق 1817م، وكذلك يوم **زرگاغة** 1233هـ أو 123هـ على أولاد موحمد، وبعده يوم **جيگي** سنة 1234هـ على أولاد داود اعروگ، ويوم **سنفغة** في بلاد باغنة 1235هـ، ويوم **علب الكعب** 1235هـ، وأخيراً يوم **شكرطيل** سنة 1240هـ، فهذه تسعة أيام ذكرتها مصادرنا وهي ملخص ما دار من الحروب بين أولاد موحمد ومن معهم ضد أولاد داود اعروگ ومن معهم وقد شغلت حيزا كبيرا لدى الشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي وذلك راجع إلى الخلفية الاصلاحية للشيخ سيد محمد الخليفة وقد

أَمبارك في الحوض، وقد حدثت بين عشيرتين كبيرتين من أهم عشائر السلطنة، وهما قبيلة "أولاد داود" الواقعة في شرق وجنوب شرق الإمارة، وهي تقع على الحدود في الحوض بين العشائر الحسانية والمجموعات القبلية التارقية في أزواد كقوة عسكرية رئيسية، أما الطرف الثاني في الحرب فهو قبيلة "لادم (أولاد موحْمُد)" في وسط وغرب الإمارة.

كان أولاد داود وأولاد موحْمُد (لادم) يتقاتلون على فريسة الأسد بعد ضعف إمارة أولاد أَمبارك، هذا الأقتتال أثار مخاوف الشيخ سيد محمد الخليفة لما يسبب من قتال أهلي، ويعطل المصالح العامة للمسلمين ويوشك أن يقضي على هيبة سلطنة أولاد أَمبارك نهائياً.

لا تعرف الأسباب المباشرة لصراع القبيلتين الكبيرتين وإن كان المرجح عن أهم أسبابها هو التنافس على مجالات إقليم كوش¹ ومحيطه من بلاد الحوض وهو مجال رعوي هام جداً، وبوابة على تجارة السودان².

ظلت القبائل تتناحر في الصحراء لاوازع لها ولا رادع، فإذا لم تجد القبيلة من تحاربه حاربت نفسها... لم تكن الحرب التي تحدث بين القبيلة والأخرى تحتاج إلى البحث الموسع عن أسبابها، فعادة ماتكون أسبابها تافهة، كملاحات بين رجلين أو هزل يؤول إلى حد قاتل، ... وكانت الحروب ظاهرة اجتماعية لصيقة بالمجتمع الصحراوي الموريتاني حتى كأنها جبهة فيه لما غلب عليه من حب الحرية والنفوذ...³، لقد أثخنت الحروب المجتمع الصحراوي ونتاج عنها دمار كثير⁴.

فإن النار بالعودين تُذكى وإن الحرب مبدؤها الكلام. هذه الحرب هي في الحقيقة جزء من حروب أولاد أَمبارك الداخلية التي بدأت بانقسامهم وأصبح كل جناح منهم يستند على قبائل من تلك القاطنة في بلاد

تكللت تدخلاته في إيقاف الحرب، للاطلاع على أخبارها أكثر يمكن الرجوع إلى : المختار ولد حامد، التاريخ السياسي، مصدر سابق، صص 172-173، والجغرافيا، مصدر سابق، ص 30.
¹ - إقليم كوش : إقليم في الجنوب الشرقي الموريتاني في ولاية الحوض الشرقي بمحاذاة الحدود المالية.

² - حماء الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص 336.

³ - الخليل النحوي، المنارة والرباط، مرجع سابق، ص 101.

⁴ - الخليل النحوي، المنارة والرباط، المرجع السابق، ص 105.

الإمارة، وقد تطورت هذه الحرب وأصبحت من حروب الثأر السابقة، وكان من نتائجها أن دمرت الحركة التجارية والاقتصادية في منطقة الحوض.

من خلال خلفيته الإصلاحية ومحافظته على الاستقرار والأمن، نزل الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي بكامل مسؤوليته ووجهته قصد وقف الفتنة ، وذلك راجع إلى خصائص فكر الإصلاح والسياسة لدى علماء كنتة عموما ولدى سيد محمد الخليفة خصوصا¹، مستخدما وزنه الديني وحنكته السياسية العميقة واطلاعه الواسع على خفايا الصراع، وقد راسل المجموعات الثلاث التي شاركت في الحرب:

أ- (فروع أولاد أمبارك).

ب- (ادغموس (لادم) وطلبته المتحالفين معهم).

ج- (أولاد داود والجماعات المتحالفة معهم).

أ- الرسائل الموجهة لمختلف تفرعات أولاد امبارك:

وجه الشيخ سيد محمد الخليفة مجموعة كبيرة من الرسائل إلى المتنازعين وذلك قصد إيقاف الفتنة، إذ يدرك الدور المركزي الذي يمكن أن يلعبه أمراء مختلف أجنحة أولاد امبارك في وقف الحرب الاهلية الدائرة بين قبيلتي كبيرتين "أولاد داود" و"لادم"، نظرا لمكانتهم المعنوية وما يتمتعون به من ثقل سياسي وعسكري لدى الأطراف المتحاربة، لذلك أرسل رسائل إلى جميع القوى الفاعلة والتي لها وزن داخل الإمارة، وقد بدأها برسالة للأمير محمد أماش ولد أعمر ولد اعلي، وكتب لهنون ولد بوسيف أمير أولاد الفحفاح، وكتب إلى أبناء أحمد بن هنون العبيدي ورئيسهم سيد أحمد ولد هنون، وكتب رسالة إلى سيد أحمد ولد المختار أمير جماعة فاتة، ورسالة أخرى لأهل بهدل من جماعة فونتي.

وقد تناولت هذه الرسائل ضرورة إيقاف الفتنة والرجوع إلى السلم وضرورة والتصالح والاستقرار، وحمل المسؤولية لأمراء أولاد امبارك إزاء الحرب الدائرة في الحوض.

¹ - الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، ص 11.

رسالة إلى السلطان "أحمد بن أحمد الملقب "آماش" السلطان أولاد أمبارك بشأن الحرب:

كان السلطان آماش على علاقة كبيرة بالزاوية الكنتية، وكانت بينه مراسلات كثيرة مع الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي قصد فتح صفحة جديدة في تاريخ العلاقات السياسية والدبلوماسية بين إمارته وإمارة كنتة في منطقة أزواد، وذلك لجملة من البنود والتعهدات، يأتي في مقدمتها الانضواء إلى الخليفة الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، وإقامة العدل في الرعية، والإحسان إلى الضعفاء، وتبجيل العلماء، والرفق بالمساكين¹.

كان اسمه أحمد ولقبه آماش وهو ولد أحمد ولد علي خامس أمراء أولاد أمبارك الملقبين بالسلطين، وثاني أولاد أحمد ولد أعل الأربعة، في زمنه حدثت فتنة بين بعض قبائل الحوض التي تدخل فيها الشيخ سيد محمد الخليفة لوقفها، والواضح انه كان يغذي الحرب من خلال تدخلاته بين القبائل المتناحرة، كما حدث في زمنه اندلاع الصراع بينه وبين ابني عمه أحمد وأحمد اللب في معركة شلم الشهيرة سنة 1224 هـ / 1809م - 1810م التي انتصر فيها، (ولم تحدد المصادر القديمة تاريخ وفاته وإن كان آخر ذكر له فيها سنة 1235 هجري الموافق 1819م-1820م عندما قاد قومه يوم سمي²) وقد مدحه الشعراء الشعبيين كثيرا، وتقول الرواية الشعبية إن محمد آماش جمع به فرس فلم يوقف له على أثر ولم يعرف له قبر، كما تقول رواية أخرى أنه توفي في طريقه إلى الزاوية الكنتية في أزواد، ويعتبر من أعظم السلطين أولاد أمبارك يوصف بالقوة والبطش والإسراف بالدماء حسب المصادر³، فتخلّى صالح بن عبد الوهاب عن القضاء له ورحل عنه⁴.

" الحمد لله اللطيف بعباده، الحكم العدل في بلاده، ... هذا وإنه من عبد ربه الغني به محمد بن المختار، إلى ... زعيم البيض من أهل الحوض والسود، السلطان محمد بن السلطان أحمد، بن السلطان اعل ولد أحمد ولد هنون ولد بهدل بالسلام التام والتحية والإكرام() وإنه بالوصية لي ولك بتقوى الله الذي له الملك

¹ - محمد أحمد جد، أدب الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي دراسة وتحقيق لنماذج من نثره وشعره، مرجع سابق، ص48.

² - الحسين ولد محنض، تاريخ موريتانيا الحديث، دار الفكر، ط1، نواكشوط، 2010م، ص177 وما بعدها.

³ - محمد صالح ولد عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سابق، ص65.

⁴ - الحسين ولد محنض، تاريخ موريتانيا الحديث، مرجع سابق، ص177.

والخلق، والصدق والعدل والإحسان فيما ولاك الله من أمر خليفته، فإنك مسترعى فيه، ومسؤول عنه، ..."¹.

-رسالة إلى جماعة إمارة فونتي وأهل بهدل:

فونتي وأهل بهدل: وفونتي تسمية أطلقها عليهم الطوارق ومعناها (ليس حسنا) وهو أمر يدل على أن الطريقة التي إخضعوهم بها كانت قاسية²، وفونتي من مجموعات أولاد امبارك وتطلق على أبناء احمد الزناكي الذين أمهم فاطمة بنت احميدة العبيدية ما عدا ذرية هنون العبيدي وذرية بهدل...³، أما **أهل بهدل فهم أبناء محمد الزناكي** فهم بيت الإمارة في أولاد امبارك ويسمى أمراء أهل بهدل **بالسلاطين**، وكان هنون بن بهدل بن محمد الزناكي أول من وطد لأولاد أمبارك الملك بمنطقة باغنة التي اجتاحتها وملكوا "إسكرانها"⁴، ورتبوا على أهلها المغارم ، كل بطن من قومه من أولاد أمبارك له أصحابه الخاصون به⁵ ولبهدل ابنان: هنون بن بهدل وبوراية بن بهدل وكان هنون أول سلاطينهم، وفي ذريته اتصلت الإمارة حتى آخرهم المختار (خطري) بن أعمر بن اعلي بن أعمر بن هنون بن بهدل المقتول يوم مد الله سنة 1257 هـ، وبموته تلاشى ملك أهل بهدل⁶.

"من عبد ربه الغني به محمد بن مختار إلى جماعة فونتي ومن معهم من أهل بهدل... بالسلام التام والتحية والإكرام... بما كنتم تعاملوننا به من الإجلال والترفيح ولم يبلغنا عنكم ما يريب ويشير العاقل ويعيب، سوى ما تلوثتم به منذ العام الأول مما يهدم العزة ويذهب الدول من مباشرتكم القتال فيما بين لادم و

¹ - للإطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى : الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، رسالة إلى السلطان أماش ولد أعمر ولد اعلي، مخطوط، ضمن مجموع رسائل الشيخ سيد محمد الخليفة لأمرأ وقبائل الحوض، كاو ، مالي ، من دون تصنيف وترقيم.

² - الناني ولد الحسين، إمارة أولاد أمبارك، مرجع سابق، ص75.

³ - الطالب أحمد ولد الطوير الجنة، مصدر سابق، صص 70-71

⁴ - "إسكران" : في الأصل تجمعات سكانية ملك أهلها البقر تقيم على المناهل ، ولا تنظعن إلا نادرا ، وقد تطلق على مخيم الأمير الذي أصبح يمتلك "أسكر" من البقر خاصا به.

⁵ - الحسين ولد محنض، تاريخ موريتانيا الحديث، مرجع سابق ، ص174.

⁶ - صالح بن عبد الوهاب، الحسوة، مصدر سابق، ص99 .

أولاد داود، وكان الحزم اللائق بملككم السعي في إصلاح ذات بينهم وكفاية ما يسعون فيه من هلاكهم...¹.

رسالة إلى سيد أحمد ولد المختار أمير فاتة:

سيد أحمد بن المختار: من عظماء أولاد امبارك وممدحيهم رابع رؤساء أهل بوسيف بن أحمد الزناكي (فاتة انغلي) وتولى الزعامة بعد أبيه، وكان نداً منافساً لهون بن بوسيف بن أحمد رئيس أهل هون العبيدي في زمنه، ثم نافس ابنه من بعده عثمان بن هون، ...²، وكان من فرسان العرب وشجعانهم وكرمائمهم، قاد قومه يوم معركة "غابوا الأول"³، أما تسمية "فاتة" وقد يطلق عليها كذلك فاتة انغلي، فهي علم على ذرية ستة أبناء من أولاد محمد أزناكي ... بن الفحفاح بن أمبارك، وهؤلاء الأبناء ستة موزعين بحسب أمهاتهم ثلاثة ثلاثة، وهم أولاد منت القصاص ... وأولاد أم النون ... فما تفرع من هؤلاء يقال له فاتة انغلي، وفاته نوع من الشراب كانوا يستعملونه بكثرة، أما انغلي فهي بمعنى الغلاء⁴.

"الحمد لله الحكم العدل الرشيد، ... هذا وإنه من عبد ربه الغني به محمد ابن المختار، إلى الرئيس الزعيم القشمشم الصميم سيد أحمد ولد المختار ولد سيد أحمد بالسلام التام المشيع بالإكرام وبالإنهاء إليك والإعلام... وإذا وردك كتابي هذا فشمّر عن ساعد الإسعاد، واكشف عن ساق الجد والاجتهاد في إصلاح ذات بين أولاد امبارك عموماً، وخصوصاً أبناء محمد أزناكي... الخ"⁵.

رسالته إلى هون ولد بوسيف أمير قبيلة أولاد الفحفاح:

¹ - للإطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى : الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي ، رسالة إلى جماعة فونتي وأهل بهدل ، مخطوط ، ضمن مجموع رسائل الشيخ سيد محمد الخليفة لأمرأ وقبائل الحوض، گاو، مالي، من دون تصنيف وترقيم.

² - المختار ولد حامد، حوادث السنين، مصدر سابق، صص 405-406.

³ - الحسين ولد محنض -، تاريخ موريتانيا الحديث ، مرجع سابق ، صص 180-181.

⁴ - الناني ولد الحسين، إمارة أولاد أمبارك، مرجع سابق، ص 76.

⁵ - للإطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى : الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، رسالة إلى سيد أحمد ولد المختار زعيم فاتة، مخطوط ، ضمن مجموع رسائل الشيخ سيد محمد الخليفة لأمرأ وقبائل الحوض، گاو، مالي، من دون تصنيف وترقيم.

هنون بن بوسيف: من أبرز أمراء أهل هنون العبيدي بل من أبرز أمراء المغفرة¹ عموماً وأخلدهم في الذاكرة الشعبية، وقد زادت إمارته على 26 سنة (من 1215هـ 1800م/ إلى 1242هـ 1826م) وتوفي سنة 1242هـ/ 1826م- 1827م كما ذكر أصحاب الحوليات...، وقد راسل الشيخ سيدي المختار الكنتي هنون بن بوسيف كما في الطرائف والتلائد²، كان هنون أميراً عظيماً، فارساً بطلاً مقداماً سخياً، مدحه سدوم بن أنجرتو بـ"التهيدينة" المشهورة بتفرغ زين³

"من عبد ربه محمد بن المختار إلى زعيم بني الفحاح غير منازع، ورئيسها غير مدافع هنون ولد بوسيف ولد أحمد ولد هنون وابنه عثمان، السلام عليكمما والرحمة والبركة، وبعد فإننا نعتقد فيك يا هنون من الحزم والنظر لدولتك ورئاستك ما كشفت التجربة نقيضه بانعزالك ناحية عن خاصتك وغاشيتك وراعتك من أولاد امبارك عموماً... وقد أرسلت إليك كتابي هذا مذكراً ومنبهاً، أمرك فيه بما إن امتثلته، جمع لك فيه بين الفخر العاجل، والأجر الآجل، وهو القيام على قدم الاجتهاد والجد في شعب كسور أهل الحوض من أولاد امبارك ورعاياهم من داوود ابن عروك، ولادم زواياهم ولصوصهم"⁴.

-رسالة إلى أبناء أحمد بن هنون العبيدي:

أبناء أحمد بن هنون العبيدي: هذا البيت هو واسطة عقد أولاد امبارك وفيه رئاستهم العامة، ولأحمد بن هنون العبيدي ستة أبناء هم: بوسيف وعثمان وأمر وهنون وأحمد والمختار، وبيتهم في بوسيف بن أحمد ويطلق عليهم **أولاد عيشه**.

¹ - **المغفرة:** نسبة إلى مغفر بن أدري جد العديد من القبائل الموريتانية، والمغفرة إحدى المجموعات الحسانية المشهورة، وجميع الإمارات الموريتانية أسستها قبائل مغفريّة ما عدا إمارتي إدوعيش ومشظوف، وللمغفرة شيم فاضلة وأخلاق أصيلة وترفع عن الرذائل وعطف على المساكين يقال "فلان مغفري" أو "متمغفر" إذا تمسك بالقيم الأصيلة واتصف بالشهامة، ولمغفر خمسة أبناء، انظر الحسوة البيسانية، مصدر سابق، ص 28 ومابعدھا، وابن طوير الجنة، التاريخ، الهامش 30 ص 49.

² - الناني ولد الحسين، إمارة أولاد أمبارك في الحوض، مرجع سابق، صص 75-76.

³ - الحسين ولد محنض، تاريخ موريتانيا الحديث، مرجع سابق، ص 170.

⁴ - للإطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى: الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، رسالة إلى زعيم أولاد الفحاح هنون ولد بوسيف، مخطوط، ضمن مجموع رسائل الشيخ سيد محمد الخليفة لأمرأى وقبائل الحوض، كاو، مالي، من دون تصنيف وترقيم.

"... إنه من عبد ربه الغني به محمد ابن المختار إلى خاصته من أولاد امبارك من يرجو لهم الإحاطة بعناية الله تعالى والتدارك، أبناء أحمد بن هنون العبيدي... وباقي الجماعة، أنه بالسلام التام والتحية والإكرام... والإعلام أن ما أنتم فيه من فساد ذات البين وشب نار الحرب فيما بينكم، ثم فيما بين أعوانكم ... قد بعثت إليكم بكتابي فإذا انتهى إليكم فاجنحوا إلى السلم فيما بينكم، وبين إخوانكم..."¹.

ب- الرسائل الموجهة إلى قبيلة ادغموس (لادم) وحلفائهم:

-إدغموسه: هم فرع من لادم في منطقة الحوض الشرقي ، أي أبناء موسى، أو المنسوبة إلى "الدغموس" وهو نبت صحراوي يحوي مادة عسلية شديدة الاحتراق، كناية عن شراستهم في الحرب²، من كبريات قبائل الصحراء وهي قبيلة محاربة وتوجد منها فرقتان مهمتان في أولاد مُوحمد (لادم الكحل) تعتبر قبيلة ادغموس من أكثر القبائل الصنهاجية قدما في الصحراء الجنوبية... وهم ينتسبون بدون ريب لاتحادية لمطة³ ...، وهم اليوم قبيلة من قبائل الحوض وهم ضمن اتحادية أولاد مُوحْمُذ المحاربة وهي التي وقع عليها عبئ الحرب، وفي الحوض الغربي توجد "لادم الغرب" المعروفة بتمطانت ويطلق عليهم كذلك لادم البيض، ...، "ولادم الغرب" لم يشاركوا في الحرب التي تنتزل الرسالة فيها⁴.

"... من عبد ربه الغني به محمد بن المختار إلى جماعة الأصحاب القدماء، جماعة ادغموس عموما،... بالسلام التام والتحية والإكرام، وبعد فإنه الإعلام لكم أعلمنا الله وإياكم كل خير، ووقانا كل ضير أنه لا أجهل منكم يا أهل

¹ - للإطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى : الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، رسالة إلى أبناء هنون ولد أحمد العبيدي ، مخطوط ، ضمن مجموع رسائل الشيخ سيد محمد الخليفة إلى أمراء وقبائل الحوض ، گاو ، مالي ، من دون تصنيف وترقيم.

² - حماء الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص335.

³ - بول مارتني، القبائل البيضاوية في الحوض والساحل الموريتاني، مرجع سابق، ص306.

⁴ - حماء الله ولد السالم، تاريخ شنكيطي موريتانيا، مرجع سابق، ص437.

الحوض ولا أسفه... فيال الله العجب منكم مع زعمكم أنكم عقلاء وأن منكم من له رأي وبصيرة، ثم بأيديكم إلى ما فيه خراب دنياكم...¹.

-حلفائهم أهل الطالب مصطفى: فيحتلون مكانة من أكثر مثيلاتها بين الزوايا في الحوض، وجدهم الأعلى هو الطالب مصطفى بن الطالب سليمان بن باريك الله بن بازيد، وينتسب إلى تشمشة (الترارزة) وقد قدم جدهم الطالب مصطفى إلى الحوض مع حداده المدعو بحرمة في نهاية القرن السابع عشر، وقد اختلطوا بأولاد مَوْحْمُذ وصاروا خلال القرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر طلبتهم².

"من عبد ربه ابن المختار إلى جماعة الإخوان الأعيان والأحباب الخرسان جماعة أهل الطالب مصطفى عموما، ... وإنه بالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والإعلام لكم، أن شر أيام المؤمن يوم يقاتل فيه إخوانه المؤمنين، يعرض فيه بدنياه للتلغ، وبدينه للفساد، وبعرضه للطعن، وبدمه للإراقة،...³".

جـ — رسائله إلى قبيلة أولاد داود وإخوتهم أهل بوردة:

كانت العلاقة بين أولاد داود وعلماء كنتة ممتازة وودية، فقد خضع هنوه بن بيده وأبوه للزعامة الروحية للشيخ سيد المختار الكبير وخليفته الشيخ سيد محمد، وقد تدخل الشيخ سيد المختار الكبير عدت مرات لصالح أولاد داود في نزاعهم مع بعض قبائل التوارك كما مربنا، وقد قدمنا تعريفا لأولاد داود في بداية هذا الفصل ضمن رسالة الشيخ سيد المختار الكنتي إليهم.

"من عبد ربه محمد بن المختار إلى أخص الأحباب هنون ولد بيده وابنه بيده، ثم إلى سائر جماعة أولاد داود... وبعد يا هنون فإنه لم يبلغني عنك فيما مضى ولم أطلع عليه فيك من فساد الرأي وسوء التدبير ما بلغني عنك منذ عام أول،

¹ - للإطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى : الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، رسالة إلى ادغموس (لادم)، مخطوط، ضمن مجموع رسائل الشيخ سيد محمد الخليفة لأمراء وقبائل الحوض، گاو ، مالي ، من دون تصنيف أو ترقيم .

² - بول مارتي، القبائل البيضانية، مرجع سابق، ص 211 وما بعدها.

³ - للإطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى : الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، رسالة إلى أهل الطالب مصطفى ، مخطوط، ضمن مجموع رسائل لأمراء وقبائل الحوض، گاو ، مالي ، من دون تصنيف وترقيم .

من التكالب على هذه الحرب المشؤومة بينك وبين لادم، ومع يقيننا أن حزبهم من أولاد امبارك لا يسلمهم لك...¹.

- **أهل بوردة وأهل الطالب عبد الله**، ينتمون إلى الحاج عبد الله بن بوردة (المتوفي 1170هـ) وهم زوايا وفروع أولاد داود، ... ومن أهم أعلامهم سيدي محمد بن الحاج عبد الله بن بوردة الولي العارف المشهور، وقد ترك سيدي محمد بن الحاج عبد الله بن بوردة أربعة أولاد وبناتاً وهم: سيد المختار وسيدي أحمد واعلي غنوة وسيدي إبراهيم وأختهم الطاهرة وهي زوج الشيخ سيد المختار بن الخليفة بن الطالب المصطفى القلاوي².

"... هذا وإنه من عبد ربه محمد بن المختار إلى جماعة أبناء أبي رده وإخوانهم أبناء الطالب عبد الله عموماً، ... بالسلام الأسمى، والتحية والنعمى ... وبالإعلام لكم ... أنكم وردتم نار الحرب التي لا يردّها مستشرف إليها، إلا صدر عنها كارها لها، ولا يأتيها متطاولا، إلا أدبر عنها متقاصرا..."³.

-رسالته إلى قبيلتي أولاد الناصر ومشظوف:

ومن أهتمامات الشيخ سيد محمد الخليفة ودوره السياسي والاصلاحي المتنامي بالمجتمع الأهلي القبلي في المجال الموريتاني تنزل رسالته هذه إلى قبيلتي أولاد الناصر ومشظوف:

أولاد الناصر: من أهم قبائل موريتانيا وينتمون إلى عرب المعقل الذين اجتاحوا مع بني هلال وبني سليم منطقة إفرقيه (تونس) والمغرب وانتشروا فيها واقتسموها، ومن أهم قبائل المعقل التي انتشرت في موريتانيا بنو حسان (حسان الأكبر) جد مغفر أبو ناصر، ويعتبر أولاد الناصر عرب من حسان الخالص ...⁴.

¹- الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، رسالة إلى هنون ولد بيده وجماعة أولاد دواد، مخطوط، ضمن مجموع رسائل الشيخ سيد محمد الخليفة لأمرأ وقبائل الحوض، گاو، مالي، من دون تصنيف وترقيم.

²- صالح ولد عبد الوهاب، الحسوة البيسانية، مصدر سابق، ص 63 وما بعدها.

³- للإطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى: الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، رسالة إلى أبناء أبي رده وأهل الطالب عبد الله، مخطوط، ضمن مجموع رسائل الشيخ سيد محمد الخليفة لأمرأ وقبائل الحوض، گاو، مالي، من دون تصنيف وترقيم.

⁴- بول مارتني، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، مرجع سابق، ص 287.

وإلى القرن الخامس عشر كما أسلفنا تعود وقائع الرواية الكنتية عنهم، إذ عقد الشيخ سيد امحمد الكنتي والد الشيخ سيدي أحمد البكاي حلفا مع أولاد الناصر، ...¹، وينقسم أولاد الناصر إلى جذمين كبيرين: العناتر أولاد عنتر بن ناصر، والعياسات أولاد عيسى بن ناصر... لقد جاء في رسالة الشيخ سيدمحمد تذكير أولاد الناصر بحادثة اللقياهم بالشيخ الكنتي ناحية "التاوزه في الساقية الحمراء، وما اتصل بها من دعوة ومباركة للحرب ضد ابدوكل، وهو ماقصده الشيخ سيد المختار الكبير في قصيدته الفخرية وهو الذي دوخت لمستون دعوته حتى علتهم بنو حسان بالخفر².

وكانت في أولاد الناصر عدة رئاسات، غير أن رئاستهم العامة كانت في ذرية الشعري ولد شبيشب³، وأهم رؤسائهم امحمد ولد بكار حفيد الشعري، وعثمان ولد الحبيب⁴، وأحمد ولد عثمان ولد الحبيب، وأعمر ولد احمد الحبيب⁵، ولا تنقل لنا الرواية شيئا عن تاريخ أولاد الناصر خلال القرون الثلاثة السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر، إلا أننا نعرف أنهم هبطوا من آدرار حيث أقطعوا مكانا لهم بين أولاد امبارك وإدوعيش كقوة تخشى عاقبتهم⁶.

مشظوف: ربما كان لفظ مشظوف—حسب بابه بن الشيخ سيديا⁷ واعتمده ابن حامد⁸ — تحريفاً لمسوفة، وهي قبيلة من القبائل الصنهاجية القديمة بهذه البلاد، وكانوا جزءاً من إمارة مسوفية متكونة من ست قبائل متحالفة، لكن هناك

¹ - بول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، نفس المرجع السابق، ص288.

² - حماد الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا شنكيطي، مرجع سابق، ص169.

³ - الحسين ولد محنض، تاريخ موريتانيا الحديث، مرجع سابق، ص221.

⁴ - عثمان ولد الحبيب: يعتبر بيته من أهم بيوتات المغامرة خلف أباه على زعامة أولاد الناصر، وقد تسلسل رؤساء أولاد الناصر من صلبه.

⁵ - أعمر ولد أحمد ولد الحبيب: ولد حوالي 1860م أشارك في كل المعارك التي خاضها أولاد الناصر ضد مشظوف وكذلك ضد قبيلتي إدوعيش وأهل سيدي محمود وقد أصيب بعدة جروح في عدة معارك وهو معروف بالشجاعة والجرأة والفتك بأعدائه، وقد خلف أخاه بكار، حسب المختار ابن حامد كان مطاعاً أيّداً جلدأ إلى درجة أنه كان يلقي الفارس بفرسه، وهو الذي استطاع بجهود مضنية إعادة تشكيل القبيلة نهاية سنة 1914م، في ظل استيراتيجية الترتيب البيت الداخلي، وقد ألم به مرض الحمى وتوفي على أثره سنة 1924م، يمكن الرجوع إلى، المختار ولد حامد، التاريخ السياسي، مصدر سابق، ص163.

⁶ - بول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، مرجع سابق، ص288.

⁷ - باب ولد الشيخ سيديا، إمارتا إدوعيش ومشظوف، مصدر سابق، ص117 وما بعدها.

⁸ - المختار ولد حامد، التاريخ السياسي، مصدر سابق، ص200 وما بعدها.

مجموعات أخرى من أصول عربية ولمتونية مختلفة¹، وقد شكلت مشظوف مع بداية القرن التاسع عشر إمارة قوية لها نفوذ واسع في الحوض استقطبت الكثير من القبائل والبطون ممن لم يكونوا أصلاً من مشظوف،... وقد اشتهر عن أمرائها العدل والشهامة، وتنقسم مشظوف إلى عدة بطون وتفرعات أحصاها المؤرخ المختار ولد الحامد...² وتوجد مشظوف في عدة نواح من موريتانيا : فجمهورهم في الحوض الشرقي، وفيهم البعض في العيون والبعض في آدرار (المبعدة والعمارة)³.

ظل إسم مشظوف يطلق على تكتل من قبائل وأفخاذ من أصول شتى ترتحل في الحوض والساحل الأوسط وتمارس بلا منازع السيطرة السياسية، بدءاً من نهر النيجر الأوسط حتى درجة عرض أنيورو،... وتنتمي مشظوف لجدين هما بوهما⁴، وشاظف الملقب مشظوف...⁵، وقد ورثت مشظوف إمارة الحوض بعد أن انتصروا على أولاد أمبارك وأولاد مُحْمُذ وغيرهم في سلسلة من الحروب المستمرة، كانت الرئاسة في مشظوف في بيت أهل المحيميد⁶، وقد تتابع على رئاسة مشظوف كل من المختار ابن أبراهيم والمحيميد ولد أبراهيم (جد أهل المحيميد المخيم الأميري في القبيلة)، وقد استقر مشظوف في الحوض نهائياً زمن رئاسة المختار ولد المحيميد وذلك في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي⁷، وأول من وطد الإمارة منهم هو أحمد محمود بن المختار بن المحيميد، وقد ظهرت عليه دلائل النبوغ وهو شاب، وهو أول من هاجر بمشظوف من تگانت إلى الحوض وقامت على يده إمارتهم، وقد كان موصوفاً بالعدل والسياسة، ونفذ الأمر، جرت له أيام ضد القوى المختلفة في الحوض انتصر في أغلبها⁸، وقد بلغ أحمد محمود حسب باب بن الشيخ سيديا من

¹ - حماء الله ولد السالم، تاريخ بلاد شنقيطي موريتانيا، مرجع سابق، ص 440.

² - للإطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى : المختار ولد حامد، الجغرافيا، مرجع سابق، ص 34 وما بعدها.

³ - المختار ولد حامد، التاريخ السياسي، مصدر سابق، ص 200 وما بعدها.

⁴ - كان بوهما زعيماً لقومه حظي بمباركة الشيخ سيدي أحمد البكاي ابن الشيخ سيدي محمد الكنتي الكبير (دفين فस्क)، وهو من الوافدين معه إلى ولاته في طريقهم قصد بيت الله الحرام، وهناك مكان شهير في ولاته يسمى بإسمه حتى الآن يقال له "دخلت بوهما".

⁵ - بول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، مرجع سابق، ص 86.

⁶ - المختار ولد حامد، التاريخ السياسي، مصدر سابق، ص 200-201.

⁷ - بول مارتي، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، مرجع سابق ص 89.

⁸ - المختار ولد حامد، التاريخ السياسي، مصدر سابق، ص 201.

العظمة والملك والقوة مالم يبلغه مثله أحد من أمراء هذه البلاد الصحراوية، وبلغ سائر مشظوف من الكثرة وكثرت الخيل والإبل وسائر الماشية مالم تبلغه قبيلة من قبائل هذه الصحاري¹، وقد توارث أولاده وأحفاده الإمارة على مشظوف.

" هذا وإنه من عبد ربه الغني به محمد بن المختار بن أبي بكر الى قبيلتي أولاد الناصر ومشظوف ما بين مجهول الاسم منهم والمعروف موروث الجد الاعلى والمعدين عند الاسلاف للداهية الجلي أخص من أعيان الفريقين من حضر اسمه في الحيين:ومن لم يذكر من أعيان الحيين، ورؤساء القبيلتين بالسلام التام والتحية والإكرام ما أنتسخ الضوء بالظلام: وبعد فإني أحمد إليكم الله ..."²

تتميز هذه الرسالة والرسائل التي قبلها بإبراز الدور السياسي والاصلاحي اللامع للشيخ سيد محمد الخليفة في المجال الموريتاني، لقد لعب علماء كنتة من خلال علاقاتهم الواسعة مع مختلف الأطراف دورا من ألمع الأدوار في تحقيق التوازن بين مختلف القوى من بني حسان، إضافة إلى أهل الشوكة الصنهاجيين مثل ايدوعيش ومشظوف، فضلا عن سعيهم إلى ردع الفساد الأهلي من خلال السعي إلى إصلاح ذات بين سراة المدن من جهة، وهؤلاء وذوي الشوكة من حسان من جهة أخرى"³.

لقد كان لعلماء كنتة دور كبير ومشهود لحل ومعالجة الأزمات المستعصية في بلاد موريتانيا ويرجعون ذلك إلى السببية والفراغ السياسي وغياب الدولة التي تجمع المسلمين، وكان هاجسهم هو كيفية إملاء الفراغ السياسي "... قلت أما في هذه البلاد الصحراوية التكرورية "السائبة" التي لا تبلغها أحكام الأمراء ولا تنالها أيديهم، بل أهلها ثلاث طوائف متغلبون وزوايا مغلوبون ولحمة مساكين

¹ - باب ولد الشيخ سيديا، إمارتا إدوعيش ومشظوف، مصدر سابق، ص120.

² - للإطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى : الشيخ سيد محمد ولد الشيخ سيد المختار الكنتي، مخطوط رسالة أولاد الناصر ومشظوف، مخطوط، زاوية الشيخ سيد المختار، نواكشوط، صص 23 - 26.

³ - حماء الله ولد السالم، المجتمع الأهلي في موريتانيا، مرجع سابق، ص349.

مملوكون تضرب على رقابهم الجزى ويتوارثون جيلا بعد جيل...وهم مع ذلك ضعفاء الأديان"¹.

3- الشيخ سيد احمد الكنتي الصغير ولد الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي وجهوده الاصلاحية والسياسية في منطقة شمال موريتانيا:

يعتبر أحد أقطاب الطريقة القادرية، اشتهر بقيادته لمشروع إصلاحي على نطاق جغرافي واسع، طال مناطق: أزواد، تيندوف، وادنون، لحامدة، تيرس، وآدرار، ولد سيدي احمد الكنتي الأصغر سنة 1803م وهو بن الشيخ سيد محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير، بمخيمات كنتة بالصحراء، وهو الخامس من أبناء والده الشيخ سيدي محمد الخليفة، عاش الشيخ سيدي احمد الكنتي طفولته في بيت ملئ بالزهد والورع والتقوى في كنف أخيه السلطان الشيخ سيد المختار الصغير الملقب "بادي" وحفظ القرآن في سن مبكرة، بعد ذلك تابع دراساته الفقهية واللغوية حتى نبغ فيهما بالإضافة إلى حذقه لعلم السياسة والرياسة، وهو شخصية دينية وعلمية هامة، وقد شكل سيدي احمد الكنتي في منتصف القرن التاسع عشر بآدرار وبالصحراء ظاهرة دينية واجتماعية وسياسية تحتاج إلى دراسة وبحث يخلطه البعض بجده الأعلى الشيخ سيدي احمد الكنتي الذي يعتبر من أهل القرن التاسع الهجري ، أما الشيخ سيد محمد الذي نهتم به فهو من أهل القرن الثالث عشر الهجري ...².

سعى الشيخ سيدي احمد الكنتي الصغير إلى بناء كيان سياسي يتجاوز العصبية القبلية الضيقة، ولعله آخر محاولات بناء الدولة في الصحراء بعد حركة المرابطين³.

انتقل من موطنه في أزواد سنة 1856م وتقول الرواية إنه قد أرسل إلى الغرب من أجل تعزيز "المذهب السني" والطريقة القادرية ودعم تنظيم بطون كنتة المقيمة على المحور الغربي⁴.

¹ - محمد أحمد جد، أدب الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي دراسة وتحقيق لنماذج من نثره وشعره، مرجع سابق، ص274.

² - المختار ولد حامد، حوادث السنين، مصدر سابق، ص488.

³ - حماد الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص354.

⁴ - ببيير بونت، روايات أصول المجتمعات البيطانية، مساهمة في دراسة ماضي غرب الصحراء، مرجع سابق، ص470.

وكانت رحلته نوعا من السياحة الدينية في بلاد البيضان الغربية بهدف الدعوة وإحياء السنة وإصلاح المجتمع يتمثل في توزيع الأعلام الكبار للاستقرار في مناطق مختلفة لأغراض دعوية وإصلاحية عامة، وهو استمرارا لتقليد يمارسه العلماء الكنتيون منذ القدم فقد دشنه أجدادهم في إقليم توات، حيث كان سيدا علي بن سيد يحي التواتي يخرج إلى صنهاجة الصحراء في رحلة دعوية¹، كذلك ابنه سيدا محمد الكنتي الذي لعب دورا رائدا في بث دعوته الإصلاحية بين المجتمعات اللمتونية – المعقلية²، وقد قرر البقاء في الشمال فبنى دارا في بئر أم قرين³ وأسس حركة دينية وسياسية قوية سعى فيها لبسط الأمن وحماية الضعفاء وتأمين القوافل، وكانت الفترة التي عاشها الشيخ سيدي محمد الكنتي بشمال موريتانيا دقيقة، فأدرا⁴ كان يعيش في خضم "صراع الإخوة" الذي عرفته إمارة أولاد يحيى بن عثمان⁵ بعد وفاة أحمد بن عيدة⁶

¹ - الخليل النحوي، المنارة والرباط، مرجع سابق، ص 98.

² - الحسين ولد محنض، مدرسة الشيخ سيدي محمد الكنتي ودورها في التاريخ الموريتاني، مرجع سابق، بدون ترقيم .

³ - بئر أم قرين: مدينة أسسها الشيخ سيد محمد الكنتي الصغير تقع بولاية تيرس الزمور شمال موريتانيا حالا، كانت ملتقى القوافل التجارية العابرة للصحراء، وقد أهلها موقعها القديم أن أصبحت منطقة استيراتيجية مهمة اجتذبت إليها الناس من كل صوب وقد غرس بها الشيخ سيدا محمد الكنتي مائة نخلة وبنى بها دارا عظيمة.

⁴ - أدرا: أدرا اليوم في التقسيم الإداري ولاية من ولايات الشمال الموريتاني وعاصمتها "أطار"، وكانت قبل ذلك الموقع الجغرافي لإمارة أولاد يحيى بن عثمان، وقال الشنقيطي سألت بعض أهل اللغة الشلحية فقال لي معناه عندهم الجبل، وله حيط يضاف إليه، وهو عبارة عن جبال شاهقة يعنيتها الصاعد مقدار أربع ساعات، وهي كالدائرة محقة في السماء، حتى إذا انتهى إليها الصاعد وجد ارضا مستوية، انظر : أحمد بن الامين، الوسيط، مصدر سابق، ص 415 ومابعدا .

⁵ - أولاد يحيى بن عثمان :مجموعة من القبائل سميت باسم جدها يحيى بن عثمان بن مغفر بن أدي بن حسان، وهذه القبائل هي :أولاد عمري وأولاد أكشار (ويطلق عليهما معا أولاد الجعفرية) وأولاد غيلان المتكونون من عدة بطون ، وقد تأسست إمارة أدرا في القرن السابع عشر الميلادي وكان بيت الإمارة في بيتين من أولاد عمري ، للاطلاع أكثر انظر : المختار ولد حامد، التاريخ السياسي، مصدر سابق، ص 146.

⁶ - أحمد ولد عيدة : هو أحمد بن سيد أحمد بن عثمان بن لفظيل (الملقب ولد عيده) أوصى أبوه سيدي أحمد لابنه المختار (النانه) بالإمارة غير أن أخاه أحمد بن عيده رفض ذلك وأنشق عنه ونجح في الاستئثار بالسلطة معتمدا على أخواله، حكم ولد عيده مدة خمس وثلاثين سنة تقريبا لأنه توفي سنة 1861م وساهم حكمه في تعزيز سلطة الإمارة حيث توسعت لتشمل قبائل لكصور وغيرها من منطقة أدرا الشرقية ، وقد أثار حكمه عدة صراعات مع الإمارات والسلطات القبلية المجاورة. انظر :

بيربونت، إمارة أدرا، مرجع سابق، ص 46

سنة 1860م والقائم بين أبنائه المتنافسين وأشياعهم، اتصل محمد¹ بن أحمد بن عيْدة المطالب بعرش أبيه بسيدي احمد الكنتي فوضع يده في يده، وقد عمل الكنتي- فيما يبدو- على استنقاذ إمارة آدرار من الانشقاق الذي يعصف بها، وكان صيته الطائر وشهرته المتسعة وجاهه الواسع ومعاضدته لأمير آدرار محمد بن أحمد بن عيْدة سبباً في أن يطيعه القاصي والداني ويصير الأمر والنهي بآدرار، ولمنزله الدينية بايعه الناس إماماً، وانضم إليه الكثير وقد وعرف عنه أنه كان قوي الشخصية وعالماً بأمور الدين والدنيا، وبما أن تأثيره بالقيم الإسلامية كان عميقاً، فقد أعطى للسلطة الأميرية بعداً أكثر ميلاً إلى المفهوم السياسي للدولة، كما تراه بعض مجموعات الزوايا، واجتمعت فيه صفات القيادة الدينية والسياسية، وقد استطاع بواسطة شخصيته الدينية والكارزمية أن يلعب دوراً كبيراً في تهدئة الأوضاع، وتمكن أن يجعل الجميع تحت إمرته وطاعته، وأصبح هو الأمر والنهي والموجه لإمارة آدرار، ونظراً لمكانته الصوفية وعلو كعبه في العلم تتلمذ عليه يده أولاد الجعفرية، ومجموعات بشرية أخرى مما مكنه من خلق حركة صوفية وعلمية واسعة في المنطقة فبايعه الناس إماماً وانضم إلى حركته خلق كثير، فكادت إمارة آدرار في عهده أن تتحول إلى قوة سياسية ودينية يقودها عسكرياً وإجتماعياً محمد بن أحمد ولد عيْدة ويخطط لها ويوجهها الشيخ سيد احمد الكنتي².

كانت رؤيته السياسية والإصلاحية من العيار الثقيل حيث تتمثل في ضرورة الحفاظ على الاستقرار والسلم الأهلي والسعي للإصلاح بين أولاد أحمد ولد عيْدة وتقريب وجهات النظر بينهم في اتجاه اختيار أفضلهم لتولي شؤون الإمارة، وكان قصده من ذلك هو استقرار الأمن والهدوء في منطقة آدرار الموريتانية، وكان يرى من موقع الخبرة التاريخية والهم الإصلاحية أن مصلحة البلاد والعباد تتمثل في بقاء أسرة أهل عيْدة لما تتمتع به من قيم ومزايا قيادية، والتقبل الناس لها على هرم السلطة.

¹- **امحمد** : هو احمد بن أحمد بن عيْدة، أكبر أبناء أحمد بن عيْدة السبعة، اشتهر بالكرم والفروسية، وقد تولى في حياة أبيه مهام سياسية، كما رشح للإمارة بعده لكن أخويه لأبيه عثمان ومحمد دبوا قتله مساء نفس اليوم الذي مات فيه أبوه، فكانت مدة إمارته يوماً واحداً.

²- المختار ولد حامد، حوادث السنين، مصدر سابق، صص 488-489.

كذلك اهتم بتأمين القوافل التجارية القادمة من المغرب وتلك القادمة من الجنوب محملة ببضائع السودان من سطو عصابات الصحراء، حيث كانت آدرار تشغل وظيفة أساسية في التجارة الصحراوية¹، وكان فترة تواجده أن حصلت أكثر المحاولات جدية من قبل كنتة من أجل إعادة السيطرة على طرق القوافل شمال آدرار²، وقد مكنه مقامه من توسيع قاعدة أتباعه معتمدا على كنته وعلى تكنة وأولاد دليم، الذين يمثلون طائفة منافسة على التحكم في هذا الموقع الاستراتيجي³.

حاول الشيخ سيد محمد الكنتي أن يبني تحالفات مهمة كونت أساسا داعما لزاويته وحركته الصوفية في الشمال الموريتاني باعتماده على مجموعات من القبائل ذات الشوكة وقبائل أخرى عرفت بطول باعها في التجارة⁴، وأسس لذلك جيش يتألف من الجعفرية وعبيد أهل عثمان وبعض أولاد دليم، وكان يقوده بشكل خاص الحزام ولد المعيوف⁵ والمختار ولد القرشي، بالإضافة لمجموعات أولاد عالي ولد أحمد وأولاد اللب والكرع والعروسيون⁶، وكان الشيخ سيد محمد الكنتي يقيم علاقات وثيقة مع أولاد دليم والقرع والعروسيين وأهل بارك الله. يمكننا تلخيص الدور الإصلاحي والسياسي لسيد محمد الكنتي في النقاط التالية:

¹ - بير بونت، "الشيخ سيد محمد الكنتي وجه صحراوي منسي"، مجلة المغرب الإفريقي، العدد 1، الرباط، 2000م، ص 119.

² - بيير بونت، روايات أصول المجتمعات البيطانية، مساهمة في دراسة ماضي غرب الصحراء، مرجع سابق، صص 469-470.

³ - بيير بونت، إمارة آدرار، ترجمة: محمد بن بوعلي بن الغراب، دار النشر جسر، نواكشوط 2012م، ص 57.

⁴ - مصطفى ناعمي، الصحراء من خلال بلاد تكنة، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطابع عكاظ، 1988م، ص 177 وما بعدها.

⁵ - **الحزام بن المعيوف** : هو الحزام بن سيدي بن محمد بن المعيوف بن تگدي بن أكشار، وهو الزعيم المشهور والفارس البطل والسياسي المحنك ومسعر الحروب، كان عزيز النفس رابط الجأش حاسماً لا يهاب أحداً، كان قائد جيش سيد محمد الكنتي الذي أسسه في الشمال الموريتاني بمنطقة بئر مكرين، للاطلاع أكثر انظر : المختار ولد حامد، التاريخ السياسي، مصدر سابق، صص 150-155-157.

⁶ - **العروسيون** : قبيلة مشهورة بالصحراء تنتسب إلى الشريف سيدي أحمد العروسي وهو أحد الصلحاء المشهورين قدم إلى الساقية الحمراء وبها دفن، وشكلت ذريته مجموعات من أهل الشوكة قامت بأدوار تاريخية مهمة في غرب موريتانيا وشرقيها منذ القرن السابع عشر، والعروسيون في موريتانيا مثلوا دور الرماة في مالي، للاطلاع أكثر انظر: الشيخ محمد اليدي، شيم الزوايا، تقديم وتحقيق، محمد بن باباه، بيت الحكمة، تونس، 1990م، ص 87 وما بعدها.

- 1- اهتم ببناء كيان سياسي يتجاوز العصبية القبلية الضيقة، ولعله آخر محاولات بناء الدولة في الصحراء بعد حركة المرابطين.
- 2- شكل تمركزه في شمال موريتانيا، منتصف القرن التاسع عشر، إحياءً لدور جده الشيخ سيدي عمر الشيخ دفين وادي درعة بن الشيخ سيدي أحمد البكاي بودمعة، نقيب الطريقة القادرية، الذي استوطن المنطقة هو ابنائه (الشيخ سيدي أحمد الفيرم، سيدي المختار الشيخ، سيدي الوافي) وابن أخيه سيدي عبد الرحمن الهامل، ابتداء من القرن السادس عشر واستمر وجودهم أكثر من قرنين، قبل التحول والانتشار بمنطقة توات وتأسيس: زاوية كنتة، زاوية الهمال بأقبلي والزوايا الوافية بقصري الجديد والأحمر.
- 3- عمل على بث الأمان والطمأنينة في الصحراء من خلال تأسيس مركز أمني في عمق الصحراء يُعرف بـ (بئر أم أكرين) ويقع حالياً في أقصى الشمال الموريتاني، ركز من خلاله على تأمين طرق القوافل وتسهيل تنقل الناس بين المدن والواحات ومناجم الملح .
- 4- اهتم بدعم وتقوية توحيد المجتمع القبلي المسلم، وكان يدعو إلى توحيد الكلمة، خاصة في منطقة آدرار حيث كان الظهير القوي الحليف لإمارة أولاد يحيى بن عثمان في آدرار، ووضع حدا لما عُرف في تلك الفترة بـ (أخسارت أهل أحمل عيده) فثبتت الإمارة في البيت الأميري الشرعي.
- 5- مواصلة لدور أسلافه شكلت مكانته وحضوره الفاعل في المنطقة، دعماً معنوياً وروحياً عامل وحدة لبني عمومته الكنتيين القاطنين في وادان والساحل، وحلاً لخلافاتهم، وضمان احترامهم من الكيانات المحيطة بهم .
- 6- أرسى دعائم التصوف القادري العالم في المنطقة، مع تطبيق صارم لمقارباته الإصلاحية التي تهتم بتأمين الناس والحفاظ على ممتلكاتهم، وجعلها كلمة باقية في عقبه.
- 7- اضطلع ابنائه من بعده بدوره الريادي إصلاحاً وجهاداً وعلماً وتصوفاً وكرماً ومروءة مازالت أمجادهم ومآثرهم عبقا شذيا وغصنا نديا، في ربوع المنطقة إلى اليوم .

الفصل الثالث
علماء كنتة وعلاقتهم
بالسودان الغربي

- المبحث الأول: السودان الغربي محدداته:

السودان الغربي: اسم أطلقه الأوروبيون على منطقتي نهر السنغال والنيجر، بينما أطلق اسم سودان وادي النيل على المنطقة الواقعة جنوب مصر أما بالنسبة للجغرافيين والمؤرخين والرحالة المسلمين، فقد كانت بلاد السودان تعني لهم منطقة أوسع بكثير، تمتد جنوب الصحراء الكبرى من المحيط الأطلسي إلى بلاد النوبى على نهر النيل، وسُمِّي الجزء الغربي منها في المصادر العربية بالسودان الغربي، ويعد الجزء الممتد من ثنية النهر النيجر الشرقية حتى المحيط الأطلسي غربا، ومن الصحراء الكبرى شمالا وحتى اقليم الغابات المطيرة جنوبا، من أهم مناطق السودان الغربي وأكثرها شهرة بالنسبة للمصادر العربية، فقد لفت هذا الجزء اهتمام المسلمين منذ وقت مبكر، وذلك لما يحويه من عناصر جذب متعددة...¹.

والسودان في اللغة تلفظ جمع أسود بضم أوله قرية بالشام وتعني بلاد السود (أي الجنس الأسود) وذلك في مقابلة بلاد البيضان ويقصد بها شمال إفريقيا (المغرب والصحراء) و السودان جمع صيغة أسود المقصود الرجال ذوي البشرة السوداء الذين يعرفون أيضا الأساود وعلى نفس الوزن استخدم العرب كلمة البيضان أي الرجال ذوي البشرة البيضاء².

وردت كلمة السودان عند الكثير من الجغرافيين والإخباريين العرب في القديم، فابن خلدون يقول: ((والسودان أصناف شعوب وقبائل، أشهرها بالمشرق الزنج والنوبة، يليهم الزغاوة يليهم الكانم، يليهم من غربهم كوكو، وبعدهم التكرور، ويفصلون بالبحر المحيط إلى غانية))³، وقد وصفها الأصطخري فيقول: ((إنه ليس في أقاليم السودان من الحبشة والنوبة والبجة وغيرهم إقليم أوسع منه ويمتدون إلى قرب المحيط مماليلي الجنوب ومماليلي الشمال... من وراء الواحات⁴) وقد إستعملها كذلك غيرهم من الإخباريين

¹- نور الدين شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، دار الجزائر، 2015م، ص1.

²- قحام عمار بن شعبان سلمى، الطرق الصوفية في السودان الغربي و دورها في الحياة الثقافية و الدينية (مابين القرنين 9هـ -13هـ / 15م-19م)، ماستر في التاريخ، جامعة 8ماي قالمة، السنة الدراسية 2016-2017م، ص6.

³- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر. ديوان المبتدأ والخبر، ج5، مصدر سابق، 243.

⁴- الشيخ أبي إسحاق الفارسي. الأصطخري، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، دت، ص40.

العرب في العصور الوسطى¹، فقد أطلقوا على كل السود الإفريقيين السودان، كما يتضح ذلك من خلال الرسالة التي كتبها الجاحظ تحت مسمى "كتاب فخر السودان على البيضان"²، وإذا كان نهر النيل كما عبر هيرودوت.... ((مصر هبة النيل)) نظرا للدور المحوري الذي لعبه هذا النهر في قيام أعرق وأرقى حضارة عرفها العالم القديم، فإن نفس الوصف يمكن أن نطلقه على نهري النيجر والسنغال³ في قيام حضارات وممالك السودان الغربي،.... ذلك أنه بين هذين النهرين توفرت ظروفًا خاصة مساعدة على الزراعة والرعي... فالسودان الغربي إذاً تعد بحق مهداً لأعرق الإمبراطوريات الإفريقية⁴.

وتطلق كلمة السودان على المنطقة المحصورة بين المحيط الأطلسي غرباً، والمحيط الهندي، والبحر الأحمر شرقاً، والصحراء الكبرى شمالاً، وخط عرض 10 جنوباً شمال خط الاستواء، والعرب المسلمون هم أول من أطلق كلمة السودان على الشعوب والقبائل، التي تسكن هذه المنطقة الواسعة⁵.

¹ زكريا بن محمد المعروف بالقزويني، آثار العباد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، دت، ص24، وعبيد الله البكري، المسالك والممالك، الجزء الثاني، حققه وقدم له أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة بيت الحكمة، د، ت، 1992م، ص868.

² يمكن الرجوع إلى : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، الجزء الأول، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت، ص173.

³ نهر السنغال ونهر النيجر : كان المؤرخون القدماء يسمون كليهما بنهر النيل أو البحر، ونهر السنغال يبلغ طوله حوالي 1600 كلم ويأتي كسادس الأنهار الإفريقية وخامسها من حيث مساح حوضه، وينبع من وسط غينيا (كوناكري) ويصب في المحيط الأطلسي عند مدينة سان لوي السنغالية، القسم الأوسط من هذا النهر صالح للملاحة وهو مصدر للخصب للأراضي التي يمر بها، أما النهر النيجر وهو ثالث أنهار إفريقيا طولاً بعد نهر النيل ونهر الكونغو إذ يبلغ طوله حوالي 4200 كلم، وكذلك من حيث مساحة الحوض التي تزيد على 2 مليون كيلو متر مربع، وينبع من الحدود الغينية (كوناكري) مع سيراليون، يرفد هذا النهر كثير من الأنهار ويمر في كل من غينيا (كوناكري) ومالي والنيجر حيث يئلف قسم من الحدود بين هذه الدولة وبنين ثم يتجه إلى نيجيريا ليصب هناك في دلتا كبيرة، ونهر النيجر صالح للملاحة وهو مصدر هام لصيد السمك، وقد قامت على ضفافه وخاصة في مالي عدة حضارات. بالإضافة إلى هذين النهرين هناك أنهار أخرى أقل أهمية، مثل نهر "كاسمانس" في السنغال، ونهر غامبيا في دولة غامبيا، وأنهار فولتا (الأبيض والأحمر والأسود) والتي تقع في بوركينافاسو، أما البحيرات فهي شبه معدومة باستثناء بحيرة فولتا في غانا، للاطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى : فوزان بن عبد الرحمن الفوزان، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المجلد 12، مرجع سابق، صص41-44، وكذلك : محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كرديدية، المسلمون في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص22.

⁴ نور الدين شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، مرجع سابق، ص3.

⁵ يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص8.

وقد يلاحظ المتتبع لكتابات الإخباريين العرب في العصور الوسطى عدم وجود أي تقسيم للمنطقة، لكن بعد الاحتلال الأوربي قُسم السودان إلى أقسام متعددة، فظهر، السودان الشرقي، والسودان الأوسط، والسودان الغربي:

- **السودان الشرقي:** ويشمل مناطق وادي النيل وروافده العليا جنوب بلاد النوبة، ويمتد من البحر الأحمر شرقا حتى حدود إقليم دارفور غربا، وقد غلب اسم بلاد الزنج عند العرب على هذا القسم من السودان، إلا أن كلمة السودان كانت تشملها أيضا¹.

- **السودان الأوسط:** ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد حوض بحيرة تشاد والمناطق المحيطة بها في إفريقيا الوسطى.

- **السودان الغربي:** ويشمل النيجر الأوسط والمناطق الواقعة بين حوض نهري السنغال والحوض والمجرى الأعلى لنهر فولتا، ويعرف أيضا باسم الحوض والساحل².

والمقصود بالسودان الغربي هنا المنطقة الفسيحة التي تمتد من المحيط الأطلسي في الغرب حتى سودان وادي النيل في الشرق والتي تقع بين المناطق الصحراوية والشبه الصحراوية في الشمال وبين نطاق الغابات الاستوائية في الجنوب³.

كما يطلق مصطلح غرب إفريقيا والسودان الغربي وكلاهما يدل على مانسميه بمنطقة غرب إفريقيا التي تمتد في القارة من بحيرة تشاد في الشرق حتى ساحل المحيط الأطلنطي في الغرب، وتقع عند خط عرض 17.9 شمال خط الاستواء على وجه التقريب، وهي مساحة تبلغ 2.4 مليون ميل مربع، وهي جزء من السودان الغربي والأوسط والتي عرفها الكتاب العرب ورحالتهم

¹ - عبد القادر زبادية، مملكة سـنـغـاي في عهد الأسقيين 1493م-1592م، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دت، ص15.

² - عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص11.

³ - فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م، الجزائر، ص127.

على أنها البلاد التي يحدها بحر الظلمات (المحيط الأطلنطي) من الغرب، وحدود بلاد الحبشة الغربية من الشرق¹.

ويشمل السودان الغربي بمفهومه الواسع حالياً البلدان التالية: موريتانيا، والصحراء الغربية، ومالي، والسّنغال، وغانّبيا، وغينيا بيساو، وغينيا كوناكري، وسيراليون، وليبيريا، وساحل العاج، وفولتا العليا (بوركينافاسو)، والتّوغو، وبنين، ونيجيريا، والكامرون، والقابون، والكونغو الأوسط، والنيجر وإفريقيا الوسطى، وتشاد في السودان الأوسط لارتباطها بتاريخ السودان الغربي من الناحية الإسلامية².

السكان في بلاد السودان الغربي:

نتيجة للموقع الهام والثراء الكبير الذي عاشته المنطقة فقد تميز السودان الغربي بتنوع السلالات البشرية التي تعمّره، منها:

القبائل السودانية المحلية والقبائل الصنهاجية التي انساحت على هذه المنطقة من منطقة الشمال الإفريقي منذ دهور قبل الفتح الإسلامي لايعرف أولها، إضافة إلى الهجرات العربية التي وصلت مشارف بلاد السودان صحبة جيوش الفتح الإسلامي أواخر القرن الأول للهجرة السابع الميلادي، كما تمّت هجرات قبائل بني حسان بن معقل التي وصلت منطقة الشمال الإفريقي ضمن المجموعات القبلية الثلاث: بنو هلال وبنو سليم وبنو معقل أواخر القرن الخامس للهجرة الحادي عشر الميلادي وذلك كما هو معروف في التاريخ الإسلامي³، وقد كانت الهجرات البشرية ميسورة بين منطقتي الشمال الإفريقي والسودان الغربي بالنسبة إلى عدم وجود حواجز طبيعية تعوق حركة التنقل والتواصل⁴.

¹ - عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة، 1998م، ص5.

² - يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، مرجع سابق، صص8-10.

³ - عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المعروف بديوان المبتدأ والخبر، ج6، مصدر سابق، ص17.

⁴ - مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، مرجع سابق، ص37.

إن خصوصيات موقع السودان الغربي أغدقت عليه خيرات زراعية، وحيوانية وسمكية، ومعدنية وفيرة، جعلته محطة للكثير من الهجرات من مختلف المناطق، وهذه المميزات تمثلت في موقعه في منطقة غزيرة الأمطار، ويجري فيه نهري السنغال والنيجر، إضافة إلى تنوع المناخ وخصوبة الأرض، وتوفر الثروة المعدنية خاصة الذهب¹.

وعلى كل حال سكن السودان الغربي شعوب وقبائل زنجية كثيرة اختلطت دماؤها عبر التاريخ بدماء الساميين، والهاميين الذين وفدوا على المنطقة من الشمال الشرقي والغربي، ومن أشهر القبائل الزنجية هذه، الماندي، والسوننكي، والتكرور، والتوكولور، والوولوف، والفولاني، واليوروبا، والموسى، والداجونبا، والجورما، وغيرها، وتتحدث هذه القبائل عشرات اللغات واللهجات، أهمها: اليوروبا، والفولا، والماندي، ويعتبر غرب إفريقيا خزانا أصيلا للجنس الزنجي الأصل الذي حافظ على أصله خاصة في المنطقة المحصورة بين مصب نهر السينغال غربا، وحدود نيجيريا الشرقية شرقا، والصحراء الكبرى شمالا، وخليج غانا الكبير جنوبا².

إن مسألة دراسة شعوب وقبائل السودان الغربي واسعة ومتشعبة، وتحتاج إلى دراسة خاصة إذا ما أريد تغطيتها على نحو كامل، وفي السياق دراسة الموضوع سيتم التركيز على أبرز المجموعات التي قامت بأدوار متعددة في مصير المنطقة المدروسة:

1- **الفولبي:** (مفرده: بولا / فول)، وهي التسمية التي تطلقها الفولاني على نفسها، و(فلفلدي) على لغتها، ولشعب الفولاني عدة أسماء يطلقها عليهم المؤرخون منها البوهل، الفولا، الفلان، التكلور، ويطلق عليهم الهوسا (القلبي)، والبورنو يسمونهم فلاتة، والعرب يسمونهم فلان، والماندنغو يسمونهم فولاً³، وهم من الشعوب الزنجية المشهورة بأفريقيا الغربية، ويشتهر

¹ - الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، ط1. 1999م، ص267.

² - يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، مرجع سابق، ص10.

³ - مهدي رزق الله أحمد، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقيا قبل الإستعمار وآثارها الحضارية، ط1، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1998م، ص247.

إفلان (Les Peulh) بطابعهم الرعوي وتعلقهم الشديد بقطعان بقرهم، وقد دخل إفلان الإسلام منذ عهود قديمة ولهم في نشره والدعوة إليه مواقف مشهودة ويقال إنهم من أصل مصري أونوبي جاءوا إلى السنغال عن طريق شمال إفريقية واختلطوا بالزنوج ...¹.

ومن أبرز الأدوار التاريخية التي قامت بها قبائل الفلان هي تأسيس مملكة التكرور الإسلامية حوالي القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر الميلادي وذلك في منطقة فوتا تورو²، وقد قامت القبائل الفولانية بدور مهم في التاريخ إفريقيا الغربية الحديث، وذلك بتأسيسها كلاً من: مملكة ماسنة الإسلامية في شمال دولة مالي الحالية، ومملكة الفلان الإسلامية في شمال دولة نيجيريا الاتحادية الراهنة³.

اختلفت أقوال علماء الأجناس والآثار والمؤرخين واللغويين وآراءهم حول مسألة (أصل الفلانيين)، قديماً وحديثاً، ولم يتوصلوا إلى قولٍ مقنعٍ علمياً يُعتمد عليه (حسب علمنا)، فهناك مَنْ يرجعهم إلى طائفة من بني إسرائيل اليهود، وهناك مَنْ يرى بأنهم من الروم، والبعض ينسبهم للفراعنة والنوبة أو الحبشة، وهناك مَنْ ينسبهم إلى الحميريين، ... والبعض يعتبرهم من الأصل البربري⁴، وبعض شيوخ الفلان يعتبرون أنهم من بقايا نسل جيش كان مع عقبة بن نافع تركه على ضفاف نهر النيجر وبالتحديد في منطقة كحل السوق (كيدال) وتزواج هؤلاء الفاتحون بالسكان الأصليين، وظهر عنصر عربي جديد يتمثل في قبائل الفلان⁵، وقد ذكر الشيخ محمد بللو في "إنفاق الميسور" أن قبائل الفلان

¹ - فوزان بن عبد الرحمن الفوزان، الموسوعة الجغرافية للعالم الاسلامي، مجلد 1، مرجع سابق، صص 447-448.

² - منطقة فوتا تورو : تقع منطقة فوتا تورو في حوض نهر السنغال، وتمتد على ضفتيه لتشمل جزءاً من أراضي موريتانيا وجزءاً من أراضي مالي وجزءاً من السنغال، ويحدها المحيط الأطلسي من الناحية الغربية، ومعروف أن منطقة فوتا تورو هي من أقدم مناطق السودان الغربي صلة بالإسلام.

³ - مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، مرجع سابق، ص 38.

⁴ - علي يعقوب، "الفلانيون الشعب واللغة"، مجلة قراءات إفريقية، العدد 24، ربيع الآخر 1436هـ، أبريل 2015م، ص 17 وما بعدها.

⁵ - الهادي المبروك الدالي، أدب إفريقية في ما وراء الصحراء، دار صنين للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، 1996م، ص 26.

افترقوا ثلاث فرق لبعض وقائع حدثت¹، ويرى المؤرخ المصري إبراهيم طرخان أن الفولاني من مصر العليا وأنهم هاجروا غربا عبر ساحل شمال إفريقيا إلى المحيط الأطلنطي حيث استقر البعض منهم، وواصل البعض الآخر رحلته جنوبا واختلطوا ببلاد الهوسا، واعتنقوا الدين الإسلامي، ولكنهم ظلوا من الرعايا المناوئين لحكام الهاوسا أو غيرهم²، ومهما يكن من اختلاف في وجهات النظر حول أصل هذا الشعب إلا أن الواقع الآن يفيد أن الفولانيين ينتشرون في غرب إفريقيا في المنطقة الممتدة من السنغال وحتى الكمرون... وقد اعتنق شعب الفولاني الإسلام في القرن 11 الميلادي³، فقبائل الفولان لها انتشار واسع في غربي إفريقيا من السنغال مروراً بغامبيا وغينيا ومالي وبوركينا فاسو والنيجر وشمال نيجيريا وتشاد والكاميرون، مع وجود جيوب لها في جنوب موريتانيا وشمال غانا والسودان حتى مرتفعات إثيوبيا⁴.

وعلى العموم فإن الفلاتة أو الفلان هم قوم شبه بيض سنحتهم عربية، يحترفون رعي الأبقار، يعيشون في السودان الغربي منذ آلاف السنين، ويتمتعون بسرعة فائقة على الأنصهار في المجتمعات التي يعيشون فيها⁵.

2- الهوسا:

بلاد تمتد ما بين بحيرة تشاد ونهر النيجر، وهي لا تمثل جنساً قائماً بذاته وإنما هي اصطلاح لغوي يطلق على جميع الشعوب التي تتكلم هذه اللغة ... وتسكن قبائل "الهوسا" في مجال جغرافي واسع، يمتد من الحوض الأوسط لنهر النيجر غرباً إلى برنو شرقاً، واستخدام لفظة "الهوسا" تُطلق على الشعوب التي تتكلم لغة الهوسا، أو الشعوب القاطنة في الممالك القديمة لبلاد

¹ - محمد بلو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، دار ومطابع الشعب، القاهرة، 1383 هـ - 1964 م، ص 226.

² - عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص 132، نقلاً عن: إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975 م، ص 13.

³ - محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كرديدية، المسلمون في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 25.

⁴ - بشير محمد حسين أبوبعيرة، "اللغة العربية في الغرب الإفريقي"، مجلة دراسات إفريقية، العدد 57، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، يونيو 2017 م، ص 144.

⁵ - نور الدين شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، مرجع سابق، ص 14، نقلاً عن، الطيب عبد الرحيم الفلاتي، الفلاتة في إفريقيا ومساهماتهم الإسلامية والتنمية، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط 1، 1994 م، صص 16-17.

الهوسا...¹، وكلمة الصونغاي تطلق على البلاد وليس على الناس وهم زنوج مخلطون بالطوارق والمغاربة أي بالعناصر البربرية والعربية².

ويرى محمد بلو في كتابه إنفاق الميسور "أن الهوسا يتفرعون إلى سبعة أقاليم، لسانهم واحد، وعلى كل إقليم أمير نظير للآخر قبل هذا الجهاد، وأوسطها كاشنة، وأوسعها زكزك، وأجديها غوبر، وأبركها كنوا، وهي بلاد ذات أنهار وأشجار ورمال، وجبال وأودية وغياض، يعمرها السودانيون من مماليك البربر، من أهل برنوا، والفلاتيون، والتواركيون، ...³".

وحول أصل شعب الهوسا توجد نظريات متعدّدة، أوصلها الباحث مهدي آدمو إلى أربع منها: أنهم من أصول عربية قادمة من بغداد بالعراق، أو أنهم كانوا من سكّان الصحراء الكبرى قبل تصحّرها، ولما جفّت الأرض زحفوا إلى الجنوب واستقرّ بهم المقام في هضبة بوشي، ومنها بسطوا سيطرتهم على ما عُرف فيما بعد ببلاد الهوسا، ويرى آخرون أنهم كانوا يقطنون الضفة الغربية لبحيرة تشاد، وكانوا يمتنون الصيد ...⁴.

مارس الهوسا دوراً كبيراً في التاريخ السياسي للسودان الغربي والأوسط، حيث أسسوا وسطاً إمبراطورية السنغاي في الغرب، وإمبراطورية كانم-برنو في الشرق، سبع إمارات قويّة، استطاعت- في الغالب- المحافظة على استقلاليتها وسيادتها برغم وقوعها بين قوتين إقليميتين عظيمتين، ... وقد بقيت في الوجود- على الرغم مما تعرّضت له من محاولات السيطرة- إلى 1809م عندما خضعت للمجاهد الفلاني عثمان دن فودي⁵.

3- الماندانغ:

تعتبر شعوب الماندانغ من أهم سكان في السودان الغربي، ويشمل شعب الماندانغ عدة جماعات فرعية متفرغة في سائر أنحاء المنطقة السودانية-

¹ - ج.ت. نياني، تاريخ إفريقيا العام، المجلد4، اللجنة العلميّة الدوليّة لتحرير تاريخ إفريقيا العام اليونسكو، 1988م، ص276.

² - محمد عبد الغني سعودي، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المجلد الثاني عشر، إقليم غرب إفريقيا، المملكة العربية السعودية، جامعة الامام سعود، 1999م، ص69.

³ - محمد بلو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التّكرور، مصدر سابق، ص44.

⁴ - ج.ت. نياني، تاريخ إفريقيا العام، المجلد 4، مرجع سابق، ص274 ومابعد.

⁵ - ج. ف. أدى آجاي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد6، مرجع سابق، ص630 ومابعد.

"السهلية"، من المحيط الأطلسي إلى بلاد آئير¹ مع تغلغلها داخل غابات خليج بنين²، والتسمية المتداولة بين قبائل الماندينغ هي المانكا manenka، أو الماندنكا mandinka أو الماندن mandin أو ماننج maning أو ماننجا manenga أو ماندنج mandeng، وهي كلها متقاربة³، وهي تسميات لجنس واحد هو الماندنجو، وكانت مواقع انتشارها في المنطقة الواقعة بين نهر النيجر وساحل المحيط الأطلسي أي في الوديان العليا لنهر السنغال، وكلمة الماندنجو هو مصطلح لغوي أكثر منه جنسي، فهو يطلق ويقصد به مجموعة القبائل المتكلمة بلغة الماند⁴، وقبائل الماندانغ من من أرقى أجناس إفريقيا حضرا، وأكثرهم ذكاءا لأنهم كانوا سابقين إلى الإسلام⁵، وقد ساهم الماندانغ في تأسيس مملكة مالي الإسلامية، وقد قاد الملك سند ياتا كيتا 636-653هـ/1238-1255م قبائل الماندنجو إلى النصر، إذ هزم مملكة الصوصو المنافسة، وأتاح هذا النصر له ولرفاقه... أن يقيموا دولتهم الجديدة التي عرفت في التاريخ بمملكة مالي الإسلامية وذلك عام 638هـ/1240م⁶، وعلى كل حال تطلق الدراسات التاريخية على القبائل التي أسست مالي اسم ((الماندينغ)) (manding)، وهذا المصطلح حديث أخذه المؤرخون عن المختصين في الدراسات الأنثغرافية واللسانية المتعلقة بإفريقيا⁷.

وينتشر الماندينغ في كل منطقة السودان الغربي... وينقسمون إلى ثلاث جماعات فرعية وهي ماندينغ الشمال ويمثله شعبا ("البوزو" و"السوننكي")، وماندينغ الوسط ويتفرعون إلى أربعة مجموعات (كاغورو، البامانا أو المباررة، الخاسونكي، المالنكي أو الماندي)، أما الفرع الثالث من الماندينغ

¹ - آئير أو أهير : لقد اشتهر علماء أهير وملحقاتها (أكز وتكد) بعلمهم وثقافتهم ، وخاصة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين ، وكان لموقعها الاستراتيجي على طرق القوافل التجارية دور هام في ربط السودان الغربي والأوسط بالشمال الإفريقي.

² - ج.ت. نياني، تاريخ إفريقيا العام، المجلد 4، مرجع سابق، ص 129.

³ - إبراهيم علي طرخان، دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م، ص 27.

⁴ - إبراهيم علي طرخان، دولة مالي الإسلامية، نفس المرجع، ص 26.

⁵ - الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، مصدر سابق، ص 165.

⁶ - الهادي المبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2001م، ص 22.

⁷ - احمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي 1230-1430م)، ط 1، المجمع الثقافي، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1999م، ص 165.

فيعرف (بالسيفونو¹)، وسنركز بأحد فروع الماندينغ الوسط الذي له علاقة أكثر بالدراسة:

- **البمبارة:** وهم من سكان السودان الغربي، فصيل من الماندينغ، يطلقون على أنفسهم (بامانا bamana)، أما (bambara) فهي إطلاق عليهم من لدن غيرهم، وفيه إشارة إلى الصبغة الوثنية في البامانا، وتعني حرفيا: الجاحد سيده²، وينتشرون في المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي حتى منحنى النهر النيجر، ونتيجة للاختلاط بغيرهم من الشعوب والقبائل، خصوصا قبائل الفلان تغيرت ملامحهم الجسمانية³، خضع البمبارة تاريخيا لمملكة مالي، ثم لامبراطورية الصونغا، بعد ذلك أسسوا إمارة في سيغو بقيادة زعيمهم التاريخي بيتون كوليبالي، وخضعت لامارة تومبكتوا ثم استقلت عنها عام 1071هـ/1660م وتوسعت، وأخيرا خضعت لأسرة نغولو ديارا التي إستمرت في الحكم حتى عام 1287هـ/1861م⁴، أما الموطن الأصلي للبمبارا فهو منطقة نهر النيجر...والذي يمتد من الضفة اليمنى للنيجر الأعلى وبالضبط من مرتفعات سيغيري (Sigui) إلى غاية الضفة اليسرى من أعالي منطقة باغبي (Bagbé) التي تبدأ منها أراضي شعب السينوفو(وهم فرع من الماندينغ)، وبهذا فإن موطنهم يضم أيضا نهر باولي (Baoulé) وإقليم واسولو (Ouassoulo) من الجنوب...⁵.

4- التكرور: أصل إطلاقها كان على منطقة السنغال الشرقية حاليا، ربما من أيام المرابطين ثم عمم إطلاقها - خارج بلاد السودان - على السودان الغربي كله⁶، فهم أقدم من أقام شعائر الإسلام، وكانوا قبل ذلك ماكان سائر السودان عليه من المجوسية⁷، إذ أن تكرور اسم بلدة ومملكة مبكرة من ممالك إفريقيا

¹ - نور الدين شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، مرجع سابق، ص20 وما بعدها.
² - محمود كعت التنيكتي، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، مصدر سابق، ص98.

³ - هوتسي وقتسنك، ليفي بروفنصال وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، تعريب زكي خورشيد وأحمد السنائي عبد الحميد يونس، الجزء الرابع، دار الشعب القاهرة، دت، ص180.

⁴ - أبيتبول، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الخامس، ص357.

⁵ - نور الدين شعباني، "عائلة كوليبالي ودورها في مملكة البمبارا بين (1600-1800م)"، مجلة الدراسات الإفريقية، المجلد 1، العدد 2، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، 2015م، صص98-99.

⁶ - عبد القادر زبادية، مملكة سونغاي في عهد الأسقيين 1493م-1592م، مرجع سابق، ص28 الهامش.

⁷ - عبيد الله البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص868.

الغربية التي قامت في الضفة السفلى من نهر السنغال¹، وعرفت بلادهم باسم التكرور وهي مدينة عظيمة مشهورة من بلاد السودان²، وكان الاسلام قد تأصل في التكرور وربما أكثر من تأصله في أية بيئة إفريقية أخرى، أسلموا منذ أيام عبد الله بن ياسين واشتركوا في جهاده وتشرّبوا الثقافة الإسلامية، وتعمّقوا في فهمها، وأخلصوا لها كل الإخلاص، وكانوا ألزم أهل السودان لأحكام الدين وشعائره³، وكانوا أكثر الشعوب تفاعلاً مع الآخرين، حيث استوعبوا عناصر من قبائل الولوف والسيرير المجاورين لهم مستفيدين من التجارة عبر الصحراء⁴، والتكرور يسكنون أعالي السنغال وأواسط النيجر، أحترفوا الزراعة وعرفوا بالشجاعة... وقد حرص العرب على إطلاق اسم التكرور على جميع بلاد السودان التي دخلها الإسلام، وقد تبعهم المؤرخون السودانيون الذين كتبوا بالعربية ومن أجل ذلك ظلت المصورات الجغرافية الأوروبية مدة طويلة تطلق لفظ تكروري على السودان الغربي أو الجزء الجنوبي من الصحراء الكبرى⁵، وذكر محمد بلو أن التكرور علم على الإقليم الغربي من الجنوب السوداني⁶.

5-الولوف: يعتبرون أكثر الشعوب تطوراً كانوا يؤلفون مجموعة من خمس ممالك هي السالوم والججور والنول والوالو والجولوف، وهم يسكنون مساحة كبيرة بين السنغال وجامبيا⁷، يحتل الشعب الولوف الشريط الساحلي الواقع فيما بين سنت لويس والرأس الأخضر، ومنطقة داکار، كما يحتلون الشريط الجنوبي لنهر السنغال، وهم أشد الشعوب الإفريقية سواداً وأكثرها ثروة، والغالبية العظمى من الولوف تدين بالإسلام وقليل منهم يدين بالوثنية⁸.

¹ - محمود كعت التنبكتي، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، مصدر سابق، ص 90.

² - زكريا بن محمد المعروف بالقزويني، آثار العباد وأخبار العباد، مصدر سابق، ص 26 وما بعدها.

³ - حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، مرجع سابق، ص 271.

⁴ - بشار أكرم جميل الملاح، تاريخ الإسلام في إفريقيا، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ط 1، 2014م، ص 19.

⁵ - الهام محمد علي، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 28.

⁶ - محمد بلو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، مصدر سابق، ص 27.

⁷ - عبد الرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 102.

⁸ - فيج. جي. دي، تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة وتقديم وتعليق. السيد يوسف نصر، راجع الترجمة إلى العربية بهجت رياض صليب، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1982م، ص 20.

6-التوارك: لاشك أنهم من أهم مكونات شعوب السودان الغربي، والتوارك، اللفظ بالتاء لا الطاء كما في كثير من المصادر العربية الحديثة¹، اختلف كثير من المؤرخين في أصلهم، يرى عبد الرحمان السعدي: أن الطوارق من قبائل مسوفة من سلالة صنهاجة²، يتقاطعون مع الصنهاجيين في بعض الصفات مثل اللثام واللهجة، ويسكنون الصحراء الكبرى وقد لعبوا أدوارا هامة خاصة في مالي والنيجر وجنوب الجزائر وجنوب ليبيا³، ويعرف الطوارق عند العرب بالملثمين الذين يقطنون الصحراء الكبرى، ويمتد توزيعهم الجغرافي من منطقة توات (tuat) حتى تمبكتو، ومن فزان إلى زندر الواقعة على بعد 300 ميل تقريبا غربي بحيرة تشاد، ويضم التوارك عددا من القبائل التي تتكلم لغة واحدة تسمى لغة التماجغ (temajigh)، وينقسمون إلى عدة أقسام:

- طوارق الحجار "Haggar".
 - طوارق عسكر "Asgar" وهم انقى عناصر الطوارق جميعها.
 - وطوارق الهوا "The People of th air".
 - وطوارق أفوغاس "Ifoghas" وهم يقطنون في الجنوب والجنوب الغربي من الصحراء.
 - والطوارق أوليمدان "Aulimmidan" والذين يضموا فيما بينهم طوارق النيجر وتمبكتو، وتنقسم كل هذه الأقسام إلى طبقتين فقط هما قبائل السادة النبلاء، وقبائل التابعين الموالين⁴.
- إن الهدف من هذا العرض المختصر لأهم المجموعات والقبائل في السودان الغربي هو التعرف على دورها وتأثيرها في الأحداث التاريخية الهامة بالنسبة للمنطقة.

نشأة الممالك في السودان الغربي:

إن ظهور ممالك إسلامية مزدهرة ولاسيما في السودان الغربي قد شكل وبحق أحد أبرز ملامح التطور السياسي والاجتماعي في التاريخ الأفريقي الحديث والمعاصر، ولا شك أننا مدينون بمعلوماتنا عن هذه الفترة للكتاب والرحالة العرب أمثال البكري وابن بطوطة والحسن بن الوزان (اليون الإفريقي)

¹- بول مارتي، البرابيش، ترجمة محمد محمود ولد ودادي، دار زيد بن ثابت، بيروت، 1983م، ص2.

²- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، نسخة هوداس، مصدر سابق، ص25.

³- الطالب أحمد بن طوير الجنة، مصدر سابق، ص50.

⁴- فيج . جي .دي، تاريخ غرب إفريقيا، مرجع سابق، صص62-63.

وغيرهم، لقد تعاقبت في السودان الغربي عدة إمبراطوريات منذ فترة بعيدة، تعتبر العصور الوسطى هي العصور الزاهرة في التاريخ القومي للسودان الغربي، فظهرت إمبراطورية غانا القوية، ثم تلتها إمبراطورية مالي، وبعدها إمبراطورية سونغاي، وربما عاصر بعضها بعضاً، غير أن الشهرة والعظمة والسيادة العامة، فضلاً عن القوة وسعة النفوذ، تبودلت بين هذه الإمبراطوريات، واحدة بعد أخرى.

إن مناطق السودان الغربي شأنها شأن باقي ربوع المعمور-قبل ظهور الإسلام- غارقة في معتقداتها الأرواحية¹، ممارسة لها بكل حرية عبر تقاليد وطقوس وثنية، الغاية منها حماية الفرد والمجتمع من أخطار الطبيعة، وتسخير هذه الأخيرة في خدمة الإنسان، وظل أهالي غرب إفريقيا أوفياء لهذه المعتقدات، والارتباط بالهة وثنية، وماكاد القرن الخامس الهجري ينتصف، حتى ظهر عدد من الإمارات المسلمة في قلب بلاد السودان²، وبعدها ظهرت معجزات الديانة السماوية الوافدة، فطهرت الإنسان من رموز الشرك وأحواله وربطته بمولاه وخالقه، وهذا ما تأتى بغرب إفريقيا مع ظهور عدة ممالك سودانية رفعت شعار نشر الإسلام، وهذا ما سنعمل على توضيحه بدءاً بإعطاء لمحة موجزة عن أهم ممالك السودان الغربي.

– مملكة غانا:

إن أولى حلقات التاريخ القومي لغربي إفريقيا إمبراطورية غانة، فهي أول إمبراطورية قامت بالسودان الغربي، ولعلها أول تجربة أو أقدم ما عرف من تجارب الحكم الوطني الناجح بتلك البلاد، وقد دلّ ازدهارها وبقاؤها إلى القرن الثالث عشر الهجري الميلادي، على قدرة الإفريقيين على تدبير شؤونهم بأنفسهم³؛ غانا القديمة كانت تشمل جنوب موريتانيا وشرقي السنغال وجزءاً من مالي وربما غانا أيضاً، فهي غير غانا الحالية، على هذا الاعتبار، وهذه الحدود

¹ - سعيد سامي، العلماء ومجتمع السودان الغربي خلال العصر الإسكيني (1493-1591م)، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجزء الأول، العام الجامعي، 2000-2001م، ص10.

² - أحمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي 1230-1430م)، مرجع ساق، ص81.

³ - إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م، ص13.

إنما بلغتها في أوج عزتها وقوتها¹، تعد أول إمبراطورية أفريقية تتوفر عنها معلومات موثقة بفضل كتابات الإخباريين والجغرافيين العرب وفي مقدمتهم أبو عبيد الله البكري الذي يمدنا بمعلومات وافية عنها، حيث وصف غانا وقال: "كان إسم غانة سمة لملوكهم، وإسم البلد أوكار ... ومدينة غانة مدينتان سهليتان؛ أحدهما المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجد...²"، كما أشار المؤرخ السوداني الكبير عبد الرحمن السعدي إلى غانة وقال: "وهي مدينة عظيمة في أرض باغن، قيل أن سلطنتهم كانت قبل البعثة فتملك حينئذ اثنان وعشرون ملكاً، وبعد البعثة اثنان وعشرون ملكاً، وعدد ملوكهم أربعة وأربعون ملكاً، وهم بيضان في الأصل ولكن ما نعلم من ينتمي إليه...³"، يعتقد موريس دولافوس أن المؤسسين الأوائل لمملكة غانا، هم بيض من أصل سوري يهودي، نزحوا في منتصف القرن الثاني للميلاد من ليبيا إلى منطقة أوكار في إطار هجرات سلمية، جاءت نتيجة الاضطهاد الروماني لهم، وبعد استقرارهم بجانب السكان الأصليين (قبائل السوننكي)، استطاعوا استيعاب عاداتهم، ... وبذلك تم لهم تأسيس مملكة غانة حوالي سنة 300 ميلادية⁴.

امتدت غانة الدولة الأولى في تاريخ إفريقيا الغربية بين وادي النيجر الأدنى شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً، وبين وادي السوس والصحراء الموريتانية شمالاً ومنابع النيجر والضفة اليمنى لنهر السنغال جنوباً، فيما كان يسمى بلغة البلاد ((واكادو)) wagadou أو في ما يسمى اليوم "جمهورية مالي" و"جمهورية السنغال"⁵، ولاشك أن ر.موني بذل مجهوداً جباراً في إخراج الخرائط المتعلقة بالوحدات السياسية السودانية (غانة، مالي، سنغاي) لكنها ما تزال تحتاج إلى تدقيقات لها أهمية بالغة من حيث النتائج المترتبة عنها⁶، والراجح أن أعداداً كبيرة من سكان غانة قد اعتنقت الإسلام، وأن مظاهر هذا

¹ - عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493م-1592م، مرجع سابق، ص16.

² - عبيد الله البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، صص871-877 وما بعدهما.

³ - عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، طبعة هوداس، مصدر سابق، ص9.

⁴ - أحمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي 1230-1430م)، مرجع ساق، ص110.

⁵ - نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مرجع سابق، صص28-29.

⁶ - أحمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي 1230-1430م)، مرجع ساق، ص110 الهامش.

الدين من الشعائر والمساجد والثقافة واللغة العربية، قد وجدت طريقها إلى بلاد غانة في زمن مبكر، قبل دور المرابطين، وهناك أكثر من دليل على قدم الإسلام في غانة¹، وغير بعيد عن منطقة التكرور في اتجاه الشرق، تقع عاصمة مملكة غانة... التي تتحدث عنها المصادر العربية بمدينة قومي صالح التي توجد جنوب شرق موريتانيا الحالية².

- مملكة مالي:

قامت في افريقية الغربية، في القرن السابع للهجرة - أي الثالث عشر للميلادي - مملكة واسعة إسمها مالي، سميت باسم إحدى الدول المنضمة إليها، كانت تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى بلاد البرنو - أي نيجيريا - شرقا، ومن جنوب المغرب الأقصى شمالا إلى مايقرب من المحيط جنوبا،...³، وقد ترك تفكك دولة غانا الوثنية عام 469هـ/1076م على أيدي المرابطين فراغا سياسيا في المنطقة، الأمر الذي دفع الأقاليم الإفريقية المنضوية تحت لواء غانا المنحدرة إلى تكوين كيانات سياسية، ونتج عن صراعها من أجل السلطة والسيادة أن آل الأمر أخيرا إلى قبائل (الماندنجو) المسلمة القاطنة في إقليم (كانجاب) التي يرجع إليها الفضل في إنشاء مملكة مالي الإسلامية⁴، وكان لأحد ملوكها منسى موسى شهرة رنانة في المشرق وذلك راجع إلى حجته الشهيرة إلى الديار المقدسة التي تناقلها الإخباريين بطريقة اسطورية وقد ذكرها محمود كعت وغيره⁵، وقد عرف المنسى موسى بالعطف والسخاء، والكرم، وتبجيل علماء البيضان، وجزل العطايا لهم⁶.

ورغم أهمية مملكة مالي فقد نالت قسطا وافرا في مصنفات الإخباريين العرب كثيرا، فقد ذكرها البكري باسم مَلْ وقال: "...بلد اسمه ملل وملكهم

¹ - إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، مرجع سابق، ص43 وما بعدها.

² - احمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي 1230-1430م)، مرجع ساق، ص98.

³ - صلاح الدين المنجد، مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، ط2، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1982م، ص5 وما بعدها.

⁴ - الهادي المبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا، مرجع سابق، ص22 وما بعدها.

⁵ - محمود كعت التنبكتي، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، مصدر سابق، ص120 وما بعدها.

⁶ - ابن بطوطة، محمد اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة، ج2، مصدر سابق، ص702.

يعرف بالمسلماني، وإنما سمّي بذلك لأنّ بلاده أجدبت عام بعد عام فاستسقوا بقرابينهم...¹، أما ابن بطوطة فقد زارها في القرن الثامن الهجري في إطار رحلاته الكثيرة ويحدثنا عنها كثيراً قائلاً: "ذكر سلطان مالي، وهو السلطان منسى سليمان ومنسى (بفتح العين وسكون النون وفتح السين المهمل) معناه السلطان، وسليمان اسمه... وحضرت بمالي عيد الأضحى والفطر فخرج الناس إلى المصلى، وهو بمقربة بقصر السلطان، وعليهم الثياب البيض الحسان...²"، أما الكعتي فيعطينا معلومات في غاية الأهمية "وأما ملّ إقليم واسع، وأرض كبيرة عظيمة مشتملة على المدن والقرى، ويد سلطان ملّ مبسوطة على الكل بالقهر والغلبة، وكنا نسمع من عوام عصرنا يقولون: سلاطين الدنيا أربعة، ما خلا السلطان الأعظم: سلطان بغداد، وسلطان مصر، وسلطان بزّن، وسلطان ملّ... قيل أن ملّ مشتمل على نحو أربعمئة مدن وأرضها كثيرة الخير...³".

ويوصفها السعدي في الباب الرابع من مصنفه الشهير تاريخ السودان "أما ملي إقليم كبير واسع جداً في المغرب الأقصى إلى جهة البحر المحيط، وقيمع هو الذي بدأ السلطنة في تلك الجهة... وأهل ملي هم سودان في الأصل فوسعت سلطنتهم كثيراً جداً فملكوا إلى حد أرض جني وفيها كلّ وبندك وسبردك في كل من الثلاثة اثنا عشرة سلطاناً"⁴.

"تمتد مملكة مالي على طول أحد فروع النيجر في مسافة نحو ثلاثمئة ميل متاخمة المملكة السابقة من جهة الشمال، ومن الجنوب يحدها قفر مع جبال وعرة، وتحدها غرباً غابات مهجورة تمتد إلى المحيط، وشرقاً إقليم كاغو، وفي هذه البلاد قرية عظيمة تضم نحو ستة آلاف كانون وتسمى مالي، أطلق اسمها على سائر المملكة"⁵، أي بمعنى أنها تشمل أراضي دولة مالي الحالية وعلى شرق السنغال، وشمال غينيا وشمال كل من فولتا العليا والداهومي،

¹ - عبيد الله البكري، المسالك والممالك، مصدر سابق، ص 875 وما بعدها.

² - ابن بطوطة، محمد اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة، ج 2، مصدر سابق، ص 695 وما بعدها.

³ - محمود كعت التنيكتي، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، مصدر سابق، صص 126-128-134-135.

⁴ - عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، نسخة هوداس، مصدر سابق، صص 9-10.

⁵ - الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، ج 2، مصدر سابق، ص 164.

والجنوب الأقصى من دولة موريتانيا الحالية¹، وقد اقترنت فتوح مالي في شتى أجزاء غربي إفريقية بنشر الإسلام وإقامة مؤسساته من مساجد ومدارس فضلا عن تشجيع الفقهاء والعلماء... وعرف المنسا سليمان (ت1360م) بنشاطه في هذا العمل الذي كان يحكم مالي أيام زيارة ابن بطوطة "منها عنايتهم بحفظ القرآن، وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه، فلا تفك عنهم حتى يحفظوه..."²، ونحن مدينون لابن خلدون بالقائمة الكاملة لسلطين مالي، من أواسط القرن الثالث عشر حتى نهاية القرن الرابع عشر، وهي تطابق من أوجه عديدة القائمة المستقاة من الروايات التاريخية لبلاد الماندي، وقد بين ابن خلدون في تاريخه الرائع للبربر وكذلك في المقدمة، أهمية مالي السياسية والاقتصادية الكبيرة بالنسبة إلى العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر³.

مملكة الصنغي:

في نهاية تطور طويل استغرق ثمانية قرون، أقامت جماعات ((الصنغي)) التي كانت قد استقرت على ضفتي النيجر الأوسط، في القرن الخامس عشر دولة قوية ووحدت جزءا كبيرا من السودان الغربي، وأتاحت بذلك ازدهار حضارة رائعة كانت في حالة مخاض منذ قرون⁴، تأسست دولة سنغاي في القرن السابع الميلادي، واستمرت تقوى باستمرار وتتوسع، حتى القرن السادس عشر⁵، يرى بعض الباحثين أن أول مملكة منظمة ظهرت في منطقة الصنغي ترجع إلى القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، وقد اتخذت مدينة كوكيا Koukya عاصمة لها، وتقع هذه المدينة على نهر النيجر على بعد مائة كيلو متر إلى الجنوب من مدينة جاو (Gao)⁶، وقد أصبحت غاو أول عاصمة لمملكة سنغاي عندما قام بتأسيسها الحاكم "زاكسي" الذي اعتنق

¹ - عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493م-1592م، مرجع سابق، ص21.

² - ابن بطوطة، محمد اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة، ج2، مصدر سابق، 704.

³ - ج.ت. نياني، تاريخ إفريقيا العام، المجلد 4، مرجع سابق، صص157-159.

⁴ - ج.ت. نياني، تاريخ إفريقيا العام، المجلد 4، مرجع سابق، ص199.

⁵ - عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493م-1592م، مرجع سابق، ص25.

⁶ - جون هونويك، الإسلام في إفريقيا الاستوائية، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010م، ص370.

الإسلام طوعاً بلا إكراه وذلك في سنة 400هـ¹، وتقع هذه المدينة عند بداية الثانية الثانية لنهر النيجر، وهو يبعد عنها بأكثر من ستة كيلو مترات، فكثيراً ما يقع الخلط بين كوكيا وجاو وكوكو وكاغو وجاغ، والصحيح أن كوكيا هي العاصمة القديمة لسنغي، وجاو هي عاصمتهم فيما بعد، أما كوكو وكاغو وجاغ فهي جميعاً مسميات لجاو، والاختلاف بينها في طريقة رسم الاسم أو طريقة نطقه من قبل المجموعات المختلفة التي تكونت منها مملكة السنغي أو من قبل المؤرخين الذين كتبوا تاريخها²، ويحيط الغموض بتاريخ سنغاي منذ اعتناق زاكوسي للإسلام، من أوائل القرن الخامس الهجري وحتى الربع الثالث من القرن السابع الهجري، وقد خضعت سنغاي في هذا القرن لدولة مالي الإسلامية.

إن تاريخ السنغي قبل سني علي بر (1464م-1492م) غير معروف تماماً، والمصادر العربية القليلة عن هذه الفترة تثير من المشكلات أكثر مما تقدم من معلومات، أما الروايات المنقولة فلا يمكنها توضيح حقائق هذه العصور القديمة إلا بصورة منقوصة تماماً، ومن ثم فإن دراسة هذه الفترة ستكون دراسة نقدية، تثير من القضايا أكثر مما تقدم من الحلول³.

قامت إمارة سنغاي الأولى في إقليم دندي Dendi الذي يقع على نهر النيجر، ويعد هذا الإقليم موطن هذا الشعب⁴.

أخذت بلاد السنغي تتسع في عهد سني علي الذي كون جيشاً كبيراً منظماً سار على رأسه إلى الغرب، واستولى على مدينة تمبكتو (873هـ = 1468م)، ثم على مدينة جني (878هـ = 1473م)، وفتح مملكة الموسى وضمها إلى دولته، وتقدم شرقاً فهاجم بعض إمارات الهوسا فخضعت له، ثم اتجه غرباً فاستولى على بلاد "الماندنجو" و"الفولاني"، ومعظم ممتلكات دولة مالي الإسلامية...⁵، لقد أسس سني علي مملكة مترامية الأطراف قوية ومتماسكة، وقد انتقده الكتاب المسلمون كثيراً، وحسب رأيهم أنه كان ظالماً

¹ - عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، نسخة هوداس، مصدر سابق، ص3.

² - مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، مرجع سابق، صص 201-202.

³ - ج.ت. نياني، تاريخ إفريقيا العام، المجلد 4، مرجع سابق، صص 199-200.

⁴ - فاي منصور علي، أسكيا الحاج محمد وإحياء دولة السنغاي الإسلامية (889 - 935هـ)، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 2018م، صص 13-14.

⁵ - أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، الجزء السادس، مرجع سابق، ص262.

وفاسقا ودكتاتوراً، واضطهد في زمنه العلماء والصالحين، ((أما الظالم الأكبر والفاجر الأشهر سن علي برفع السين المهملة وكسر النون المشددة، ... فإنه كان ذا قوة عظيمة ومنتنة جسيمة ظالماً فاسقاً متعدياً متسلطاً سفاكاً للدماء، قتل من الخلق ما لا يحصيه إلا الله تعالى، وتسلب على العلماء والصالحين بالقتل والإهانة والإذلال...¹))، وقد اختلفت الروايات في ظروف وفاته²، وبموته لم يرضى العلماء في تولية ابنه "بوبكر" الملك وكان ضعيفاً فاشلاً، فأيد العلماء محمد توري أحد قواد الملك علي، ورفعوه إلى العرش باسم الاسكيا³ محمد عام 1493م، افتتح الملك محمد عهده بحروب توسعية كثيرة... وبذلك امتدت المملكة من صحراء النيجر "أهير" شرقاً إلى حوض السنغال غرباً، ومن سيغو على النيجر جنوباً إلى صحراء الجزائرية شمالاً...⁴، واتخذت حركته مظهرًا إسلامياً واضحاً، كما نظم الجيش وأفاد من الخبرات السابقة، وقام بتنظيم شئون البلاد من الناحية الإدارية، واستخدم طائفة من الموظفين الأكفاء، وقد أدى الملك المذكور فريضة الحج بدافع التقوى، وكذلك بدوافع سياسية، ... واشترى بمكة بقعة وبنّاها داراً، وَحَبَسَ الدَّارَ على الكعبة المشرفة، وتصدق بالحرمين بمائة ألف ذهب...⁵، تعاقب أبناء أسكيا محمد على الحكم خلفاً لأبيهم حتى عام 1583م⁶، باستثناء الأسكيا "محمد مر بنكن" ابن أخيه، ويرجع سقوط هذه المملكة إلى الانقسام والصراع الذي نشب بين أبناء الأسرة الحاكمة منذ أواخر عهد مؤسسها أسكيا محمد الكبير، وأدى هذا الانقسام إلى انضمام بعض أبناء الأساكي إلى المراكشيين في أثناء الغزو، وأخيراً كان لحسن تنظيم الجيش المغربي، وتفوق سلاحه باستخدام المدافع والبنادق أثر كبير في سقوط مملكة صنغاي⁷، وبذلك انتهت مملكة صنغاي الإسلامية، والتي تُعدّ إحدى الصفحات

¹ - عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، نسخة هوداس، مصدر سابق، ص 64.

² - الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، مرجع سابق، ص 104 وما بعدها.

³ - "الأسكيا" لقب تعني بلغة التماشق، إحدى لهجات الطوارق، العبد الصغير، لأن الملك محمد كان مملوكاً للسلطان سني علي، وربما كان هناك تفسير آخر للكلمة لأن ملوك غاو قد اتخذوها لقباً لهم .

⁴ - نعيم قذاح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مرجع سابق، ص 69 وما بعدها.

⁵ - محمود كعت التنبكتي، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، مصدر سابق، ص 165 وما بعدها.

⁶ - ج.ت. نياني، تاريخ إفريقيا العام، المجلد 4، مرجع سابق، 207.

⁷ - إبراهيم طرخان، "إمبراطورية صنغاي الإسلامية"، مجلة كلية الآداب جامعة الرياض، مجلد 8، 1981م، صص 20-33.

الناصعة والزاهرة في تاريخ السودان الغربي، بفضل الدور الريادي والحضاري الذي قامت به في المنطقة.

-مملكة الكانم – البرنو:

تقع على الحدود الشرقية للسودان الغربي، ولقد قامت هاتان المملكتان على التعاقب حول بحيرة تشاد، وتنقلت عاصمتها بين كانم وكوكاوا كرات عديدة، مرة في كانم وكرة في برنو، والبرناويون والكانميون قوم من البرابرة جيران النوبة، في حدود مصر العليا قامت أول دولتهم الإسلامية منذ القرن الخامس الهجري...¹.

ودلة كانم قد عمرت طويلا، فتعددت مواقعها الجغرافية اتساعا وانكماشاً حسب تقلبات الأحوال، حيث أنها أخذت إسمين: اسمها الأول (كانم) وكانت تقع شرق بحيرة تشاد، ثم انتقلت غربا إلى غرب البحيرة وصارت تعرف من بعد (ببرنو) ولأجل ذلك اصطلح المؤرخون على تسميتها (كانم -برنو)، إذ أن برنو إنما كانت إمتدادا لكانم...²، وتعتبر مملكة كانم من الممالك الإسلامية المشهورة التي قامت في إفريقية بين نهري النيل والنيجر، وبالرغم من فقدانها لمناجم الذهب التي كانت موجودة في غانا ومالي، فإن موقع كانم ضمن لها مصدرا من مصادر الثراء لسيطرتها على طرق التجارية للقوافل، وقد انتشر الاسلام فيها بين سلاطينهم ووزرائهم وعامتهم...³، ولقد دَهِشَ الرحالة العرب الذين زاروا برنو من وجود نظام سياسي أرقى بكثير مماكان في بلاد السودان الأخرى... ولقد بلغت برنو أوج مجدها أيام إدريس الملقب علومه (1570-1602م) الذي يعتبر قمة المجد للملكة ولأسرته فقد نظم الدولة...وقد انتهج إدريس علومه سياسة حربية حكيمة...نظم السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، وتناول المؤرخ أحمد بن فرتوا حياة إدريس علومه في مخطوطه وذكر الحملات الحربية التي شنّها...⁴، وفي بداية القرن التاسع عشر ظلت برنو مملكة قائمة حتى هاجمها الفلان بقيادة المجاهد عثمان دان الفودي وانتزعوا أقاليم الهوسا التي كانت تابعة لهم وأخضعوها لدولتهم، وأخذ يوسع

¹ - آدم عبد الله الألوري، الإسلام في نيجيريا، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 2014م، صص 43-44.

² - أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، الجزء السادس، الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقية منذ دخلها الإسلام حتى الآن، مرجع سابق، صص 136-137.

³ - محمد بلو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، مصدر سابق، ص 34.

⁴ - عبد الرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 76 وما بعدها.

سلطانه هنا وهناك، وفي عام 1808م هاجم هذا الزعيم برنو نفسها... فهبّ شيخ من كانم يدعى محمد الأمين،... وإستطاع أن يصدّ قوات عثمان دان الفودي¹.

- إمارات الهوسا:

تعتبر إمارات الهوسا حالة خاصة مختلفة عن دول إفريقيا الغربية التي قامت في العصور الوسطى مثل ممالك غانا ومالي وصونغاي وكانم-برنو، فقد كانت هذه الإمارات عبارة عن عدد من الدّولة- المدنية- كل منها محاط بسور وتدعى "بيرني" يرأسها ملك يدعى "ساركي" وظلت جميعها منفصلة ولم تعرف الاتحاد يوماً،...²، وكانت هذه الإمارات تقوم على التجمع القبلي أو الديني: الإسلامي والوثني، وقد دخلت هذه الإمارات في منازعات مريرة لأنها لم تكن ذات حواجز طبيعية تقيها الغزوات... أتتها الإسلام خلال القرن الحادي عشر ومابعده عن طريقين: الأول شرقي عن طريق تشاد، والثاني غربي عن طريق الممالك الإسلامية والتجار من غرب إفريقيا³، تقع بلاد الهوسا بين صنغاي في الغرب وبرنو في الشرق، وهذه البلاد عبارة عن سهول خصبة كانت مطمع الإمبراطوريتين المجاورتين، ولكنها لم تقع في قبضة النفوذ السياسي في أي يوم من الأيام لأية واحدة منهما، ولكنها تأثرت بالتنظيم المتبع في الشرق، والذي كان النظام الإقطاعي أبرز خصائصه... يرجح أن الحكام الأوائل لهذه الإمارات كانوا من أصل بربري،...⁴.

وكان للهوسا سبع إمارات شهيرة تعرف باسم دويلات الهوسا السبع وهي: دورا، وكانو، ورائو، وكاتسينا وزارو، وجوبير، وجارون جاباس⁵، وقد ذكرها الحسن بن محمد الوزان "اليون الإفريقي" بدءاً بمملكة كُوبَـرْ، ثم

¹ - محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كرديدية، المسلمون في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص139.

² - فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كرديدية، المسلمون في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص145.

³ - نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مرجع سابق، ص80 ومابعدها.

⁴ - أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، الجزء السادس، الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقيا منذ دخلها الإسلام حتى الآن، مرجع سابق، ص128.

⁵ - عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص133.

مملكة كَانُو، ومملكة كاتنسينا، ومملكة زَكْرَكْ، ومملكة زَنْقَرَى...¹ الخ.

...كان الإسلام في البداية هو دين الصفوة وطبقة الأدباء وظلت الوثنية هي السائدة ثم اختلطت العقيدة الإسلامية بالوثنية وظل الأمر كذلك حتى ظهور عثمان دان فوديو²، وهناك رأي للمؤرخ عبد الله الألوري يقول: وإذا نظرنا إلى الحركات الإسلامية التي تدفقت من الشمال إلى الغرب والتي امتدت من "غانة" و"مالي" و"أوداغشت" فلا نشك في أن نفوذ الإسلام قد امتد إلى بلاد هوسا منذ وقت ظهوره وانتشاره المعروف، وقد كتب المؤرخون أن أهل مدينة "كنو" قد عرفوا الإسلام على أيدي الوناغرة، الذين وفدوا إليها من "كاشنة" وعرف الوناغرة الإسلام على أيدي العرب والبرابرة...³.

إن هذه المنطقة نشأت فيها دول وممالك عظيمة عرفت المجد قبل أفولها، كما نشأت فيها دار الإسلام الأولى (في غرب القارة)، وفي هذا الإطار وبعد مخاض طويل تخلله البطش والشدّة، وفترة طويلة من التعليم والدعوة، ظهرت دول إسلامية في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي تهدف إلى إحياء أحكام الإسلام التي عُمل بها في صدر الإسلام الأول، اتسمت فترتها بالطابع الحراك الديني والسياسي، ويمكن أن نخلص إلى خاصيتين اثنتين سوف تلعبان دورا هاما في صيرورة الأحداث بالمنطقة:

- الأولى: وإن اشترك فيها مع باقي أنحاء العالم الإسلامي، تتلخص في التحرش الأوروبي بالبلاد، والتوغل الذي بدأ يحصل ابتداء من هذه الفترة، الذي استغل فيه الفرنسيون على وجه التحديد مجموعة من العوامل قصد بسط سيطرتهم على جل السودان الغربي، الذي سوف يبدأ منذ هذه الفترة يحمل اسم السودان الغربي الفرنسي.

- الثانية: وهي مساهمة العلماء في رسم معالم الحياة السياسية في البلاد، فعلماء السودان الغربي لم يعودوا مجرد فقهاء يعظون الناس في المساجد، مكتفين بدور الإفتاء والوعظ والإرشاد، بل أخذوا على عاتقهم مهمة إصلاح المجتمع،

¹ - الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، ج2، مصدر سابق، صص170-174.

² - الهام محمد علي، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص42.

³ - آدم عبد الله الألوري، الإسلام في نيجيريا، مرجع سابق، ص48.

وقيادة الجهاد، مما سوف يتوج بإنشاء دول قامت على هذا الأساس بدءاً من دولة الأئمة ببلاد الفوتا، مروراً بخلافة سوكتو، وصولاً بالجهاد الذي قاده أحمدو أبو مؤسس دولة الماسينا.

لكن علماء كنتة يمثلون في خضم كل هذا، النموذج القديم لعالم السودان الغربي، فهم ورغم ما توفر لديهم من إمكانيات ذاتية تتجلى في مكانتهم الدينية والقبلية، وإمكانيات موضوعية يوفرها الجو السوداني المحتاج أصلاً لزعامة دينية قبلية قوية تنهي حالة التجزئة التي تسود البلاد، لم يستغلوا هذه الإمكانيات، الشيء الذي تفتن له فيما يبدو الحاج عمر بن سعيد الفوتي في محاولته إقامة دولة قوية، التي كان سيكتب لها النجاح إن عرف كيف يكسب الكُنْتِيين إلى صفه.

المبحث الثاني: علماء كنتة وعلاقتهم بممالك السودان الغربي:

كانت الطريقة القادرية الكنتية البكائية راسخة القدم في هذه المنطقة منذ أخريات القرن السادس عشر الميلادي ... لاسيما أنها قد انتهجت منذ دخولها المنطقة السودانية الأسلوب السلمي والقُدوة الحسنة في نشر تعاليمها وأورادها وأذكارها وخلوئها¹، مما اكتسبها شهرة دينية جعلت الكثير ينتمون إليها، وكان لقبيلة كنتة نفوذاً كبيراً في منطقة السودان الغربي وماحولها ... كما كان لها أدوار مهمة في نشر الإسلام والثقافة العربية في السودان الغربي، وأجزاء واسعة من غرب إفريقيا²، ولذلك فقد ترسخت سلطتهم الدينية والروحية في جميع مناطق السودان الغربي من إمامية فوتا تورو بالسنگال وإمامية فوتا جالون بغينيا وإمبراطورية الفولاني ماسينا (مالي الحالية)، وإمبراطورية الفولاني بصكتو، وإمبراطورية برنو عند بحيرة تشاد... بالإضافة إلى كافة قبائل الطوارق في الصحراء الكبرى والساحل التي كانت هي الأخرى تدين للولاء التام للسلطة الروحية للعلماء الكنتيين القادريين³، كما عمل ألفا إبراهيم

¹ - عمر عبد الماجد، "التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر"، مرجع سابق، ص 177.

² - مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، مرجع سابق، ص 53.

³ - عمر عبد الماجد، التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 168.

على نشر الطريقة البكائية الكننية في فوتاجلون وفي غينيا والسنغال... كذلك كان الشيخ السيد الكبير التازاري يتبع للطريقة القادرية الكننية وقد عمل على نشرها في غمبيا وغينيا البرتغالية وليبيريا وفي غانة أيضا (ساحل الذهب سابقا)...¹، وعلى العموم كان أثر الطريقة القادرية الكننية عظيما في كل منطقة فوتاجلون وفوتاتورو ومنطقة السنغال وحوض النيجر، وذلك لظهور شخصيات روحية وقيادات دينية وثورات اصلاحية كثيرة مرتبطة بها².

لقد ساعد الكنتيين في دعم وتأسيس الممالك في السودان الغربي، ومن بين هذه الممالك مملكة سيغو³ وكارته⁴ حيث أن ملوكهم يدينون بالولاء الروحي للزاوية الكننية حيث كانوا يرسلون أبنائهم للتعلم عندها⁵، وكان الزعيم التاريخي "بيتون ماري كوليبالي"، مرتبط بعلاقات روحية قوية بالكنتيين، حيث كان يرسل أبنائه للدراسة وأعتناق الإسلام على يد

¹ - عبد الرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مطبعة يوسف، القاهرة، 1967م، ص111.

² - عمر أحمد سعيد، "دور حركات التجديد الإسلامي في غرب إفريقيا"، مجلة دراسات إفريقية، العدد6، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، 1990م، صص128-129.

³ - **سيغو** : اسم مدينة مالية تقع على ضفة نهر النيجر، وأغلب سكانها من عنصر البمبارا الوثنيين ، وقد أعطت هذه المدينة اسمها لمملكة بمبارية من أقوى ممالك غرب إفريقيا تأسست مع بداية القرن الثامن عشر، فصارت تعرف بمملكة سيغو، وورثت أجزاء هامة من امبراطورية مالي وسنغاي بعد سقوطهما، وقد تعلمت من المسلمين أساليب الحكم وفنون الحرب، وقد نجحت من الغزو المراكشي للمنطقة، واستقلت تماما عن باشوات تمبكتو المراكشيين، وقد أشرفت هذه الامبراطورية على الأسواق التجارية الكبرى، مثل ساسندينغ ونياسينا وجني وتمبكتو، مما أعطى لها قوة اقتصادية هائلة، ومؤسس هذه المملكة هو بيتون ماري كلبالي، واشتهرت سيغو بنشاط زراعي وتجاري مزدهر، وبقوة عسكرية ضاربة، أدت إلى توسع وهيمنة على أراض عديدة، وكانت الحروب الكثيرة التي خاضتها مملكة سيغو سببا في كثرة العبيد ونشاط النخاسة، حتى ذهب بعض الباحثين إلى القول إن سيغو مصنع لإنتاج الرقيق، وتذهب بعض المراجع إلى أن أسر مدينة صنصندي العريفة كانت تملك من مائة إلى ألف رقيق، وتستعصف النزاعات بأسرة ماري كلبالي لتأخذ أسرة انغولو جارا الحكم، واشتهرت هذه الأسرة بتشجيعها للمطربين وكان للملك مطربوه الذين يتغنون بأمجاده ويركبون معه إلى المعارك، ارتبط ملوك مملكة سيغو المتعاقبين على الحكم بعلاقات قوية بالزاوية الكننية، وقد اشتهرت سيغو بإتقان أهلها للصباغة، وقد هددت هذه الامبراطورية من طرف القوات الإسلامية الماسنية وخاصة بعدما انتزعت منها كل من تمبكتو وجني .

⁴ - **كارتا** : تعتبر أكبر قوة سياسية وعسكرية في منطقة السنغال الأعلى ، ويتكون سكانها من سلالات مختلفة، منهم السنونكيون والفولانيون والخاصونكيون والموريتانيون، إلا أن العنصر الغالب فيها هم البمبارا، وتعيش هذه المملكة من الحروب المستمرة مع جيرانها وخاصة مع بلاد الفوتا والبامبوك، إلا أنها بدأت في مرحلة الضعف في منتصف القرن 19م بعد أن زحفت عليها مملكة ماسينا بزعامة الشيخ أحمد لوبوسنة 1847م.

⁵ - عبد القادر زبادية ، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء ، مرجع سابق ، ص93.

الكننتيين، ولذلك تخلى ملوك سيغو وكرتا عن الكثير من المعتقدات الوثنية وترسخ فيهم احترام الإسلام وديانته، وكان الملك "علي كوليبالي" الذي درس في الزاوية الكنتية أبرز أولاد "بيتون كوليبالي" أهتماما بالاسلام وقد تخلى عن الحروب وصبّ أهتمامه على حث رعيته على ترك عبادة الأوثان وشرب الخمر وتعلم الكتابة¹، وبعد أسرة "كوليبالي" مرت مملكة سيغو بفترة طويلة عمّتها الفوضى حتى سنة 1766م عندما أمسكت زمام السلطة سلالة جديدة أسّسها "نغولو ديارا" (1766م-1787م)، بعد أن أعاد إلى المملكة وحدتها في تنفيذ عمليات عسكرية واسعة النطاق²، ويعتبر هذا الزعيم القوي من أخلص التلاميذ الزاوية الكنتية وأكبر المقربين إليها، حيث تقول الرواية "أنه لما ناهز البلوغ أصيب بالمس فذهبوا به إلى الزاوية الكنتية للعلاج حتى شفي تماما، وقد توسم فيه المختار الكنتي أنه ينتظره أمر عظيم تحمله الأيام في طياتها، فذهب به إلى شاطئ البحر³ وأمره أن يأخذ حجرا ثقيلًا وأنه سيعد من واحد، اثنين.... إلى حين يضع الحجر، فأخذ انغولو الحجر فعد المختار الكبير من واحد اثنين، ثلاثة.... تسع فرمى انغولو الحجر، وقال له المختار الكبير: (إن شا الله، ستكون ملكا، وسيملك من بعدك تسعة من ولدك وولد ولدك، والله أعلم بالغيب⁴) وقد صدقت تنبؤات المختار الكنتي فقد تعاقب تسعة من أبناء انغولو ديارا على ملك سيغو حتى آخرهم "بينا علي جارا بن دا مونزون" الذي حكم (1859م-1861م) وسقطت المملكة في عهده⁵، لقد أقام الملك "انغولوجارا" وابنه "مونزون" وخلفائهم علاقات متميزة مع الكنتيين وهو ما جعلهم يعاملون تمبكتو بشيء من الحذر، كما أن الكنتيين قاموا بدور كبير في استقرار مملكة سيغو حيث استطاعوا من خلال وجاهتهم ونفوذهم من كبح وصدّ قوات الفولبه

¹ عبد القادر بن تيجان، موسوعة تاريخ مالي، مؤسسة كجيري للتربية والبحوث التاريخية، مالي، 2015م، ص371.

² أبيتبول، تاريخ إفريقيا العام، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، إفريقيا من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر، طباعة حسيب درغام وأولاده، المجلد الخامس، بيروت، 1997م، ص356.

³ بعني به نهر النيجر.

⁴ عبد القادر بن تيجان، موسوعة تاريخ مالي، مرجع سابق، ص374.

⁵ عبد القادر بن تيجان، موسوعة تاريخ مالي، نفس المرجع السابق، ص404.

والطوارق ضد أي تمرد ضد مملكة سيغو¹، ويوصف "انغولو جارا أنه كان حكيما وعاقلا حصيفا"².

كان علماء كنتة أئمة ومصلحين هادئين ومصدر إلهام لزعماء السودان الغربي الدّاعين إلى الجهاد في القرن التاسع عشر، حيث حملوا راية الطريقة القادرية عالية في إفريقيا الغربية، وكان زعيمها الشيخ الكنتي رجل قلم ولم يكن رجل سيف، وبه أثر تأثيراً لا نظير له على إفريقيا الغربية، وكان الشيخ عثمان الفودي والشيخ أحمد اللبّ يريان فيه شيخهما في الطريقة القادرية³، لقد تزعم هذا الشيخ الكنتي الكبير الصوفي القادري حركة الإصلاح في السودان الغربي... وفي هذه الحركة تتمثل قدرة التصوف عامة، والطريقة القادرية خاصة على تهيئة الناس للإصلاح بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ التصوف الإسلامي⁴، وكثيراً ما كان يحتجّ زعماء الجهاد بالشيخ الكنتي الكبير في تأويلهم للمسائل الشرعية ولبيان مشروعية جهادهم، ويفيد محمد بلو أن الشيخ الكنتي بارك جهاد الشيخ عثمان حين سمع به، حيث قال إن ((عثمان بن فودي)) "وليّ من الأولياء وإن جهاده عادل"، بمثل هذه التزكية رجّح الكنتي بماله من هيبة ووقار كفة الشيخ عثمان، وكان الحاج عمر، على الرغم من انتمائه لطريقة أخرى، يكبر الشيخ الكنتي إكباراً ويذهب بمذهبه⁵، فقد توافرت للشيخ الكنتي صفات كثيرة أهله للزعامة الروحية في منطقة السودان الغربي، فهو بالإضافة لتضلعه في العلوم الإسلامية وقوة الشخصية القيادية، قد تمثلت فيه الزعامة الروحية التي خضع لها زعماء القبائل في منطقته، هذه الصفة اكتسبها هذا المصلح السوداني بعد أن اعترف له كل الشيوخ القادريين في المنطقة بالرئاسة في الولاية القادرية...⁶.

لقد كانت حركة الجهاد التي تمت في السودان الغربي وقادها عثمان فودي وأحمد اللب الماسني وغيرهم من زعماء الجهاد متأصلة بعمق في مبادئ السنة والفكر الصوفي، وكانت مرتبطة بمحاولات الإصلاح السلمي الذي قام

¹ - أبيتبول، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الخامس، مرجع سابق، ص 357.

² - عبد القادر بن تيجان، موسوعة تاريخ مالي، مرجع سابق، ص 374.

³ - ج. ف. أدى آجاي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد 6، مرجع سابق، ص 612.

⁴ - عمر أحمد سعيد، دور حركات التجديد الإسلامي في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 129.

⁵ - ج. ف. أدى آجاي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد 6، مرجع سابق، ص 612.

⁶ - عمر أحمد سعيد، دور حركات التجديد الإسلامي في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 129.

به الشيخ سيد المختار الكنتي¹، ومن ثم يمكننا أن نقول بدون تردد إن الطريقة القادرية قد لعبت دوراً رائداً في الإصلاح الديني والسياسي متمثلاً في حركة المختار الكنتي التي كانت مثلاً يحتذى لزعماء الإصلاح الديني في غرب إفريقيا²، عكس الأطروحات الأخرى من بعض المؤلفين الذين حاولوا أن يجعلوها متأثرة بجهد ناصر الدين (المتوفى 1677م)، وبحركة المرابطين في القرن الحادي عشر، بل والثورة الخوارج في القرن الثامن في شمال إفريقيا، وليس من المتنازع فيه أن زعماء الجهاد في غرب إفريقيا كانوا على علم بهذه الانتصارات الجهادية، بل بمحاولات أخرى أقل توفيقاً، إلا أنه من الأرجح أنهم استلهموا أمثلة أقرب إليهم زماناً ومكاناً كمحاولات الإصلاح الذي قام بها الشيخ مختار الكونتي...³... فمن الواضح من كتابات الجهاديين وإشاراتهم إلى الشيخ المختار الكنتي أنه شخصية ذات تأثير كبير على تفكيرهم الصوفي، وإذا كان هذا كذلك فليس اتجاه الجهاديين في هذه المنطقة عموماً إلى الطريقة القادرية أمراً مستغرباً... أدت الحركة الإصلاحية للمختار الكنتي في النهاية إلى قيام دول إسلامية⁴، لها قواسم مشتركة عديدة أهمها:

- *- اشتراك أغلبها في الأصل الفلاني.
- *- نشوؤهما في جو شهد فساداً للعقيدة الإسلامية مما استوجب قيام حركة إصلاحية مستعجلة.
- *- وجود جيوب وثنية قوية تهدد الوجود الإسلامي بالمنطقة .
- *- علاقة بعضها بالعداء المستحكم بينها وبين مختلف المجموعات، كمجموعة البنبارا، وبقايا الرماة، والطوارق.
- *- علاقات الود القوية التي كانت تربطهما بالكنتيين، مما جعل هؤلاء يحظون بمكانة جد مميزة في بلاط هذه الدول.
- *- دخول جميع زعماء الممالك في السودان الغربي في الفترة المدروسة في الطريقة القادرية الكنتية⁵، مما يعني أنها طريقة التعبد الرسمية بالبلاد، وعلى

¹ - ج . ف . آدى آجاي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد 6، المرجع سابق، صص 610-611-612.

² - عمر أحمد سعيد، دور حركات التجديد الإسلامي في غرب إفريقيا، المرجع سابق، ص 129.

³ - ج . ف . آدى آجاي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد 6، المرجع سابق، صص 610-611.

⁴ - عمر أحمد سعيد، دور حركات التجديد الإسلامي في غرب إفريقيا، المرجع سابق، ص 129.

⁵ - عمر عبد الماجد، التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 168.

العموم فقد تأسست عدة ممالك إسلامية في السودان الغربي وتأثرت بالرؤية التجديدية الإصلاحية للعلماء الكنتيين¹، وكان من أهمها على الإطلاق أربعة ممالك هي كالآتي:

1- الدولة الفودية:

إن الحديث عن - الدولة الفودية - يعني: الحديث عن غرب أفريقيا الإسلامي بكل ما تدل عليه هذه العبارة من معان، وما تحتمله من حيثيات، فحينما يعتبر كثير من الكتاب والمؤرخين "القرن التاسع عشر عصر انحطاط" فإن هذه العبارة إن صحت من الناحية العلمية على قلب العالم الإسلامي وأطرافه الشرقية والجنوبية والشمالية إلا أنها لا تنسحب على ما يتعلق ببلاد السودان الغربي والأوسط، أو ما اصطلح عليه جغرافياً في الآونة الأخيرة غرب أفريقيا²، إذ أن منطق الواقع العلمي والتاريخي ينفي نفياً باتاً المنظومة التقليدية التي تقرر الانحطاط كمقياس ثابت لكل المنطقة الإسلامية، فعلى عكس ذلك شهدت منطقة غرب إفريقيا حركات تجديدية ثورية إسلامية ذات جذور ثقافية وأطروحة فكرية³، فهذا القطر من العالم قد شهد في أوقات متعددة قيام عديد من ممالك حكمت شعوبها باسم الإسلام، وأقامت نظم حكمها على أسسه ومبادئه وتعاليمه ومن بين هذه الممالك المملكة الفودية الإسلامية في القرن التاسع عشر، قامت الدولة الفودية على مبادئ الاسلام السمحة منادية الشعوب الهاوساتية(نيجيريا -النيجر) إلى نبذ البدع وبقايا الوثنية.

تعتبر حركة عثمان بن فودي حركة فريدة من نوعها فقد كانت ثورة علمية أكثر منها حركة سياسية فقد كانت تروم إخراج العلم من دوائره الضيقة

¹ - كان جميع القادة لممالك السودان الغربي في القرن التاسع عشر يتبعون للقادرية الكنتية، قادة الدولة الفودية، قادة مملكة ماسينا، محمد الكانمي أمير الكانم -بورنو، الحاج عمر بن سعيد الفوتي ورغم أنه تيجاني الطريقة إلى أنه كان يُكبر الشيخ الكنتي إكباراً ويذهب بمذهبه، كما أخذ الورد القادري من سيدي حمادي ولد الشيخ سيد المختار الصغير، انظر: ج. ف. أدى آجاي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد 6، مرجع سابق، ص 612، والخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، مرجع سابق، ص 267.

² - محمد الثاني عمر موسى، "الشيخ عثمان بن فودي والطريق لاستعادة الهوية"، مجلة قراءات أفريقية، العدد 1، السودان، أكتوبر 2004م، ص 32.

³ - أحمد محمد كاني، حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر. الاستراتيجية والمنهجية والأهداف، ندوة الشيخ عثمان بن فودي (دان فوديو)، الخرطوم، 19-21 نوفمبر 1995م، صص 15-16.

وتعميمه في المجتمع كافة¹، إنَّ دعوة الشَّيخ دان فوديو وحركته التجديديَّة قد انطلقت من رؤيةٍ دعويَّةٍ واضحةٍ مرسومةٍ بإحكامٍ، بدأها بمشروعٍ تعليميٍّ تثقيفيٍّ مبسَّطٍ في طُرُقهِ ومضمونه، مستهدفاً الشَّريحة العامَّة من المجتمع في القرى والأرياف، وفي المدن، موظِّفاً في ذلك الوسائل العادية من خطابةٍ ووَعظ، وأشعارٍ شعبيَّة، وكتابة رسائل مختصرة في شتَّى الموضوعات ذات العلاقة باهتمامات الأفراد والمجموعات اليوميَّة .

كان الشيخ عثمان فودي يعتقد أن دعوته إلى الإصلاح والتجديد، ولجؤه في النهاية إلى العمل العسكري هي استجابة لأوامر الله واتباع لرسوله ورضا لشيوعه، وأن دعوته هي استمرار للدعوات السابقة ومكملة للدعوات المعاصرة، وكان يرى أن الله أختاره لتحقيق إرادته².

بث الشيخ "عثمان فودي" من روحه الكثير في الطريقة القادرية، وتمكن من نشرها في زمن وجيز، ونافست الطرق الصوفية، خاصة "التيجانية"، مما أدى لنشر الإسلام، والقضاء على البدع والخرافات المنتشرة في المجتمعات الإفريقية، وقد تعرض عثمان الفودي للقادرية كثيراً في نثره وشعره³، وألهمت حركة الشيخ عثمان الحركات الإصلاحية في أفريقيا مثل الشيخ "عمر الفوتي" والشيخ "محمد الكانمي" وحركة "مابا دياهو" في جامبيا، وحركة "أحمد لوبو" وغيرهما، واختلف الباحثون في تقييمها، فرأى عددا من المؤلفين إلى القول بأن الحركات الجهادية حروب عرقية ترمي إلى إرساء هيمنة الفولانيين على البلاد التي استوطنوها، ولا شك في أن بعض الفولانيين قد انضموا إلى الجهاد لاعتبارات التضامن العرقي، ولكنه لاخلاف أيضا أن عددا كثيرا منهم حاربوا إلى جانب القوات المناهضة للجهاد⁴، مما لا شك فيه أن حركة الشيخ عثمان تعتبر من إحدى الحركات الإسلامية الفريدة في العالم الإسلامي التي ساهمت في خلق دولة إسلامية، وفي مجتمع إسلامي على أسس سليمة⁵، إن

¹ - الأمين أبو سنقا، حركة الجهاد السكتية، ندوة الثقافة العربية الإسلامية بإفريقيا جنوب الصحراء غرب إفريقيا أنموذجا المنعقدة ببنكوتو، نشر مؤسسة التميمي، تونس، 1997م، ص104 .

² - ج . ف . آدى آجاي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد6، مرجع سابق، ص608 وما بعدها.

³ - عمر أحمد سعيد، دور حركات التجديد الإسلامي في غرب إفريقيا، المرجع سابق، ص130.

⁴ - ج . ف . آدى آجاي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد6، مرجع سابق، ص617.

⁵ - عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، مرجع سابق، ص399.

التراكم التاريخي لحركة الدعوة الإسلامية وجهود التجديد من طرف الشيخ سيد المختار الكنتي وغيره...كانا من أهم بروز عثمان دان فودي وحركته¹، ولا يمكن إهمال الدور الكبير الذي قام به الشيخ الكنتي في التمهيد لقيام أكبر حركة إسلامية ظهرت في الغرب الإفريقي²، وذلك راجع إلى الأمتدادات والإحياء الكبير والتجديد الذي عرفته نيجيريا وغيرها من بلاد السودان الغربي على يد الطريقة القادرية الكنتية³، إذ سربت هذه الطريقة بـردائها الصحراء الكبرى والسودانيين الأوسط والغربي منذ نهاية القرن الخامس عشر⁴.

كما تفيد بعض الدراسات التاريخية أن جبريل بن عمر الأقدسي قد أثر في عثمان الفودي واستوحى منه فكرة الجهاد⁵، الذي كان مصلحا اجتماعيا بادر بإدخال إصلاحات دينية واجتماعية في بلاد الهوصا، وقد أخذ عليه عثمان الفودي وصاحبه لمدة تزيد على السنتين⁶، لكن يرى بعض الكتاب أنه حصلت مبالغة إلى حد ما فيما يتعلق بعلاقة الشيخ جبريل وتلميذه عثمان⁷، ويقال أن جبريل بن عمر حاول الحض على الجهاد في منطقة الهير(النيجر)، بدون أن يكتب له النجاح، ويذهب بعض المؤلفين إلى أن لجهاد الشيخ عثمان بن فودي نسباً بالإصلاح الصوفي الخلواتي عن طريق معلمه جبريل بن عمر⁸، لكن بدون دليل، وإن كنا لانعرف الكثير عن جبريل، غير إشادة الشيخ عثمان دان فودي به، حيث اعتبره شيخه وأستاذه قائلاً ما أنا إلا موجة من موجات جبريل⁹.

¹ - حسن مكي، رواد الفكر والتجديد في السودان و إفريقيا جنوب الصحراء في المائتان سنة الأخيرة، مرجع سابق، صص 5-6.

² - عمر أحمد سعيد، نظرات حول اثر الاسلام في التشكيل الثقافي في غرب إفريقيا بتركيز على الدور الحضاري لخلافة صكتو، مرجع سابق، ص 205.

³ - عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، مرجع سابق، ص 395.

⁴ - أحمد شخي، الطريقة البكاية الكنتية بالصحراء ودورها العلمي والصوفي، مرجع سابق، ص 177.

⁵ - عثمان برايم بارى، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، مرجع سابق، ص 93.

⁶ - عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص 78.

⁷ - فتحي المصري، حياة الشيخ عثمان قبل الجهاد، د.ت، 1979م، ص 476.

⁸ - ج. ف. آدى أجاي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد 6، المرجع سابق، صص 613-614 في الهامش.

⁹ - حسن مكي، رواد الفكر والتجديد في السودان و إفريقيا جنوب الصحراء في المائتان سنة الأخيرة، مرجع سابق، ص 5.

تنتمي الحركة الجهادية الفودية في خلفيتها الفكرية والصوفية إلى القادرية الكنتية¹، كما في سندهم الصوفي حسب محمد بلو بن عثمان فودي²، إذ يقول عثمان بن الفودي في خاتمة كتابه المسمى "تعليم الإخوان بالأمور التي كفرنا بها ملوك السودان" الذي ينقل فيه عن المغيلي في أجوبته لأسكيا "ونريد أن نختم هذا الكتاب بذكر سندنا المتصل إليه - رضي الله عنه تعالى- الذي جاءنا من سيدي محمد المختار بن أبي بكر الكنتي الأموي، وهو سند ورد السلسلة القادرية، أجازني به العالم نوح، وهو عن شيخه سيدي محمد المختار المذكور³، وكان نوح بن طاهر هذا يعتبر سفيرا للزاوية الكنتية إلى الدولة الفودية والماسنية⁴.

وقد وجد عثمان ضالته في الطريقة القادرية فاتخذها كمذهب صوفي له، ومن مبادئ هذه الطريقة الأخيرة استوحى الجهاد في سبيل الدين الإسلامي، ومالبت أن اعلن الجهاد ضد الزنوج الوثنيين في السودان الغربي سنة 1804 للميلاد⁵، وكان الشيخ عثمان من الفقهاء العارفين بالله نذر نفسه للتعليم والدعوة ونشر التصوف فقد كان ينشئ مريديه على الطريقة القادرية⁶، ولذلك كان يطلق على أنصاره إسم -القادرين في الهوسا بحكم انتمائهم إلى الطريقة القادرية-⁷، ولاشك في أن الفضل في تأسيس القادرية يرجع إلى عبد القادر الجيلاني، أما الفضل في إرساء قواعدها وبناء صرحها فيرجع إلى الشيخ المختار الكنتي الكبير "أي أنه شيخ مشائخ الطريقة وحامل مشعلها"⁸، لقد اختلف التصوف في الغرب الإفريقي كثيرا عن الطرق الصوفية في المشرق، حيث اتسم بالإيجابية والقدرة على التغلغل والسعي الدائب لتولي أمر المسلمين وإصلاحهم، لقد كان التصوف المحرك الأساسي لحركة الشيخ عثمان بن فوديو الإصلاحية في

¹ - آدم عبد الله الألوري، الإسلام في نيجيريا، مرجع سابق، ص135.

² - محمد بلو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، مصدر سابق، ص224.

³ - عبد العلي الودغيري، اللغة العربية والثقافة الإسلامية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، 2011م، ص84.

⁴ - هارون بن الشيخ سيد باب، كتاب الأخبار، ج1، مرجع سابق، ص185.

⁵ - عمّار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السّمراء، الموسوعة التاريخية للشباب، الجزائر، 1988م، ص29.

⁶ - ج . ف . آدى آجاي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد6، المرجع سابق، ص615.

⁷ - ج . ف . آدى آجاي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد6، المرجع سابق، ص628.

⁸ - عزيز بطران، الشيخ المختار الكنتي الكبير ودوره في نشر الإسلام والطريقة القادرية في الصحراء وغرب إفريقيا، مرجع سابق، ص318.

أرض الهوسا، إذ تعتبر نموذجاً صادقاً للأثر الصوفي في حركات الإصلاح في غرب إفريقيا¹، لقد وجد زعماء الممالك في السودان الغربي في القادرية الكنتية خير معين على الإصلاح، ويدين عثمان دان الفودي وغيره من زعماء الحركات الجهادية في القرن التاسع عشر بالتجديد الإسلامي والإحياء الصوفي الذي تزعمته القادرية الكنتية²، التي أسهمت في تثبيت ركائز الدين الإسلامي وعلومه، فهي من الناحية الدينية التعليمية كان لها دور من خلال الكتابات التي يعمل عليها مشايخ ينتمون إليها، فطالما جذبت الطريقة القادرية الكنتية إلى الإسلام جموعاً إفريقية.

يعتبر علماء كنتة من أكبر المساندين للدولة الفودية، وكان الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير عوناً لعثمان دان فوديو في حركته الجهادية ضد الوثنيين بقيادة حاكم "جوبير" الذي أغار على قرى المسلمين، وقد حقق عثمان دان فوديو انتصاراً حاسماً على الوثنيين سنة 1223هـ/1818م، فقتل السلطان مع عدد من أتباعه وانتهت مقاومة الوثنيين³.

كان علماء كنتة يعتبرون قيام الدولة الفودية ثورة إصلاحية ضد الأوضاع المتردية في منطقة السودان، إذ كان الإسلام في تلك المنطقة يعاني من التهميش الذي عاشته المجتمعات الإسلامية وكان العلماء الكُنتيون يغلب عليهم الإحساس بالغبن لما حدث من تردٍ وفقر وتشويه في الدين، وتدنٍ في الأخلاق وفساد في السياسة، وكانت المنطقة تعيش في حالة تصالح مع الأرواحيات (الديانات القديمة) الموجودة منذ فجر التاريخ، وكانوا يعولون على الحركة الفودية في إشاعة روح الإسلام، وإقامة الدعوة الإسلامية وسط الوثنيين ومقاومة استبداد أمراء الهوسا.

كانت منطقة السودان الغربي وبيئتها بحلول القرن التاسع عشر - مهياة لاندلاع الثورات الدينية والاجتماعية تمثلت في عدة حركات جهادية، والتي كان من بينها حركة الشيخ عثمان دان فودي التي اكتسحت جميع البلاد

¹ - عمر أحمد سعيد، دور حركات التجديد الإسلامي في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 130.
² - حسين جاجوا، حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر، بحث لنيل شهادة الماجستير، قسم الدراسات العليا، جامعة الجزائر، 1994م، ص 59.
³ - محمّد الصّالح حوثية، آل كنتة دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، مرجع سابق، ص 58.

المعروفة اليوم بالولايات الشمالية من بلاد نيجيريا، تشمل ما لا يقل عن ثلاثين مليون نسمة، خمسة وعشرون منهم مسلمون¹، وأبرزت مجتمعا جديدا تحكمه طبقة جديدة من رجال الدين والعلماء... وباختصار يمكن القول أن دعوة الشيخ عثمان كانت دعوة خالصة لتنقية الدين الإسلامي من العادات الوثنية التي أقرها حكام الهوسا السابقين لحركة الشيخ الإصلاحية².

كان للعلماء الكُنتيين تأثير واسع في أرجاء الإمبراطورية الفودية الفلانية، وتأكيذا لهذا التأثير فقد كان زعماء الدولة الفودية يحفظون للمشايخ الكُنتيين التقدير والتبجيل الذي تفرضه علاقة المريد بشيخه، فللشيخ عثمان دانفوديو العديد من القصائد في مدح الكُنتيين ولأخيه عبد الله كذلك العديد من القصائد في هذا الشأن³، وكذلك لسلطان محمد بن بلو الكثير من المدح والأعراف للعلماء الكُنتيين بالزعامة الروحية والعلمية فقد كان ديوانه يضم خمسا وثلاثين قصيدة كاملة، أطولها في مدح علماء كُنتًا، وهي دالية قوامها أربعة وخمسون بيتا⁴، إذ يقول:

هُم كُنْتَا إِذْ كَانُوا فُحُولًا بَوَازِلًا قَلَالِيدَ عِلْمٍ كُلُّهُمْ حَازَ مِقْلَادًا.
وَعِلْمُهُمْ مِنْ غَيْرِ رَيْبٍ قَدْ أَقْلَدَا عَلَى عِلْمَاءِ الْعَصْرِ مُصَنِّفِينَ بِالْجَدَا.
قَلَانْدُهُمْ عِلْمٌ وَدِينٌ وَفِطْرَةٌ فَكُلُّهُمْ لِلْعِلْمِ كَانَ مِقْلَادًا⁵.

كما احتوى كتاب "إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور" الذي يعتبر أهم ماكتبه محمد بلو الذي ألفه عام 1812م كثيرا من الأشعار الفودية في مدح آل

¹ - آدم عبد الله الألوري، الإسلام في نيجيريا، مرجع سابق، ص 136.

² - عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مرجع سابق، صص 142-143.

³ - عمر عبد الماجد، التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، صص 168-169.

⁴ - بروفير الأمين أبو منقة / ودكتورة منيرة أبو منقة، "القيم الرسالية والجمالية والبلاغية لأشعار قادة الحركة التجديدية في بلاد الهوسا"، ديوانا الشيخين عبدالله بن فودي ومحمد بلو بن عثمان بن فودي، مؤتمر اللغة العربية في إفريقيا، نواكشوط من 5 إلى 7 محرم 1441هـ — الموافق 4-6 سبتمبر 2019م، ص 7.

⁵ - بروفير الأمين أبو منقة / ودكتورة منيرة أبو منقة، القيم الرسالية والجمالية والبلاغية لأشعار قادة الحركة التجديدية في بلاد الهوسا، المرجع سابق، ص 10، نقلا عن: محمد بلو بن عثمان بن فودي، إفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المؤمنين محمد بل بن عثمان المجدد رسم الدين (مخطوط، طباعة حجرية)، (ب ن)، (ب ت)، ص 50.

الكننيين حيث يخبرنا في ترجمته للمختار الكنتي الكبير: "الشيخ العالم سيدنا الوافي الكنتي، العلامة الفقيه المحدث الصوفي الولي الصالح القطب الغوث العارف بالله الرحالة المشهور شرقاً وغرباً، وبالجمله فقدره فوق ما يذكر، فهو آخر أئمة الصوفية المحققين الجامعين للحقيقة والشرعية... وكان معاصراً للشيخ، وفيه يقول أستاذنا عبد الله:

أخباره في علمه وصلاحه سارت به الركبان في الأمصار
بل في القرى بل في البرايا كلها بل في البحار الكل والأشجار
شمس المشارق والمغرب كلها قطب الكرام وجلة الأبرار
ويقول فيه القطب الوالد عثمان:

بلغ تحيتي إلى المختار سراجنا في هذه الأمصار
وقل له ليدع بالخيرات في هذه الدنيا وفي الممات
يارب زد لشيخنا المختار كرامة التوفيق في الأخيار¹.

يلاحظ أن أطول القصائد وأكثرها رصانة في كل الديواني عبد الله بن فودي ومحمد بللو في مدح شيوخهم الكُنَنِيِّين، ومن الواضح أن المشاعر الدفاعة فيهما كانت تنبع من رقد روعي صوفي، حيث أن الممدوحين كانوا شيوخاً لهم في الطريقة القادرية، لذلك فإن أبيات القصائد تنزل بسلاسة وجزالة كأنما هناك قوة خفية تدفعها إلى الخارج².

ويقول محمد بللو: "وللشيخ سيدنا المختار أورد وأحزاب، أخذتها عن الإمام الصوفي فاضي "أمودي" الحاج محمد العافية، وهو أخذ عن الشيخ سيدنا المختار، ويعرف محمد بللو بورده الشيخ سيد المختار الكنتي ويقول "وهذا ورده الذي يأخذه عنه المريدون والساكنون، قد أخذته عن شيخي القاضي العدل محمد العافية، ولقنتي كما لقنه الشيخ المختار..."³.

ما السر العلاقة الكنتية الفودية؟؟؟

¹ - محمد بللو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، مصدر سابق، صص، 220-221.

² - بروفسير الأمين أبو منقة / ودكتورة منيرة أبو منقة، القيم الرسالية والجمالية والبلاغية لأشعار قادة الحركة التجديدية في بلاد الهوسا، مرجع سابق، ص11.

³ - محمد بللو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، مصدر سابق، ص222 وما بعدها.

كان للكننيين السابق في أواخر القرن الخامس عشر ومنتصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي في إرسال أتباعهم لنشر الإسلام في بلاد الهوسا¹، كما كان لهم الفضل في نشر القادرية في الفلان من الهوسا²، وقد اشتدت عناية أهل كنو بإحياء آثار القادرية وأول من نشرها هناك "مالم كبر"³ الذي أخذ عن أحمد البكاء الكنتي⁴، كما أن كل من نشر الإسلام وبث الدعوة القادرية في بلاد الهوسا كانوا يتبعون للقادرية الكنتية من أهمهم يحيى الصرصوري الطرابلسي، ثم الشيخ محمد المحمود المغربي، ثم الشيخ سعد الغدامسي البليلي الفندكي، وهو أول من بنى الزاوية القادرية في كنو⁵.

ولابد للإشارة إلى حقيقة هامة تتعلق بصلة الجهاديين في السودان الغربي عموما والشيخ عثمان الفودي بصفة خاصة بالكننيين واستحواذ فكر المختار الكنتي عليه⁶، وذلك راجع إلى أن الطريقة القادرية الكنتية هي أقدم الطرق الصوفية في الغرب الإفريقي وأكثرها انتشارا... وقد لعب سيد المختار الكنتي الذي تأثر به الشيخ عثمان دان فودي، دورا رئيسيا في نشرها في منطقة غرب إفريقيا، تعرّف الشيخ عثمان دان فودي على الشيخ سيد المختار من خلال أحد تلاميذ الشيخ البارزين⁷، لقد أشاد عثمان دان فوديه في كتابه "السلاسل القادرية" بتعاليم الصوفية التي حصل عليها بواسطة الشيخ

¹ - تقي الدين الدوري وخولة شاعر الدجيلي، تاريخ المسلمين في إفريقيا، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2014م، ص242.

² - عبد الله عبد الرزاق، أضواء على الطرق الصوفية، مرجع سابق، ص37.

³ - مالم كبر: من أحفاد عم أحمد بابا التمبكتي، ولد حوالي 1750م، كان معاصرا لجبريل بن عمر وكان معدودا من أولياء الله الكبار، وكان من تلاميذ الكنتيين المقربين بعد تخرجه من الزاوية القادرية الكنتية، كما درس كذلك في جامعة سنكري بتمبكتو، توفي وقد خلف تلاميذ وأبناء نجباء، ومن بناته السيدة عائشة التي كانت تفسر القرآن في بيت سلطان مدينة كانو بشهر رمضان، ومن أولاده أحمد وإبنة إبراهيم وكلاهما من الأعلام، انظر : آدم عبد الله الألوري، الإسلام في نيجيريا، مرجع سابق، صص64-91.

⁴ - آدم عبد الله الألوري، الإسلام في نيجيريا، مرجع سابق، ص64.

⁵ - عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، مرجع سابق، صص395-396.

⁶ - عمر أحمد سعيد، دور حركات التجديد الإسلامي في غرب إفريقيا، مرجع سابق، صص129-130.

⁷ - ذكر محمد بلو في إنفاق الميسور بعضا منهم "محمد العافية" والشيخ "نوح بن الطاهر: يمكن الرجوع إلى : محمد بلو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، مصدر سابق، صص222 وما بعدها.

سيد المختار الكنتي¹، ولذلك نالت الطريقة القادرية قسطا كبيرا من مؤلفاته، وعالجها في كثير من المناسبات...، وقد شرح القادرية في العديد من مؤلفاته مثل كتابه "السلاسل القادرية للأمة المحمدية"، وأيضا في مقاله بعنوان "تطبيب قلوب الأمة المحمدية بذكر بعض القصائد القادرية"، وأيضا في مقاله "السلاسل الذهبية للسادات"²، وكثيرا ما كان الشيخ عثمان الفودي يرجع إلى كتابات الشيخ سيد المختار الكنتي³، لقد استحوذت الطريقة القادرية على فكر عثمان دان فودي وتروي بعض الروايات أنه حدث له رؤى متعددة بالشيخ سيد المختار الكنتي وعبد القادر الجيلاني⁴، وقد اعتبر علامة نيجيريا عبد الله الألوري أن الفوديين لم يلتقوا ويتشرفوا بسماع أخباره من علماء العرب إلا الشيخ سيد المختار الكنتي جاء ذلك ردًا على من قال أن للفوديين صلات بالحركة الوهابية وغيرها⁵.

العلاقة بين شيوخ كنتة وزعماء الخلافة الفودية كانت دائمة ودية.... حيث كان لعلماء سوكونو زيارات وتبادل للرسائل والقصائد التي تشدد على الالتزام العام بالقادرية مع الشيوخ الكنتيين في تمبكتو بصفتهم أساتذتهم⁶، وكان تبادل الرسائل متواصلا ومستمرًا بين العلماء الكنتيين وزعماء الخلافة الإسلامية في سوكونو⁷، وأهم هذه المراسلات الكتاب الموسوم "بالرسالة الودية والنصيحة المسدية" لأحد أبرز العلماء الكنتيين الشيخ سيد محمد الخليفة ولد الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير وتعتبر الرسالة درسا نادرا في الأخلاق، ورؤية أنموذجية في طرق تدبير الحكم وتسيير شؤون الإمارة، فضلا عن كونها تكتسب قيمة استثنائية في التاريخ الثقافي والديني والسياسي في غرب وشمال

¹ - عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، مرجع سابق، ص 159.

² - عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص 145.

³ - عمر أحمد سعيد، "نظرات حول اثر الاسلام في التشكيل الثقافي في غرب إفريقيا بتركيز على الدور الحضاري لخلافة صكتو"، مجلة دراسات إفريقية، العدد 28، الخرطوم، ديسمبر 2002م، ص 206.

⁴ - عمر أحمد سعيد، دور حركات التجديد الإسلامي في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 129 وما بعدها.

⁵ - يمكن الرجوع إلى: آدم عبد الله الألوري، الإسلام في نيجيريا، مرجع سابق، ص 144.

⁶ - ج. ف. آدى آجاي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد 6، مرجع سابق، صص 642-656.

⁷ - عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص 87.

إفريقيا... ناهيك عن لغتها الرصينة التي لاتضاهي في ألوانها وجمالياتها، إلا أساليب الجاحظ واستخدامات الجرجاني¹ يشهد لذلك أسلوبه في التعبير في مقدمة الكتاب "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ وعلمه البيان وأظهر بقدرته عجائب حكمته، فعقل العقل وترجم اللسان، وأمطر رياض الأفهام بصون الإلهام، فتفتتت أكمام البديع في أفنان الافتنان..."².

والكتاب هو عبارة عن رسالة إلى العالم أمير الإمارة الفودية وأخيه وإبنه، وهي في مضمونها نصيحة مسداة إلى هؤلاء بشأن الأحكام السلطانية المثلى وفق المرجعية السنية المالكية، إذ يصف الشيخ سيد محمد الخليفة آل الفودية بالبذور وفراقد الأفلاك: "هذا وإنه من عبد ربه الغني به ... محمد بن المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي نجارا³ التكروري دارا إلى الثلاثة البذور، الجلة الصدور، فراقد الأفلاك، ... ناصري أقوم الأديان بوعظ اللسان، ورعظ⁴ السنن، الأمير الهمام بل العلامة الإمام الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان... ووزيره الأسعدين⁵، وتحمل الرسالة الفودية مضامين أخلاقية راقية كآداب الملوك مع رعاياهم، أي بمعنى علاقة الحاكم بالمحكومين، "...وقالوا: الملك العادل كالنهر الصافي ينتفع به الأشرار والأخيار ولا يضر أحدا، والملك السوء مثل الجيفة يسرع إليها شرار البهائم ويتحاماها الناس: وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله ليزعُ بالسلطان ما لا يزعُ بالقرآن)، أي: يدفع به من الظلم وأنواع الفساد والمنازعات والشُّعب والخصومات بالحمل على مقتضى ما جاء به القرآن ما لا يدفع بسماع القرآن مجردا عن الحمل من السلطان..."⁶.

¹ - الجرجاني: نحوي ومتكلم، ولد في جرجان لأسرة فقيرة الحال، نشأ مهتما بالعلم، محبا للثقافة، فأقبل على الكتب يقرأها، وخاصة كتب النحو والأدب، ويعد مؤسس علم البلاغة، ويعد كتاباه: "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" من أهم الكتب التي ألّفت في هذا المجال، وهو فارسي الأصل، جرجاني الدار، ولد وتوفي ما بين (400-471هـ/1009م-1078م) إسمه الكامل أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني.

² - محمد أحمد جد، أدب الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي دراسة وتحقيق لنماذج من نثره وشعره، مرجع سابق، ص42.

³ - النجر والتجار والنجار: الأصل والحسب، اللسان مادة: نجر

⁴ - ر عظ السنن: حده، والمقصود به هنا استخدام القوة عندما لا يؤثر الوعظ والجدل بالتي هي أحسن.

⁵ - محمد أحمد جد، أدب الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي دراسة وتحقيق لنماذج من نثره وشعره، مرجع سابق، صص74-75.

⁶ - محمد أحمد جد، أدب الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي دراسة وتحقيق لنماذج من نثره وشعره، مرجع سابق، ص88.

كما ركز الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي على أهمية النصح في دين الله للأمراء الفوديين محددا طبيعته، وطرقه ومعضدا قوله بالأحاديث النبوية الشريفة، وبآراء العلماء الصريحة... والمراد "بالنصيحة" ((الإيمان بالله، ونفي الشرك عنه، وإخلاص الاعتقاد في الوجدانية، ووصفه بصفات الألوهية، وتنزيهه عن النقائص، والقيام بطاعة الله...))، أما طرق النصح وشروطه ((...فإن من شرط الناصح إذا أراد أن ينصح أحدا أن يمهّد له بساطا قبل النصح، وأن يرى نفسه دون المنصوح، وأن يوطن نفسه على تحمل الأذى الحاصل من جهة النصح في العادة...¹.

الشيخ سيد محمد الخليفة كذلك في كتابه إلى الأمراء الفوديين "الرسالة الودية والنصيحة المسدية" دعى إلى ضرورة الإحسان إلى الناس والاهتمام بالعلم، "...: "فمن الواجب أن تحسنوا كما أحسن الله إليكم، وتتعموا على من تصل إليه أيديكم، كما أنعم الله إليكم....، وقد من الله تعالى عليكم وهو الحنان المنان بمزية العلم التي هي المنزلة العظمى والمرتبة الشمة الكفيلة بالفلاح، ... والناس كلهم محتاجون إلى العلم وهو زينة لهم ووسيلة، وأشد الناس احتياجا إليه، وأكملهم زينة بها الأمراء،... فأفضل ما في الأمير خصوصا، وفي الناس عموما صحبة العلم"².

ويأتي كتاب الشيخ سيد محمد الخليفة "الرسالة الودية والنصيحة المسدية" كجواب على الرسائل التي أرسلها الفوديين إلى الشيخ سيد محمد الخليفة، إذ كان الأمراء الفوديون يرسلون العلماء الكنتيين باعتبارهم أساتذتهم يطلبون استفسارهم في بعض الأمور، وهو ما يعبر عنه الشيخ سيد محمد الخليفة هنا: "...أنه وصلتنا كتبكم كتب الله لنا ولكم من خير الدنيا والآخرة أوفر نصيب وجعلنا وإياكم في الأمور بين مصدد ومصيب، فاستطلعنا ما اقتضت ورضينا في حكم المودة الحقية بما قضت، إذ رأينا بروق الصدق تومض من خلالها...³.

¹ - محمد أحمد جد، أدب الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي دراسة وتحقيق لنماذج من نثره وشعره، المرجع السابق، صص 43-44.

² - محمد أحمد جد، أدب الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي دراسة وتحقيق لنماذج من نثره وشعره، مرجع سابق، صص 77-84.

³ - محمد أحمد جد، أدب الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي دراسة وتحقيق لنماذج من نثره وشعره، مرجع سابق، ص 77.

لقد أثنى العلماء الكنتيين على الحركة الإصلاحية التي قادها عثمان دان الفودي وأخوه وإبنه لذلك يعتبرونهم من أعادوا إلى السودان أمنه وعمرانه، وللدین فاعليته وسلطانه "وليتخلق كل منكم فيما استرعاه الله وولاه بخلق رسول الله ﷺ ففي كتاب الله { لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة } ويذكرهم الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي أنهم أوعية علوم زاخرة وحلوم فاخرة.... إلى أن يقول وأمانحن فنحبكم لله وفيه كل المحبة وننصح لكم رغبة فيما عنده"، وختم بقصيدة عصماء يمدحهم فيها ويدعوا الله لهم:

مني إليكم كل وقت وحينّ تحية أزكى سلام مكين¹.

2- الدولة الماسنية:

تقع ماسينا في الشمال الغربي لمنطقة السودان الغربي، أي في جمهورية مالي حالياً في منعطف نهر النيجر، مع بسط نفوذ حاكمها المسلم ليشمل المناطق الممتدة من فوتا جالون حتى إقليم الكاميرون²، وبحدود تقريبية تقع مابين تمبكتو شمالاً إلى سيكو جنوباً ، ومن تخوم بلاد الهوسا شرقاً إلى حدود بلاد كرطاً غرباً³، بعد الازدهار العلمي والثقافي الذي عرفه السودان الغربي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ممثلاً في إمبراطورية السونغاوي... فقد واجهت الأمة الإسلامية في غرب إفريقيا صدمة سياسية ودينية وتشنت بسبب انهيار إمبراطورية السونغاوي التي كانت تتمتع بالقيادة الإسلامية الحيوية والنشطة حتى القرن السادس عشر، وفقدت الشعوب المنطقة اتجاهها العقيدي الإسلامي الثابت⁴، واستمرت بلاد التكرور في سباتها ولم تنهض من كبوتها إلا في القرن الـ18م وذلك بفضل مجيء الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير الذي أحيّاها بعد ممات؛ فانتعشت الحركة العلمية في عصره من جديد، وعمّ السلم الأرجاء، فنقلد الزعامة السياسية والعلمية...⁵، الأمر الذي شجع إلى انبعاث حركات جهاد سواء بصفة فردية وجماعية على أيدي المصلحين، وكان الجهاد الذي أعلنه أحمد لوبو من الجهود الرامية إلى إحياء الدين الإسلامي في الغرب

¹ - هارون بن الشيخ سيد باب، كتاب الأخبار، ج1، مرجع سابق، صص182-183.

² - محمّد الصّالح حوتية، آل كنتة دراسة تاريخية، مرجع سابق، صص58-59.

³ - أحمد الأزمي، الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، الجزء2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000م، ص154.

⁴ - عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، مرجع سابق، ص96.

⁵ - الصديق حاج أحمد، من أعلام التراث الكنتي المخطوط الشيخ محمد بن بادي الكنتي، مرجع سابق، ص32.

الإفريقي ...؛ وكان لحركة عثمان بن فوديه تأثير واضح في المنطقة، وخاصة لدى أحمدو لبو¹ الماسيني الذي تأثر بجهاد عثمان فودي²، وقيل أنه سافر بالفعل إلى بلاد الهوسا بشمال نيجيريا في عام 1805م وانضم إلى الجهاد الذي كان الشيخ عثمان دان فودي وجماعته قد أعلنوه في تلك الفترة³، بعد نجاح حركة الجهاد الفودية بالهوسا... سيأخذ أحمد اللبّ على عاتقه مهمة قيادة شعب الفلان المسلم من أجل الإنعتاق من براثن البنبارة، وفرض الهيبة والاحترام على كل جيرانهم ومن بينهم الطوارق، نشأ أحمدو لبو في أسرة متمسكة بالتقاليد الإسلامية... حيث تعلم التفسير والفقه وتفقه في الدين⁴، يكثر الحديث كثيرا من الكُتاب عن علاقة وتأثر أحمد لبو بعثمان دان الفودي لكن من غير حجة أن الشيخ أحمد اللبّ كان تلميذ الشيخ عثمان وأنه اشترك اشتراكا فعّالاً في الجهاد الذي قام به هذا الأخير ... ويبدوا أن الشيخ أحمد لم يبرح قط بلاد ماسنا⁵، ومما يؤكد فكرة أن أحمد اللب لم يشارك في الجهاد مع الشيخ عثمان ولم يبرح بلاد ماسنا الوثائق المحلية التي لم تذكره، "كإنفاق الميسور لمحمد بلو بن عثمان الفودي"، الذي لم يترك شاردة ولا واردة إلا وتكلم عنها فيما يخص جهاد الدولة الفودية، "ومؤلفات عبد الله بن فوديو"، و"حما باتي باه"⁶، لكن يبقى تأثير الجهاد الفودي على الماسنيين ملموسا بسبب القرب الجغرافي.

ويقال أنه استغل أحد النصوص الواردة في تاريخ الفتاش، الذي بشر فيه "عبد الرحمن السيوطي" الإسكيا الحاج محمد عند عودته من الحج أنه سيظهر من يصلح الدين بالسودان الغربي "أنت أحدهما ويأتي بعدك الثاني"⁷، ليجعل من

¹ - لبو Loubou: أي الجميل، وقيل لبو أي الرمح، أي أحمد الجميل أو أحمد الرمح .

² - محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كرديدية، المسلمون في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص212.

³ - عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، مرجع سابق، صص168-169.

⁴ - حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، مرجع سابق، ص268 .

⁵ - أدى آجاي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد6، مرجع سابق، ص614 في الهامش.

⁶ - علي يعقوب، "حياة الشيخ أحمد حمدي لبو ودولته الإسلامية في ماسينا"، مجلة قراءات إفريقية، العدد الثامن، تصدر عن المنتدى الإسلامي، السودان، 2011م، صص6-7.

⁷ - محمود كعت التنبكتي، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، مصدر سابق، ص94 وما بعدها.

نفسه ذلك المبشر به، وأنه مبعوث العناية لإنقاذ المجتمع الإسلامي في هذا الجزء من إفريقية، ثم مجاهدة الوثنية بكل ما يملك من قوة¹.

نجح أحمد لوبو في تكوين دولة إسلامية في منطقة النيجر الأوسط ونشر الإسلام والقضاء على حكام سيقو من البمارا الوثنيين، وكون دولة على غرار دولة الفولاني في أراضي الهوسا، ومن أهم العوامل التي ساعدته على قيام دولته:

أ- العامل الأول: مساعدة الكُنْتِيَّين الذين كانوا أكبر سند له في تأسيس دولة ماسينا ("... أما الوقت الذي كنا فيه أصحاباً للفلان، فما كان يغلب الفُلان أحد... وقد دخلت يوماً في موقعة "صَغ" بين الفُلان وأعدائهم حتى أصابني فيها جُرح،... كُنَّا نقاتل مع الفُلان باطنًا ونعاونهم ظاهراً"²)، تعتبر هذه الكلمات ذات أكبر شاهد على مساندة الكُنْتِيَّين للماسنيين، لقد قَدَّمَ الكُنْتِيَّين خبرتهم وثقافتهم الدينية لدولة ماسينا، ولذلك حَسِبَ الماسنيين أنفسهم بأنهم جزء من الأمة الإسلامية، واكتسبوا بذلك الثقة في النفس وساهموا في الدفاع عن الطريقة القادرية³، وليس مما أدلّ على العلاقة الكنتية الماسنية هو كثرت رسائل (الوعظ، والنُصح، والارشاد) التي أرسلها الكُنْتِيَّون لأمرأ ماسينا.

ب- العامل الثاني: القرب الجغرافي من الهوسا لا شك أنه ألهم أحمد اللب ، فكان محفزاً ومشجعاً له في جهاده.

ج- العامل الثالث: إعلانه الجهاد ضد الوثنيين أدى إلى علو مكانته بين الفولاني المسلمين الذين اعتبروا هذه الدّعوة بمثابة الخلاص لهم من سيطرة البمارا الوثنيين.

أخذت مملكة ماسينا الجديدة بقيادة الشيخ أحمد لوبو بعد انتصاره على أعدائه تنمو شيئاً فشيئاً إلى أن أصبحت دولة عظيمة الشأن ومترامية الأطراف شرقاً

¹ - حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، المرجع السابق، ص 268.

² - محمّد الصّالح حوثيّة، آل كنتة دراسة تاريخية، مرجع سابق، ص 227.

³ - محمّد الصّالح حوثيّة، آل كنتة دراسة تاريخية، مرجع سابق، ص 245.

ومغرباً، وشملت كل مجرى نهر النّيجر الأوسط، من منطقتي جيّني وتومبوكتو وصولاً إلى المناطق التي تسكنها قبائل البامبارا والبوزو والدوغون... الخ¹.

شهدت خلافة حمدالله (1818م-1862م) في دولة ماسينا حكماً مركزياً شديداً...، وبناءاً على ذلك استطاع أحمد اللبّ وخلفاؤه أن يطبقوا الشريعة تطبيقاً بلغ قدرًا لم يتيسّر في الخلافات الأخرى، وكان يتلقب بأمرير المؤمنين، وبشيخ الطريقة ذرية رجال الإصلاح المقيمين في العواصم، وكان أكثر الأمراء من رجال العلم، ولكن كان فيهم أيضاً أعيان قومهم وموالٍ².

أصبحت جميع مجالات الحياة في الدولة تُدار طبقاً للشريعة الإسلامية، شأنها في ذلك شأن دولتي فوتاجلون وفوتا تورو وخلافة سوكتو، وعيّن سيكو أحمدو مجلساً أعلى للحكم مؤلفاً من أربعين عضواً لمساعدته في الإضطلاع بجميع مهمّات السلطة، ... وكان لدى سيكو أحمدو مجلس خاصا يتكون من عضوين من أعضاء المجلس الأعلى، يبحث معه جميع شؤون الدولة قبل عرضها على المجلس الأعلى³.

ومما يلفت الانتباه أكثر في دولة أحمد لوبّو الجهادية هذه، عمله على استقرار البدو في أماكن ثابتة، كما عمل على إقامة نظام اقتصادي يتمشى وتعاليم الإسلام في دولته، وشجّع على التعليم، وقرب إليه العلماء والفقهاء، وأمر ببناء المساجد في جميع المدن والقرى كذلك، ولم يتخلّ عن وظيفته الشرعية كما كان يراها في الوعظ والإرشاد، فقد كان يتولى الإمامة يوم الجمعة...⁴.

تأثرت ماسينا بالثقافة العربية الإسلامية المتأصلة بفضل وجودها بجوار مركزين هامين آنذاك هما مدينة "جني" التي أسست في القرن الثالث عشر الميلادي ومدينة "تومبوكتو" التي اشتهرت منذ القرنين الرابع عشر حتى السادس عشر الميلاديين، الأمر الذي هيا دولة ماسينا إلى أن تنهض في نهاية

¹- عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، مرجع سابق، صص170-171.

²- أدى آجاي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد6، مرجع سابق، صص622-623.

³- يمكن الرجوع إلى: ج. ف. أدى آجاي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد6، مرجع سابق، صص682 وما بعدها.

⁴- عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص91.

القرن الثامن عشر بدور ملموس في نشر الدعوة الإسلامية...¹، وقد اهتمت المملكة الماسنية بالتعليم، وقد وصل عدد المدارس إلى 600 في العاصمة حمد الله وحدها، وتم بناء المساجد في كل القرى... وبفضل هذه الجهود انتشر الإسلام، وانتعشت الدولة الماسنية اقتصاديا، وثقافيا، واجتماعيا.²

لم تكن أهمية مملكة ماسنا بسبب اتساع مساحتها أو عمرها الزماني وفق معايير الممالك التي قامت في إفريقيا جنوب الصحراء، بقدر ما اشتهرت وامتازت به من حسن الأنظمة الإدارية المحكمة، إن الشخصية الإسلامية التي اتصفت بمملكة ماسينا وخلافتها بها هي التي مهدت الجو الثقافي والعقدي المناسبين، وأرست الأبنية الدينية الأساسية التي انبنى عليها الجهاد اللاحق للشيخ عمر تال الفوتي.³

أما من الناحية الإدارية فكانت البلاد مقسمة إلى خمسة مقاطعات عسكرية يُعهد بإدارتها إلى أقارب سيكو أحمدو، أو أتباعه المخلصين... وكانت مدينة حمد الله العاصمة الجديدة التي أنشئت حوالي عام 1820م، مقرا للحكومة المركزية، نظرا إلى أن مدينة نكوما كانت بحكم موقعها في وسط السهل الفيضي، عرضة للخطر في أثناء فترة ارتفاع منسوب المياه...⁴، كانت مملكة ماسينا تنتج كميات كبيرة من الأرز والدخن والخضر المتنوعة... وكانت جباية الرسوم والضرائب تتم بالصرامة... أما التجارة فعادة ما تعاني كثيرا من حالة الحرب الدائمة مع البمبارا المجاورين، ولم تعد جنّه، ذلك المركز التجاري الكبير في المنطقة، أي منذ نشوب الحرب غادر البربر هذا المركز التجاري وذهبوا إلى سانسنا ندنغ.⁵

العلاقة الكنتية الماسنية:

¹ - عثمان برايم بارى، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، مرجع سابق، صص 157-158.

² - يحي بو عزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، مرجع سابق، ص 129.

³ - عثمان برايم بارى، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، مرجع سابق، ص 171.

⁴ - ج . ف . آدى آجاي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد 6، مرجع سابق، صص 684-685.

⁵ - ج . ف . آدى آجاي، تاريخ إفريقيا العام، المجلد 6، مرجع سابق، صص 684-683.

(("فقد كان الشيخ أحمد¹ يتعلم على أبي وابنه على أخي...أيها الفلان فقد كنا نراكم إخوانا في الدين والحسب وكالإخوان في الرحم والنسب، فاخترناكم لظن الدين فيكم عمن هو أقرب نجارا ودارا، من العرب والتوارق والسودان ونصرناكم عليهم، قولوا وفعلوا ونية وهمة ورأيا ورعيا، فلم يظهر لنا ممن نصرناكم عليهم مكروه من قول ولا فعل وهو في أنفسهم مطوي وفي قلوبهم منوي، فلا يقول منهم قائل لولا بركتكم وهمتكم مع الفلان ما غلبونا ولا هزمونا ولا أخرجونا..."))²، مثل هذه الإشارات تبين مدى متانة العلاقة بين الطرفين .

كان أمراء ماسينا يتعلمون على يد شيوخ الطريقة القادرية الكنتية فقد رجعوا إليهم من الناحية الدينية والفقهية وكيفية الحكم من الناحية الشرعية وسائر الأمور العامة فكثيرا ما قدم الكنتيين نصائح لأمراء ماسينا عندما يتطلب الأمر ذلك³، فكان تأثيرهم كبير على الفكر الصوفي القادري لعلماء ماسينا، ومن خلالهم وصل إلى أرجاء إفريقيا الغربية، فالشيخ سيد المختار الكنتي هو الذي قام بنشر الطريقة القادرية في ماسينا بصورة أكثر، وغيرهم من سكان الغرب الإفريقي⁴، وهناك معلومة تستحق التنويه وهي أن المؤسسين لمملكة ماسينا يعتبرون من أكبر تلاميذ الزاوية الكنتية ومن أقرب المقربين إليها، وفيها تلقوا تكوينهم الديني والفكري والسياسي، مثل "الشيخ أحمدو بن لوبو" الملقب بري سيسي⁵ مؤسس الدولة الماسنية الذي أخذ الورد القادري عن الكونتيين⁶، وكان

¹ - يعني به أحمد لبو الأول مؤسس دولة ماسنا .

² - عبد الله موما، الكنتيون وعلاقتهم بالسلطة السياسية في السودان الغربي خلال القرن 19م، بحث لنيل الدراسات المعمقة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرار، جامعة سيد محمد بن عبد الله، فاس، السنة الجامعية 2007م-2008م، صص 109-113-114، نقلا عن : الشيخ أحمد البكاي، ذخيرة السرمد في جواب الشيخ أحمد بلو، مخطوط، خزانة ماما حيدرة للوثائق والمخطوطات، تمبكتو، مالي.

³ - زهرة الهامل وأسماء عكرمي، الإسهامات العلمية لآل كنتة في غرب إفريقيا، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة أحمد دراية، آدرار، الجزائر، السنة الدراسية، 2017م-2018م، ص41.

⁴ - عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، مرجع سابق، صص 158-159.

⁵ - "بري سيسي": "بري" فرع من فروع القبائل الفلانية، و"سيسي" لقب لأي عالم دين حسب لهجتهم.

⁶ - بهيجة الشاذلي، "دور زعماء الإصلاح الإفارقة (19م) في إثراء الثقافة العربية الإسلامية"، ذكرى مرور أربعة عشر قرنا على الدخول الإسلام في إفريقيا، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا، ليبيا، 2006م، ص306.

أحمد لوبو من تلاميذ الشيخ الم رابط سيد محمد الكنتي الذي اتبع الطريقة القادرية والتي أثرت على أحمد لوبو وعلى أفكاره¹، وتأثير الكنتيين على الشيخ أحمدو أمر يعرفه الكثيرون².

تلقى سيكو أمادو أو الشيخ أحمدو بن لوبو تكوينه الديني والفكري في الزاوية الكنتية بأزواد على يد زعيم جماعة كونتا الشيخ المختار الكبير، وابنه وخليفته الشيخ سيد محمد الخليفة، وتخرج من المدرسة الكنتية "شيخا صوفيا مبرزاً" حيث عاش ثلاث سنوات في خدمة معلمه الذي منحه "الدليل" الذي يمثل الحكمة الصوفية التي مكنته من تحقيق أهدافه³، وبعد عودته من الزاوية الكنتية بعد أن أصبح مقدماً في الطريقة القادرية، بدأ يدعو المسلمين إلى تصحيح العقيدة الإسلامية عما شابها من البدع وترك المعاصي وعدم العبث بالدين...⁴، وقد لقبه الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي بالسميذع النحرير في جواب له على مجموعة من الأسئلة إذ يقول: "وقد وردت علينا من لدنك أيها الأمير السميذع النحرير مسائل مفيدة التحصيل..."⁵، ويأتي بعد الأمير أحمد لب في هرم السلطة الماسنية رئيس مجلس الشورى (البرلمان) "الشيخ ألفا نوح طاهر" والذي ارتبط بعلاقة قوية مع الكنتيين وبسبب عمق ارتباطه بالكنتيين كثيراً ما كان يكتب في تعريفه لنفسه "الفقير نوح بن الطاهر بن أبي بكر بن أبي موسى الفولاني تلميذ الشيخ سيدي المختار بن أحمد الكنتي"⁶، فهو ينتمي إلى الفلان الماسنويين التي تدعى (Yirlabe) وتدعى عشيرته ب (Dibinabe ديبنابي) كان في شبابه مريداً ومحارباً في الكتائب الجهادية التي قامت بالمنطقة آنذاك⁷، وكان أحد الوجوه البارزة في ماسينا فقد اتصل بالشيخ سيد المختار الكبير

¹ - محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كرديدية، المسلمون في غرب إفريقيا، مرجع سابق، صص 211-212.

² - أبيتبول، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الخامس، مرجع سابق، ص 369.

³ - مجموعة من المؤلفين، الحضارة الإسلامية في مالي، مرجع سابق، ص 174.

⁴ - عبد القادر بن تيجان، موسوعة تاريخ مالي، مرجع سابق، ص 447.

⁵ - الشيخ سيد محمد الخليفة، الأجوبة المباركة أو ما يعرف بالأجوبة الفلانية، مخطوط، زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي، نواكشوط، بدون تصنيف وترقيم.

⁶ - نوح بن الطاهر، رسالة إلى اقاليم المسلمين بشأن أمير المؤمنين أحمد لبو، مخطوط، المكتبة الوطنية بباريس، الوثائق العربية، رقم 5259، ص 1.

⁷ - محمود كعت التنبكتي، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، مصدر سابق، ص 55.

الكنتي وأتم دراساته على يديه وعندما أجازته أرسله إلى الهوسا سفيراً¹، حيث مكث عدة سنوات بالقرب من الشيخ عثمان فوديو الذي انبهر بسعة معرفته، يقول الشيخ سيد محمد في ذلك "...وقد بدأتمونا بالإحسان أحسن الله إليكم، وأسبغ نعمه الظاهرة والباطنة عليكم بهديتكم الواصلة إلينا صحبة أخينا الأَرْضِي، ومريدنا الصادق المرتضى ذي الفتوح والمنوح، الصالح الناصح العلامة نوح بعد إحسانكم وإقبالكم الجميل عليه،// بما هو أشهى لدينا وأحظى²، رجع نوح بن الطاهر إلى الحضرة الكنتية بطلب من الشيخ عثمان فوديو ليكون إلى جانب الشيخ سيدي المختار الكبير الذي توفي شهوياً بعد ذلك أي سنة 1811م ولكنه ظل إلى جانب ابن الشيخ ووريثه سيدي محمد إلى سنة 1820م حيث بعثه عند غلاجو هامبود بن محمد بديج) "ملك كوناري" بوصفه مستشاراً له وكتباً له في الشؤون الإسلامية³، ثم لما ظهر أحمد اللب أرسله إليه، وكان الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي يرأسه بعدة مراسلات فمن ذلك رسالته إليه، يوصيه بإيثار الآجلة على العاجلة، ويعيذه بالله أن تستميله الدنيا بما استمالت به أبناءها، ويذكر له كتاب أحمد لب بن محمد بن أبي بكر إليه يستشير في توليته ولاية...⁴، وقد راسل نوح بن الطاهر الشيخ سيد المختار الصغير ابن الشيخ سيد محمد يعزیه عن والده الشيخ سيد محمد ويعلمه أنه كتب للشيخ أحمد لب في الشفاعة في تخلية أحمد بن موسى يذهب حيث شاء وفي امر جلاجو وفي السفر إلى صَصَنْدَ إن إحتيج إليه ويذكر له في آخرها أن الكلف تزايدت عليهم في هذا العام المبارك ولله الحمد⁵، كما أن هناك شخصية أخرى كان لها دور بارز في تأسيس أركان دولة ماسينا وإرتبطت كذلك بعلاقات قوية بالزاوية الكنتية هو "غُلاجيو"، تربي الأمير غُلاجيو بن حمادي بادجيو الأحمر على الفروسية وكان من الأمراء القوميين الفولانيين ضد هيمنة البمبارا على المنطقة، والذي انتزع منهم منطقة كناري عام 1815م/1816م – قبل عامين

¹ - هارون بن الشيخ سيد باب، كتاب الأخبار، ج 1، مرجع سابق، ص 185.

² - محمد أحمد جد، أدب الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي دراسة وتحقيق لنماذج من نثره وشعره، مرجع سابق، ص 208.

³ - مجموعة من المؤلفين، الحضارة الإسلامية في مالي، مرجع سابق، ص 240.

⁴ - فردوس حناني، محمد الخليفة الكنتي شيخ الطريقة القادرية بغرب إفريقيا ومريديه، مرجع سابق، ص 498.

⁵ - هارون بن الشيخ سيد باب، كتاب الأخبار، ج 1، مرجع سابق، ص 186.

من بدء الشيخ أحمد جهاده¹، ونتيجة لندرة المصادر التي تتكلم عن هذه الشخصية القوية إلا ما كان منها شفهيًا، إلا أنه كان ينعت بالقوة والصلابة أيام مناهضته للإسلام قيل أنه كان إذا قدم (سيكو) لايجرء أحد أن يكلمه إلا بلغة الفلان وأهل (سيكو) بنبارة، وإذا قدم (كوناري) وأهلها فلانيون لايجرأ أحد منهم أن يكلمه إلا بكلام (نبارة) وهذا لجبروته وخشية الناس منه قبل أن يلتحق بالزاوية الكنتية التي لقنته العلم والأوراد القادرية وحسن إسلامه وزالت منه تلك الغلظة والعجرفة²، وقد سارع سيكو أمادو (الشيخ أحمدو) بالتحالف معه وحققوا انتصارا ساحقا على الديكو والبمبارا في معركة نوكونوما³، وقد أوصى الشيخ سيد محمد الخليفة في رسائله إلى أمير ماسينا بالاهتمام وإعطاء الاعتبار بغيلاجو بن بديج وإلى عدم الاستماع لوشي الوشاة بجلاجيو باعتباره القائد الحربي الذي اسلم عن إيمان ورغبة في جهاد الكفرة وشد أزره: "واستوصي نضر الله أيامك، ونصر أعلامك بغيلاجو خيرا فقد تعلق بنا ، فنسأل الله تعالى أن يجعله لك عضدا عاضدا وساعدا ومساعدًا على إقامة الدين ... وإن فيه لنجدة ونزاهة نفس ، وقد أحسن إلينا وتعلق بنا والصولة له (...)"⁴، ثم يلفت الشيخ أنتباه أحمد لبو إلى ما كان عليه هدف قتال أهل السودان، ومن ثم ينبهه إلى ضرورة عقد حلقات لأتباعه ولمن أسلم أيضا بتعليمهم آداب ذلك من سيرة الرسول ﷺ من كتاب الإكتفاء للكلاعي يقول له: ((وأنت أيديك الله! في أرض لم يألف أهلها القتال إلا تعصبا للكفر، وتعصبا على الباطل والظلم، وقد منّ الله تعالى عليهم بالإسلام، وزين في قلوب كثير منهم الإيمان، وشرح لهم صدورهم فاكتمل عليهم مجلسا في وقت فراغهم من كتاب الإكتفاء للكلاعي⁵ ينشطهم ويقوي نياتهم بما يطرق أسماعهم من بلاء المسلمين (...))⁶، تعتبر هذه

¹ - ج . ف . أدى آجاي، تاريخ افريقيا العام، المجلد6، مرجع سابق، ص618.

² - الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، أوثق عرى الاعتصام للأمراء والوزراء والحكام، مصدر سابق ، ص19 في الهامش.

³ - ج . ف . أدى آجاي، تاريخ افريقيا العام، المجلد6، مرجع سابق، ص618.

⁴ - الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، أوثق عرى الاعتصام للأمراء والوزراء والحكام، مصدر سابق ، ص221.

⁵ - عنوانه الكامل: الإكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء لأبي الربيع ابن سالم الحميري الكلاعي.

⁶ - محمد فرقاني، مخطوط أوثق عرى الاعتصام للأمراء والوزراء والحكام، مجلة عصور، مرجع سابق، صص29-30.

الوصايا الناصحة للشيخ سيد محمد الكنتي قمة في نضوج الفكر الإصلاحي الذي يحتاجه الأمير أحمد لوبّو ورعاياه في مملكة ماسينا في بداية مشوارها.

الدور الإصلاحي والديني في الدولة الماسينية:

لعب الكنتين دور الوجه الإصلاحي والديني في ماسينا، وكأن السلطة داخل بلاد ماسينا تنقسم بين الفلان وكنتة، الجانب السياسي في حمد الله عاصمة البلاد، والسلطة الدينية يتمبكتو معقل الكنتيين.

وظف العلماء الكنتين قدراتهم الدينية والاجتماعية والسياسية لخدمة أهداف هذه الدولة، سواء في عهد قوتها من خلال إسداء النصائح والتوسط في النزاعات التي ظلت قائمة مع الطوارق أو بعض المجموعات والرماة المتبقية في المنطقة، أو في مرحلة ضعفها عندما انقضت عليها قوات الفوتين بزعامة الحاج عمر، صحيح أن تدخل الكنتيين لم يرجع الإمارة إلى سابق عهدها، إذ أنها كانت قد انهارت نهائياً ابتداء من 1863م، بعد دخول الفوتين إلى حمد الله، إلا أن القوات الكنتية كبدتهم خسائر فادحة، كان أغلاها استشهاد زعيم الفوتين الحاج عمر بن سعيد الفوتي سنة 1864م على أيديهم.

دأب علماء كنتة على الوعظ والنصح والإرشاد والدعم لأمرء دولة ماسينا وذلك راجع إلى علاقة التلمذة التي تربطهم بهم، وقد ألف الشيخ سيد محمد الخليفة ((أوثق عرى الاعتصام للأمرء والوزراء والحكام)) هدية ونصيحة للأمير أحمد لوبّو وصاحبه الأمير جلاجو الغرض منها تهذيب سلوك الأميرين، وترغيبهم في سلوك سبيل العدل لأن ((عقول الملوك وإن كانت كباراً إلا أنها مستغرقة بكثرة الأشغال فتستدعي من الموعظة ما يتولّج على تلك الأفكار ويتغلغل في مكامن تلك الأسرار، فترفع تلك الأستار، فتفك تلك الأكنة والأقفال، ويصقل ذلك الصدا والران¹))، وذلك من خلال مجموعة من الأبواب بلغت تسعة وأربعين باباً، وقد تناولت هذه الأبواب الأحكام السلطانية، أهمها في الحاجة إلى السلطان العادل ومكانته، والخصال المطلوبة فيه، وباب في سيرته مع أعوانه، وتتجلى صوفية الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي في كتابه "أوثق عرى الاعتصام" في تعويله على المجاهدة والخصال (الأخلاق) في بلوغ

¹ - أبوبكر الطرطوشي، سراج الملوك، تحقيق محمد فتحي أبوبكر، ج1، منشورات الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1994م، ص17.

السلطان مقام العدل، وتبدوا هذه الخاصية جليلة ناصعة إذا قارنا هذا النص مع غيره من نصوص الفكر السياسي الإسلامي وخاصة تلك التي تدخل في باب السياسة الشرعية والأحكام السلطانية التي أنشأها الفقهاء، والتي ربطت تحقق العدالة بتنفيذ الأحكام، لا بتمثل الحكم، ترجع أسباب تأليف كتاب ((أوثق عرى الأعتصام للأمرء والوزراء والحكام)) أنه لَمَّا عَزَمَ -أحمد لوبو- على جهاد الوثنيين سنة 1813م يساعده في ذلك جلاج بن محمد بديج طلبا من الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي أن يكتب إليهما برسالة تكون لهما مرجعا في عملهما اللذان ينويان القيام به، يكون تبصرة لهما وإرشادا، وتوجيها لما ينبغي أن يكون عليه عملهما في رعيتهما وجندهما، وكذا مع من يجاهدونهم، حيث أشار في مقدمة الكتاب إلى طلبهما: "وإنه محمد بن المختار... إلى مُقيم أَوْدُ السنة الأحمدية... أحمد بن محمد نُصَّرَ الله أيامه... أنه بلغني مكتوبك تنهي إلي فيه بعد السلام... وأن جلاج يسلم علينا أبلغ السلام، وأنكما تسألاني التطفل بكما على موائد الحق بالدعاء بالاستقامة والثبات على سنن الإيمان والإسلام والإحسان... فهذا أنا قد لبيت دعوتكما الصالحة، وأجبت طلبتكما الناجحة، وأتحفتك بأوثق عرى الاعتصام للأمرء والوزراء والحكام تبصرة وذكرى ونصيحة كافية وبشرى...¹ وكان ما بين هذا التقديم والخاتمة كال دستور لهذين المجاهدين.

ولا ينسى الشيخ سيد محمد أن ينبه الأمير إلى العمل بما كتب به إليه: ((وبمثل هذا فليعمل العاملون فإن فيه عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وجميل الذكر، فلينتهز فرصة العمر... وليدخر لنفسه قبل حلول رُمسِه، وليعلم أن المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو، فليختر لنفسه أي ثلاثة شاء²)).

دور علماء كنتة في تثبيت دعائم مملكة ماسينا:

يتمتع علماء كنتة بوزن ديني وسياسي كبير على مختلف القوى في بلاد السودان الغربي، ونظرا للعلاقة الخاصة التي تربط علماء كنتة بقيادة دولة

¹ - محمد فرقاني، مخطوط أوثق عرى الاعتصام للأمرء والوزراء والحكام، مجلة عصور، مرجع سابق، صص 20-21.

² - الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، أوثق عرى الاعتصام للأمرء والوزراء والحكام، مصدر سابق، ص 225.

ماسينا في حمد الله، فقد كان للعلماء الكنتيين دور مركزي ومحوري في تهدئة الأوضاع وحل النزاعات داخل المملكة .

وقد اهتم العلماء الكنتيين بالإصلاح وبتهدئة الأوضاع في ماسينا فقد تدخل الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي بوجاهته لدى سكان مدينة جني ومن معهم من البيضان والرماة الذين تحالفوا مع القوى الوثنية ضد سلطة دولة ماسينا الإسلامية، وقد بعث برسالة إلى هذه الأطراف جاء فيها: "...وإنه من عبد ربّه محمد بن المختار.. إلى رماة جني وسوقتهم وأتباعهم وأشياهم من البيضان والسودان ... أمّا بعد فإنني ادعوكم إلى مراجعة دينكم خير الأديان المختار منها بخيرة الرسل الأعيان المبعوث به إلى أمتة المنتخبة من جنس الإنسان فقد خاب وخسر من بدلّ الكفر بالإيمان واستبدل الطّاعة بالعصيان...¹، ويدعم رسالته بآيات كريمات وأحاديث نبوية شريفة.

والواضح أن "الرماة" كانوا يريدون تشكيل حركة انفصالية عن دولة سيكو أمادو (أحمد ليو) والخروج عن طاعته، وهو مايرفضه الشيخ سيد محمد الخليفة الذي كان ملزماً بالإصلاح بين القبائل والدول والأفراد الذين كانوا يترافعون إليه بقضاياهم فيفصل بينهم فيما كانوا فيه يختلفون.

تدخل العلماء الكنتيين كذلك بوجاهتهم ونفوذهم لدى الطوارق من خلال تمردهم على الدولة الماسنية الذي وقع في تنبكتوا (عام 1250هـ) حيث تجمع الطوارق واجمعوا للوقوع ممن بقي في تنبكتوا واكتساح مابها من صامت وناطق، بعد أن خرجت منها حامية أمير جيش ماسنة، فكتب الشيخ سيد المختار الصغير بن الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي كتباً إلى زعمائهم زجرهم فيه عما ظن منهم من الفساد ووعدهم بالمرور عليه وأنه يطلب لهم الصلح من أمير ماسنة ؛ فسمعوا وأطاعوا لمضمون الكتاب²، ومن ناحية أخرى فقد كتب إلى الأمير في تأمين الطوارق: "...وتلطف وتألّف كفعله ﷺ بأمثالهم من أحداث الأديان حتى ألفوا ورغبوا واطمأنوا، ولا تجد قوما عربا ولا عجماء أقرب طاعة ولا مودة من الطوارق لمن رغبهم بعدما رهبهم وتألّفهم بعدما خوفهم ولا قوما أشد نفرة

¹ - فردوس حناني، "الداعية الاسلامي الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي ومخطوط "رسالة إلى الرماة"، مجلة تاريخ العلوم، العدد الثاني، جامعة زيان عاشور بالجلفة، 2016م، صص 45-47.

² - الشيخ احماده الميمون وآخرون، التراث الكنتي الإشعاع الروحي والامتداد البشري، مرجع سابق، صص 122-123.

ولا أقوى نكرة منهم، لمن شاكسهم وعاكسهم وضيق عليهم وأحرجهم ولا قوما أشكر منهم لقليل الإحسان وكثيرة...¹، وباستعراض المراسلات بين أمير دولة دينا الماسنية سيكو أمادو (الشيخ أحمدو بن لوبو) والشيخ سيد المختار الكنتي الصغير تتضح معالم العلاقة المترسخة بين الماسنيين وعلماء كنتة، ومن أمثلة ذلك هذه الرسالة التي بعثها الأمير أحمد لوبو إلى الشيخ سيد المختار الصغير بشأن تمرد الطوارق عليه وتدخل علماء كنتة لثنيهم عن التمرد: "...من الشيخ أمير المؤمنين أحمد بن محمد إلى الأخ في الله والعون المتعاون على طاعة الله سيد المختار² جعلنا الله من المصطفين الأخيار، آمين . قد رأيت ما كتبت إلي من أنك تخوفت من أن نذكر ليس في امرئ برد قائم العير من أموالنا التي نهبها

¹ - الشيخ سيد المختار الصغير، رسالة في الحز على كظم الغيظ وتوقيف الفتن، مصدر سابق ص17.

² - الشيخ سيدي المختار الصغير : كان سمي جده ويلقب "ببّادي" كما يلعب بالسلطان وقد ولد في حياة جده وكان عبقرى لامعا أشرف الشيخ سيدي المختار الجد على دراسته كما تابع الإشراف عليها والده الشيخ سيدي محمد وقد تعلم في حضرة والده وجده العلوم العربية والإسلامية المتداولة في المنطقة ويصفه صاحب كتاب منح الرب الغفور بـ «شيخ الأشياخ و عمدة أهل التوحيد و شيخ المحققين من ظهرت بركاته شرقا وغربا ومناقبه في الناس عجما وعربا ساقى المريد وعمدة أهل التوحيد شيخ المحققين ونخبة المثقفين ومربي السالكين صاحب الا خلاق المرضية والمقامات العلوية»، تولى المشيخة بعد وفاة والده فكان العالم المفتي والشيخ المربي والقائد السياسي، كل ذلك في ظروف عرفت فيها المنطقة أوضاعا سياسية عصبية وحروبا دامية وكان لوساطات الشيخ ومثابرتة خير علاج لعواصف النزاعات، وقد كلفه ذلك إعداد جيش بناء على طلب من التجار المغاربة والتواتيين والغدامسيين كما يقول بول مارتي لحمايتهم من حملات الفولبي، للشيخ سيدي المختار الصغير علاقات واسعة بمحيطه خاصة بقبائل الصحراء ومع السلاطين الدولة العلوية وتدل على ذلك كثرة مراسلاته مع السلاطين المغرب وزعماء الممالك الفلانية المعاصرين له ورؤساء القبائل وغيرهم، من هذه المراسلات (العجالة الرائقة في العمالة وتعرف كذلك بالرسالة العلوية) وهي رسالة جوابية إلى السلطان المغربي عبد الرحمن بن هشام، ورسالة (كتم الغيظ وإخماد الفتن) إلى أمير ماسنا أحمد لوبو، وهي نوع من نماذج الرسائل في الإصلاح السياسي والديني الذي احتوى ديوان رسائله على الكثير منها التي تهتم بهوموم الامة الإسلامية وخاصة هموم مجتمعات الصحراء والغرب الافريقي، كما أن له مؤلفات ضاع الكثير منها، هذا بالإضافة أن له نصوص شعرية توجد بحوزة زاوية الشيخ سيدي المختار الكبير بانواكشوط، وقد أجاز الكثير من الطلبة والمريدين في الحقيقة والشرعية ومن ابرزهم الشيخ سيدي المختار بن الهيبه الانتشائي وأحمد لوبو الثاني بن أحمدو الأول الماسني، كما تتلمذ عليه من المغرب الأقصى مؤسس الزاوية القادرية بمدينة مكناس الباشا عبد الله بن أحمد البخاري السوسي، الذي سافر خصيصا إلى حضرة الشيخ سيد المختار الكنتي الصغير بأزواد لكي يأخذ ورد الطريقة القادرية الكنتية لنفسه وللسلطان سيدي محمد الرابع ابن مولاي عبد الرحمن، كما أخذ الباشا ورد الطريقة كذلك لبعض وزراء السلطان، ثم قفل راجعا إلى المغرب وغيرهم، وقد توفي الشيخ سيد المختار الصغير سنة 1263هـ-1847م، انظر : الطالب بيكر بن أحمد المصطفي، منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور، مصدر سابق، ص138، وبول مارتي، كنتة الشرقيون، مرجع سابق، ص90.

قبل قدومك وبعده، إلا أن نتبين في ذلك التخوف وعلته إلى ما قلت في كتابك، فإنه سر ولم يزل متعلقا بي ولم أزل شافعا له عندك ما شفع شفاعة الشافعين عند السادة النافعين، عقدنا رأينا عقدا مستحكما على أن لا يثنيينا مع هؤلاء التوارق الغلاة البغاة الطغاة العبد المردة الغدرة الفجرة، لأنهم لم يزالوا منذ زمن والدك المرحوم يغشوننا غشا ويغدرونا غدرا مرة بعد أخرى....¹.

وهذه الرسالة من خلال ديباجتها تبرز الصراع الفلاني التارقي وحالة الخوف التي تسيطر على سلطان الفلان والأهالي من ممارسات الطوارق، وتكشف بجلاء مكانة علماء كنتة في المنطقة ودورهم الإصلاحي بين هذه المجموعات، إذ كانوا دائما مفتاح الإصلاح في المنطقة، كما بعث الشيخ سيد المختار الصغير بن الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي إلى امير ماسنة احمد لوبو بعدة رسائل تحتوي على كثير من الإرشادات والنصح.²

واصل الشيخ أحمد البكاي الكنتي خطى أجداده في النصح والوعظ والإرشاد لمملكة ماسينا من خلال إرساله لعدة رسائل ومنها رسالته "مخطوط ذخيرة السرمد في جواب الشيخ أحمد لبو"، وقد حوت الرسالة، كيفية التعامل مع أعداء البلاد، وما هي السبل من أجل ضبط أمن واستقرار الإمارة، كما استأثرت علاقة البلاد بجيرانها الطوارق بنصيب وافر، لما تمثله هذه العلاقة من أهمية بالغة، ولما لها من تأثير في وضعية المنطقة واستقرارها، وخصوصا تنبكتو حيث يقيم البكاي على مشارف بلاد الطوارق.³

3- مملكة الكانم -برنو:

تكلما عنها في هذا الفصل في المبحث الأول ضمن الحديث عن ممالك السودان الغربي، كان الشيوخ الكنتيون يزورون بورنو ويطبقون الطريقة القادرية...⁴، ترجع العلاقة الكنتية مع مملكة الكانم -برنو إلى فترة قديمة، وقد تعززت تلك العلاقة في الفترة المدروسة، وذلك تجسيدا للعلاقة التاريخية التي

¹ - للإطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى : الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، مرجع سابق، ص 230 وما بعدها.

² - محمد الصالح حوثية، آل كنتة دراسة تاريخية، مرجع سابق، صص 173-174.

³ - الشيخ أحمد البكاي، ذخيرة السرمد في جواب الشيخ أحمد بلو، مصدر سابق، ص 57.

⁴ - عبد الله عبد الرزاق، أضواء على الطرق الصوفية، مرجع سابق، ص 37.

كانت ترتبط بينهما سابقا، وبحسب الفرنسي بول مارتى في كتابه "كنتة الشرقيون" فإنه تم العثور على وثيقة عثر عليها الضابط الترجمان آ. ج. ب. مارتان في توات، تؤيد قِدَمَ العلاقات القائمة بين كنته وبين إقليم بورنوا¹ "حيث كتب سلطان بورنو كاندي ولد جامشاش إلى كل المشايخ من نسل الشيخ المختار ومن سيدي عمر الشيخ وإلى كل إخوانهم في درماهاكا المقيمين في توات إلى أن يقول: مما يثير الدهشة كيف تركتم عادة آبائكم وعزفتم عن القدوم إلى آبائنا؟ فمنذ المعاهدة مع السلطان سيدنا سقرا لم تعودوا لبلدنا ومن المؤكد - قسما بالله -- أني لم أسبب لكم ولن أتسبب في أي نوع من الأذى، أقبِلوا إذن كما كانت العادة، ولن يكون أي واحد من أولئك الذين يفدون من توات، مزودا برسالة منكم مضطرا لدفع ضرائب لأن البلد بلدكم مثلما كان لأبائكم من قبل"².

كما كان العادل محمد البكر³ أمير بورنو والمقاطعات المجاورة يتراسل مع الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير ويبحث له الهدايا، وقد وضع نفسه تحت إدارته الروحية⁴.

العلاقة الكنتية مع دولة بورنو ستعرف قمة تألقها وازدهارها مع محمد الأمين الكانمي أمير بورنو الذي ارتبط بعلاقات قوية مع القادرية الكنتية، وهي العلاقة التي سوف تتعزز أكثر مع وصوله لعرش السلطة في مملكة (كانم - برنو)، حيث بعد عودته من الحج مباشرة زار طرابلس والقيروان وتلمسان ثم فاس ومنها انتقل إلى تنبكتوا⁵ والتقى بعلماء الزاوية الكنتية، كما تدخل علماء كنتة في إيقاع الصلح بين محمد الكانمي والدولة الفودية بعد احتلال الأخيرة أراضي داخل دولة الكانمي على إثر اختلافهم في قضايا تتعلق بنوعية الجهاد، وقد قام العلامة الشيخ أحمد البكاي الكنتي كذلك بأداء زيارة إلى محمد أمين الكانمي في بورنو فاستقبل استقبال الزعماء، وكان موكبه أثناء هذه الزيارة

¹ - بول مارتى، كنتة الشرقيون، مرجع سابق، ص 34.

² - يحي ولد سيد أحمد، الديوان الصحراء الكبرى، مرجع سابق، صص 9-25.

³ - آخر سلاطين مملكة آهير الأقوياء تولى مابين (1797م - 1809م) كان له علاقات مع الكنتيين قوية، وكان معاصرا لقيام الدولة الفودية .

⁴ - بول مارتى، كنتة الشرقيون، مرجع سابق، ص 74.

⁵ - عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص 103.

كبيراً¹، والشيخ محمد الأمين الكانمي من العلماء البارزين الذين عملوا على نشر الإسلام وثقافته، وتثبيت قواعده وتطهيره من الشوائب الوثنية، وقد بنى مدينة كوكا 1814م لتصبح عاصمة له مع ترك الاسم للأسرة السيفية، لكنه أسس أسرة حاكمة جديدة في بورنو، وفي عهده استعادت المملكة أغلب المناطق التي كانت تسيطر عليها في عهد إدريس علومه، وقد توفي الكانمي عام 1839م وكان قبل موته قد اعتزل الحكم وولى مكانه ابنه الشيخ عمر².

4- العلاقة الكنتية مع الدولة العمرية التيجانية:

عرف السودان الغربي نشوء قوى دينية وزعامات سياسية متباينة الطرق والمصالح، لكن لها هدف واحد هو تغليب نفوذها الروحي والسياسي على المنطقة، وخير مثال على ذلك هو الصراع الروحي والثقافي والسياسي بين ندين هما أحمد البكاي الكنتي القادري والحاج عمر الفوتي التجاني وحاول كل منهما الانتصار لفكرته وطريقته³، ورغم ذلك التنافس الطريقي الذي طبع العلاقات بينهما في بلاد السودان الغربي، فإنه كان لهما الفضل في بث الثقافة العربية الإسلامية ونشر الدين الإسلامي كل حسب اجتهاده ومنهجه وأسلوب تعاطيه مع الظروف الموضوعية والذاتية التي أحاطت به وتفاعل معها، وقد رأينا من المفيد قبل الخوض في الموضوع ولهدف المنهجية هو تعرض لحياة سيد البكاي لنبرز بذلك خفايا العلاقة الكنتية مع الحركة التيجانية العمرية.

حياة أحمد البكاي الكنتي:

هو الشيخ سيد أحمد البكاي بن الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير الخليفة الثالث للطريقة القادرية كان أبرز العلماء وأكثرهم مهابة وصولاً في الحق ورث الزعامة الزمنية والروحية التي خولت له لعب أدوار سياسية⁴، ولد حوالي سنة 1803م في ضواحي المبروك الموقع القديم للزاوية الكنتية

¹ - عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص 100.

² - محمد فاضل علي باري وسعيد ابراهيم كريدية، المسلمون في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 139.

³ - حسن الصادقي، أضواء على الثقافة العربية في إفريقيا في العصر الحديث مساهمة كنتة في الحياة الثقافية والسياسية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2012م، صص 32-33.

⁴ - عثمان برايم باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، مرجع سابق، ص 189.

الكائن شمال شرق تمبكتو، وتوفي رحمه الله سنة 1865م، تربى في بيت علم وحكمة وتربية صوفية معتدلة قائمة على التوسط والاعتدال بعيدة عن البدع والزيغ والضلال¹، قال المحجوبي في ترجمته لأحمد البكاي: "...كان رحمه الله تعالى سيدا حلما نزيها أديبا ليبيبا عاقلا حاذقا شاعرا ناثرا نحويا بيانيا لغويا منطقيا عروضيا... وكان سخيا من الأسخياء، كريما من الكرماء، خبيرا بعلم الجدول، وقد ابتلي في آخر عمره بالسلطنة واستولى على جميع رعية آل أحمد لب وأرض سنسد ومابينهما"²، إشارة إلى اهتمام الشيخ سيدي أحمد البكاي بالسياسة وتحالفه مع سلطنة إفلان بماسنة ضد الحاج عمر، استقرّ أحمد البكاي في تمبكتو، وتسلم زعامتها، حيث كان الناس يردون عيه باستمرار كعالم فقيه وزعيم للقادرية في المنطقة³، وقد ظلت خلافة السجادة القادرية متوارثة في أفراد أسرته كابرا عن كابر منذ دخول هذه الطريقة إلى الغرب الأفريقي في أخريات القرن السادس عشر الميلادي الشيء الذي لعب دورا مهما في انتشار الإسلام في هذه المنطقة... وكما جرت العادة في القرن التاسع عشر والقرون التي سبقتة فإن أحمد البكاي قد تلقى العلم منذ نعومة أظفاره...⁴، على أبيه، وجده جريا على سنن أخيه سيدي المختار الذي عاش فترة طويلة من حياته نائبا له، ليصبح ابتداء من سنة 1847م الخليفة الفعلي له، وقد سماه والده بهذا الاسم تخليدا لذكرى جدهم الأكبر الشيخ سيدي أحمد البكاي نزيل ولاته ودفينها في القرن السادس عشر⁵.

يعتبر أحمد البكاي بن الشيخ سيد محمد الخليفة بن الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير من أبرز علما القرن الثالث عشر الهجري في الغرب الإسلامي وبالتحديد في السودان الغربي، وذلك نظرا للكم المعرفي الذي خلفه والإنتاج

¹ - ياسين بن روان، تاريخ التسامح في الصحراء (دراسة لفتوى الشيخ سيد أحمد البكاي الصغير في شأن النصراني)، ط1، إصدار مركز بلعربي العلوي للدراسات التاريخية، المغرب، 2019م، ص23.

² - أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاتي، منح الرب الغفور فيما أهمله صاحب فتح الشكور، مصدر سابق، ص180.

³ - عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقية جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص100.

⁴ - عمر عبد الماجد، التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، صص168-169.

⁵ - بول مارتني، كنتة الشرقيون، مرجع سابق، ص99.

العلمي الذي تركه ، سواء في العلوم النقلية الشرعية أو العلوم العقلية المادية¹، وينبغي التنبيه إلى أن الدراسات العلمية والمعرفية للمؤلفات البكائية² لازالت ضعيفة سواء من حيث تحقيق مخطوطاته ، أو دراسة منهجه العلمي في التأليف ، ويعرف عن البكاي بأنه صاحب المراسلات المطولة مع أهل المغرب وعلمائه³، وقصده الطلبة والمريدون من كل حذب وصوب، لتلقي علوم اللغة وآدابها والتفسير والفقه والتصوف وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية، دون أن ننسى مبادئ الثقافة الروحية والأخلاقية⁴، وقد خلف وراءه مجموعة من الكتب منها كتاب السراج المنير في دياجي البدع في الدهور⁵، كما ذكر أحد الباحثين أنه توجد لديه ستون مؤلفا محفوظة بمركز أحمد بابا التيمبكتي⁶، واعتبره مولاي أحمد بابير "عالما فقيها تفنن في علوم كثيرة حتى أصبح صاحب الوقت، وكان غزير المعرفة بالآداب ، مجاهدا في سبيل الله، جاهد بسيفه وقلمه ضد أعدائه من الأخويات الأخرى، وله تواليف كثيرة⁷.

¹ - ياسين بن روان، تاريخ التسامح في الصحراء (دراسة لفتوى الشيخ سيد أحمد البكاي الصغير في شأن النصراني) ، مرجع سابق ، ص24.

² - نقصد مؤلفات سيدي أحمد البكاي الصغير ، تميزا لمؤلفات جده الأكبر الشيخ سيدي أحمد البكاي الكبير المتوفى في القرن التاسع الهجري ، وقبره مشهور في ولاتة في موريتانيا.

³ - حسن الصادقي، أضواء على الثقافة العربية في إفريقيا في العصر الحديث، مرجع سابق، ص34.

⁴ - الشيخ عقباوي عزيز ، النفحات البهية في أفنان الشجرة الكنتية ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر ، 2016م ، ص11.

⁵ - ل.م.د / أيوب شرفي، "انتشار اللغة العربية في غرب إفريقيا"، مجلة مدارات تاريخية، المجلد الثاني - العدد الخامس، مارس 2020م، ص188.

⁶ - أجه ولد محمد، العلاقات الثقافية بين بلاد شنقيط والمجال المتوسطي خلال القرنين 18-19م، أطروحة دكتوراه، جامعة الحسن الثاني - المحمدية 2014م، ص178.

⁷ - مولاي أحمد بابير، السعادة الأبدية في التعريف بغلماء تنبكت النّهية، دراسة وتحقيق، الهادي المبروك الدّالي، ط1، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، الجماهيرية العربية الليبية، 2001م، ص156.

أولاً: مصنفاته:

-بغية الألف في جواب ابن يرك تلف:

يتكلم هذا المخطوط على مسائل نقد التفاسير، ومناهجها، وطرق تعاملها مع الخطاب القرآني، والخطاب النبوي، هذا بالإضافة إلى توضيح طرق الاستدلال من أصول النصوص الشرعية.

-فتح القدوس في الرد على أبي عبد الله محمد أكنسوس¹:

وأصل هذا المخطوط انطلاقا من عنوانه هو الرد على أبي عبد الله محمد أكنسوس حول مزاعم التيجانية حول الاجتهاد.

-كتاب جمع المذاهب في الخلاف بين الأمة الأربعة:

وقد سار الشيخ أحمد البكاي في مخطوطه جمع المذاهب في الخلاف بين الأمة الأربعة على نهج ابن رشد الحفيد في كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد، حيث أن أحمد البكاي الكنتي يورد المسائل الفقهية ثم مواقف الفقهاء فيها وأدلتهم، ومعرفة أسباب أختلافهم، وفي بعض المرات ترجيح الرأي الراجح حسب الشيخ البكاي.

ثانيا القصائد الشعرية:

-قصيدة إخوانية من البكاي إلى ابن دح الأزموري.

-قصيدة مدح السلطان عبد المجيد.

-قصيدة رسالة إلى أحمد لب حول بارث.

-قصيدة البكاي إلى جيش فلان.

-قصيدة نصح للفلانيين وحض على الجهاد.

-مساجلات بين البكاي ومحمد بل.

¹ - أبي عبد الله محمد أكنسوس: أحد أعلام سوس المبرزين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يونس بن مسعود السوسي المشهور بأكنسوس، نسبة إلى قبيلة إيد اوكنسوس: إحدى قبائل سوس بجنوب المغرب ولد سنة 1211 هـ وتوفي سنة 1294 هـ، كانت له مساجلات علمية بينه وبين أحمد البكاي الكنتي نظرا لكون اكنسوس تيجاني الطريقة والشيخ البكاي قادري.

-قصيدة البكاي لمحمد بل.

-رد البكاي على شعر محمد بل الذي أرسله مع ابنه يحي.

-قصيدة أخرى من البكاي إلى محمد بل.

-قصيدة جواب البكاي على شعر محمد بل.

-قصيدة شوق البكاي لمحمد بل.

-قصيدة إلى بني كنتة لحثهم على الحرب.

-قصيدة إلى عبد القادر ابن أخت محمد بل.

-قصيدة نونية إلى محمد بل.

ثالثا الرسائل:

-رسالة البكاي إلى أهل فاس ومكناس وأهل مراكش.

-رسالة أحمد البكاي إلى أهل مراكش.

-رسالة أحمد البكاي إلى الكنسوسي.

-رسالة البكاي إلى الأمير عبد الله بن الشيخ أحمد.

-رسالة البكاي إلى جماعة الإسلام من فلان.

-رسالة البكاي إلى أحمد بن أحمد لب.

-رسالة البكاي إلى الحاج عمر تال الفوتي.

-رسالة البكاي إلى الشيخ أحمد بن أحمد.

-رسالة البكاي إلى الكيلسوسي محمد بن يحي.

-رسالة البكاي إلى أبناء الولي الصالح الحاج لبن سعيد وإلى أبناء الأمير أحمد لب وعامة الفلان من تنبكتوا إلى جني...الخ¹، كما أن له كتاب "حل الرموز وفك الكنوز" وله أيضا "إيضاح الاعداد في تحرير الاجساد"...الخ.

كما أن للبكاي كذلك رسائل كثيرة وفتاوى تراسل بها مع العديدين في زمانه، وهي لاتزال موجودة لدى عدد من المكتبات في العالم²، وكان شاعرا مجيدا حيث تضاهي صولته في الشعر صولة الفرسان ووثبة الشجعان كما يصفه مترجموه، وهو يستخدم الشعر لإقناع الآخرين من جهة، ولأجل الدفاع عن موقفه وآرائه من جهة ثانية، فضلا عن موهبته الفائقة في فن الترسل³، وكان يتزيا بزي الملوك، ويخدمه الخدم والحشم، ويتولى زعامة الطريقة القادرية في المنطقة هذه الزعامة التي جرت عليه التصدي لهجومات التيجانيين بقيادة زعيمهم الحاج عمر تال في معارك مريرة انتهت بانتصار الشيخ احمد البكاي وقتل الحاج عمر تال عام 1264هـ⁴.

ووصفه الشيخ سيديا بقوله: "سواد العيون ونزهة القلوب والذهون" وهو مايصوغه الشيخ سيديا شعرا، إذ يقول من أبيات له في الشيخ سيد احمد البكاي:

عِمَادُ الصَّبْرِ مِنْكَ أَيَا سَوَادُ عَرَاهُ بِصَدْمٍ فِرْقَتِكَ أَنْهَادُ.
وَشَمْلُ الْأُنْسِ بَعْدَكَ لَيْسَ إِلَّا رَمَادًا لِلرِّيَّاحِ بِهِ اشْتِدَادُ.

ترجم له صاحب أعلام المتصوفة بقوله: "العلامة السמידع البارع المتفنن الفارس الشاعر، المفتي العروضي النحوي الولي العابد، صاحب الكرامات

¹ - ياسين بن روان، تاريخ التسامح في الصحراء (دراسة لفتوى الشيخ سيد أحمد البكاي الصغير في شأن النصراني)، مرجع سابق، ص 25 وما بعدها.

² - عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص 101.

³ - أجه ولد محمد، العلاقات الثقافية بين بلاد شنقيط والمجال المتوسطي خلال القرنين 18-19م، مرجع سابق، ص 179.

⁴ - محمد سعيد القشاط، من نقائض الشعراء العرب في الصحراء، شركة الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1996م، بيروت، بدون تاريخ نشر، ص 19.

الخارقة الذاب عن حمى الدين حامى الحمى ملاذ الخائفين ومأوى اللاجئين
...¹.

تميزت فترة رئاسة الشيخ سيدي أحمد البكاي للحضرة الكنتية إلى نشوب صراع علمي وسجلات أدبية بينه وأحمد أكنسوس المراكشي، نظرا لاختلاف المشارب الفكرية ، فأحمد البكاي قادري الطريقة ، بينما أحمد أكنسوس كان تيجانيا ، غير ان صراعهما ظل في سياقه العلمي²، ويعرف عن البكاي بأنه صاحب المراسلات المطولة مع أهل المغرب وعلمائه³، ودخل معهم في سجلات فقهية ودينية كبيرة وألف كتابا من خمسمائة ورقة⁴ بناه على أساس تنفيذ أسس الطريقة التيجانية ، اعتبر البكاي "أن مزاعم التيجانية في الاجتهاد الشخصي وغيره، إنما هي من قبيل البدع، ولا يجوز الأخذ بها لأنها مخالفة للإسلام، وقد أبدى في هذا الكتاب مدى التمكن الذي كان يتمتع به في الميدان الفقهي، وكذلك براعته في الأسلوب اللغوي السلس والمتين"⁵.

ونورد هنا أبيات من قصيدة العالم الكنسوسي يقولها في البكاي وقومه بعدما كان منهما من مشاجرات فكرية إبان ظهور الطريقة التيجانية:

سيدنا المختار لازال ذكره يحف به الرضوان إن جلى الذكر
وبالشيخ مولانا الإمام محمد فذان هما الشمس المنيرة والبدر
ونجلهما المختار خير خليفة كما تخلف الآساد أشبالها الجزر
ورابع أركان الجلالة أحمد⁶ أولئك في أوج المعالي هم الزهر
بهم نصر الإسلام أزدان وإزدهى ولازمهم في ظلهم ذلك نصر¹.

¹ - نقلا عن : يحي ولد سيد أحمد، المدرسة الكنتية القصائد النيرات، مرجع سابق، صص 110-111.
² - ياسين بن روان، تاريخ التسامح في الصحراء (دراسة لفتوى الشيخ سيد أحمد البكاي الصغير في شأن النصراني) ، مرجع سابق ، صص 29-30.
³ - حسن الصادقي، أضواء على الثقافة العربية في إفريقيا في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 34.
⁴ - إسمه "فتح القدوس في الرد على أكنسوس".
⁵ - عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، المرجع السابق، ص 101.
⁶ - هو أحمد البكاي نفسه .

ووصفه أبو القاسم سعد الله بزعيم القادرية بلا منازع وأصبح له نفوذ روحي وزمني كبير، وقصده المستجدون والرحالة الأجانب، وقال إن نفوذه امتد إلى سوكونو (نيجيريا) وبحيرة تشاد². "...وكان شديد الذكاء وجسورا لا يستطيع أحد أن يرجعه عن مراده...³.

كان البكاي إلى جانب هذا كله رجل سياسة من الطراز الثقيل، وقائدا عسكريا فذا، ومحاربا شجاعا، دخل في كثير من مفاوضات الصلح، ووقع العديد من المعاهدات السياسية، والاقتصادية مع مجموعات: آل بول، والطوارق، والفلان، دون أن ننسى الفرنسيين⁴، وكانت ديبلوماسية البكاي متسعة جدا حيث كانت له مراسلات مع الشخصيات المشهورة في عصره، وكانت متعددة الأبعاد فله مراسلات مع سلطان المغرب عبد الرحمن بن هشام العلوي، ومع ابنه محمد بن عبد الرحمن، وله مراسلات مع السلطان العثماني عبد المجيد⁵، وكانت له مراسلات مع بريطانيا ممثلة في الملكة فكتوريا الأولى وحكومتها بواسطة المستكشف بارث الذي آواه بعد أن كان مهدها ولم يأو جهدا في الدفاع عنه وحمايته من هجمات ابن أخيه حمادي⁶، زعيم حزب المعارضة، وكذلك من

¹ - أحمد الأزمي، الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، مرجع سابق، صص 146-147.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، صص 279-280.

³ - عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، مرجع سابق، صص 99-100.

⁴ - كان الفرنسيين كمثل الانكليز يطمحون إلى ربط علاقات مع أحمد البكاي في ذلك الوقت، وقد تبادلوا الرسائل وقد أرسل البكاي وفدا برئاسة ابنه سيد محمد إلى سينلوي قصد إبرام إتفاقيات مع الحكومة الفرنسية، وقد نشرت صحيفة لوموند الباريسية في عددها 378، 09 يوليو 1864م خبر زيارة الوفد، لكن اندفاع الجيش الفرنسي نحو جنوب الجزائر قد أغلق البكاي كل القلق، وجاءه السكان من مختلف الجهات في الصحراء يطلبون منه قيادته لهم ضد الفرنسيين، وعندما احتل هؤلاء ورقلة في الجنوب الجزائري سنة 1854م فكر أحمد البكاي في تجنيد أتباعه من العرب والسودانيين والطوارق لمقاتلة الفرنسيين، لكن "بارث" استطاع اقناعه بالتراجع عن قراره، يمكن الرجوع إلى: عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، مرجع سابق، ص 95.

⁵ - سيد أحمد ولد الأمير، المجال الموريتاني مقالات في التاريخ والثقافة، مركز الدراسات الصحراوية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2014م، ص 21.

⁶ - حمادي بن الشيخ سيد المختار الصغير (ت 1286هـ/ 1869م): كان عالما جليلا وشيخا صوفيا مبجلا، كان يتزعم الطرف المعارض لسياسة عمه الشيخ سيد البكاي في المنطقة، وعارضه في أستضافته الرحالة "بارث"، وتحالف مع التيجانيين ضده، ولذلك أخذ الحاج عمر الفتوي الورد القادري من عند حمادي ولد الشيخ سيد المختار الصغير وبعد ذلك تولى عنه للورد التجاني، ويبدو

تهديدات حكومة أمير ماسينا المتعصبة، وحتى ضد نوبات حمم التّزمت التي كانت تبديها مجموعة الالفا (الفقهاء)¹، وكان البكاي قد إستقبل الرحالة الدكتور بارث في ستمبر عام 1853م وأستضافه في مدينة تمبكتو لمدة عشرة أشهر، الشيء الي أتاح لرحالة بارث أن يدون الكثير من مشاهداته عن هذه المدينة التي اكتنفها الغموض بالنسبة للجغرافيين الأوروبيين في القرن التاسع عشر جعلهم يطلقون عليها لقب (the Mysterious city) أي المدينة الغامضة²، وكانت رحلة ((هنريش بارث)) بتمويل بريطاني وبرعاية مباشرة من صاحبة الجلالة الملكة فكتوريا، وقد تحدث "بارث" باستفاضة عن حفاوة الشيخ الكنتي وضيافته في كتابه الذي يقع في خمسة مجلدات ((رحلات ومشاهدات في شمال ووسط إفريقيا)) (travels and Discoveries in north and Central Africa)³، لقد أفلح بارث في التأثير على الشيخ الكنتي وجعله يعتبر الإنكليز أهم أصدقاء المسلمين، وأن الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا حينذاك أقوى الحكام الأوروبيين... مما جعله يقوم بإرسال وفد من خيرة سفرائه إلى ملكة بريطانيا⁴، لقد جمع بارث الكثير من الأخبار عن موريتانيا وساكنتها في المجلد الخامس من كتابه إبان تواجده في الحضرة الكنتية، وذلك أن الحضرة الكنتية كان فيها جميع الموريتانيين من جميع الجهات ومن جميع الأجناس، فكأن الحضرة الكنتية عبارة عن موريتانيا مصغرة، وبعد رجوع هنريش ((بارث)) للندن بعثت الملكة فيكتوريا هدايا ثمينة للشيخ سيدي أحمد البكاي ورسالة شكر ربما تكون هي أولى مظاهر العلاقة الدبلوماسية للمنطقة ببريطانيا...⁵.

ويعتبر أحمد البكاي من أبرز الشخصيات السياسية والفكرية المستنيرة في السودان والصحراء الكبرى وقد أشار إلى ذلك "بول مارتني"، "إنه شخصية سياسية مستنيرة فقد كان متسامحا لدرجة لا نجدها في كثير من الحالات لدى

أن أخذ الحاج عمر للورد القادري كان القصد منه أستمالة حمادي ضد عمه الشيخ سيد أحمد البكاي في إطار الخلافات التي تعصف بالمنطقة آنذاك، انظر : الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة والرباط، مرجع سابق، ص 267.

¹ - بول مارتني، كنتة الشرقيون، مرجع سابق، ص 100.

² - عمر عبد الماجد، التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 171.

³ - سيد أحمد ولد الأمير، المجال الموريتاني مقالات في التاريخ والثقافة، مرجع سابق، ص 20.

⁴ - عمر عبد الماجد، التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 171.

⁵ - سيد أحمد ولد الأمير، المجال الموريتاني مقالات في التاريخ والثقافة، مرجع سابق، صص 20-21.

كبار الشيوخ الإسلام وهو بكل وضوح صاحب الذهن المتفتح اللطيف المحب للمعرفة ... انتشر نفوذه على نطاق واسع فيما وراء العقفة وبين الأقوام السودانية، وينظر إليه كل البدو الموريتانيين والطوارق على أنه من كبار أولياء الله¹.

إن تواجد الشيخ أحمد البكاي في وسط أنتقالي ما بين المجال البيضاني ذي الخصوصية الثقافية العربية الحسانية، والمجال السوداني، جعله إذن من أهم الشخصيات التي عرفها السودان الغربي خلال النصف الأول من القرن 19م، لمكانته الجد مهمة بريادته للطريقة القادرية الكنتية أقدم وأهم الطرق الصوفية في البلاد، وكذلك تزعمه لقبيلة كنتة أحد أكبر القبائل البيضانية في المنطقة.

أحمد البكاي والصراع مع التجانية العمرية:

دخل السودان الغربي في القرن التاسع عشر صدامًا بين بين أحمد البكاي والحاج عمر الفتوي، ولعله من النافلة القول منذ البداية أن الصراع بين أحمد البكاي والحاج عمر كان في الأصل صراعاً في التراتب الديني بين خليفة الطريقة القادرية الراسخة القدم وأتباعه في الغرب الإفريقي، وخليفة الطريقة التجانية الجديدة في المنطقة والبادئة في الانتشار مع حمسٍ لأنصارها لنشر وردها وتعاليم شيوخها، حتى لوتطلب الأمر شن الحروب، فقد كان أحمد البكاي والحاج عمر يريد كل واحد منهم أن يوطد لطريقته ويكتسب أنصار وتابعين، وكان كل واحد منهم يصهر لإنجاح مشروعه السياسي في المنطقة، وكان التنافس على أشده بينهما، لقد كانت الطريقة القادرية الكنتية يوم ذاك الطريقة الصوفية الوحيدة المتجذرة في تربة السودان الغربي والأوسط منذ أزمان بعيدة والتي يتخطى الولاء لها كل اعتبارات (اثنية) أو جهوية²، بينما الطريقة التجانية قادمة حديثة لغرب إفريقيا، وبما أن الطريقة القادرية الكنتية كانت أسبق فهي التي كانت لها أتباع أكثر حتى القرن التاسع عشر³، ولذلك كان البكاي يعتبر ظهور الطريقة التجانية بأورادها وطقوسها وبفكرها الجهادي

¹ - بول مارتني، كنتة الشرقيون، مرجع سابق، صص 100-106.

² - عمر عبد الماجد، التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 176.

³ - عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، مرجع سابق، ص 93.

في المنطقة لاشك يعتبر تهديداً على حساب مناطق نفوذه الديني التقليدي والسياسي بصفته زعيماً لطريقة القادرية، لاسيما وأن طريقته قد انتهجت منذ دخولها منطقة السودان الغربي والأوسط وباقي المناطق الأخرى الأسلوب السلمي والقوة الحسنة في نشر تعاليمها وأورادها، وميلها لعدم استعمال العنف قدر الإمكان ويظهر ذلك جلياً في عدة مواقع، فقد كان رواد القادرية الكنتية ضد مفهوم الجهاد عكس الحاج عمر إذ كانت دعوتهم إلى الجهاد تهم النفس والذات¹، لجميع هذه الاعتبارات والأسباب فإن تصادم الطريقتين أو النهجين المتناقضين لخيفتي الطريقتين كان أمراً يصعب تفاديه في تلك الظروف البالغة التعقيد، في نهاية الثلاثينيات من القرن التاسع عشر سافر الحاج عمر إلى الحج، وأجازه محمد الغالي مندوب التجانية في أرض الحجاز آنذاك، وعينه شيخاً مقيماً للتجانية في الغرب الإفريقي²، غير أن ذلك لم يشكل يومذاك أي خطر على المكانة الدينية والزمنية للقادرية الكنتية الراسخة الجذور في المنطقة لما يقرب من القرون الثلاثة ويبدو أن هذا الشيء هو الذي لم يجعل منه مصدر ريبة أوحذر من جانب أسرة البكاى، إلا أن الأمر قد تبدل تماماً عقب عودة عمر الفوتي من مكة حاملاً لقب (الحاج) ولقب (خليفة الطريقة التجانية) في السودان الغربي³، وعند عودته في نهاية الأربعينيات من الحج ومنذ بداية وصوله نراه يهتم بمنصبه، فلا يقتصر على الناحية الدينية فقط بل يشمل الناحية السياسية والإصلاحية الواسعة (الجهاد⁴) ومن هنا بادر الحاج عمر في بث خطبه ومقالاته ببلاط سكتو عاصمة المملكة الفودية الذي حل بها في طريق عودته، لإقناع رعايا الدولة الفودية باعتماد الطريقة التجانية وضرورة الأصطفاف إليها، ومن المعروف أن سوكونو عاصمة الدولة الفودية تتبع للقادرية الكنتية البكاية منذ تأسيسها، وكان في هذه الفترة أن شاءت الأقدار أن صادفت وجود

¹ - خالد شكر اوي، "الأصول التاريخية للطريقة في حوض السنغال"، مجلة المناهل، عدد 80-81، إصدارات وزارة الثقافة المغربية، 2007م، مرجع سابق، ص71.

² - عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، مرجع سابق، ص93.

³ - عمر عبد الماجد، التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص177.

⁴ - عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، مرجع سابق، ص93.

أحمد البكاي في بلاط محمد بلو بسوكوتو عند تلامذته ومريدوه الفوديون، لذلك تقابلوا في أول لقاء بينهما¹.

في بلاط سوكونو كانت ظروف مواتية لتعارف زعيمى طريقتين القادرية والتجانية، وكان أن جرت بينهما عدة محاورات ونقاشات في مختلف ميادين العلوم من تصوف وفقه ولغة وأدب... الخ، كما ناقشا الأوراد القادرية والتجانية ومناقب الطريقتين ورجالاتها، المهم في هذا الوقت شعر الزعماء القادريون تلامذة أحمد البكاي الكنتي الحاكمون في كل من ممالك بلاد "الكانم" و"الهوسا" بأهدافه، بالرغم من محاولته لاختفاء تلك الأهداف في البداية، فطرده الكانمي من بلاده بورنو في سنة 1833م وطرده أتيكو من سوكونو في 1837م بعد أن أظهر الحاج رغبته في خلافة محمد بلو في حكم تلك البلاد²، يقول المؤرخان أحمد همباتي وداجت في كتابهما الموسوم "إمبراطورية ماسينا الفولانية ما يلي: (إن الشيخ أحمد البكاي كان يعتقد في قرارة نفسه بأن الحاج عمر الفوتي قد يكون واسع المعرفة في جميع المسائل ولكن ليس بوسعه أن يبرز عالماً عربياً مثله في هذه المجالات)، وعلى العموم بالإضافة إلى ما تقدم فإن أحمد البكاي الكنتي قد تنبأ أيام إقامته في الدولة الفودية لمريديه من أعيان البلاط الفودي أن الحاج عمر خبير في العلوم الشيطانية وفي يوم من الأيام سيقوده طموحه إلى الهلاك، وهذا ماتأكد بعد ذلك³.

عندما بدأت الانتصارات الكاسحة التي أخذ يحققها الحاج عمر بين أعالي نهري النيجر والسنغال على حساب الدويلات الواقعة ضمن مناطق النفوذ الديني التقليدي للطريقة القادرية الكنتية البكائية مما أوصلها في يونيو 1854م إلى منطقة كارتا بدأت نُذر الحرب الفعلية بين أحمد البكاي والحاج عمر، خاصة أن خطر الطريقة التجانية الصاعدة قد أخذ يدق بعنف على أبواب مدينة (حمد الله) عاصمة إمبراطورية ماسينا الفولانية القادرية وعلى أبواب

¹ - عمر عبد الماجد، التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، صص 177.

² - عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، مرجع سابق، صص 93-94.

³ - عمر عبد الماجد، التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، صص 178 وما بعدها.

تمبكتو معقل الطريقة القادرية، وبعد ان احتل كرتا أصبح الحاج عمر ينوي الزحف على بقية المناطق الاخرى، وكانت دولة سيقو أحد الاهداف الرئيسية للهجوم والقضاء على ملكها، سيما وأنه الحاج عمر قد لقي من سلطانها "علي ويتالا" معاملة سيئة في طريق عودته من الحج اعتقله إبانها لمدة أربعين في مدينه سيقوسيكورو عاصمة بمبارا ، وفي هذا الجو المتأزم والمشحون قام ملك ماسنة ببعث رسالة عاجلة إلى الشيخ أحمد البكاي لمعرفة رأيه في ذلك الخطر التجاني الداهم الذي أخذ يهدد مملكة بمبارا سيقو، وقد جاء رد الشيخ البكاي الذي بعث به رسولا خاصاً من قبله مشجعاً للسلطان أحمد بن أحمد لمقاتلة قوات الحاج عمر جنباً إلى جنب مع قوات مملكة بمبارا سيقو حتى لا تقع تحت الحاج عمر، وقال له في الرسالة "لا تترك سيكو للحاج عمر، لا تتركه له ولو قالها لك كل عربي وكل فلاني فلا تسمع لهم ،لا تسمع لهم، مسلمين كانوا أو كفارا، بل اجعلهم مسلميك أو كفارك ولا تتركهم للحاج عمر ... فادعه إلى الشرع ، فإن استجاب لك أو نازعك في ذلك أحد من الفلان من قومك أو من غيرهم فاكتب إلي حينئذ،فإني أكتب لك كتابا من العلم الصحيح لا يجد الحاج عمر ولا أحد من الفلان ولا من العجم كلهم ولا من العرب محيدا ولا محيصا عنه، ولا يدري ما يقول فيه إلا أن يسلمه"¹، المهم في الأمر أن كل الطرفين أعد جيشا لمواجهة خصمه وفي ذلك يقول أبوبكر خالد بآ"لقد دامت حرب احتلال سيقو أربعة اشهر والمشاورات تجري بين الحاج عمر وأحمد بن أحمد أمير ماسنة – تجنبنا لوقوع الصدام بينهما مما أدى إلى توقف العمليات الحربية ضد ملك سيقو" عال ويتالا"لأنه حاول إقناع الحاج عمر بأن احتلال سيقو يعني الحرب مع دولة ماسنا، والحرب بين الفيتين المسلمين فيها ما فيها؛ تستدعي التريث بل الاحتكام والتحاجي في الشريعة الإسلامية...وبعد أن تعذرت تسوية الخلاف تم دخول سيقو 1861م²، عند احتلال مملكة سيقو وهروب ملكها ولجونه إلى مملكة ماسنا الإسلامية، أخذت الحرب طابعا عقائديا وتكتيكا استنزافيا، أضرَّ بالطرفين وسبح بهما في بحار من دماء الأثقاء، تحرك

¹ - الحسين ولد محنض ، تاريخ موريتانيا الحديث ، مرجع سابق ، ص 242 ، نقلا عن: الشيخ موسى كمرا ، أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ، الرباط ، 2001م ، ص 96.

² - خالد با أبوبكر، صور من كفاح المسلمين في إفريقيا الغربية. الحاج عمر الفتوي، منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط، موريتانيا 1980م، صص 53-55.

الجيش الماسني ليحول عن دخول قوات الحاج عمر لمشارف الحدود الماسنية، وفي هذه الفترة تم تبادل رسائل كثيرة بينهما... على أمل عدم وقوع الحرب بينهما، ... أهم ما في هذه الرسائل أن كل زعيمين يريد تسوية حجه وشرعتها¹، توقف الهجوم الفتوي بعد سقوط سيقو وساد المنطقة جو من الهدوء، يخفي تحته الغليان الشديد، فالاستعدادات التامة لخوض المعارك الدموية تجري من الجانبين، فأمر ماسنة أهاب بكل مقاطعات مملكته فاجتمعوا... أما المعسكر الفتوي فقد أمر الحاج عمر بعد أن رأى هذا الاحتشاد الضخم من قبل خصومه أن تتوزع القوات... لقد اشتبك الجيشان في حرب ضارية استخدمت فيها كل الأسلحة كالبنادق والسيوف والرماح والاقواس وأخيرا تقهر الجيش الماسني²، لقد انتصر الحاج عمر في نهاية المطاف على جيوش ماسنا ودخل عاصمتها حمد الله.

بالغ الحاج عمر وجيوشه في قتال الماسنيين والسيطرة على عاصمتهم حمد الله وأسر أميرها وقتله، بعد ذلك أصبحت جيوشه تشرف على تومبوكتوا آنذاك لجأ الفلان وغيرهم من السكان تومبوكتوا للشيخ سيد أحمد البكاي لنجدتهم وبايعوه كأمر لهم، وطلبوا منه أن يأتي إليهم لمقاتلة الحاج عمر³.

لم يكن الشيخ أحمد البكاي ولاسيما أنه ذو المرجعية القادرية العريقة في هذه المنطقة منذ أخريات القرن السادس عشر الميلادي بالذي سيقف موقف المتفرج من حركة تحاول "تيجنة" منطقة كانت في الأصل قادرية المنزع، وهكذا قام بإصدار فتوى بطرد زعيم التيجانية واعتباره مارقا على الدين وندد بتعدياته على الفلان، وأندفع في الصراع لأبعد ما يكون، فأرسل إلى بلاد ماسينا حملة من الأتباع الكنتيين تحت قيادة سيديا⁴، وهذا الموقف من أحمد البكاي الكنتي هو ماجعل المؤرخ المعاصر أحمد صمبات يقول: "أن الكنتيين يرون بأن وقوع المنطقة تحت النفوذ الروحي (التيجاني) يعني تقليص نفوذهم (القادري)، فالحاج عمر كان على دراية بنفوذ أحمد البكاي على ماسينا، وأن

¹ - محمد الحافظ التجاني، الحاج عمر الفتوي سلطان الدولة التيجانية بغرب إفريقيا شيء من جهاده وتاريخ حياته، دن، 1993م، ص22.

² - خالد با أبوبكر، صور من كفاح المسلمين في إفريقيا الغربية. الحاج عمر الفتوي، مرجع سابق، صص62-63.

³ - بول مارتني، كنتة الشرقيون، مرجع سابق، ص104.

⁴ - بول مارتني، كنتة الشرقيون، مرجع سابق، ص105.

وراء الحرب الماسنية والفوتية هو الدور البارز الذي لعبه كنتة... وكان متفقاً مع أمير ماسنة على وجوب محاربة البامبرا الوثنيين في سيقو وكارته، إذن فلولا تدخل "أحمد البكاي"، فإن الاحتمال الأقوى هو عدم تسبب امارة سيقو للصدام بينهما¹، وهكذا وبعد أن انهزمت جيوش مملكة ماسنا، واستسلام معظم ضباطها، قرر سادة تمبوكتوا الروحيون من فقهاء الأسرة الكنتية القادرية ومتصوفيها، التدخل بكل مايملكون من وسائل لجعل حد لاستمرار الانتصارات التيجانية التي تهدد سيادتهم، وتقضي على تصدرهم في الفقه والتصوف بالسودان الغربي...بالإضافة إلى الخدمات الدينية التي كانوا يقدمونها، معززين مكرمين، لحكام بلدان إفريقيا جنوب الصحراء المسلمة².

وهكذا بدأ الصراع بين التيجانية الجديدة في المنطقة الآتية من الشمال، والطريقة القادرية الكنتية التي سبقت إلى تلك المنطقة وتأسّلت بها منذ عدة قرون³، ودخلت منطقة السودان الغربي في فتن ومعارك مدمرة، ولم يكتف الحاج عمر الفوتي باجتياح ماسينا وقتل أحمدو⁴ وجلة من قومه، بل بعث بجيش جرار إلى تنبوكتوا مقر الزاوية القادرية الكنتية الأم لتأديبها وإخضاعها لسيطرتها، وذلك سعياً وراء تحقيق مزيد من الاستقرار بسيكو وماسينا وإحكام قبضة عليهما، ووعياً منه بالخطر البالغ الذي يشكله ضده شيوخ الزاوية القادرية الكنتية بتمبوكتوا،...فسير حملة بقيادة الفا عمر شر نوبيل ضد مدينة تمبوكتوا⁵، ويقال أن الحاج عمر عند احتلاله لتمبوكتو عاث فيها فساداً كما فعل في بقية المدن التي إحتلها في السابق⁶، حيث تم نهبها لعدم وجود من يدافع عنها

¹ - خالد با أبوبكر، صور من كفاح المسلمين في إفريقيا الغربية. الحاج عمر الفوتي، مرجع سابق، صص 77-78.

² - أحمد الأزمي، الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، الجزء 3، مرجع سابق، ص 156.

³ - عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، مرجع سابق، ص 93.

⁴ - أحمدو: هو أحمد بن أحمد بن الشيخ أحمد لبو الفلاني، يعرف بأحمد الثالث لأنه كان ثالث أمراء سلطنة ماسنة (منطقة وليست قبيلة) التي أسسها جده أحمد لبو سنة 1233 هـ 1818م، تولى أحمد الثالث سلطنة ماسنة سنة 1853م وقضى فيها تسع سنوات، وقضى في معركة حامية الوطيس ضد جيش الحاج عمر الفوتي على أبواب مدينة حمد الله.

⁵ - أحمد الأزمي، الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، الجزء 3، مرجع سابق، صص 158-159.

⁶ - عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص 96.

بشكل مقصود، ربما من قبل الكنتيين ضمن خطة مدروسة جعلت الجيش العمري يقع في كمين عند العودة، نصبه له أحمد البكاي ... وهو الكمين الذي سحق كتيبة ألفا عمر شر نوبيل في شهر مارس 1863م في كندام، وجعل باقي جنوده يفرون تاركين المدفعين الشهيرين، اللذين كانا وراء انتصارات الحاج عمر، وكاد الحاج عمر يقع في أسر العدو، ولم ينجح إلا بعد أمتطاء زورق وهروبه¹.

وبعد هذه الانتكاسات والإخفاقات للحاج عمر كان ينوي تنظيم صفوف قواته والزحف من جديد على أعدائه، في هذا الوقت المشحون بالحرب وصله خطاب من الشيخ البكاي عدوه اللدود، ينصحه من خلاله بتسليم مملكة ماسينا إلى بالوبو والالتقاء به للتفاوض حول نفس الموضوع ((الواجب عليك تسليم إمارة ماسنه لبالوبو²))، وقد اغضب هذا الجواب الحاج عمر الذي استشاط له غضبا بإرسال جيشا لجبا فيه خيرة أبطاله وأمر عليه ألفا عثمان فسار بالجيش حتى التقى بالجيش الماسني الكنتي واصطدم الفريقان، لكن الدائرة دارت بعد معارك طاحنة على الفوتين الذين قتل منهم خلق كثير أيضا، من بينهم قائد الجيش ألفا عثمان³، ولم يكن حظ الحملة الثانية ولا الثالثة بأحسن من الأولى... وقد ترتب عن الهزائم المتكررة في صفوف العمريين، أن تعززت صفوف كتائب أحمد البكاي بحشود من المتطوعين من الطوارق والموريتانيين ، ومواصلة زحفهم من كل الجهات على العاصمة حمد الله ومحاصرة الحاج عمر 1863م وقطع الإمدادات عليه بين سيقو وماسنا⁴، وبعد حصار طويل عليه في مدينة حمد الله التجأ إلى غار جبل دكمبري ودخل فيه معه أبناؤه الصغار، لكن الكنتيون أوقدوا النار على باب الغار ومن حول الجبل فتوفي الحاج عمر من جراء ذلك 12 فبراير 1864م⁵، وبعد ذلك بعام توفي أحمد البكاي بسبب حمى الناموس في قرية ساردينيا على نهر النيجر في عالية مدينة

¹ - أحمد الأزمي، الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، الجزء 3، مرجع سابق، ص 159.

² - أحمد الأزمي، الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، الجزء 3، مرجع سابق، ص 162.

³ - الحسين ولد محنض، تاريخ موريتانيا الحديث ، مرجع سابق، ص 246.

⁴ - أحمد الأزمي، الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، الجزء 3، مرجع سابق، ص 163.

⁵ - الحسين ولد محنض، تاريخ موريتانيا الحديث ، مرجع سابق، ص 247.

موبتي ، وذلك عكس كُتاب الطريقة التجانية أحمد الأزمي وغيره ممن لم أذكر اسمه الذين اعتبروا أن موت البكاي كان سببه حروبه مع التجانية، من المعروف أن أحمد البكاي كان يعيش في منطقة أزواد الأبيض وتمبكتو، لكن بعد ذهابه إلى منطقة إقليم ماسينا لمحاصرة الحاج عمر تعرض لناموسية الإقليم المعروفة، وفي طريقه منتصرا على أعدائه بعد الحروب إلى مقر زاويته في تمبكتو تعرض لمرض موته.

لقد استعمل كل طرف حجج تبرر مايقوم به ضد الآخر، ففي الوقت الذي يبرر فيه الحاج عمر كل التبريرات الشرعية لإعلان الحرب، نجد الطرف الآخر الكنتي الماسني غير مقتنعين بتلك الحجج والتبريرات، مؤيدين كلامهم بدورهم بحجج مضادة من الكتاب والسنة أيضا، ومعتبرين أن الحرب ضد الحاج عمر تعتبر جهادا، غير أنه علينا أن نشير أيضا على أن هذه الحجج تبقى تحت حكم التاريخ فمثلا:

- يدعي الحاج عمر أن أمير ماسنا أحمدو ذهب إلى حدّ تدبير مؤامرة لأغتياله، وعندما قَدِمَ عليه في حمد الله بعد عودته من رحلته إلى الحج استقبله باحترام ولكن بدون حماسة، وقد نشر التوكولور أنصار الحاج عمر قصة الأغتيال على نطاق واسع ليسوغوا غزوهم لإمارة ماسينا¹.

- كان للحاج عمر مأخذ على أحمد البكاي ودولة ماسينا ومن جملة هذه المآخذ هو تحالفهما مع "ملوك كرتا وسيقو" الرّاغبين في عدم التخلّي عن المعتقدات والعادات الوثنية والتمادي في إضمار حالات العداء ضد الإسلام والتواطؤ ضد المسلمين، فعند احتلال هاتين المملكتين تم العثور على أصنام من ذهب كانوا يتعبدون كما يقول مؤرخ الدولة التيجانية².

- كما كان الحاج عمر يؤخذ على زعماء القادرية تخاذلهم مع بقايا جيوب الوثنية المتبقية في الإمارات السابقة (كرتا-سيقو)، وعدم دعوتهم مجددا إلى

¹ - جوزيف كي- زيربو، تاريخ إفريقيا السوداء، القسم الثاني، ترجمة يوسف شلب الشام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1994م، ص639.

² - محمد الحافظ التجاني، الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التيجانية بغرب إفريقيا شيء من جهاده وتاريخ حياته، دار البراق، بيروت، 2005م، ص26.

الإسلام، بينما كان أهتمامهم ينصب على الحصول على أكوام الذهب والهبات والهدايا.

- هناك سبب آخر لمؤجدة الحاج عمر على مملكة سيغو، فقد كان هناك عداة بينهما عندما كان الحاج عمر يقوم في استحصاال العلوم بين علماء مالي وقبل سفره إلى البلاد المقدسة وبلاد المشرق العربي، حدث أن الملك علي منزو اعتقل الشيخ عمر وهم بقتله، لكن حالت زوجه دون ذلك وبقي هذا الموقف يحز في الحاج عمر¹.

-أما أحمد البكاي وأنصاره فيأخذون على الحاج عمر: هو أنه كان عليه أن لا ينقل الحرب من فتح الأقاليم الوثنية- إذا تم التسليم بأنها وثنية بالكامل وأن لا سلطان للمسلمين عليها- إلى الهجوم على دولة ماسينا الإسلامية واجتياحها وإعدام أميرها وعدد من قاداته البارزين، ومن المعروف أن دولة ماسينا هي الدولة التي مثلت منارا للإسلام في السودان الغربي.

-كما أن أحمد بن أحمد أميرا للمؤمنين ببيعة من مسلمي ماسنة ومجلس شوري يتألف من أربعين عالما ، كما أن أمير ماسنة قد ورث الملك من آبائه، أما الحاج عمر فلم يبايعه أحد ولم يورث ملكا من أحد، وكان قبل قليل أي بعد سنتين أو ثلاثة بعيدا عن السياسة والسلطة.

- إضفاء الحماس القبلي على دين الإسلام في تلك الحقبة، إذ اعتبر أبناء بعض القبائل السودانية المسلمة الجهاد كأنه جهاد من أجل قبيلتهم ورفع مكانتها ؛ اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا، إذ اعتبرت قبائل فوتا أنه بانخراطهم في صفوف حركة الحاج عمر إنما يقومون بتأسيس كيان خاص بهم كالذي حدث للمجوعات القبلية مؤسسة الإمبراطوريات الإسلامية في السودان الغربي قبلهم، كالسوننك في مملكة"غانة القديمة" والماندينغ في "دولة مالي الإسلامية"، ولم يشع أن الحاج عمر نهاهم عن هذا العمل المنافي لقيم الإسلام، بل أن الحاج عمر هو نفسه من كان يغذيه، بل إن القادريون كانوا يعتبرون أن صفة الجهاد التي روج لها الحاج عمر كانت كتستر منه يخفي وراءه نزعته القومية لتمكين لبني جلدته تكوين مملكة ، على غرار مملكة ماسينا وسوكوتو.

¹ - عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، مرجع سابق ، ص204.

-يؤخذ القادريون على الحاج عمر "التطرف"، على طريقة الخوارج، حيث قتل في انبور وسيغو كثيرا من الخلق بحجة "أنهم قوم خلطوا بين عمل حرام وحلال حسب تعبيره في وثيقة "بيان مآل" ، كما سبى نساء عربيات مسلمات في أرض باغنه بادعائه كذلك أنهم قوم خلطوا عمل حرام بحلال.

- كما أن هناك فرضية أن توجه الحاج عمر بحملاته شرقا عكس مناطق الغرب كان القصد منه القضاء على الزاوية القادرية في الغرب الإفريقي التي تقع بأحواز تمبكتو (الزاوية القادرية الكننية)، لثأر للزاوية التجانية الأم في عين ماضي عندما قام عبد القادر الجزائري بإحراقها في القرن 19م.

كما أن توجه الحاج عمر صوب المناطق الشرقية (إمارة كارتا – سيغو – ماسينا - تمبكتو) نوع من السلم والمصالحة والمهادنة مع المستعمر الموجود بالسنغال التي هي وطنه لاسيما إذا علمنا بأن العتاد العسكري الذي كان يحارب به عتاد فرنسي بالاضافة إلى أن قواد جيشه كانوا جنودا من الجيش الفرنسي في السنغال مثل ألفا عمر وسامبا نديه (samba nadiaye) الذي عمل في سانت لويس لمدة عشرين عاما مع الفرق الفرنسية¹، ولم يكن هدفه الرئيسي مهاجمة الفرنسيين ويتضح ذلك عندما وجه حملاته بعيدا عن مناطق النفوذ الفرنسي، وحاول عدم الاحتكاك بهم والتوجه إلى ممالك أعالي النيجر²، قد ترك الفرنسيين خلف ظهره بالسنغال فترجع عنهم³، وهو موطن آبائه، وكان عليه من موقع المسؤولية أن يركز مساعيه على محاربة الاستعماري الفرنسي بدل إدخال السودان الغربي وقواه الإسلامية في فتنة لاطائل منها.

خالد بّا أبوبكر لاينفي أن يكون الحاج عمر كان من أهدافه توصيل بلاد الفوتا (في الغرب) ونيجيريا الشمالية في (الشرق) التي كانت زعامة صهره محمد بلو

¹ - إلهام محمد علي، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص49.

² - عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المسلمون والاستعمار الأوربي لإفريقيا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1989م، ص72.

³ - عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، المرجع السابق، ص96.

تجمعها في دولة إسلامية واحدة¹ ، لكن توقفت طموحاته عن النجاح أمام قوة القادريين بزعامة أحمد البكاي².

حسب المؤرخ زبادية فإن الحاج عمر الفتوي كان يريد تأسيس دولة إسلامية مركزية تشمل كل الغرب الأفريقي، وتستوحي في ذلك مبادئ الطريقة التيجانية في الاجتهاد، ولكن رجال الطريقة القادرية التي كانت متأصلة في المنطقة قبل التيجانية، تصدوا لطموحاته، وكانت النتيجة أن المعارك التي شنها الحاج عمر قد أضعفت تلك المنطقة وسهلت مهمة الفرنسيين الذين كانوا آنذاك يراقبون ويخططون للاحتلال³، وقد كان البكاي قلقا من هذا التواجد المعادي من طرف الفرنسيين تجاه المنطقة كلها، مما جعله يركز مساعيه الدبلوماسية بالاتصال ببريطانيا ومحاولة توثيق الصلة بها من أجل تفويت الفرصة على الفرنسيين والوقوف في وجه مخططاتهم الرامية إلى احتلال المنطقة بأسرها فتقرب من "بارث. Barth⁴" باعتباره يعمل لصالح بريطانيا ليتمكن من الحيلولة دون احتلال المنطقة من الفرنسيين⁵، وهو رأي قبلته الحكومة الإنجليزية بسرعة لأن فرنسا كانت تتقدم من جنوب الجزائر، وكان هذا مثار القلق الكبير لإنجلترا⁶، التي ليس لديها الرغبة الاستعمارية في المنطقة في ذلك

¹ - خالد با أبوبكر، صور من كفاح المسلمين في إفريقيا الغربية. الحاج عمر الفتوي، مرجع سائق، ص78.

² - عبد القادر زبادية ، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء ، مرجع سابق ، ص94.

³ - عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص96.

⁴ - هنريش بارث : أو (عبد الكريم) كما كان يسمى نفسه تخفيا وتخوفا من قتله رحالة انكليزي، حماء أحمد البكاي الكنتي من ستمبر 1853م وحتى شهر جويلية 1854م في تينبكتوا، وقد اغتنم البكاي وجود "بارث" بتمبكتو للاعتماد على الانكليز في طموحاته السياسية والعسكرية، وقد ارسلت الملكة هدايا في صناديق لأحمد البكاي بواسطة قنصلهم الكولونيل في طرابلس، ويبدو وحسب المصالح أن الانكليز كانوا يريدون الاعتماد على أحمد البكاي ومما جاء في رسالتهم إلى أحمد البكاي "وما نريده الحكومة هو فتح عيون عرب الجنوب على التجارة وكل ما يتعلق بها، وتعلم الآن أنكم رأيتم بسرور بعثتنا وتقبلتم صداقتنا بفرح، وقد اعطينا عهدا بأن هذه الصداقة التي تربط بيننا لن تتناقص خلال القرون"، لمزيد من أخباره يمكن الرجوع إلى : بول مارتني، كنتة الشرفيون، مرجع سابق، ص100 وما بعدها، أو : سيد أحمد ولد الأمير، المجال الموريتاني مقالات في التاريخ والثقافة، مرجع سابق، ص20.

⁵ - محمد الصالح حوثية، آل كنتة دراسة تاريخية، مرجع سابق، ص188.

⁶ - فيليكس ديبوا ، تمبكت العجيبة ، ترجمة : عبد الله عبد الرزق، مراجعة وتقديم : شوقي عطا الله الجمل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003م، ص286.

التاريخ¹، بل كان قصدها في ذلك الوقت هو تعرف أكثر على المنطقة واستكشافها ودخول في صفقات تجارية مربحة، فكانوا يسعون إلى ربط علاقة سياسية مع الشيخ البكاي الزعيم القوي في المنطقة حتى تجد لها موطئ قدم في الصحراء الإفريقية الكبرى، وتنافس أطماع فرنسا المشرئبة للتوسع في الصحراء والوصول إلى تنبكت².

وفي ختام هذا الفصل من تاريخ السودان الغربي، كانت لهذه الحرب آثار سلبية كبيرة على الحياة السياسية والاقتصادية للمجتمعات السودانية الغربية وقد ساعدت على تسهيل مهمة الفرنسيين بصورة خاصة في احتلال المنطقة كلها مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كما كان من نتائجها أنحصار النفوذ الطريقة التيجانية في الجزء الغربي، في حين بقيت المناطق الوسطى والشرقية تحت زعامة رجال الطريقة القادرية³.

كما انعكست كذلك سلبا على القوافل التجارية حيث توقفت المبادلات التجارية بين المدن وتم النهب القوافل المحملة بالمواد الغذائية مما سبب أمراض ومجاعات، وسقط ضحيتها عشرات الآف من المسلمين بحيث لم يبق سوى قليل نادر ممن كانوا أطرافاً في تلك الحروب الطاحنة لسرد وتدوين حقائق عما حدث لفائدة المؤرخين والأجيال اللاحقة⁴، ومن شدة نتائجها على السكان يحدثنا أحدهم عن ما أصاب الناس من مشقة وتقتيل بأسلوب شديد التأثير، فيذهب إلى حد (أن العظم قد أفرغ من اللحم⁵) كما أن هذه المنازعات والحروب في المنطقة كانت خاطئة ومؤسفة وخلخلت البناء السياسي، ولم يستفد منها في المحصلة النهائية إلا المستعمر الفرنسي الذي اجتاحت السودان الغربي بعدها بسهولة⁶.

¹ - بول مارتني، كنتة الشرقيون، مرجع سابق، ص 103.

² - حسن الصادقي، أضواء على الثقافة العربية في إفريقيا في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 30.

³ - عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص 231.

⁴ - عثمان برايمباري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، مرجع سابق، ص 201.

⁵ - عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، مرجع سابق، ص 94.

⁶ - حسن الصادقي، أضواء على الثقافة العربية في إفريقيا في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 33.

المبحث الثالث: الجهود السياسية والإصلاحية في السودان الغربي:

كانت لعلماء كنتة أدوار مهمة في حياة بلاد السودان الغربي¹، سياسية، وثقافية، واجتماعية، واقتصادية ... حيث برز منهم الكثير من العلماء والمشايخ²، وعملوا عن طريق الدعوة السلمية (بالوعظ والإرشاد بالقلم) لملوك وأمراء منطقة السودان الغربي وعلى رأسهم أمراء الإمبراطورية الفودية، وباشاوات الرماة، ومن بعدهم أمراء ماسينا الذي بسطوا هيمنتهم على منطقة عقفة نهر النيجر، وإمارات التوارك، حيث أن رسائل الوعظ والنصح لولاة الأمر في هذه المنطقة كانت العنوان البارز.

يعتبر العلماء الكنتيين المرجعية العلمية والروحية للحركات الإصلاحية في السودان الغربي في الفترة المدروسة أي -في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين-، فعندما نتصفح تاريخ المنطقة نجد أن للكنتيين ولقاء متجزرا بسبب مكانتهم العلمية والاجتماعية والسياسية ونفوذهم الروحي في المنطقة³، وترجع مكانتهم هذه إلى مساهمتهم في المحافظة على التراث الإسلامي بعد انهيار مملكة سنغاي ومواصلتهم مهمة هذه الدولة...⁴، كما كان لهم صلات وطيدة بالسعديين وذلك بفعل شبكة العلاقات البشرية والتجارية بين المغرب وبلاد الساحل الصحراوي الذين أقاموها...⁵، إن رَصِيدَ علماء كنتة في المحافظة على الاستقرار وشيوع السلم معروف، لقد ربط علماء كنتة السودانيين بعالمية ديانة الإسلام، بل زودوهم أيضاً بإطار يتجاوز فئات الهوية التقليدية المتمثلة في الجماعات الإثنية أو العشائر... كما جعلوا للإسلام في تربة السودان الغربي عامل ضم للصفوف وقوة دافعة إلى التحرر الاجتماعي والسياسي، وقد اجتذب بوصفه هذا جميع شرائح السكان⁶، وظلت قبيلة كنتة راعية للثقافة الإسلامية واللغة العربية في هذا الربع من العالم الإسلامي،

¹ - مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، مرجع سابق، ص52 وما بعدها.

² - مبارك جعفري، الأزواد خلال القرن 13هـ -19م دراسة تاريخية اجتماعية واقتصادية، مرجع سابق، ص131.

³ - الهادي المبروك الدالي، التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ط2، الشركة العامة للورق والطباعة، مطابع الوحدة العربية، الزاوية، ليبيا، 2001م، ص253.

⁴ - محمد الصالح حوثية، آل كنتة دراسة تاريخية، مرجع سابق، ص57.

⁵ - حماد الله ولد السالم، تاريخ شنكيطي موريتانيا، مرجع سابق، ص189..

⁶ - أبيبول، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الخامس، صص169-370.

ونشر الدعاة الكُنَنِيين العلم والتصوف بين القبائل الصحراوية والزنجية على حد سواء¹، وبفضل جهودهم يمكن رد ظهور تيار التصوف الطرقي المؤسس في السودان الغربي منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، والذي ازدهر بصفة غير مسبقة في الفترة من 1729م- 1864م وهو المسؤول عن غرس بذور الطريقة القادرية والتي سجلت نجاحا في كسب قلوب الناس على يديه²، والتي تعتبر أقدم الطرق الصوفية في غرب إفريقيا وأكثرها انتشارا بين أهالي المنطقة...³، لقد جذر العلماء المصلحون الكنتيون التصوف السني في تربة السودان الغربي والأوسط، ولقد تقبل أهل السودان الغربي، هذا التصوف بتسامحه وطقوسه وشيوخه، وميزة التصوف أنه يمرن معتنقه على قبول الآخر ويعلمه فن التعايش والعيش المشترك وإن اختلفت الرؤى والمشارب، ولعل مرد ذلك إلى أن من أخلاق المتصوفة التريث في الأمور والمصالحة واحترام الآخر والصبر والمصابرة...⁴، وإذا كان علماء كننة قاموا بالدور الهام في نشر الطريقة القادرية في منطقة السودان الغربي والمناطق المحيطة بها⁵، فإنهم مع ذلك قد واجهوا التحديات الدينية والحضارية التي عاشها السودان الغربي منذ انهيار دولة السنغاي 1591م، واستطاعوا التأقلم مع الحكم العسكري للسعديين وجهاز الباشا المُنَصَّب من طرفهم بتبكتو، كما استطاعوا الوقوف في وجه الفتن التي تميزت بها الفترة الممتدة من 1600م إلى غاية 1750م المتسمة بالقضاء على العديد من الباشوات المائة والأثنين الذين تعاقبوا على حكم تبكتو⁶، وقد أهلهم لذلك فكرهم الإصلاحية التجديدي وفتحهم باب الاجتهاد وعدم التقولب في مذهب واحد وأدواتهم التنظيمية، وتفاعلهم مع قضايا ومشاكل المنطقة، ورفضهم للوضع القائم من حيث تراجع القيم الدينية والأخلاقية، وضرورة تغييرها، وقدموا بذلك حلولا

¹ - أحمد شيخي، الطريقة البكائية الكنتية بالصحراء ودورها العلمي والصوفي، مرجع سابق، ص175.

² - حسن مكي، رواد الفكر والتجديد في السودان وإفريقيا جنوب الصحراء في المائتان سنة الأخيرة، مرجع سابق، ص5.

³ - عثمان برايمباري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، مرجع سابق، ص159.

⁴ - حسن مكي، رواد الفكر والتجديد في السودان وإفريقيا جنوب الصحراء في المائتان سنة الأخيرة، مرجع سابق، ص4 وما بعدها.

⁵ - مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، مرجع سابق، ص172 وما بعدها.

⁶ - محمد الصالح حوثية، آل كننة دراسة تاريخية، مرجع سابق، ص57.

ومقترحات رائدة لمعالجة أزمة التدهور الحضاري والتخلف الذي عرفه المجتمع السوداني نتيجة انهيار الدولة على يد المغاربة دون تقديم بديل، وسيكون الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، وهو شاب، يتجول وحيدا في تمبكتو، شاهدا على نتائج انهيار الدولة والتدهور الحضاري الحاصل وتراجع مكانة تمبكتو وانتشار الجهل فيها وانفراط عقد علمائها وقد كان معجب بما كان يسمع عن علمائها وأعيانها، وذات مرة دخل المسجد الكبير في تمبكتو وجلس في ركن يستمع إلى جمع الشيوخ والكبار، وإذا بهم يأخذون في الغيبة وذكر القينات ويبالغون في المزاح السمج، فوقف الشيخ غاضبا وهو يقول: "قبحكم الله من أصحاب عمائم وهيئات؛ كنت أظن بكم خيرا لما كنت أسمع عن أسلافكم، فإذا بكم قوم سوء"، اعتبر الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير وهو أحد أبرز علماء كنتة أن تدمير السلطنة الإسلامية (سونغاي) أدى إلى حدوث فراغ وفوضى، وسلب ونهب وازدهار ثقافة التخليط والوثنية... ولذلك ركز الشيخ الكنتي الكبير على أهمية إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الجهاد لاجتثاث الشر بشكل نهائي، وشخص الشر في انتشار الفتن والبدع والفساد والغفلة...¹، سعى علماء كنتة دائما إلى تحمل مسؤولية هموم واقع السودانيين وتميرهم بخطابات في الإصلاح، ويرجع لهم الفضل في ترسيخ القيم المثلى للفكر الإصلاحي والسياسي في بيئة مجتمعات السودان الغربي، لقد أدى علماء كنتة ما عليهم من واجب اتجاه المنطقة عبر تفعيل آليات:

-التثقيف والتعليم: لقد تعلم عدد غير يسير من أبناء المنطقة على الكنتيين²، وقد ارتاد الطلبة الزوايا الكنتية من مختلف الأقاليم في غرب إفريقيا³، كما كانت الخيام الكنتية قبلة لطلاب العلم يتوافدون عليها من جميع أنحاء الصحراء لينهلوا من معينها⁴، لقد أسس الكنتيين مدارس كثيرة في منطقة منحى نهر النيجر وموريتانيا والصحراء لنشر الإسلام والطريقة القادرية، وكانوا

¹ - حسن مكي، رواد الفكر والتجديد في السودان وإفريقيا جنوب الصحراء في المائتان سنة الأخيرة، مرجع سابق، ص 5 وما بعدها.

² - أحمد شخي، الطريقة البكاية الكنتية بالصحراء ودورها العلمي والصوفي، مرجع سابق، ص 186.

³ - عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، مرجع سابق، صص 92-93.

⁴ - فرح سعد، الحياة الاجتماعية والاقتصادية من خلال نوازل الشيخ باي بن عمر، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه، جامعة وهران، 2015م/2016م، ص 47.

يقومون بالإنفاق على الطلاب والمعلمين وتزويدهم بمواد الغذاء من أرز وحبوب وعسل ودهن ولحوم مجففة... إلخ، كما كان للمرأة الكنتية كذلك دور في دعم مجهودات التعليم والتثقيف حيث تقوم بتوزيع المؤن على جميع المدارس...¹، كما عمل علماء كنتة على ترسيخ احترام قيم الأديان الأخرى، ونبذ العنف، والمحافظة على الهوية الإسلامية، واللغة العربية، وبث قيم الفضيلة والأخلاق.

-الوساطة: وهي مساعدة الجماعات المتنازعة في حلّ نزاعاتها لذلك توسّط العلماء الكنتيين لكونهم محل اهتمام وتقدير واحترام من الجميع بين المتنازعين، وتوظيفهم للقيم الروحية، والنصوص الدينية؛ من أجل حمل المتنازعين على السلام والمصالحة.

-المراقبة: مراقبة السلوك النَّاس العدواني، وردعهم عنه بالنُّصح والمواعظ... وغيرها، وتصدي للغزاة، والمحافظة على تماسك المجتمعات واتحادها.

التدخل في منصب وظيفة الأمير:

تمدُّنا المعطيات التاريخية ببلاد السودان الغربيِّ بنماذج عدَّة من وساطات العلماء الكنتيين بين المتخاصمين وحلّ النزاعات، وضرورة وجودهم في معادلات المشروعات السِّلْمِيَّة، وقد اشتهر عن علماء كنتة أنهم من ذوي النفوذ الكبير في المصالحة بين المجموعات في بلاد السودان، ومحاربة الخارجين عن النظام، ومواجهة المتسلطين من أرباب الشوكة، وشيوخ القبائل المحاربة²، وكان زعماء القبائل يهابونهم ويستشيرونهم في كل ما استشكل عليهم، ويهادنونهم لكسب ثقتهم ورضاهم... لذلك ونتيجة لحنكتهم السياسية فقد قدّم علماء كنتة خدمات اجتماعية جليلة لسكان المنطقة في فظ نزاعاتهم التي كانت تنشب من حين لآخر³، وصاروا "الوسيط بين القوى المتصارعة في المنطقة بين طوارق وفلان وصنغاي... وغيرهم..."⁴، كما أن لهم اليد الطولى في ملء

¹ - عزيز بطران، الشيخ المختار الكنتي الكبير ودوره في نشر الإسلام والطريقة القادرية في الصحراء وغرب إفريقيا، مرجع سابق، صص 315-319.

² - الحمدي أحمد، الريادة العلمية والشيخة الصوفية بأزواد، مرجع سابق، ص 358.

³ - أحمد شيخي، الطريقة البكاية الكنتية بالصحراء ودورها العلمي والصوفي، مرجع سابق، صص 185-186.

⁴ - خديجة عنشيل، التراث الكنتي المخطوط قراءة في الدور الحضاري لزواوية كنتة، وأهم أعلام التراث الكنتي المخطوط، مرجع سابق، ص 105.

الفراغ الروحي الحاصل بالمنطقة، لقد مارس العلماء الكنتيين وظيفة النصيح والمشورة والتدخل حيناً في السودان الغربي، ولم يقتصر دورهم على التحكيم والمصالحة بل تجاوز ذلك في تنصيب الأمراء ورؤساء القبائل السودانية تبعاً لما تقتضيه المصلحة العامة¹، فمثلاً نجد تدخل الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير في الشؤون السياسية لاتحادية تادمكت الطارقية الكبيرة، فقد كان غميري² بن أبتيت بن محمد المختار بن عומר التدمكي قد فتك الرماة بأبيه وهو صغير لم يراهق، فتنازع السلطة بعد أبيه عم أبيه خميكا بن عומר وباش بن التيفاد، فولاهما الشيخ رضي الله عنه خميكا،...³، لكن "خميكا" هذا بعد ذلك بقليل طغى وتجبر حتى أنه في أحد المرات أغلظ في الكلام للشيخ الذي لولاه لما كان قائداً لتادمكت فما كان من الشيخ رضي الله عنه إلا أن صفعه على خده صفقة خر منها عن فرسه، ثم قال له: لقد جعلتك تركب فوق سرج لم تكن أهلاً له" ثم التفت الشيخ رضي الله عنه إلى الباشا بن انتيفاد وقال له: استلم الطبل القيادة وكن سلطاناً على كل تدمكت"⁴.

كما تدخل لصالح أغنبوج أو (غميري) بن ابنتيت الذي ثار على عمه خميكا المسنود من قبل قبيلة أو يلمدن، وهي القبيلة التي قتل الغميري عدداً من أشرافها في حروبه مع عمه، مما رتب ثارات كبرى بين أغنبوج أو (غميري) وقبيلة أو يلمدن، الذين اندفعوا بأعداد كبيرة لمطاردة الغاصب لمسافة بعيدة جداً في بلاد البنبارة، ولما ضاق الخناق على غميري وأنصاره في معاقلمهم الأخيرة، جاؤوا يتوسلون للشيخ سيد المختار الكنتي طالبين منه التوسط،

¹ - سيد اعمر ولد شيخنا، الفكر السياسي في غرب الصحراء، مطبعة طوب بريس، ط1، الرباط، 2012م، ص177.

² - أغنبوج أو غميري بن ابنتيت أو هبتيت بن محمد المختار التاركي : أمنوكال (رئيس) قبيلة أيلمدن بعد أبيه هبتيت (أبتيت) الذي قتله الرماة 1770م، وقد عرفت تنبكتوا خلال العقد الأخير من القرن الثامن عشر صراعاً على الزعامة، حيث تضعض شأن الرماة (بقايا الجيش السعدي) وقويت شوكة التوارك فبسطوا سيطرتهم على تنبكتو. وقد فتح صراع الرماة والتوارك الباب واسعاً لعمليات النهب والسلب فصارت تنبكتو ونواحيها - حسب بول مارتي - مسرحاً للناهيين ولصراعاتهم الدامية، انظر: بول مارتي، البرابيش، مرجع سابق، ص31.

³ - بول مارتي، كنتة الشرقيون، مرجع سابق، ص59.

⁴ - الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، الطرائف والتلائد، ج2، مصدر سابق، ص338 وما بعدها.

فحصل لهم على السلام من أوليئهم... بل قبلوا غميري أميراً عليهم بسبب وجاهة الشيخ الكنتي"¹.

من جهة أخرى نجد الشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي يفرض بوجاهته خليفة "لأق ماما" أمينو كال قبيلة تيتوق التارقية، وينوه ((ديفربي)) بأن هذا الاختيار لم يكن مقبولا إلا بضغط من الشيخ سيدي البكاي الذي اضطر لايفاد أحد اخوته للحضور، ... كما كان لتدخلاته نتائج سعيدة على كوفدرالية أوليئهم التي كانت تحترق فيما بينها، وكان هؤلاء الطوارق يرسلون له في عدة مناسبات نجدات من المحاربين دعماً لسياسته في تمبكتو².

كما شمل أيضاً تدخل العلماء الكنتيين الاصلاحي القبائل العربية مثل البرابيش إذ كانت علاقتهم دائماً قوية مع الزاوية الكنتية، حيث بفضل رعاية من الشيخ سيد المختار الكنتي لمحمد بن رحال³ استطاع الأخير أن يخلف ابن عمه محمد بن يوسف ... كما تدخل كذلك الكنتي الكبير لإبن محمد بن رحال المدعو علي⁴ بن محمد بن رحال السليماني البربوشي...، ومنحه رسمياً حق جباية الأتوات من أفخاذ القبائل التي ترتاد نهر النيجر⁵.

الاهتمام بالاستقرار والأمن:

ولعل الدور التصالحي الذي مارسه علماء كنتة هو الذي هياً الاستقرار لتلك المنطقة في معظم الفترات وقبول الجميع من مختلف الطوائف بوساطتهم مع

¹ - بول مارتني، كنتة الشرقيون، المرجع السابق، صص 60-61.

² - بول مارتني، كنتة الشرقيون، المرجع السابق، ص 106.

³ - محمد بن رحال : هو محمد بن رحال بن من قبيلة أولاد سليمان وفيهم رئاسة البرابيش، وتولي محمد بن رحال رئاسة البرابيش بمباركة من الشيخ سيدي المختار الكنتي، كان أبوه رئيساً وقد تولى بعد رحال بن دحمان ابن أخيه محمد بن يوسف بن الحاج محمد وفي الطرانف والتلاند للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي ذكر اغتيال محمد بن يوسف سنة 1167 هـ ، ولم تحدد المصادر تاريخ وفاة محمد بن رحال؛ ، يمكن الرجوع : بول مارتني، البرابيش، ترجمة محمد محمود، مرجع سابق، صص 33-35.

⁴ - علي بن محمد بن رحال : ينتمي إلى بطن أولاد سليمان من البرابيش، تولى رئاسة البرابيش بعد والده محمد بن رحال، بحسب بول مارتني فقد أوصى الشيخ سيد المختار الكبير بتسميته شيخاً على قبيلة البرابيش، ومنحه حق جباية الرسم على التبغ الذي كان يصل من توات ومن الجنوب المغربي، وبذلك هياً له مصدر دخل طيب، يمكن الرجوع : بول مارتني، البرابيش، مرجع سابق، ص 35 وما بعدها.

⁵ - بول مارتني، البرابيش، مرجع سابق، ص 34.

النّظم القائمة¹، لقد تصدى علماء زاوية الكنتية للصراعات الأهلية في السودان وكرسوا جهودهم لتثبيت السلم ووقف النزاعات المسلحة بين أقوام وقبائل السودان الغربي، من خلال آليات الوساطة والتحكيم والإفتاء، مما كان صدى طيبا في وضع حد للكثير من المنازعات والمظالم والمحافظة على لحة مجتمع السودان الغربي².

استمر دور علماء كنتة في الدعوة وكان دورهم مهم في نشر الثقافة العربية الإسلامية في الصحراء وما جاورها من السودان الغربي³، كما أمّنوا طرق بقضائهم على قطاع الطرق واللصوص، ووضعوا حدا للمكوس وبقية الضرائب التي كانت تأخذ من أصحاب القوافل والتجار دون وجه حق أو نظام، وقاموا بدور أساسي في نشر فكرة الإصلاح في المنطقة المدروسة، مما أكسبهم التغلغل في النفوس وجعلهم يتميزون بتأثيرهم الديني على قبائل السودان الغربي، كالطوارق، والبرابيش، والإيقلاد⁴، بسبب دورهم المعروف في نشر الإسلام⁵، كما كانوا كثيرا يتدخلون لوقف النزاعات والمشاجرات الذي تحدث من حين لآخر بين الممالك القائمة في الفترة المدروسة، لقد كان لنفوذ علماء كنتة دور حاسم جدا في بسط الأمن والاستقرار، إذ كان تأثيرهم يطال جميع مناحي الحياة الساسية في الممالك السودانية، وقد ساعدهم على ذلك ما راكموه من رأس مال رمزي متمثل في سلطة القلم الدينية التي أتت أكلها في أغلب الأوقات، فكانوا يتدخلون لوقف أقتتال كالذي حدث بين الدولة الفودية ودولة الكانم-برنو، وكذلك لحل خلاف كالذي حدث بين دولة ماسنا والدولة الفودية، أو يتدخلون كذلك ليحل السلم بين الفلان والرماة المغاربة، أولصلح بين الطوارق والقبائل العربية... الخ، وعلى العموم كانت قبيلة كنتة إلى جانب اهتمامها بنشر الإسلام وتعليم القرآن وأصول الدين، وفقه اللغة، تُعدّ الحكم لجميع المنازعات التي تقوم بين قبائل المنطقة، وكانوا القبائل يفرعون إليها في

¹ - عزيز بطران، الشيخ المختار الكنتي الكبير ودوره في نشر الإسلام والطريقة القادرية في الصحراء وغرب إفريقيا، مرجع سابق، ص314 وما بعدها.

² - سيد امير ولد شيخنا، الفكر السياسي في غرب الصحراء، مرجع سابق، صص170-171.

³ - علي يعقوب، "جهود العلماء الأفارقة في نشر الثقافة الإسلامية والعربية. غرب إفريقيا نموذجا"، مجلة دراسات إفريقية، العدد3، ديسمبر 2008م، ص20.

⁴ - محمد الصّالح حوتية، آل كنتة دراسة تاريخية، مرجع سابق، ص166.

⁵ - حماد الله ولد السالم، المجتمع الاهلي الموريتاني، مرجع سابق، ص348.

كل خلاف مع بعضهم البعض أو مع غيرهم، واستطاعت قبيلة كننة بوجاهتها وعلمها وفضلها أن تضع حدا للخلافات¹.

فالعلماء الكنتيين كان من أنشغالاتهم المحافظة على الكيانات السياسية في منطقة السودان الغربي من خلال ترسيخ الأمن والاستقرار، ونصرة المظلوم وحماية الضعيف²، كان علماء الطريقة القادرية البكائية الكنتية حسب عبد الباقي مفتاح "شجرة وارفة الظلال إستطلت بها مناطق شاسعة من الصحراء والسودان"³، وارتكز عمل شيوخها على تثبيت دعائم الإسلام وتخليص المجتمعات البيضانية والسودانية من نير الجهل والضلال⁴، واستمروا في الدعوة إلى الله وإصلاح حال المسلمين روحياً وفكرياً وسياسياً، ليدافعوا بذلك الزعامة السياسية الوثنية ويغالبوها بالوقوف في وجه تزايد أطماعها التي لا تنتهي عند حد⁵، وكانوا يعتبرون الوسيط بين القوى المتصارعة التي كانت تعيش في السودان الغربي⁶، ويتضح ذلك من خلال وساطتهم لوقف الأقتتال بين الدولة الفودية ومملكة بورنو - كانم، بدأت الحرب حينما أدرك عثمان الفودي أنه لم يكون آمناً طالما ظلت دولة برنو قوية تهدد حدوده الشرقية، وتقدم العون لبعض الزعماء الهوسا، لذلك وجه عنايته لمحاربة البرنويين فهزمهم، ورأى هؤلاء أن يستمدوا العون من زعيمهم "محمد الأمين الكانمي"، فلبى نداء برنو على رأس رجاله وهاجم قوات الشيخ عثمان إلى الغرب (أي إلى بلاد الهوسا)، ومع ذلك إستمرت قوات الشيخ في الإغارة على برنو بين الحين والآخر وتمكنت من احتلال جزء من غربها⁷، وقد كون محمد الكانمي فرقة للمقاومة أكثر أفرادها من كانم وهاجم الغزاة في حرب انتحارية، لكن سرعان ما كثر أتباعه

¹ - محمد سَعِيد القشاط، أزواد صحراء التَّيْنِي، ط1، مؤسسة ذي قار، 2000 إفرنجي، ص34.

² - بيير بونت، روايات أصول المجتمعات البيطانية، مساهمة في دراسة ماضي غرب الصحراء، مرجع سابق، ص469، وفردوس حناني، محمد الخليفة الكنتي شيخ الطريقة القادرية بغرب إفريقيا، مرجع سابق، صص6-19.

³ - عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، مرجع سابق، ص385.

⁴ - أحمد شيخي، الطريقة البكائية الكنتية بالصحراء ودورها العلمي والصوفي، مرجع سابق، ص175.

⁵ - محمد فرقاني، مخطوط أوثق عرى الاعتصام للأمراء والوزراء والحكام، مجلة عصور، مرجع سابق، ص25.

⁶ - مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، مرجع سابق، ص53.

⁷ - أحمد زكي، الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص92.

واستطاعوا أن يردوا الجيش الزاحف إلى الوراء¹، وهكذا استنكر الكانمي الجهاد الفودي ضد مملكة البرنو، كما استنكر بعض التصرفات التي نتجت القتال بين المجاهدين واهل برنو... وكان من رأييه أنه كان حريا بالمجاهدين في سوكونتو أن تقف دعواهم على مجرد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير حمل الناس على القتال²، ورأى أن ابن فودي قد بعد عن رسالة الفقيه المتواضع المسالم، والعالم الورع، إلى رسالة السياسي الذي يؤمن بالحديد والنار³، ويورد عبد القادر زبادية تفاصيل خلافهم بأن الكانمي أنكر على الدولة الفودية دعوتهم الجهادية هذه، معتبرا لها كتستر من طرفهم للسيطرة على بلاد الناس وحكمهم لا أكثر ولا أقل، وكتب في ذلك رسائل تبادلها معهم، وفيها قارن محمد أمين الكانمي بلاده بورنو بمثيلاتها في مصر والشام والمغرب التي يوجد بها منذ أيام بني أمية بدع وفساد وجور واعتداءات على أموال اليتامى ومع ذلك لم يقم أحد فيها بتفكير الناس ويقوم بالجهاد ضدهم كما كان يفعل أهل سوكونتو آنذاك⁴، فدخل - بالمراسلة- مع علماء سكونتو في مناقشات وردود، وبلغت الرسائل المتبادلة بينهما العشرات يدافع فيها كل واحد منهما عن مواقفه بالحجة والبرهان من الكتاب والسنة وأقوال العلماء⁵، ومن هذه الرسائل مثلا: رسالة محمد الأمين الكانمي: "الحمد لله فاتح أبواب الهداية،... العبد الذليل محمد الأمين بن محمد الكانمي إلى العلماء الفلاتيين⁶ ورؤسائهم، السلام على من اتبع الهدى..... إذ ما من زمن إلا وفيه في جميع البلدان من الفسق والمعاصي ما لا ينحصر كثرة، فهذه مصر مثل (برنوا) وأعظم منها، وكذلك الشام وجميع مدن الإسلام، فبهن الرشوة والجور وأكل مال اليتيم والظلم والبدع من زمن

¹ - أحمد شلبي، الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقيا منذ دخلها الإسلام حتى الآن، الجزء السادس، مرجع سابق، ص 295.

² - آدم أدبيباو سراج الدين، "المؤلفات العربية الكانمية البرنوية بين الأدب والتاريخ"، مجلة قراءات إفريقية، العدد 15، 2013م، ص 89.

³ - علي أبو بكر، الثقافة العربية في نيجيريا من 1750م إلى 1960م عام الاستقلال، ط 1، 1972م، صص 92-93.

⁴ - عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص 103.

⁵ - هارون المهدي ميغا، "المراسلات العلمية لعلماء غرب إفريقيا في العصر الحديث وآثارها العلمية والاجتماعية"، مجلة قراءات إفريقية، العدد 17، 2013م، ص 95.

⁶ - والبورنو يسمون الفلان فلاتة .

بني أمية إلى يومنا هذا، ولا يخلو زمن ولا بلد من نصيب من البدع والمعاصي...¹.

..وقد قام أتباع عثمان بن فودي من جهتهم أيضا بكتابة رسائل كثيرة أيضا لتفنيد الآراء والأفكار التي طرحها محمد أمين الكانمي ضدهم: "...فمن محمد بل نجل أمير المؤمنين عثمان بن فودي إلى الحاج الأمين جواباً لما ورد من سؤاله، اما قولك: فأخبروني عن قتالكم لنا واسترقاقكم أحرارنا...فالجواب والله الموفق -للصواب...فاعلم يا كانمي أننا براء من جميع ما رميتنا به، راجعون إلى الله تعالى مما ألمت به إلينا، والله المستعان على ما تصفون، والسلام"²....

وقد كان لتدخل العلماء الكنتيين دورا كبيرا في التوفيق بين الكانمي ومحمد بلو بن عثمان فودي، وتم تحديد الحدود فيما بينهما، ويرجع العداء بين محد الكانمي ومحمد بلو بن عثمان، أن الكانمي لم يعتنق فكرة الجهاد، كما أنه كان على صلة وثيقة ببعض الدول الوثنية بالمنطقة ولم يحاول إعلان الجهاد ضدها أو محاربتها³.

كما كان لعلماء كنتة دورا آخر لحل الصراع بين دولة ماسينا والدولة الفودية، حيث اتفق الطرفان على حل خلافهما عن طريق عرضه على التحكيم بواسطة "الشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي" "وعبد الله بن فودي"(عم محمد بللو وأخو عثمان فوديو) وقد حكم الشيخان المحتكم إليهما لصالح سيكو أمادو الملقب الشيخ أحمدو، وترجع أسباب الصراع بين الدولتين، إلى أن سلطان سوكتو محمد بللو كان يعتقد أن طلب المساعدة من الشيخ عثمان فودي قد أوجد نوعا من الترابط بين الدولتين، وأن مملكة ماسينا ينبغي أن تكون تابعة لسلطة الدولة الفودية⁴.

¹ - محمد بلو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، مصدر سابق، صص157-159.

² - محمد بلو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، مصدر سابق، صص167-169.

³ - الهام محمد علي، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص46.

⁴ - مجموعة من المؤلفين، الحضارة الإسلامية في مالي، مرجع سابق، ص244.

وحسب المؤرخ الجزائري زبادية فقد تصدى أحمد البكاي الكنتي للغزو التيجاني وذلك عندما اجتاحت جيوش الحاج عمر الفوتي بلاد ماسينا، فإنه لم يتوان لحظة في استدعاء أنصاره، للمجابهة بالقوة التي يتطلبها الموقف كما كان يراه، وقد أسفرت تلك المجابهة الشاملة عن انهزام جيش الحاج عمر وقتله في نهاية الأمر¹.

كما تدخل علماء كنتة المصلحون من مباشرة التوسط في النزاعات في إقليم شمالي ضفة نهر النيجر بين الطوارق وعرب البرابيش، وبين الطوارق وسلطنة الرماة وبين الرماة أنفسهم، وبين الطوارق والقبائل العربية في المجال المصاغب لأزواد مثل "أولاد داود" وغيرهم².

ومن أمثلة دور العلماء الكنتيين في بسط الأمن والاستقرار والوقوف أمام قطاع الطرق هذه الرسالة التي بعثها الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير إلى الصالح بن محمد البشير والأمير كاوي بن كاردن سلطان التوارك أحد أتباع الطريقة القادرية يخبره فيها من يقف وراء إعدام الأمن والاستقرار، ويصف لهم الأساليب والطرق الناجعة التي اتخذها لصد الغزاة، بشأن نهب قافلة من المغرب تحمل فقهاء يقول فيها ((... وإنه من عبد ربه المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي إلى من أينعت شماريخ مجدهم... من أبناء كاردن أخص من الجميع القاضي الصالح بن محمد البشير والأمير كاوي ألف سلام عليكما ورحمة الله وبراكاته.. أما بعد فموجبه إليكم أنني بليت في هذه الأيام برعاع لئام، ... بل سبب ذلك أنهم أغاروا على قافلة من فقهاء المغرب من غير سبب وتجرّدوا لكل نهب وسلب...))³.

وعلى إثر اغتيال الرماة لزعيم اتحادية تادمكت التارقية "أبتيت"⁴ اندلعت حرب دامية بين الرماة في تنبكتوا والتوارك، وهو ما أدى بالتوارق لضرب حصار

¹ عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص100.

² حماد الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، صص251-252.

³ للإطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى: محمد سعيد القشاش، الصحراء العرب الكبرى، دار الرواد، طرابلس، ليبيا، ط1، 1994م، صص228-229.

⁴ أبتيت : أو هبتيت بن المختار بن الأذ التاركي، كان أمنوكال أي رئيس قبيلة أيلمدن من التوارك، وفي زمنه حاصر تنبكتوا حصارا شديدا في 04 يونيو 1770م فاصطلم معه باشا تنبكتوا باحدو بن بوبكر الدرعي بعدما توسط بينهما الشيخ سيد المختار الكنتي، لكن الكاهية محمد قتل الزعيم التاركي

خانق على سكان المدينة التي كانت محاطة في ذلك التاريخ بأسوار من الطين حتى أشرفوا على الهلاك إذ راح الناس يأكلون الجيف والكلاب والحمير...وبتدخل الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير تم إنهاء الحصار والتوفيق بين المتخاصمين...كما بذل جهده من ناحية أخرى كي يجعل التوارك يقبلون دية الدّم والذين لم يكونوا من عادتهم قبول هذا النوع¹، وهذا مثال من عدة أمثلة تبرز الدبلوماسية الكنتية في حل المشاكل المعقدة، وتنازل كل الأطراف لهم ليقوموا بالوساطة فيما بين القبائل².

وحماية للاتفاق ومنعاً للفتنة والانزلاق نحو الاقتتال الأهلي، ومن موقع مسؤولية كعالم مصلح ومرشد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فقد رد الشيخ سيد المختار الكنتي على أحد قادة الرماة يدعى "نوهم" الذي جاء محتجاً على ما يصفه بالبنود القاسية في الاتفاق فقال له الشيخ الكنتي: "ففتكتم بأبنتيت، وكان الباب المسدود بينكم وبين مكر التوارك فكسرتموه، فحسروكم في دياركم، وحالوا بينكم وبين قواربكم وتجاركم، فتمت جوعاً، وألبستم ذلة وخضوعاً، فبعث إلي رؤسائكم مستشفعين مستنجدين في الإبقاء على بقيتكم، وقد أيقنوا بالهلاك باستيلاء التوارق على تنبكتوا،... فقدمت عليكم وقد أشفيتم على الهلكة، فألجمت التوارق عنكم وأرضيتهم..."³.

كان الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير يعتبر نفسه الضامن الأول للاتفاق، فنراه عندما خرق زعيم تادمكت خوميكا الاتفاق وحاصر تنبكتوا من جديد، اعتبر الاعتداء موجهاً ضده شخصياً، فتدخل لإسقاط خوميكا عن رئاسة تادمكت، مقدماً إسناده وبركته الباشا ابن انتيقاد، الأمر الذي فتح الباب للصراعات الداخلية بين تادمكت⁴.

ويستمر دور العلماء الكنتيون الاصلاحيين مع الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي بن الشيخ سيد المختار الكبير كذلك مقدماً وجاهته لإنقاذ مدينة تنبكتوا من الدمار والخراب عند الهجوم الوحشي عليها من قوات البول (فلان)، وفي الواقع أن

أبتيت في هجوم مباغت 23 أغسطس 1770م، ففتح مقتل الصراع على مصراعيه بين التوارك والرماة، وكان نهاية الصراع أن تغلب التوارك على منطقة تينبكتوا وانكسرت الشوكة الرماة ولم يعد لهم في تينبكتوا أمر يذكر وصارت الغلبة للتوارك.

¹ - بول مارتني، كنتة الشرقيون، مرجع سابق، صص 57-58.

² - محمد الصالح حوتية، آل كنتة دراسة تاريخية، مرجع سابق، ص 168.

³ - الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، الطرائف والتلائد، ج 1، مصدر سابق، صص 390-391.

⁴ - بول مارتني، كنتة الشرقيون، مرجع سابق، ص 60.

تدخله عند هؤلاء قد أدى إلى إيقاف أعمال التخريب والنهب ... وجدير بالذكر في هذا المقام أن الشيخ سيد محمد بن الشيخ المختار قد اشتهر في زمانه بالكياسة واللباقة الدبلوماسية...¹.

وفي زمن تولي الشيخ سيد المختار الصغير بن الشيخ سيد محمد الخليفة الخلافة، كان له الفضل في إنقاذ مدن الإقليم من الخراب والدمار، والتوسط في عدة مناسبات بين أتباعه من أهل تينبكتو، وبين الفولبي، الذين كان أميرهم وزعيمهم الديني يرتبط بالقادرية الكنتية²، كما تدخل كما يقول بول مارتي "حاملا السلاح لحماية الجالية المغاربية والتواتية والغدامسية، وعزز بذلك كتائبه من قوات كنته في توات، ومن الطوارق، سواء من تادمكت³ أو من ايلمدن الذين يعتبرون تلاميذه... وقذف بهم لمهاجمة قوات الفولبي، وقد اضطرت الحامية في عدة مناسبات إلى إخلاء المدينة على عجل...⁴، وبعد وفاته 1847م، ورث أخوه أحمد البكاي خلافته الدينية والسياسية، فقد كان قبل موت أخيه مندوبه سنة 1846م، للتفاوض لعقد اتفاقية سلام بين الفلان، والطوارق وسلطات تينبكتو، ومع سكان المدينة الذين انقطعت مواصلاتهم مع عالية النهر (الغرب) والذين عانوا من المجاعة، ... ويتدخل أحمد البكاي تم عقد معاهدة صلح وشهد بارث سريانها في تينبكتو...⁵، وهكذا فلقد أدى علماء كنتة خدمات جليلة لصيانة الأمن وبسط السلم في السودان الغربي، لقد كان الكنتيين يضطلعون بدور مهم في المنطقة، وكانوا يقدمون الخدمات والمعارف والبركة ويفصلون في معظم النزاعات التي تنشأ فيما بين البدو أو بين البدو والجماعات المستقرة⁶.

¹ - عمر عبد الماجد، التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 169

² - بول مارتي، كنته الشرقيون، مرجع سابق، صص 89-90.

³ - تادمكت: وهي تسمية تطلق على "قبيلة" و"مدينة"، ويطلق عليها قديماً اسم "السوق" ثم صارت تدمكت ومعناها بلغة التوارك شبيهة مكة، وتدمكت أو السوق ملتقى طرق القوافل من الشمال إلى الجنوب فكانت تربط بين أغدس في العصور القديمة وسجلماسة وغانة وغدامس، وكان الإسلام قد وصلها في القرون الهجرية الأولى، وتطلق عليها كذلك "أي كل تادمكت" وهي قبيلة من أكبر قبائل التوارك، منسوبة إلى مدينة تدمكت (السوق) بشمال مالي، وهي مدينة قديمة بصحراء مالي ولم تعد موجودة اليوم، وكانت تقع في شمال غرب مدينة كدال، ومن بين سكانها جماعات عربية من الشرفاء والأنصار اندمجوا مع أهل البلاد الأصليين، وقد حاصرت الرمال والعزلة مدينة تدمكت وانقطعت الحركة التجارية عنها فهجرها الناس، انظر: مجموعة من المؤلفين، تحقيق مخطوط حوليات النعمة، تحقيق محمد ولد اعلي فال، جامعة نواكشوط، السنة الجامعية 1997م-1998م، ص 1.

⁴ - بول مارتي، كنته الشرقيون، مرجع سابق، صص 89-90.

⁵ - بول مارتي، كنته الشرقيون، مرجع سابق، صص 99-100.

⁶ - أبيبول، تاريخ إفريقيا العام، المجلد الخامس، ص 366.

الفصل الرابع

التصوف القادري الكنتي في
موريتانيا والسودان الغربي

المبحث الأول: نشأة الفكر الصوفي الكنتي:

انتشر التصوف في المغرب الإسلامي مع نهاية حكم الموحيين، وعرف توسعا وانتشاراً في بلاد السودان في العصور التالية، وقد عزز ذلك التبادل التجاري والاحتكاك الثقافي بين حواضر المغرب، وخاصة تلمسان وفاس وحوض نهر النيجر في عهد الزيانيين والمرينيين والسعديين، وحكام الجزائر في العهد العثماني، وقد سار في الصحراء بين الكنتيين فتأثروا بحركة التصوف الآتية من الشمال¹، وترى جل الدراسات أن الكنتيين هم أول من أدخل الطريقة القادرية إلى أقاليم المغرب الصحراوية وأجزاء كبيرة من شمال إفريقيا، وغربها²، ومما لاشك فيه أن الكنتيين هم أول من أدخل الطريقة القادرية إلى الصحراء وغرب إفريقيا، ولهذا السبب عرفت الطريقة القادرية في غرب إفريقيا والصحراء بالطريقة القادرية الكنتية، ولم يدع الكنتيون أنهم مبشرون لطريقة جديدة بل كانوا يقولون: إن طريقتهم هي الطريقة القادرية التي تلقوها بكل صفائها ونقاها من مؤسسها الأول عبد القادر الجيلاني المتوفى ببغداد سنة 1166م³.

لقد انتقلت الطريقة القادرية إلى الصحراء والسودان الغربي عبر الشيخ سيد أحمد البكاي الكنتي الذي عمل على نشرها في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى أي في جنوب المغرب الأقصى، وامتد نفوذه في اتجاه الجنوب الجزائري؛ ليشمل واحات توات، والهقار، ومنه إلى أطراف السودان الغربي⁴، كما أدخلها إلى السنغال⁵، حيث أرسل أحد أبناءه الحاج بوبكر، ومن نافلة القول أن نعتبر أن الشيخ سيد أحمد البكاي هو أول من حمل هذا الورد في القرن

¹ - محمد الصالح حوتية، آل كنتة دراسة تاريخية، مرجع سابق، ص 236.

² - أجه ولد محمد، دور القادرية الكنتية في التبادل الثقافي بين بلاد شنقيط والمغرب خلال القرنين 18-19م، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد الثامن، جامعة نواكشوط، 2015م، ص 7 وما بعدها.

³ - عزيز بطران، الشيخ المختار الكنتي الكبير ودوره في نشر الإسلام والطريقة القادرية في الصحراء وغرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 317.

⁴ - بوسليم صالح، "جهود الشيخ سيد المختار الكبير الكنتي"، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة الجليلي اليابس، سيدي بلعباس، المجلد 5، العدد 2، جامعة، 2014م، ص 140.

⁵ - عامر صمبا، الأدب السنغالي العربي، ج 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م، ص 33.

16م، ولكن لا يبدو أنه عمل على نشره¹، لكن ابنه الشيخ سيدي أعمر الشيخ الذي أخذها عن المغيلي التلمساني التواتي وجال معه في كبريات مدن السودان الغربي ... كان له دور في إكمال رسالة شيخه في نشر القادرية ببلاد التكرور والتي كانت ترمى إلى الإصلاح، ويعتبر سيداعمر الشيخ أحد أهم أقطاب التصوف الذين ساعدوا في انتشاره في السودان الغربي²، كما قام إخوته وأبناءؤه من بعده بنشر الطريقة في مختلف الأصقاع الإفريقية³.

وستظل حركة التصوف القادري في تصاعد مستمر مع الدعاة الكنتيين خاصة فرع الركاكدة الذين اطلعوا بأدوار تربوية واجتماعية وثقافية غاية في الأهمية، إن الدور الريادي الذي اطلعت به الطريقة القادرية في غرب الصحراء من إصلاح للمجتمع وتخريج للقيادات وحماس في الدعوة هو في الحقيقة غير جديد على طبيعة هذه الحركة الصوفية والتي كان لها الدور الحاسم في حياة الأمة.

فقد استطاعت زوايا هذا الفكر الصوفي أن تخرج أجيالا من المصلحين المتجردين الذين قدموا بلاءات عظيمة في سبل الارتقاء بمجتمعاتهم على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية، ويجب بنا بعد هذا أن نبين ماهي محددات هذا التصوف؟ وكيف نشأت الطريقة القادرية؟ وكيف كانت القادرية الكنتية؟

- المبحث الثاني: محددات التصوف

يعتبر موضوع التصوف من المواضيع الهامة التي أثارت جدلا كبيرا بين العلماء والباحثين في علوم الدين والحياة الروحية، واختلفت آرائهم من حيث حقيقته وتوجهاته وبيان أصوله وفروعه، ففي البداية، وقع الاختلاف حول التصوف كلفظه وأصله ومصدره واشتقاقه، وقد حاول المهتمون بالتصوف من العرب والمستشرقين الوصول إلى المعنى الأصلي له، فقليل إنه اشتقاق من

¹ - بول مارتي، كنتة الشرقيون، مرجع سابق، ص141.

² - أحمد مطير، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، مرجع سابق، صص246-272.

³ - محمد الظريف، الحركة الصوفية وأثرها في أ دب الصحراء المغربية من (1800-1956م)، جامعة الحسن الثاني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، الدار البيضاء، المغرب، 2002م، ص87.

الصوف، وقيل إنه من الصفا، والبعض اعتبره نسبة إلى أهل الصفة، والبعض الآخر قال إنه نسبة إلى الصف الأول، ونحن نميل إلى ما ذهب إليه أبو القاسم القشيري إذ قال: "إن اسم التصوف لم يشهد له من حيث العربية قياس أو اشتقاق، والأظهر فيه أنه لقب، وإننا في هذا البحث لسنا بصدد الاهتمام بالتصوف كلفظ وإنما نقصر اهتمامنا على تأصيل ومقاربة التصوف كمفهوم باعتباره تجربة روحية من خلال التعرف على خصائصه ومبادئه وأهدافه ووظائفه التي تعمل على حفظ كيانه وهيكله كظاهرة اجتماعية حية قامت بأدوار خطيرة في حياة المجتمع الاسلامي ولا تزال تقوم بها إلى الآن¹.

وقد أجمع الصوفية في كل العصور على أن تجاربهم الروحية أمور تستعصي على الوصف، وتعلو على التعبير، فلم يحاولوا أن يضعوا لها تفسيراً أو تعليلاً، وإنما وصفوا ما أدركوه أو شاهدوه، بأنها أمور وجدانية ذوقية لا تقي اللغة بالتعبير عنها أو ترجمتها بالألفاظ، ولكن هذا لم يقف حائلاً دون محاولة بعضهم وضع تعريفات للتصوف من حيث هو حياة روحية خاصة، والصوفي من حيث كونه إنساناً يحيا هذه الحياة².

انتشرت حركة التصوف في العالم لإسلامي في القرن الثالث الهجري، كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقاً مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوَّخى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بُغية معرفة الله تعالى بالكشف، ولذا جنحوا في هذا المسار...³، ومنهم من دافع عنه معتبراً إياه قمة التدين والقرب من الله عزوجل، كعبد القادر الجيلاني الذي يقول: "التصوف هو الصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق"⁴، ومنهم من وقف منه موقف المحايد من هذا وذاك، لكن مما لا جدال فيه دور الطرق الصوفية الرائد على المستوى التاريخي، فقد

¹ - علي سالم عمار، أبو الحسن الشاذلي، ج1، مكتبة دار التأليف، ط1، 1951م، ص1 وما بعدها.

² - مقدار يالجن، فلسفة الحياة الروحية، ط1، دار الشروق، 1985م، ص70.

³ - محمد العبده وطارق عبد الحليم، دراسات في الطرق الصوفية نشأتها وتطورها، 2001م، ص6.

⁴ - عبد القادر الجيلاني، الغنية لطالبي طريق الحق في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية، الجزء الثاني، ط3، 1375هـ - 1956م، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ص160، وانظر كذلك، أبي حامد الغزالي، القصور العوالي، حققه الشيخ محمد مصطفى أبو العلا، القاهرة، 1978م.

كان لها سهم السبق في نشر الإسلام والذود عنه في مناطق شتى، والوقوف في وجه التحرشات الأجنبية

يقول ابن خلدون "هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة التابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى ، ... فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة"¹.

يقول الشيخ سيد المختار الكنتي معرفا بالتصوف "التصوف أو علم الباطن طريق روحاني، تسلكه القلوب فتقطعه بالأفكار حسب العقائد والأبصار، أصله نور سماوي ونظر إلهي، يقع في قلب العبد ينظر به نظرة فيرى أمر الدارين حقيقة... ويقول أيضا أعلم أن مذهب الصوفية ظاهر وباطن، فظاهره استعمال الآداب والأخلاق الحسنة مع الخلق، وباطنه منازل الأحوال والمقامات مع الحق، وأن الظاهر علامة الباطن، والباطن حقيقة الظاهر"².

لقد بدأ هذا العلم (التصوف) يتجه منذ بداياته إلى فهم العبادات والأحكام اتجاها باطنيا يخرجها من حدود الفقه الجامد على حد قول الصوفية أنفسهم، مؤسسين علمهم هذا على الكتاب والسنة شأن كل فرقة إسلامية³، يقول الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير "وهم أهل الحقيقة ومعلوم أن الحقيقة لا تكون إلا بعد الاغتراف من عين الشريعة، فإن الحقيقة نتاج العلوم وبها يترجم المحقق على الأسرار التي لا تحيط بها المفهوم"⁴، ومن المنافحين عن التصوف مذهب إلى أنه: "ما ظهرت حقيقة قط في الوجود إلا وقوبلت بدعوى مثلها وإدخال ماليس منها عليها وتكذيبها"⁵.

¹ - ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 611.

² - عزيز بطران، الشيخ المختار الكنتي الكبير وأثره في نشر الإسلام، مجلة البحوث التاريخية، مرجع سابق، ص 323.

³ - محمد جلال شرف، دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومذاهب، دار النهضة العربية، بيروت، 1984م، ص 17.

⁴ - الشيخ سيد المختار الكنتي، كشف الشبهات بالبراهين والبيانات، مخطوط، زاوية الشيخ سيد المختار، نواكشوط، ص 21.

⁵ - محمد ابراهيم محمد سالم، كفاية المنصف في فهم التصوف، 1993م، ص 18.

كثرت أقوال العلماء في تعريفه واختلفت أنظارهم في تحديده وتوصيفه، وذاك دليل على شرف اسمه ومسماه فالشيخ المختار الكنتي: يعتبره طريق روحاني تسلكه القلوب فتقطعه بالأفكار حسب العقائد والأبصار أصله نور سماوي¹، كما يرى أيضا: "أن التصوف وراء سور الفقه بل هو ثمرة علوم الشريعة، ويوضح أن علوم الحقيقة والتصوف نتائج علوم الشريعة فمتى ما طبق العبد أوامر الشرع وابتعد عن الشبهات بإخلاص صادق فتح الله عليه رزونة من قلبه فيشاهد بها سره فيشاهد بها علوم الحقيقة وإذا ما طبق موجباتها فتح الله له رزونة علوم الحقيقة أخرى في سره فيشاهد علوم الملكوت وحقائق الجبروت"².

وفي تعريف آخر "التصوف هو كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك أو تصفية البواطن من الرذائل وتحليلتها بأنواع الفضائل"³، ويقول الشيخ أحمد البكاي في هذا الصدد "إن السلوك بالفقر والزهد أسهل طريقا، وأكثر رفيقا، وأقل قواطع وأضعف موانع، بل هو الأس الذي عليه المبنى والحرف الذي جاء للمعنى، فإنه كأصل الشجرة والثاني له كالثمرة، ولا وجود للثمرة إلا بعد قيام الشجرة فمن صح الأصل أدرك الخصل"⁴.

وقد بين معظم الصوفيين في كتاباتهم نوع العلاقة التي يبرزها الشيخ بين الشريعة والتصوف وهي علاقة وطيدة، حيث يرون أن التصوف هو باطن الشريعة الخفي ومن المستحيل الوصول إلى باطن الشريعة إلا بعد التمكن التام من الشريعة، وينكر الشيخ سيد المختار على معارضي أهل التصوف الذين استدلوا بقوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}⁵، وقوله سبحانه وتعالى {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}⁶، أي ما تعلق بنزول الأحكام المشروعة، بأن الولي يجب أن يلتزم

¹ - الشيخ سيد المختار الكنتي، كشف اللبس فيما بين الروح والنفس، نسخة لمرايط ولد آدب، المعهد الموريتاني للبحث والتكوين في مجال التراث والثقافة، رقم 0347/0014، نواكشوط، موريتانيا، ص42.

² - الشيخ سيد المختار الكنتي، كشف اللبس فيما بين الروح والنفس، المصدر السابق، ص43.

³ - عبد الله بن عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، تحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، ط1، الدار البيضاء، ص25.

⁴ - الشيخ أحمد البكاي، ذخيرة السرمذ في جواب الشيخ أحمد لبو، مخطوط، زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي، نواكشوط، ص11.

⁵ - سورة المائدة، الآية 3.

⁶ - سورة البقرة، الآية، 256.

بأحكام الشريعة ولو أمر بما يخالف شرع الرسول لم يُتَّبَع على ذلك وخرج عن كونه على بصيرة من أمره"¹.

وبالنظر إلى التعريفات التي وضعت للتصوف، نجد أنها لا تعد ولا تحصى لذلك سوف نكتفي هنا بذكر أشهر هذه التعريفات لإلقاء الضوء على التصوف كمضمون ومنها قول سهل التستري: إن التصوف ليس رسماً ولا علماً ولكنه خلق، وقال السري السقطي: التصوف تمام الأدب²، وقال معروف الكرخي: التصوف هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق"³، وقال عمرو بن عثمان المكي: "التصوف أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى في الوقت"⁴، وقال الجنيد: "التصوف أن يمينك الحق عنك ويحييك به"⁵.

ويتضح من هذه التعريفات أنها وليدة تجارب ذاتية، ومن ثم تختلف من صوفي لآخر، لذلك تكمن قيمة هذه التعريفات فيها مجتمعة فهي بمثابة الأجزاء التي يتألف منها البناء الكلي للتصوف كمضمون.

وقد تم تصنيف تعريفات التصوف إلى ثلاث مجالات: مجال يربط التصوف بالسلوك أو الأخلاق، ومجال يربطه بالنسك وصور العبادات، وينصب الاهتمام في هذا المجال على الجانب العملي المتمثل في الطقوس والشعائر الدينية مع تحقيق جوهرها الروحي الحيوي، والمجال الثالث يربط التصوف بالمعرفة والمشاهدة، وهو يولي عناية فائقة بالجانب النفسي والعقلي في التصوف⁶.

ومن التعريفات المختلفة للتصوف يتضح اتصال التصوف- باعتباره مجالا للحياة الروحية- اتصالاً وثيقاً بمختلف العلوم كالأخلاق والنفوس والفلسفة والاجتماع.

¹ - الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، كشف الشبهات، مصدر سابق، ص31.

² - علي سالم عمار، أبو الحسن الشاذلي، مرجع سابق، ص4 وما بعدها.

³ - مقداد بالجن، فلسفة الحياة الروحية، مرجع سابق، ص73.

⁴ - أبي نصر السراج الطوسي، اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، 1960م، ص45.

⁵ - أبي القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1959م، مصر، ص138.

⁶ - محمد كمال جعفر، التصوف طريقاً وتجربة ومذهباً، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1980م، ص4.

وكان للجانب الأخلاقي في تعريف التصوف النصيب الأكبر من اهتمام المتصوفة وغيرهم من الباحثين، وقد شاع هذا الاتجاه في الشرق والغرب قديما وحديثا حتى وصف بأنه علم للأخلاق، وقد أضاف البعض بأنه أيضا علم للنفس، إذ هو أشد ما يكون لمعرفة النفس التي تصدر عنها الأخلاق، وذلك أن ارتباط التصوف بالمعرفة والمشاهدة ورؤية القلب وافتتاح البصيرة ذا علاقة بالتجربة النفسية¹، فالتصوف هو علم الرياضيات النفسية والمواجيد القلبية والأحكام الباطنية²، حتى أطلق البعض على الصوفية أطباء النفوس ومرشدي الأخلاق، وقال أحمد محمود صبحي: "إننا لن نجانب الحق إذا قلنا أن التحليل النفسي قد استعار من التصوف بعض وسائله في التقويم والعلاج"³.

وعلى الرغم من أهمية الاتجاهين الأخلاقي والنفسي في تعريف التصوف إلا أنهما لا يعبران عن مفهوم التصوف تعبيراً دقيقاً مما جعل يطلق عليه الفلسفة الروحية في الإسلام من حيث أنه فلسفة للحقائق الإلهية بجانب كونه علماً للنفس الإنسانية والأخلاق الدينية⁴، كما قال التفتازاني أن التصوف فلسفة حياة تهدف إلى الترقى بالنفس الإنسانية أخلاقياً⁵، وأعطى البعض للتصوف مجالا أوسع باعتباره طريقة حياة لعدد من الناس بما تشمله هذه الطريقة من فكر وسلوك وعاطفة⁶.

وقد عرف عن الصوفية أنهم قوم اجتماعيون هدفهم بناء حياة سعيدة للفرد في الدنيا والآخرة وطريقهم في ذلك العمل الصالح، وقال إبراهيم الدسوقي في هذا النطاق: لا يكتمل مقام الصوفي حتى يكون محبا لجميع الناس مشفقا عليهم،

¹ - علي سالم عمار، أبو الحسن الشاذلي، مرجع سابق، ص5.

² - محمد كمال جعفر، التصوف طريقا وتجربة ومذهبا، مرجع سابق، ص7.

³ - أحمد محمود صبحي، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، ط2، دار المعارف، 1983م، ص250.

⁴ - زكرياء الأنصاري، الفتوحات الإلهية في نفح أرواح الذوات الإنسانية، مطبعة العاصمة، القاهرة، 1976م، ص4.

⁵ - أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1976م، ص10.

⁶ - محمد كمال جعفر، التصوف طريقا وتجربة ومذهبا، مرجع سابق، ص5.

سائرا لعوراتهم، فالتصوف يهدف إلى إقامة مجتمع أخلاقي تسوده المحبة والسعادة والخير¹.

ومما تقدم ذكره يتضح مدى اتساع مجال التصوف وبالتالي صعوبة الوصول إلى تعريف شامل يمكن أن يطلق على التصوف كمضمون.

فالتصوف ينصرف إلى عديد من المعاني وإن المعاني وإن كانت جميعها لا تختلف في الغاية إلا أنها تتنوع تنوعا كبيرا، ويرجع هذا التنوع إلى ما سبق ذكره من كون التجربة الصوفية تجربة شخصية ذاتية، كل هذه المعاني على اختلافها تندرج تحت المفهوم الشائع لدى المتصوفة وهو المتمثل في مقام الإحسان وهو المقام الثالث في الحديث الشهير... الخ².

ولما كان من الصعب وضع تعريف جامع مانع للتصوف، فسوف نتناوله في هذا البحث من خلال معانيه الرئيسية التي تتمثل في كونه طريقة لأهل التصوف مسلكهم فيها المجاهدة والرياضة لتحقيق الرقي الأخلاقي الذي به ترقى الروح من مقام لمقام حتى تصل إلى مقام التوحيد والمعرفة والمشاهدة - الذي يتم ذوقا لا حسا أو عقلا - وهذا هو هدف الصوفية، فمن يسير في الطريق دون الوصول إلى هذا الهدف لم يكن صوفيا،...³.

وقال ذو النون المصري: علامة العارف الصوفي ثلاثة: لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يعتقد باطنا من العلم ينقد عليه ظاهرا من الحكم، ولا تحمله كثرة نعم الله تعالى عليه وكرامته على هتك أستار محارم الله تعالى⁴.

وفي تعريف الصوفي توصل ابن سينا إلى تعريف جامع شامل حاول أن يفرق بين الزاهد والعابد والعارف ويقصد بالأخير الصوفي فقال: إن الزاهد هو المعرض عن متاع الدنيا وطيباتها، والعابد هو المواظب على القيام بالعبادات من صلاة وصيام وقيام وغيرها أما العارف فهو ذلك الإنسان المنصرف بفكه إلى الله مستديما لشروق نور الحق في سره، والنتيجة التي توصل إليها ابن

¹ - عبد الحفيظ فرغلي علي القرني، التصوف والحياة العصرية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1984م، صص 19-30.

² - عبد الحفيظ فرغلي علي القرني، التصوف والحياة العصرية، مرجع سابق، ص 33.

³ - أبي القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، مصدر سابق، ص 20.

⁴ - أبي نصر السراج الطوسي، اللمع، مصدر سابق، ص 61.

سينا هي اجتماع الزهد والعبادة في التصوف وليس وجود التصوف في الزهد أو العبادة وحدهما، فكل صوفي زاهد وعابد، وليس كل زاهد أو عابد صوفي¹.

فالتصوف اسم جامع لمعاني عديدة كالفقر والنسك والعبادة وغيرها من المعاني التي تندرج تحت التصوف كمفهوم، والتصوف كعلم يختلف عن بقية العلوم لأنه ليس له نهاية لأن المقصود ليس له غاية فهو إشارات وخواطر وعطايا وهبات يغرفها أهلها من بحر العطاء، وهو علم الفتوح يفتح الله تعالى به على قلوب أوليائه في فهم كلامه ما شاء كيف شاء، وكرم اله وعطاؤه ليس له نهاية².

ومما سبق يتضح مدى صعوبة الوصول لمفهوم يلقي الضوء على التصوف ويوفيه حقه من كافة الجوانب، لذلك آثرنا أن نعرض لأهم الخصائص التي نرى أنها تمكن أو تساعد في التوصل لتعريف التصوف.

خصائص الصوفية:

قد اتفق كل من: الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير³، وتوفيق التفتازاني⁴، وتوفيق الطويل⁵، ومقداد بالجن⁶، وسامية الخشاب⁷، على أن أهم خصائص التصوف تندرج تحت خمس عناصر هي:

- 1- الترقى الأخلاقي.
- 2- الفناء في الحقيقة المطلقة.
- 3- العرفان الذوقي المباشر.
- 4- الطمأنينة والسعادة.
- 5- الرمزية في التعبير.

¹ - محمد كمال جعفر، التصوف طريقا وتجربة ومذهبا، مرجع سابق، ص6.

² - أبي نصر السراج الطوسي، المصدر السابق، ص37.

³ - عزيز بطران، الشيخ المختار الكنتي الكبير وأثره في نشر الإسلام، المجلة التاريخية، مرجع سابق، ص324 وما بعدها.

⁴ - أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، المرجع السابق، صص7-9.

⁵ - توفيق الطويل، "خصائص التصوف الإسلامي"، عالم المعرفة، عدد1985، صص87، صص174-175.

⁶ - مقداد بالجن، فلسفة الحياة الروحية، مرجع سابق، صص74-76.

⁷ - سامية الخشاب، علم الاجتماع الإسلامي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1985م، صص69-70.

وهذه العناصر تمثل أهدافا للتصوف من كونها سمات وخصائص مميزة للتصوف، لذلك يمكننا أن نضيف إلى هذه العناصر عنصرين جوهريين لهما أهمية كبيرة لإلقاء الضوء على التصوف وهما:

1-الإرادة: وهي أول منزلة القاصدين وبدء طريق السالكين¹، وحقيقتها ترك ماجرت عليه العادة وتحقيقها نهوض القلب في طلب الحق سبحانه وتعالى وترك ما سواه².

2-الحب الروحي: وهو أساس جوهرى في طريق الصوفية، وقد ذكر زكي مبارك أنه لم ير كلمة شغلت الصوفية كما شغلته كلمة الحب، فالتصوف لا يصلح إلا بفضل الحب، فالحي هو الأول والآخر في حياة أولئك الناس³. وأغلب الظن أنهم يبدأون حياتهم بالحب الحسى ثم يترقون إلى الحب الروحي، والحب من أوثق عرى الإيمان. وقد قال رسول الله ﷺ: لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فالحب شرط ضروري من شروط الإيمان⁴.

ويصف الشيخ سيدي المختار الكنتي خصائص الصوفية بقوله: "العبادة حليفهم والفقر كرامتهم وطاعة الله حلاوتهم وحبهم لذتهم وإلى الله حاجتهم، والتقوى زادهم ومع الله تجارتهم وعليه اعتمادهم وبه إنسهم وعليه توكلهم والجوع طعامهم والزهد ثمارهم وحسن الخلق لباسهم والصبر سائقهم والهدى مركبهم والقرآن حديثهم والذكر نهجهم"⁵، ويقول أيضا: "هم خاصة الخاصة وهم شيوخ التربية والمعلمون الروحانيون، تميزوا عن عامة الناس بوقف حياتهم على تحصيل العلم فجمعوا بين الشريعة والحقيقة وتبحروا فيها وعرفوا دقائقها وأسرارها ولذا حق لهم أن يجلسوا للإرشاد وتربية المريدين بأحوالهم الذكية وأخلاقهم المرضية وهمهم العلية"⁶، فالصوفية في نظره هم خاصة الخاصة،

¹ - أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، معراج التشوق إلى حقائق التصوف، قدمه وراجعته حفيده أحمد محمد بن عجيبة، ط1، مطبعة الميرني، تطوان، 1982م، ص34.

² - عبد القادر الجيلالي، الغنية، مصدر سابق، ص158.

³ - زكي مبارك، التصوف الاسلامي في الأدب والأخلاق، ج2، ط1، مطبعة الاعتماد، مصر، 1938م، ص228.

⁴ - أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، الجزء الثاني، دار صادر، 1989م، ص50.

⁵ - الشيخ سيد المختار الكنتي، كشف اللبس فيما بين الروح والنفس، مصدر سابق، ص42.

⁶ - الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، فقه الأعيان، مصدر سابق، ص15.

وهم شيوخ التربية، والمعلمون الروحيون تميزوا عن عامة الناس بوقف حياتهم وجهدهم على تحصيل العلم، جمعوا بين الشريعة والحقيقة وتبحروا فيهما، وعرفوا دقائقها وأسرارها، ولذا حق لهم أن يجلسوا للإرشاد وتربية المريدين بأحوالهم الذكية وأخلاقهم المرضية وهمهم العلية¹.

ويقول الشيخ سيدي البكاي بن الشيخ سيدي محمد الخليفة: "من خاصية علم التصوف أنه لا يوجد في أهله اختلاف ولا في ملته خلاف، لأنه من الكتاب والسنة بخلاف سائر الفنون غيره فإنك لا تجد أهل فن ولا أهل علم غيره إلا وفيه اختلاف"².

والصوفية يوجهون المريدين ويوثقوهم ويدعونهم من خمس إلى خمس من الجهل إلى العلم ومن الشك إلى اليقين، من الرغبة إلى الزهد، من الشح إلى سخاء النفس، ومن النظرة إلى المعرفة، أي بمعنى: "التصوف طريق بعيد المرام وعزيز المقام قليل سالكه عزيز مالكة، لأنه طريق بدايته ترك الهوى والدنيا والنفس بالزهد والانحلال من الجميع وترك ما سوى الله تعالى بالتبرؤ والفناء عن الكل"³.

كما أنه من خصائص الصوفية: "أن لا يكون أصلاً ولا موصولاً، إذا لم يكن له دليل ماهر وشيخ مجد في الطريقة"⁴، يشترط من هنا أن الشيخ ضروري في طريق التصوف، ولا يصح تصوف من دون شيخ وعلى "الشيخ إذا علم أن المرید قد استفتحت قوته وكملت تربيته وجب عليه أن يقطع عنه الإمداد من جهته ويتركه مع ربه"⁵.

يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي: "إن من واجب المرید بل من مصلحته أن يختار شيخاً متأهلاً ذا تجارب وعلم ومعرفة، شيخاً جعل الحقيقة معاشاً

¹ - عزيز بطران، الشيخ المختار الكنتي الكبير وأثره في نشر الإسلام، المجلة التاريخية، مرجع سابق، صص 323-324.

² - الشيخ أحمد البكاي، ذخيرة السرمد، مصدر سابق، ص 37.

³ - الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، كشف اللبس فيما بين الروح والنفس، مصدر سابق، ص 42.

⁴ - الشيخ أحمد البكاي، ذخيرة السرمد، مصدر سابق، ص 47.

⁵ - الشيخ أحمد البكاي، ذخيرة السرمد، مصدر سابق، ص 48.

والشريعة رياشاً يكرع في حياضها، فقد قيل من تعلق بشيخ غير واصل بارٍ وانفصل¹.

ويلفت الشيخ سيدي المختار الكنتي نظر قرائه من المريدين إلى أن معرفة مثل هذا الشيخ الكامل عسيرة عسرا كبيرا فالعناية الإلهية وحدها من تقود أقدام المريدين المخلصين إليه، ويقول: "اعلم أن دليل إرادة الله تعالى بك لوصول إليه والاتصال به، وصلتك بالشيخ المربي إذ هو تعالى لا يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه فلا يصل إلا من اتصل بهم ولا يحجب عنهم إلا من حجب بهم"².

ومن واجب المريد عند ملازمته للشيخ المربي أن يسلم أمره ونفسه إليه بأن يستغرق نفسه كلها في الشيخ حتى لا يبقى له من نفسه شيئا³، وهذا ما يسمى في عرف الصوفية بالإطراح التام بين يدي الشيخ وبالملازمة.

يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي: "من واجب المريد أن لا يكتم عن شيخه أي خاطر... فإذا سألته عن مسألة فوّض أمرها إليه، وإن كانت عنده خلاف ذلك، وإن ظن غيبته تركه حتى يراه رجوع فإذا رآه رجع إلى عالم الشهادة فليسأله لئلا يأخذ المسألة منه على الخطأ⁴، فإذا تمت الملازمة والإطراح وانطبعت روحانية المريد في روحانية شيخه انسلخ المريد من رق الشيطان وبقي في رقبة بيعة الشيخ فيضع حينئذ أول قدم في سلوك سبيل المؤمنين⁵.

فبطل هذا الشيخ المربي يتم الوصول وتتضح الحقيقة، بل يتم التحول الروحي الهائل في شخصية المريد فيصير من الصوفية العارفين الواصلين، وفي هذا المعنى يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي: "لا ريب أن الشيخ أعظم حقا من الوالد لأنه المتسبب في الحياة الباقية والوسيلة إلى الله والواسطة بينك وبين الرسول"⁶.

¹ - الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، فقه الأعيان، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص18.

² - الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، فقه الأعيان، المجلد الثاني، مصدر سابق، ص18.

³ - الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، كشف اللبس فيما بين روح والنفس، مصدر سابق، ص38.

⁴ - الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، كشف اللبس، مصدر سابق، ص41.

⁵ - الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، تحفة المودود، مخطوط، زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي، نواكشوط، موريتانيا، ص198.

⁶ - الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، كشف اللبس، مصدر سابق، ص41.

فالشيخ المربي كما يزعمون يقود المريد بخط حذرة، فيلقنه الأسرار تلقينا متدرجا بذلك القدر الذي يلائم طبع المريد والذي يستطيع استيعابه، يقول الشيخ سيدي المختار الكنتي: "أن الشيخ المربي يقود تلميذه على صبر وإخلاص وإنصاف وتورع في احتمال جهل وحلم عصفور وحزم نملة وإقبال أسد، ينبههم إذا غفلوا ويرشدهم إذا ذهلوا ويحدو بهم إذا ارتحلوا ويرضعهم ألبان ثدي المعارف ويميلهم عن المشارب المخوفة... ويقويهم لدى كل لحظة"¹، ويخضع المريد وهو في حالة الاطّراح بين يدي الشيخ لانفعالات روحية ومعاناة نفسية ترفعه إلى مرتبة الكمال².

المبحث الثالث: نشأة الطريقة القادرية:

تنسب القادرية إلى عبد القادر الجيلاني (الكيلاني) المتوفى في بغداد 561 هجري، وهو يعتبر عند المتصوفين السلطان الأولياء، وقطب الأقطاب، والغوث، وعضد الإسلام، وله كرامات وخوارق تنسب إليه، وأتباعه يحلفون بجاهه، ويلقبونه أيضا (بمولي بغداد)، والشيخ الجيلاني عالم وله تأليف منها (لطائف الأنوار) ... والزاوية الأم للطريقة توجد ببغداد...³، هذا العالم الذي تخرج بصحبته وعلى يديه ما ينيف على مائة ألف، ويكفي من كراماته بقاء طريقته وانتشار صيته وبقاء ذكره .

... وسالكوا طريقته أكثر السالكين مدداً ومادة، وسندها أظهر الإسنادات شرفا وسيادة، ووردها أوفر الأوراد نورا وسعادة، بل لا يزيدها تزايد العصور إلا وحدة وزيادة⁴، أبقى الله سلسلتها النورانية متصلة متسلسلة إلى أن يرث الباعث الوارث الأرض ومن عليها.

إذا هذه الطريقة هي إحدى الطرق الصوفية السنية وينتشر أتباعها في بلاد الشام والعراق ومصر وإفريقيا، وقد كان لرجالاتها الأثر الأكبر في نشر الإسلام في قارة إفريقيا وآسيا وفي الوقوف في وجه المد الأوروبي الزاحف إلى المغرب العربي، وتعتبر الطريقة القادرية من أهم الطرق الصوفية

¹ - الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير، تحفة المودود، مصدر سابق، ص 198.

² - الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، الكوكب الوقاد في فضل المشايخ والأوراد، مخطوط، زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي، نواكشوط، موريتانيا، ص 23.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، مرجع سابق، صص 42-43.

⁴ - الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، الطرائف والتلائد، ج 1، تحقيق، يحي ولد سيدي أحمد، مصدر سابق، ص 315.

وأوسعها انتشارا في العالم الإسلامي وأبلغها تأثيرا فكريا واجتماعيا وسياسيا في الكثير من البلدان¹.

كما تعتبر من بين أقرب الطرق الصوفية إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وقد انتشرت انتشارا واسعا في كل البلدان الإسلامية، غير أن انتشارها في بلدان المغرب العربي ربما كان الأوسع، أمّا في إفريقيا جنوب الصحراء فإن الطريقة القادرية ولرجالها دورا كبيرا في نشر الإسلام بين الافارقة والعمل على تثبيت دعائم وجوده، فقد كانت اسبق الطرق الصوفية انتشارا في كل السّوادين².

وقد انتشرت هذه الطريقة واتسعت رقعتها حيث انتقلت إلى المغرب على يد أبي مدين شعيب آل أنصاري الأندلسي المتوفى سنة 594هـ / 1198م، الذي نشرها هناك ليأتي من بعده عبد السلام بن مشيش، كما ازداد انتشار هذه الطريقة... على يد سيدي أحمد البكاء الكنتي بالقرن الخامس عشر الميلادي كما مر بنا³.... وبعده الشيخ سيدي اعمر بن الشيخ سيد أحمد البكاي الكنتي (ت959هـ/1552) الذي ينسب إليه تأسيسها في السودان الغربي والصحراء⁴.

من موريتانيا والصحراء الغربية وصحراء الجزائر امتدت القادرية إلى إفريقيا الغربية والوسطى بواسطة شيوخها الدعاة⁵ من قبيلة كونتا الذين هاجروا من توات في القرن الخامس عشر متخذين من مدينة ولاتة أول مركز لطريقتهم، ثم لجئوا إلى تمبكتو، وانتشر اتباعهم من الفقهاء والمريدين من السنغال إلى مصب نهر النيجر، وأقاموا المراكز لبث دعوتهم في مختلف الجهات، بل نظموا البعوث إلى الأزهر الشريف، والمعاهد الدينية بتونس، وطرابلس، والقيروان فانتشرت القادرية في (جني) و(تمبكتو) وغيرهما من العواصم

¹ - الشيخ مامين ولد الطالب اخيار ولد الشيخ ماء العينين، علماء وأمرأء في مواجهة الاستعمار، منشورات مؤسسة مربيه رب لإحياء التراث، الرباط، 2007م، ص121.

² - عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، مرجع سابق، ص231.

³ - آدم عبد الله الألوري، الإسلام في نيجيريا، مرجع سابق، ص63.

⁴ - محمد الأمين ولد سيد أحمد، السلطة والفقهاء في إمارة الترارزة، ط 1، مطبعة المنارة، نواكشوط، موريتانيا، 2003م، ص75.

⁵ - عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، مرجع سابق، ص394.

بغرب إفريقيا¹، وينقل الباحثين دكتور تقي الدين الدوري والدكتورة خولة شاكر الدجيلي "...وكان جدهم محمد الكنتي قد جاء من توات في القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي، وتعرف طريقتهم عادة بالطريقة البكاية!نسبة إلى ابنه أحمد البكاي (ت920ه/1504م) لكن الفضل في نشر الطريقة ومبادئها يعود إلى عمر الشيخ بن أحمد (ت960ه/1553م) ...، الذي قام بإرسال أتباعه لنشر الإسلام في الصحراء وحوض النيجر ..."².

ويؤكد المؤرخ عبد الله عبد الرزاق إبراهيم أن القادرية دخلت إفريقيا الغربية على أيدي الكنتيين في القرن الخامس عشر في توات، وهي واحة في النصف الغربي من الصحراء...³، وقد اتخذوا من ولاتة أول مركز لطريقتهم ... وفي مستهل القرن التاسع عشر نجد النهضة الروحية الكبيرة التي كانت تؤثر في العالم الإسلامي تأثيراً عميقاً تدفع بالقادرية الذين كانوا يقيمون في الصحراء الكبرى وفي السودان الغربي إلى حياة ونشاط جديدين...وتسلطت القادرية على من كان يحيط بها شيئاً فشيئاً وسرعان ما تطور الدخول في ...⁴.

وكان المعلمون القادريون حتى منتصف القرن التاسع عشر، يؤسسون المدارس في السودان ويشرفون عليها؛ وكان نظامهم الذي أقاموه على طريقة منظمة مستمرة في دعوة القبائل الوثنية، وكان نشاط هذه الجماعة في الدعوة ذا طابع سلمي للغاية، يعتمد كل الأعماد على الإرشاد وعلى أن يكون الواحد منهم قدوة لغيره⁵.

وقد انتشرت في أرجاء العالم الإسلامي وتفرعت منها فروع كثيرة واستقلت بأسمائها، ومن أهم فروع القادرية في موريتانيا: القادرية الكنتية (البكاية) نسبة إلى الشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي...⁶.

¹ - شوقي عطا الله الجمل، "الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا سماتها، ودور المغرب فيها"، مجلة المناهل، العدد السابع، 1976م، ص146.

² - تقي الدين الدوري وخولة شاكر الدجيلي، تاريخ المسلمين في إفريقيا، مرجع سابق، ص242.

³ - عبد الله عبد الرزاق، أضواء على الطرق الصوفية، مرجع سابق، ص37.

⁴ - عبد الرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص110.

⁵ - توماس أرلوند، الدعوة إلى الإسلام، ترجمه إلى العربية وعلق عليه. حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1947م، صص283-284.

⁶ - حماد الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص246.

يقول الشيخ سيدي محمد الخليفة: "الطريقة القادرية أنها أقوى الطرق سندا وأوفرها مدداً، وأن وردها أعظم الأوراد قدراً وأوفرها ذخراً، وأكثرها أجراً، وأن صاحبها المحافظ عليها لا يموت إلا على أحسن حال وإن عمل ماعمل"¹.

والطريقة القادرية منتشرة في المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر والسودان ومالي وسوريا والأردن والعراق وإيران وتركيا، ولا تخلوا مدينة من المدن الإسلامية من زاوية قادرية أو دار للقادرية تذكر فيها الأوراد القادرية الأسبوعية.

وأكثر ما يميز الطريقة القادرية هي عدم مركزية الطريقة، حيث أن كل فرع للطريقة له استقلاليته الكاملة والمنفردة وفي ذلك يرى كثير من الباحثين أن لا مركزية الطريقة هي السبب المباشر في انتشار الطريقة القادرية بصورة واسعة على نطاق العالم الإسلامي.

فالطريقة القادرية هي من أهم الطرق الصوفية التي انتشرت في السودان الغربي ككل وانتشرت في إفريقيا عن طريق بلاد المغرب وتأثرت بالمذهب المالكي السني مما دعاها إلى التأقلم والتغير لملائمة الوضع الجديد².

المبحث الرابع: القادرية الكنتية:

لقد عرفت القادرية على أيدي الكنتيين عبر امتدادات موريتانيا والصحراء الكبرى وبلاد السودان وشمال إفريقيا ليشمل بقية الأمكنة الأخرى "البكائية"، أو "المختارية"، "فالبكائية" نسبة للشيخ سيد أحمد البكاي الجد الجامع لقبيلة كنتة والذي لم يبق بنشرها بصفة أكثر واكتفى بالجزء الغربي من الصحراء كما قلنا سابقاً، أما خليفته وإبنه سيداً عمر الشيخ فقد قام بنشرها في السودان الغربي والصحراء وتمتد هذه الفترة من القرن 15م وحتى نصف الأول من القرن 18م، "أما المختارية" فتسميتها فتقترب بظهور المجدد الشيخ سيد المختار الكنتي في منتصف القرن 18م، يقول الأستاذ أبو القاسم سعد الله "... والبكائيون ينتمون إلى الفاتح عقبة بن نافع، ولعبوا دوراً رئيسياً في أحداث غرب إفريقيا بين السكان والمحتلين الفرنسيين والطامعين من الإنجليز والألمان وقد ذكر دوفيرييه.. وقال إن البكائية هي مفتاح الطريق من الجزائر إلى توات إلى

¹ - الشيخ سيد محمد الخليفة، الرسالة الغلاوية، مصدر سابق، ص 152.

² - خالد الشكراوي، الأصول التاريخية للطريقة في حوض السنغال، مرجع سابق، ص 69.

تومبوكتوا... وقال إنك لاتكاد تعرف هل البكائيون من تومبوكتوا أو من توات لكثرة أملاكهم وترددهم هنا وهناك، حتى أن الشيخ البكاي في الواقع هو المالك الفعلي لأقبلي وزاوية كنتة والجديد في تيد يكلت ... وتسمى البكائية هناك بالمختارية نسبة إلى الشيخ سيدي المختار الكبير الذي جدد الطريقة في آخر القرن 18م وأوائل القرن 19م...¹

كما يصعد السند القادري للشيخ سيد محمد الكنتي الكبير إلى أبي العباس السّاورى² والذي لم يقد بنشره، وورثه الشيخ لابنه الشيخ سيد أحمد البكاي بودمعة كما ورثه السند البيعة المتصل عن آبائه إلى عقبة بن نافع الفهري، وقد ازدهرت البكائية مدة طويلة على الأقل إلى عام 1850م³، وقد تسلسل ورد التلقين في أبناء الشيخ سيد محمد الكنتي الصغير بن الشيخ سيد أحمد البكاي بودمعة (كنتة الغربيون) وظل متداولاً بينهم.

لقد كان التصوف ثم أصبح (...)، كان خبيئة بين العبد وربّه يبيت يناجيه، ثم يصبح على حرفته، لا يثير انتباهها، ولا يطلب جاها... كان الجنيد يتكلم مع الرجل والرجلين، فإذا زادوا على العشرة أمسك.

لقد ازدهر التصوف وعرف ذيوها وتجديدا غير مسبوق مع الكنتيين وتلامذتهم في المنطقة كلها، ولقد تزعم الكنتيين الطريقة القادرية منذ وصولها إلى شمال إفريقيا.

إن كنتة هم المؤمنون بالطريقة القادرية وناشروها أي ناشرو السلسلة، ولقد تقمص كنتة القادرية، مثلما تقمصتهم، وأصبح اسمهم مرادفا لها، وغالبا ماتكنى القادرية السودانية بالبكائية نسبة إلى الجد الكنتي الشيخ سيدي عمر الشيخ ولد الشيخ سيد أحمد البكاي الذي كان ناشرا الورد في القرن السادس

¹ أبو القاسم سعد الله، التاريخ الجزائر الثقافي، ج4، مرجع سابق، ص277 وما بعدها.

² اجتهد عدد من الباحثين في تصويب نص الغلاوية، ليلائم الواقع التاريخي حيث اعتبر نص الغلاوية أن سيد محمد الكنتي الكبير أخذ الورد عن أبو العباس السبتي، وهذا لا يمكن أن يستقيم لأن بين السبتي والكنتي قرنين من الزمن، ومنهم الدكتور حماد الله ولد السالم الذي طرح عدة أسماء قد تكون المعنية، وقبل الأخير منها أبو العباس السّاورى، نسبة إلى وادي السّاورى قرب توات، وهو أيضا استخلاص الحسين ولد محنّض الذي قال أن المعني كان شيخا قادريا مشهورا، مستشهدا بكتاب المعسول للمختار السوسي، وبذلك يكون الاسم صُحِف من السّاورى إلى السبتي، الحسين ولد محنّض، تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، مرجع سابق، ص218.

³ عبد الرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مرجع سابق، ص111.

عشر ميلادي...، أو المختارية نسبة إلى الشيخ سيد المختار الكبير، الذي كان المصلح الديني في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر¹.

كان سيدي عمر الشيخ تلميذا وفيما لسيدى محمد عبد الكريم المغيلي، حيث تأثر به ولازمه ولم يفارقه حتى وفاته، ويعتبر الوارث الأول لعلمه وهو الذي انتهت إليه رئاسة الطريقة القادرية في بلاد التكرور²، ونعثر على اسمه في سلسلة القادرية الصوفية مباشرة بعد المغيلي الذي كان نفسه تلميذ السيوطي³، وقد استطرد الشيخ سيد المختار الكنتي أخبار رحلة المغيلي وسيدي أعمر الشيخ ومرورهما ببرقة وصراعهما مع أعرابها، ثم ماكان من صلتها بالسيوطي في حديث مسهب في رواية مناقبية مستفيضة⁴، وعن طريق هذه الأسماء ينتسب فرع البكائية للسلسلة الكبيرة والمشاركة لقادرية المشرق والمغرب، يصف الباحث عبد الودود ولد عبد الله (ددود)، الدور الرسالي الذي قام به سيدي أعمر الشيخ بعد وفاة شيخه ب"امتصاص ثمرة المغيلي"؛ وذلك تعليقا على رواية تاريخية تقول إنه "لما أدرك المغيلي الموت قال لبنيه ومريديه قولته المشهورة، وهي إحدى علامات الأستخلاف عند المتصوفة: "من كان منكم ملتصبا مني نفعاً، فليلتصمه من هذا، فإنه احتوى على جميع ما عندي، وامتصني كما يمتص الآكل الثمرة ويلقي بالنواة"⁵، وأعطاه عكازه وقلنسوته وسجادته وسبحته، ووصى ابنه عبد الله بخدمته والأخذ عنه، وبعدها توفي في غرة رمضان من عام 909هـ... ويعود المجد التاريخي إلى الشيخ سيدي عمر الشيخ بداية القرن السادس عشر الذي من خلاله عمّت الطريقة القادرية

¹ - بول مارتي، كننة الشرقيون، مرجع سابق، ص141.

² - أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وأثاره، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الدراسية، 1999م-2000م، ص31.

³ - بول مارتي، كننة الشرقيون، مرجع سابق، ص142.

⁴ - حماد الله ولد السالم، موريتانيا في الذاكرة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005م، ص166 وما بعدها.

⁵ - ددود ولد عبد الله، "تحولات التصوف عبر الصحراء من الزاوية الرقادية إلى المدرسة المختارية"، "الأدب المقاوم في القارة الإفريقية"، أعمال ملتقى عيون الأدب العربي، النسخة التاسعة، دورة الشيخ سيدي المختار الكنتي، منشورات جمعية النجاح للتنمية الاجتماعية، المغرب، ط1، أبريل 2018، ص326.

الصحراء وغرب إفريقيا من ذلك العهد حتى اليوم¹، وقد تسلسل الورد القادري الكنتي في ذريته، دون أن يعرف انتشارا خارج المحيط العائلي، وقد خلف الشيخ سيدي عمر الشيخ على البكائية ابنه البكر أحمد الفيرم (الأثرم) المتوفى 1553م، حتى وصل إلى سيدي أحمد بن محمد الرقاد بن أحمد الأثرم بن عمر الشيخ الذي أسس زاوية كنتة في توات، التي ما زالت إحدى بلديات الجزائر تحمل اسمها إلى اليوم، ومن هذه الزاوية انطلق في اتجاه الصحراء، عدد من المتصوفة والعلماء الجزائريين، وعملت جماعة كنتة على تأسيس مدارس تابعة للزوايا الكنتية الرئيسية بتوات: ...²، فكان بذلك الواضع الحقيقي للأسس التنظيمية للقادرية الكنتية، وأخذ عنه أحمد بن محمد الرقاد (ت 1063 هـ) وعن عم أبيه سيد المختار الشيخ بن عمر الشيخ ولم يقتصر أحمد بن محمد الرقاد على أسانيد أسرته وعلومها، بل رحل للأخذ عن كبار المتصوفة في عصره مثل محمد بن أحمد أذفال الدرعي السوساني³، وأحمد بن موسى الكرزازي⁴ المولود بكرزاز بالمغرب وسمي بمكان مولده، وهو تلميذ لمحمد السهيلي الأخذ عن أحمد الراشدي عن زروق⁵، وأحمد بن موسى الكرزازي هو الذي أشار إلى أحمد بن محمد الرقاد بالتوجه إلى توات وسبب تلقيبه بالرقاد أنه أتاه قوم يختصمون في معضلة فوجدوه نائما ففضى بينهم وهو نائم فجاء تلاميذه ففسر لهم وهو نائم أيضا فلذلك لقب بالرقاد⁶، وهو الذي تواصلت في أبنائه سلسلة السند القادري وقد شاع بيته بالعلم والصلاح، ويقال أن أحمد بن الرقاد كان كثيرا ما يقول في سجوده "رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء"، فأجاب الله دعوته فانتشرت ذريته فكانوا سبعة بنين أولياء علماء نجباء قد انتشر عنهم من العلم والحكمة مالم ينتشر عن بيت من بيوت الولاية مثله إلا أن

¹ - عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، مرجع سابق، ص 373.

² - خديجة عنشيل، التراث الكنتي المخطوط قراءة في الدور الحضاري لزاوية كنتة، وأهم أعلام التراث الكنتي المخطوط، مرجع سابق، ص 104.

³ - أحمد بن محمد أذفال السوساني الدرعي (ت 1028 هـ): الفقيه الصوفي المحدث، راجع ترجمته في: محمد بن أحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، تحقيق أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006م، ج 1، ص 41.

⁴ - أحمد بن موسى الكرزازي (ت 1013 هـ): أخذ عن شيوخ من أهمهم ابن أذفال والسهلي، من كبار متصوفي القرن الحادي عشر الهجري، إليه ينتسب أتباع الطريقة الكرزازية التي هي فرع من الشاذلية، وسندها عن السهلي عن الملياني عن زروق.

⁵ - حماد الله ولد السالم، الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص 55.

⁶ - الشيخ سيدي المختار الكنتي، الإرشاد أو كتاب المنة في اعتقاد أهل السنة، مخطوط، ص 186.

يكون بيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه¹، والكلام للشيخ سيد المختار مازال: "روي أن ثلاثة من البيوت لم ينتشر عن بيت من البيوت ما انتشر عنهم من الخير، بيت يعقوب بن إسحاق، وبيت علي بن أبي طالب وكانت منه سلسلة الذهب، وبيت سيدي أحمد الرقاد وكانت منه سلسلة الذهب أيضاً².

فكان من بيت علي، النفس الرضية ولي عالم وأبوه عبد الله كذلك ولي عالم، وأبوه موسى الكاظم كذلك ولي عالم، وأبوه جعفر الصادق كذلك ولي عالم وأبوه محمد الباقر كذلك ولي عالم وأبوه زين العابدين ولي عالم، وأبوه الحسين سبط رسول الله صل الله عليه وسلم سيد شباب أهل الجنة³.

وسلسلة الذهب من بنى الرقاد"سيدي المختار وكان عالماً عابداً شاعراً مفوهاً، وأبوه سيدي محمد الأمين كان ولياً عالماً، وأبوه المختار المدعو عنتره كان عابداً متقناً متمكناً كثير الخوارق وأبوه سيدي عمر بلغ الغاية القصوى علماً وعبادة وزهداً، وأبوه سيدي أحمد كذلك وهو الذي بنى زاوية كنتة بمدد الله وخوارق العادات، وأبوه سيدي محمد الرقاد كذلك، وأبوه سيد أحمد الأثرم كذلك، وأبوه سيدي أحمد الشيخ وأبوه الشيخ سيد أحمد البكاي كذلك⁴.

وقد واصل الركادة في تزعم الطريقة القادرية من خلال زاويتهم في توات في الجنوب الغربي من الجزائر، هذه الزاوية التي صنفها الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله من بين عدد من الزوايا التي كان لها صيت وتأثير واصفاً إياها بقوله: "زاوية كنتة العريقة التي حافظت على القرآن الكريم ودراسة الفقه"⁵، فكانت هذه الزاوية مركزاً نيراً لتدريس القرآن وعلومه والفقه وأصوله، وقبلة لطلبة العلم والوافدين من كل حذب وصوب، فمن خلالها إنتشر الإسلام والورد القادري في ربوع الصحراء إلى بلاد السودان الغربي وهي من أغنى الزوايا التواتية⁶.

¹ - يحي ولد سيدي أحمد، ديوان الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص 69.

² - الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، الطرائف والتلائد، الجزء الأول، مرجع سابق، ص 274.

³ - الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، الطرائف والتلائد، الجزء الأول، مرجع سابق، ص 275.

⁴ - يحي ولد سيدي أحمد، ديوان الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص 275.

⁵ - نقلاً عن يحي ولد سيدي أحمد، ديوان الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص 64.

⁶ - فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، مرجع سابق، ص 127.

استمر نشاط هذه الزاوية بعد وفاة مؤسسها الشيخ سيدي أحمد الرقادي، والفضل في ذلك يعود إلى الشيوخ الرقاديين الذين تمسكوا بالحفاظ عليها، فقد تعاقب عليها شيوخ أجلاء كرسوا أوقاتهم لخدمة الطلبة والوافدين وكانت قلعة لنشر الطريقة القادرية في إفريقيا وبلاد السودان الغربي وخير دليل على ذلك ما ذكره عبد المالك بن سيدي إغم الرقادي في كتابه كشف النقاب عن أخبار عقبة المستجاب وبعض أحفاده الأقطاب "من أن قرية العلم دبغت وطهرت في زاوية كنتة بتوات وملئت بتنبتكتو وشربت بولاته" وهو مثل تكروري قديم¹، فمن خلال هذه المقولة يمكن القول بأن هذه الزاوية كانت مركزا حيا لنشر الإسلام في هذه الربوع، وقد كانت هذه الزاوية على صلة وثيقة بمنبعها الحضاري والفكري في الشرق الموريتاني حيث كان لأعيانها جانبا مهما في تيسير ركب الحجّ الولائي السنوي الضخم، حيث كان الركب الحاجّ الولائي يخرج من ولاتة في تاريخ معلوم يقوده الحاجّ الأمين الولائي حتى يصل إلى واحات توات "في الجزائر"، ثم يقوده عبد الرحمن أبو نعامة الملقب بالبكاي الكنتي حتى تخوم فزان في "إيبيا" ومنها يتسلم رئاسة الركب الشيخ المختار بن طالب أعمر بن نوح البصادي...²، وهذه الصلة ليست غريبة لأن مؤسسي هذه الزاوية لهم امتدادات حضارية وفكرية هناك.

ظلت الزاوية الكنتية ب"توات" متألفة فكريا ودينيا منذ تأسيسها في القرن 11هـ 17م، لكن القرن الثاني عشر الهجري وبداية القرن الثامن عشر الميلادي (12-18م) كان عصرها الذهبي الذي أشعت فيه على غرب الصحراء والمشرق العربي، وقد وصف كبولاني هذه الزاوية في نهاية القرن التاسع عشر بأنها لاتزال لعهد "من أغنى الزوايا التواتية"، تجاوز إشعاع زاوية كنتة منطقة "توات" ليصل إلى بلاد أزواد، فأرسل سيدي أحمد الخليفة بن أعمر المتوفي 1092هـ، من قبل الشيخ سيدي علي المتوفي 1119هـ "وهو خليفة آنذاك لزاوية كنتة ب"توات" ليكون خليفة له في أزواد لهو دليل قاطع على استمرار عطاء زاوية كنتة خارج "أتوات".

إلا أن الكتاب والباحثين المعاصرين لم يستطيعوا فكّ هذا الإستشكال المتعلق بهذه الخلافة، فالبعض يعتقد أن سيدي أحمد الخليفة بن أعمر هو خليفة لـ سيدي

¹ - يحي ولد سيدي أحمد، ديوان الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص 65.

² - حماد الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، صص 219-220.

علي بعد وفاته، وهذه الرواية خاطئة، لأن سيدي أحمد بن عمر توفي قبل سيدي علي بكثير فكيف يكون خليفة له بعد مماته!

ولذلك يمكننا أن نطلق على هذا النوع من الخلافة "خلافة جغرافية" فيتأكد لدينا أنها خلافة في الحياة فقط وليست بعد الممات كما يتصور بعض الباحثين.

فمن خلال سيدي أحمد الخليفة هذا انتشرت الطريقة القادرية في أزواد، فعنه أخذها سيدي الأمين ذو النقاب الذي بدوره أعطاهم لسيدي علي بن النجيب وهو شريف كان يسكن في أحواز تينبكتوا وقد حمل هذا الشيخ السند القادري حتى تولاه منه فيما بعد تلميذه الشيخ المختار الكنتي الكبير، وهذا دليل على أن الشيخ علي بن النجيب قد عاش في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة/السابع عشر للميلاد والنصف الأول من القرن الثاني عشر للهجرة / الثامن عشر للميلاد، وتجدر الإشارة إلى أن السند القادري قد استمر طوال القرنين العاشر والحادي عشر للهجري/السادس عشر والسابع عشر للميلاد، بأيدي فقهاء من قبيلة كنتة الشهيرة ولم يخرج السند القادري عن نطاق هذه القبيلة إلا في الفترة المحدودة التي تولاه فيها الشيخ علي بن النجيب كما سلفت الإشارة، غير أنه سرعان ما عاد السند القادري إلى هذه القبيلة على يد الشيخ المختار الكنتي الكبير¹، هذا الشيخ الذي من خلاله انتشر الورد القادري في بلاد الصحراء والسودان الغربي ولكن ليس في بطن الركاكدة بل في بطن أولاد الوافي، ومن هنا نلاحظ أن الفرع سيطر على الأصل، أي أن السند المختاري الأزوادي سيطر على الفرع الأصلي وهو الفرع الرقادي التواتي المنبع، وذلك بفعل جاذبية حركة الشيخ سيدي المختار الكنتي، بل يمكن أن يقال أنه هو المؤسس الحقيقي والفعلي للتصوف الطريقي، وكانت الحياة الروحية قبله قائمة على نوع من التصوف النظري "التأملي" أو مايقوم مقامه من مختصرات "الرقائق" والمديح النبوي، ويرجع ذلك إلى أن الخطاب الفقهي كان مسيطرا في الحياة الفكرية والدينية في حواضر الساحل خلال عهد مملكة السنغاي الإسلامية بفعل تعاضم نفوذ الفقهاء ...، وقد كان مدار الصلة بين أهالي الأقليم ورموز المشايخ في المشرق قائما على "التبرك"، لذلك لم يؤثر عن أولئك الذين اتصلوا بأبي المكارم البكري القرن (16م) أنهم تلقوا عنه أورادا أو وظائف صوفية

¹ - مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، مرجع سابق، ص211.

محددة¹، وبظهور الشيخ سيد المختار استطاع أن يوفق بين الاتجاهات الفقهية والباطنية وذلك بمؤسسة التصوف الطريقي "ذي التبحر العلمي" وأصبحت له السيطرة على الخطاب الفكري في المنطقة، وكان المنهج التجديدي الذي يدعوا إليه عبارة عن مزج توفيق بين أصول الثقافة الإسلامية وفروعها، مع تغليب جانب الرياضة الصوفية المتقيدة بأحكام الشريعة، وتحفيز الابتعاد عن بعض المباحث، مثل المنطق وعلم الكلام أو عدم التعمق فيهما²، " فالمعتقد أن تأثير النموذج الطريقي الذي استقرت معالمه في عهد الشيخ سيدي المختار الكنتي، قد تجاوز مريدي هذه الطريقة ليشمل أغلب التنظيمات الطرقية التي انتشرت في الصحراء والسودان الغربي في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة القرن 18م³، على أن الإحياء الكبير للقادرية في القرن الثالث عشر وفي أواخر القرن الثاني عشر الهجري كان على يد مجددتها الشهير الشيخ مختار الكنتي الكبير (ت: 1226هـ/1811م)...وبعد تمكنه في العلوم وفي الطريقة أصبح سنة 1756م كبير شيوخها، وامتدت للدول السودان الغربي، ثم تواصل امتدادها مع أبنائه وأحفاده⁴.

لقد أنثرت جهود القادرية الكنتية في كثرة انتشار الزوايا الكنتية في إفريقيا والقطر المغربي كله...⁵، وبعد الشيخ سيدي المختار جاء ابنه الشيخ سيدي محمد الخليفة الذي كان يعتبر زعيما روحيا لعدد من الدول الإسلامية الإفريقية من ماسنه إلى سوكوتو، وابن الشيخ سيدي المختار الصغير الذي حافظ إلى الإشعاع الكنتي كبقية إخوته، والشيخ سيد أحمد البكاي بن الشيخ سيد محمد الخليفة الذي يعتبر من أشهر دعاة القادرية في السودان الغربي⁶، الذي حارب المد التيجاني وذلك بانتصاره على الدولة الفوتية وقضائه على زعيمها الحاج عمر، وحفيده الشيخ عابدين بن الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد

¹ - حماد الله ولد السالم، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص 247.

² - دود ولد عبد الله، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط، مرجع سابق، ص 163.

³ - دود ولد عبد الله، تحولات التصوف عبر الصحراء من الزاوية الرقادية إلى المدرسة المختارية، مرجع سابق، ص 32.

⁴ - عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، مرجع سابق، ص 395.

⁵ - الحسين ولد محنض، مدرسة الشيخ سيدي محمد الكنتي ودورها في التاريخ الموريتاني، مرجع سابق، بدون ترقيم.

⁶ - يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، مرجع سابق، ص 16.

الخليفة، الذي دانت له عموم بلاد أزواد ولم يكن يصدر أمر في تنبكتوا ولا في دولة أحمدو لبو الماسني إلا عن رأيه، وحفيده الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي محمد الخليفة الذي حاول تأسيس إمارة إسلامية في الشمال، حينما جاء من منطقة أزواد سنة 1856م (1272هـ) في وفادة إلى قبيلة الركييات بالصحراء، ثم بنى دارا ببئر أم اكرين واتخذها موطنًا له، وامتد نفوذه إلى آدرار والساحل، وبايعته قبائل كثيرة، وزاره محمد بن أحمد ابن عيده في مقره ببئر أم اكرين، واعترف بإمامته¹، وكانت لهما أيام مشتركة، ودخلا آدرار ظافرين، وظل نفوذه يتعاضم إلى أن قتل عند تورين بـ"گور اگنيفيده" من طرف تحالف أولاد أبي السباع وأرگييات سنة 1281هـ/ 1865م.

ولا يزال الإشعاع الكنتي في هذه البلاد يمد إفريقيا والمغرب العربي والمشرق الإسلامي حتى يومنا هذا²، وقد امتلكوا أهم مصادر الثروة فيها من مناجم وواحات³، حيث امتلكوا أكبر مناجم الممالح مثل "تغازة ومملحة اجل"⁴، ونشروا العلم والتصوف، وإليهم تعود أعلى السلاسل القادرية، وقد بلغوا من الصيت والرفعة والانتشار في الأرض وكثرة العظماء مبلغا كبيرا⁵، في وقت ما زالت فيه النهضة العلمية لعلماء بلاد شنقيط في بواكيرها⁶.

استمر الكنتيون يغذون المجتمعات بالأفكار والثقافة الإسلامية...، مما أسهم في نشر تعاليم الطريقة بسرعة كبيرة⁷، ولقد أمكن لهذه الطريقة في مدة وجيزة أن تنتشر في عدة أنحاء من القارة وأن توجد لها زوايا في غدامس وغات

¹ - ببيير بونت، إمارة آدرار الموريتانية، مرجع سابق، ص 60.

² - الحسين ولد محنض، مدرسة الشيخ سيدي محمد الكنتي ودورها في التاريخ الموريتاني، مرجع سابق، بدون ترقيم.

³ - امتلكت كئنة الواحات الكثيرة، كواحة المبروك القديمة وواحة "الميمون" المندثرتان، "وواحات الواد الابيض بنگانت" "وواحة تاوجافت" والرشد "وواحات تامورت النعاج في تكانت بموريتانيا"، "وواحات في آدرار الموريتاني"، بالإضافة على واحاتها في "زاوية كئنة بتوات وأقبلي بالجزائر".

⁴ - حماد الله ولد السالم، تاريخ شنقيطي موريتانيا، مرجع سابق، ص 234.

⁵ - الحسين ولد محنض، تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، مرجع سابق، ص 259.

⁶ - الحسين ولد محنض، مدرسة الشيخ سيدي محمد الكنتي ودورها في التاريخ الموريتاني، مرجع سابق، بدون ترقيم.

⁷ - نقلا عن يحي ولد سيدي أحمد، الديوان الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص 56.

وتوات ومرزوق في قلب الصحراء¹، وينبئنا تاريخ كنتة أن أسفارها في سبيل الدعوة إلى الإسلام دفعت بها إلى سائر أنحاء الصحراء فوصلوا شمالا حتى "السوس" و"تافيلالت" و"توات"، وجنوبا في اتجاه "تنبكتوا" والسودان حتى "كاتسينا" و"كوبير" في شمال نيجريا²، وقد يكون نفوذ هذه الطريقة وصل إلى أبعد مما أشار إليه صاحب الطرائف والتلائد إما لعدم علمه به أو لأن الطريقة لم تصل إلى أبعد من ذلك في حياته، وما هو مؤكد أن الطريقة وصلت إلى أهم المدن المغربية، وكان يتردد على مضارب كنتة أشخاص من المغرب الأقصى راغبين في أخذ الورد القادري، وقد كانوا كثيري العدد³، من بينهم عبد الخالق بن أحمد الدباغ كان من أفراد الطريقة المختارية بمراكش، وكان فقيها مدرسا نبيلًا... والزاوية المختارية بمراكش كانت مدرسة تُنسب لحمَّ يحه مضافة للأحباس الكبرى، ثم حولها السلطان سيدي محمد عبد الرحمن وجعلها زاوية للكننتين.... كما أخذ العالم يحيى بن مسعود البكري المتوفي سنة 1844م القادرية الكنتية⁴، إضافة إلى أن للسلطين المغاربة علاقات تتلمذة مع الطريقة القادرية الكنتية العمرية⁵، خصوصا السلطان سيد محمد بن عبد الله، والسلطان سليمان، وكذلك عبد الرحمن بن هشام والسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن وبعض خاصته... وأخذها كذلك عبد الله بن أحمد البخاري... ولاه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن وزارة الحرب وتنظيم العسكر... وغيرهم كثير⁶، ومن أشهر الذين أخذوها من المغرب الفقيه محمد بن أحمد الأزموري الذي وصفه صاحب الإعلام بأنه آية في الحديث والفقه وطريق القوم،... فانتشر صيته في البلاد والأقطار يُلقن الناس الأوراد المختارية... وقد شدت له الرحال من أقطار المغرب، وشيد بها الزاوية المختارية... ومن أشهر الآخذين

¹ - التليلي العجلي، التنفذ الطريقي و الحملات الاستكشافية للصحراء الإفريقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أوراق المؤتمر العلمي "التداخل و التواصل في إفريقيا"، منشورات جامعة الخرطوم، الخرطوم، يناير 2006م، صص 5-45.

² - يحي ولد سيدي أحمد، الديوان الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص 55.

³ - أحمد البكاي الكنتي، ذخيرة السرمذ في جواب الشيخ أحمد لبو الماسني، مصدر سابق، ص 31.

⁴ - العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام، راجعه عبد الوهاب ابن منصور، ج8، المطبعة الملكية، الرباط، ط3، 1993م، صص 53-56.

⁵ - الحسين المعماري، مرجع سابق، ص 283.

⁶ - يمكن الرجوع إلى: العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام، ج8، مصدر سابق، صص 77/338/54.

عليه عالم الرباط سيدي إبراهيم التادلي... ومنهم سيدي عبد الكبير الفاسي... الخ¹.

وقد اندفع الدعاة الكنتيين أبعد من ذلك إلى قلب إفريقيا وانتشر تأثيرهم الديني جنوبا في عمومها حتى ناهز الكامرون، مما جعل إشعاعهم في إفريقيا يغطي مساحات أكبر من مساحة الأندلس ولا يزال إشعاعهم ممتدا فيها حتى الآن².

إن المكانة الاجتماعية والدينية والعلمية السامية التي حظي بها رجال القادرية الكنتية في الوسطين البيضاني والسوداني، تعد وحدها مجالا خصبا للبحث والمعرفة، إذ كيف تمكن هؤلاء من الاستئثار بتلك الرتبة المشرفة ولم نجد اليوم طائفة على نهج السنة المحمدية إلا طريقتين، طريقة شيخنا سيدي المختار الكنتي، وطريقة شيخنا سيدي أحمد بن ناصر³، شهادة لأحد معاصري الشيخ سيدي المختار الكنتي، تبرز مكانة الطريقة القادرية بين الطرق المعاصرة لها، وهذا الشخص هو محمد الأمين الصحراوي، لاشك أنها شهادة حية لمكانة الطريقة بين باقي الطرق اكتسبتها بسمعة رجالها الذين أفنوا حياتهم في سبيل نشر مبائدها والتقيد قدر الإمكان بضوابط شرعية تلزمهم إتباع المرونة وعدم المغالاة.

لقد تناول الكنتيون الطريقة القادرية في العديد من مخطوطاتهم،... لهذا ظهر منهم مشائخ اتصفوا بالكمال من الناحية الدينية والروحية، فحازوا أعلى المراتب واستطاعوا أن يدخلوا الطريقة القادرية إلى العديد من الأقطار،... ولقد انقسم شيوخ كنتة... إلى قسمين:

-القسم الأول: وقد جمع أصحاب هذا الصنف بين التصوف والتأليف والتعليم والفتوى، ولهذا نجدهم قدموا أعمال جديدة في الدعوة للطريقة القادرية.

¹ - العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكز وأغمات من الأعلام، ج6، مصدر سابق، ص317 وما بعدها.

² - الحسين ولد محنض، مدرسة الشيخ سيدي محمد الكنتي ودورها في التاريخ الموريتاني، مرجع سابق، بدون ترقيم.

³ - محمد المنوني، المدرسة الكنتية كأبرز قناة للتواصل بين الإفريقيتين في العصر الحديث، مرجع سابق، ص63 نقلا عن: محمد الأمين الصحراوي، المجد الطارف والتالد، مخطوط، الخزانة العامة، الرباط، ك588.

-القسم الثاني من شيوخ كنتة¹ يضم الصلحاء من الشيوخ الذين اشتهروا بالزهد في الحياة وكثرة الأذكار، ...².

وترجع أهمية الطرق الصوفية أنها سهلت انتشار الاسلام بين الأقوام السودانية وجعلتهم يتعلقون به ذلك أن التصوف يقود أهله إلى الزهد في متاع الدنيا، ولجماعاته مبادئ تسير على هداها، وقوانين تنظم علاقات أفرادها بعضهم ببعض، ولهم أهداف يسعون إلى تحقيقها، والطريقة الصوفية روحها الحب وأساسها التفاني في حب الله (سبحانه وتعالى)، وتقوم بالرياضة التي تسموا بها النفس إلى درجة الاتصال الروحي بالملأ الأعلى، فيصير كل ماعدا الله باطلاً حقيراً³، وتطهير النفس من أغراضها الدنيئة لتتغذى بالحب الصافي النابع من عيون نورانية وقلب ملائكي يحمل من المعاني ماتعجز الألفاظ عن ترجمتها، ومن الأوربيين من أرجع سهولة انتشار الاسلام بين السودانيين إلى الطبيعة النفسية لهؤلاء وأن هناك صلة للإسلام وثيقة بنفسية الإفريقي... ذلك أن تقارباً عظيماً قد ربط بين العقلية الأفريقية والتقاليد الإسلامية... اننا نجد الدعاة المسلمين ينفذون إلى قلوب الإفريقيين الوثنيين، ويحولونهم إلى الإسلام... فأصبح الزنوج ينظرون إلى الإسلام على أنه دين السود⁴.

يرى القادريون سبب انتشار طريقتهم في الآفاق إلى مبادئ الطريقة نفسها، فهي تنبني على أسس أخلاقية راقية تدعوا السالك أولاً إلى التمسك بقواعد الإسلام والمحافظة على السنة مثلما تحث المريدين على الرأفة والتسامح⁵. ولما جاء القرن التاسع عشر، كانت السيطرة الروحية والفكرية تامة لجماعات القادرية في أكثر من نواحي إفريقية الغربية، وعلى يد رجال القادرية تحول الدخول للإسلام من حالات فردية إلى حالات جماعية¹.

¹ - وهذا القسم من شيوخ كنتة خلدت أسماءهم في الذاكرة الشعبية نظراً لما اشتهروا به من أعمال الخير التي قاموا بها لصالح العام، وأقنوا حياتهم في الزهد وضحوا بأموالهم وأعمارهم في إصلاح ذات البين وإغاثة اللهفان والفقير والمحتاج في الزوايا التي أسسوها وساهموا في تسييرها لتؤدي دورها الخيري لكل المسلمين وأبناء السبيل، وبعد وفاتهم خلدت قبورهم بأضرحة وزيارات سنوية يتوافد عليها الناس قاصيهم ودانيهم، يمكن الرجوع إلى : محمد الصالح حوثية، آل كنتة دراسة تاريخية، مرجع سابق.

² - محمد الصالح حوثية، آل كنتة دراسة تاريخية، مرجع سابق، صص 237-241.

³ - الألوري، مرجع سابق، صص 62-63.

⁴ - نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مرجع سابق، ص 135.

⁵ - أبو بكر القادري، الشيخ عبد القادر الجيلاني ودوره في الدعوة الإسلامية في أنحاء العالمين الأسبوي والإفريقي، الدار البيضاء، 1999م، ص 263.

وعلى كل حال فإننا سنجد أنفسنا إذا ما حاولنا، وبناء على كل ما سبق رسم خارطة لمدى نفوذ الطريقة القادرية الكنتية، أمام ما يمكن أن نسميه مجازاً "إمبراطورية صوفية" متربعة على مساحة تمتد من مشارف الصحراء شمالاً، إلى أواسط القارة الإفريقية في عمق بلاد السافانا، ومن المحيط الأطلسي غرباً إلى بحيرة تشاد شرقاً ودارفور، ضامة بذلك السودان الغربي ككل، والسودان الأوسط إضافة إلى أهم أجزاء الصحراء الكبرى خصوصاً صحراء الممتدة من شمال تشاد شرقاً حتى الحافات الغربية للصحراء على المحيط الأطلسي، ليصل نفوذها إلى الواحات الشمالية كتوات وإقليم السّاوره وورقلة وأرض الطاسيلي وواحات درعة ووواد نون والساقية الحمراء ، وباقي المدن المغربية المغرب.

فما إن جاء القرن التاسع عشر الميلادي، حتى كانت الطريقة القادرية الكنتية البكاية قد تمددت عبر الغرب الإفريقي منتشرة من المحيط الأطلسي غرباً حتى بحيرة تشاد شرقاً².

إن الخريطة الجغرافية لنفوذ كنتة قد أخذت شكلها الحالي تحت وطأة الاستعمار، الذي دخلت القبيلة في مواجهة معه منذ القرن التاسع عشر الميلادي ثم نتيجة لعامل التصحر، فشرعت كنتة في ارتياد أطراف بقاع نفوذها قصد الإستقرار، علماً أن كنتة المجتمع البدوي "كانت تخضع لقانون تحرك البداية من المحيط الاطلسي غرباً إلى منطقة إهير شمالي النيجر حالياً ومن تخوم بلاد السودان الغربي جنوباً إلى أطراف الصحراء الكبرى شمالاً كل هذا يقوي الاعتقاد بكون الطريقة القادرية الكنتية حافظت من خلال تسربها في أوساط هذه المجتمعات، على قدر معين من التهدئة، وكالاحترام والتبجيل الكبيرين الذي حظي به رجالها في أوساط العامة والخاصة، "فقد تحقق للزوايا بالطرق الصوفية من السلطة مالم يكن ليتحقق لهم بقوة السلاح، وقد استطاعت الطرق أن تقيم "دولا" وأشباه دول غير معلنة أساسها شعبية عارمة تدعمها دبلوماسية حصيفة وروح سلمية تتحلل في مواجهتها قوة الرجال

¹ - أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، الجزء السادس، مرجع سابق، ص212.

² - عمر عبد الماجد، التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص168.

المسلحين، وبذلك أسسوا دولة في القلوب إذ كانوا أهل سلطة ونفوذ بين الناس مسموعي الكلمة"¹.

هذا وحتى نتعرف على مساهمة الكنتيين في حركة التصوف من خلال نشاط الطريقة القادرية يجدر بنا أن نشير إلى ما كان يتوجب توفيره في المريد والطريقة والورد القادري الذي أخذ به شيوخ كنتة، فالمريد القادري حسب ماسجله شيوخ كنتة عليه أن يتحلى بسلوك وآداب الطريقة...².

ويستظهر أتباع القادرية العمرية الكنتية أذكارا وأورادا وهي مزيج من أذكار وأدعية وأحزاب تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ المختار الكنتي الكبير، ويصفها الشيخ المختار الكنتي بأنها: (عقود وعهود أخذها الله على عباده بواسطة المشائخ) ويعتقد المريدون في غرب إفريقيا والصحراء بأن هذه الأوراد جمعت بركة الشيخين الجيلاني والكنتي، وتقام في كتمان وسرية...³، وهذه الأوراد تختلف نوعا ما عن أوراد من نفس الشيء لدى فروع القادرية ومن ضمن هذه الأوراد:

200 مرة حسبنا لله ونعم الوكيل .

200 مرة استغفر الله العظيم .

100 مرة لا إله إلا الله الملك العظيم الحق المبين.

100 مرة اللهم صل على محمد وآله⁴.

وفضلا عن هذا الذكر الذي يعتبر التزاما دقيقا، هناك عدد من الأدعية الطوعية التي تُولف (الوظيفة)، والتي تقرأ في الاجتماعات التعبدية التي يعقدها الإخوان في ليلة الخميس أو الجمعة، ولندكر تلك التي تقال في آن واحد عقب صلاة العشاء وقبل صلاة الفجر:

¹ - الخليل النحوي، المنارة والرباط، مرجع سابق، ص 313 .

² - للإطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى :محمّد الصّالح حوثيّة، آل كنتة دراسة تاريخية، مرجع سابق، صص 241-242.

³ - عزيز بطران، الشيخ المختار الكنتي الكبير وأثره في نشر الإسلام، مرجع سابق، ص 205.

⁴ - بول مارتى، كنتة الشرقيون، مرجع سابق، ص 151.

- "اللهم أغفر للذي كان ملاذ الإنس والجن سيدي وشيخي عبد القادر الجيلاني، وكذلك لكل أشياخنا من الأول إلى الأخير" (3مرات)¹.

وعندما ينتهي الورد وأما كيفية أدائه فإنهم يقرؤون في الركعة الأولى سورة الكوثر ستا وفي الثانية سورة الكافرون ستا، وفي الثالثة سورة الإخلاص ستا وفي الرابعة سورتي المعوذتين، وفي الخامسة آية الكرسي مرة، وفي السادسة (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل) مرة، ويذكرون في السجود قوله تعالى (رب اشرح لي صدري ويسرلي أمري)².

ويورد كتاب الطرائف والتلائد خصائص الطريقة التي تميزها عن باقي الطرق الأخرى "ومن هذه الخصائص خلوها عما في غيرها من الطرق من الشطح والتماوت والتغاشي والرقص ورفع الصوت بأذكار المستغرقين كهو هو، وياهو، وياه وياه، والله الله، ونحو ذلك من الانشادات والسماع، وإن كان كثير من مشايخ السلسلة لا يابى السماع ولا ينكره، إلا أنه لا يتعاطاه ولا يأخذ عنه طريقا، وليس فيها لباس الخرقه والدلف، وإن صح عن الشاذلي والحسن البصري، بل المعهود المتعارف بين مشايخ طريقتنا وأعيان طائفتنا مناوله الشيخ لخليفة عندما يعهد إليه بسبحته أو سجادته أو عكازه أو نحو ذلك مما يختص به"³.

فقد كان مشائخ الطريقة القادرية الكنتية قد عرفوا بتضلوعهم من معارف المحاضرة (الكتاتيب) قبل تزعم للمشيخة والدعوة إلى الله، وكانوا يربطون تربية المريد ما لم يكن قد أخذ بنصيب وافر من علوم الشريعة واللغة، وقد أثرى هؤلاء المشائخ المحاضرة بأنفسهم⁴.

ويكفيهم أن هذه البلاد لم تعرف سلالة تسلسل فيها العلم والولاية لعشرة أجيال متتالية الا في قبيلة كنتة وقد نقل لنا الشيخ سيدي المختار الكنتي هذه السلسلة التي اطلق عليها العلماء اسم سلسلة الذهب الكنتية ⁵.

¹ - بول مارتى، كنتة الشرقيون، المرجع السابق، ص 152.

² - محمد الصالح حوئية، توات والأزواد، الجزائر، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج1، 2007م، ص184.

³ - بول مارتى، كنتة الشرقيون، نفس المرجع، ص153.

⁴ - محمد الصوفي بن محمد الأمين، المحاضر وأثارها التربوية في المجتمع الموريتاني، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد بن سعود، الرياض، 1406 هـ، مرقونة، ص146.

⁵ - الشيخ سيد المختار الكبير، الارشاد أو كتاب المنة، مصدر سابق، ص34 وما بعدها.

خاتمة:

إن بواكير النهضة الفكرية الإسلامية في القرنين 18 و19م التي عرفت فيها مناطق مختلفة في المشرق الإسلامي، وكانت بمثابة المقدمة لعصر الصحوة الإسلامية المعاصرة، فإن الفضاء الموريتاني السوداني قد شهد بدوره ميلاد علماء ومفكرين كبار رفعوا شعار التجديد الديني والسياسي... الخ، وكان لهم أثرهم البارز في الحياة الفكرية والعملية لشعوب المنطقة، لكن ضريبة الموقع القصي في ديار الإسلام، وصدمة الهجمة الاستعمارية، وما خلفته من استلاب وتجهيل وتخلف، كلها عوامل ساهمت في إجهاض مشروع هؤلاء العلماء ودورهم التجديدي الذي كان يمكن أن يكون له إسهام لا يقل أهمية عن إسهام الأسماء الفكرية اللامعة في المشرق والمغرب.

مما لا شك فيه أن علماء كنتة كان لهم دور كبير في حياة المجتمعات في موريتانيا والسودان الغربي، وكانت لهم رؤية فكرية سياسية عميقة قدمت مقاربات - متقدمة بمعيار عصرها - لمختلف الإشكالات الفكرية والسياسية والاقتصادية المطروحة في السودان الغربي وموريتانيا ولعبوا أدواراً رائدة من قبيل ترشيد سلاطين السودان وممارسة الأمراء وزعماء القبائل وترسيخ السلم الأهلي وتأمين السبل والدفاع عن الضعفاء وإشاعة روح العمل الجماعي والاهتمام بالشأن العام.

حيث كانوا يقفون سدا منيعاً ضد الفتن التي تحدث بين الفينة والأخرى بين الممالك والامارات والقبائل في المنطقة، إن الخبرة التربوية والتاريخية المتراكمة لعلماء كنتة قد استفاد منها الكثير من المجتمعات الموريتانية والسودانية.

إن أهم عبرة يمكن استخلاصها من هذا الموضوع هي أن التجربة العلمية انطلقت منهجياً في مواجهة مع محيطها الداخلي - من إعادة تشكيل الذات من جديد على أساس إعطاء العلم مكانته، وتوظيفه في التعامل مع مشاغل الحياة كلها، وأسس علماء كنتة بذلك نظاماً علمياً حاولوا من خلاله أن يدمج فيه الخاص (القبلي) بالعام (الآخرين مهما كانوا) أي المصالح العامة بالمصالح الخاصة، وطبعاً كان هدفه القضاء على الأفكار القبلية الضيقة، وتجاوزها إلى

حدود الفكر الذي تحكمه قوانين الشريعة وفق مبدأ الحق والواجب والمسيء يعاقب والمحسن يجاز.

لقد سخر علماء كنتة أقلامهم لمعالجة مشاكل موريتانيا والسودان الغربي السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية... الخ، والبحث عن الحلول الناجعة لها، ويدخل في هذا الإطار ما أ نتجوه من كتب ورسائل وفتاوى وقصائد وخطب في الإصلاح، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الخارجين عن النظام (المهدويين)، ومواجهة المتسلطين من أرباب الشوكة، وشيوخ القبائل المحاربة، وذلك راجع إلى خصائص الإصلاح لديهم والنظرة الثاقبة لتلاحم وجمع المسلمين في إطار الإجماع.

تعتبر منطقة موريتانيا والسودان الغربي فضاء واسعاً، وهي بذلك مجالا للعديد من القبائل التي أسست إمارات خاصة في محيطها الجغرافي وكذلك ممالك، وكانت العلاقات بينها في الغالب متوترة وساد النهب والسلب والإغارة ولم تكن للقتال عندهم قواعد متعارف عليها، وإنما هو كر وفر واغتيال في مناسبات، ولم تكن لهذه الامارات والسلطنات نظم محددة ومتعارف عليها في اختيار الامير أو السلطان باستثناء الدولة الفودية ومملكة ماسنا "دينا"، والغالب فيها تكون السلطنة أو الامارة وراثية وهو ماجعل حضور العلماء والشيوخ ضروريا في تحديد الواجبات والحقوق المتعلقة بالأمراء والسلاطين، وقد كان لحضور بعض علماء كنتة دورا كبيرا في فض الكثير من المنازعات وفي تحريك مجريات الاحداث السياسية، لقد سعى كثير من السلاطين والامراء في منطقة السودان الغربي وموريتانيا إلى التعامل مع علماء كنتة بوصفهم المصدر المحلي للشرعية والمشروعية رغم ماكان من توتر بين حسان(أهل الشوكة) والزوايا (أهل العلم) حيث أحيط العلماء بالاجلال والتقدير، بل يعتبر البعض أن تقارب العلماء والامراء كان عنصرا تأسيسيا في ظهور الإمارات وتميزها عن غيرها من المشيخات القبلية حيث كان للعالم والشيخ حرم آمن لايمكن انتهاكه .

لقد كانت سياسة علماء كنتة تجاه الامارات الموريتانية والسلطنات السودانية تستند على العلم والاحترام، وذلك يرجع إلى التقوى والورع والصلاح لدى هؤلاء ممامكنهم في التدخل في حل الصراعات لقد كثرت الرسائل السياسية

والمدونات الافتائية التي تحرص على المحافظة على السلم والأمن لشعوب منطقة موريتانيا والسودان الغربي، وتتميز هذه الرسائل والمدونات بطول وكثرت الشواهد من القرآن والسنة المطهرة واعتماد لغة مسبوك وقوية، واستعمال قريب اللغة في بعض الاحيان من ذلك رسالة أحمد البكاي إلى الامير أحمد ولد عيده أمير آدرار: " وإني أرى أن أولاد حسان وأولاد سيداحمد الكنتي قد نسوا العهد والود الذي كان بين آبا ئهم ... ولا تجد يا أحمد لنفسك وللولدك من بعدك أحدا ككناتة لدين ولادنيا" تحمل هذه الرسالة العديد من الاشارات التي تخدم المقصد الذي يريده المخاطب .

إن الرسائل التي كان العلماء الكنتيون يتوجهون بها إلى المجتمعات الموريتانية السودانية تعتبر أوضح الشواهد على نوع التدخل وشكله وسياقه العام .

وبذلك مثلوا أهم أداة للمصالحة والسكينة والأطمئنان للشعوب السودان الغربي وموريتانيا، لقد حمل العلماء الكنتيون مشعل الهداية والنور لشعوب السودان وموريتانيا وتكشف هذه الدراسة عن نفوذ وتأثيرات الكنتيين وإسهاماتهم في بناء عقل الجماعات السودانية والموريتانية وتواصلهم مع الفوديين والماسنيين، وحروبهم مع الفوتيين، لقد توغل الفكر الاصلاحى لدى علماء كنتة في أبناء مجتمعات موريتانيا والسودان الغربي من خلال تربية النفس والذات وسياسة السلم والمهادنة عكس الجهاد.

وإجمالاً فالقادرية هم أشد المسلمين تحمسا لنشر الدين الإسلامى في غرب إفريقيا ، وهم ينشرون الإسلام بطريقة سلمية ودعوية ، بل أكثر من ذلك، تجد جميع التجار قبائل الزنرج الذين من السنونكي والماندينجو المنتشرين على مدن نهر النيجر وفي بلاد كارتا وماسينا كلهم من مريدي الطريقة القادرية الكنتية.

وقاموا بنشاط عظيم في إنشاء الزوايا والربط المدارس وإرسال البعوث تبث الدين الإسلامى بين الوثنيين جامعين بذلك بين معالم بشرية متنوعة،فانتشرت انتشارا واسعا ..ما بين عرب بيضانين وطوارق وسودانيين، تجمع فيما بينهم وحدة الدين والمذهب والعقيدة.

ولقد قامت هذه الطريقة خلال الثاني عشر والقرن الثالث عشر الهجري بنشاط كبير في غرب القارة الإفريقية وبالأخص في الصحراء الكبرى وبلاد السودان الغربي والأوسط وأخذ عن مشايخها أكابر العلماء ورجال الدين والسياسيين، فقد كان مريدو أشياخها مبشرين فعليين حتى يمكن أن نعتبر أن كل المجموعات التي تتبع الطريقة القادرية في غرب القارة الإفريقية لها علاقة مباشرة بالزاوية الكنتية.

يتبين لنا مدى اتساع نفوذ الطريقة القادرية، لدرجة أنها جمعت ما بين كيانات سياسية مختلفة اشتهرت بعداء بعضها البعض، كحالة البرنو وأمراء الفلان في سوكونو، وفلان ماسينا وأمراء البنبارة، وكذلك ما بين قبائل ما يفرقها أكثر مما يجمعها، كالطوارق والقبائل البيضانية، وقبائل بني حسان فيما بينها، كل هذا يقوي الاعتقاد بكون الطريقة القادرية الكنتية حافظت من خلال تسربها في أوساط هذه المجتمعات، على قدر معين من التهدئة، مستعملة كما أشرنا سالفاً المكانة والاحترام و التبجيل الكبيرين الذي حظي به رجالها في أوساط العامة والخاصة.

على كل حال تبقى القادرية الكنتية ورجالها مدرسة وفكر إصلاحية وسياسية توغلت في أوساط الطبقة الأرستقراطية السودانية، من سوكونو حتى مرتفعات أعالي السنغال وفوتاجلون مروراً بماسينا، محاولة احتواء الأنظمة السياسية بالمنطقة، وفرض أكبر قدر ممكن من التهدئة قصد خلق جو ملائم لانتشارها، إذ أنها تنموا وتنتعش في أجواء السلم والمهادنة، ولذلك عرفت بدبلوماسية الهادئة بعيدة عن العنف، فليس من الغريب إذن والحالة هاته أن تنتمي إليها حركتا عثمان الفودي وأحمدو لبو.

من خلال الاطلاع على مختلف مفاصل وأحداث التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي لشعوب المنطقة نجد أن علماء كنتة أمتلكوا تقاليد وخبرة تاريخية متجذرة متراكمة أهلتهما فيما يبدوا لأستيعاب صيرورة الأحداث في موريتانيا والسودان الغربي، وقد ساهم على ذلك بالطبع الحضور المبكر نسبياً للأجداد الكنتيين في الصحراء، وبقية المناطق الأخرى ، لذلك تجد في مؤلفاتهم عموماً والتاريخية خصوصاً تبصير القيادات السياسية في المنطقة بعبر التاريخ وعظاته وتجاربه.

تميز التصوف القادري الكنتي أنه لم يعرف ذلك الجدل -بحدة كبيرة- الذي عرفه أصحاب التصوف في أقطار العالم الإسلامي، أو ما يعرف بصراع الفقهاء والمتصوفة، لأن المتصوفة في بلاد شنقيط كانوا فقهاء، إذ تمثل حضرة الشيخ سيد المختار مجالا للعلم والتصوف فسيحا فتبارز العلماء الآتون من شتى الجهات، في تدارس فنون العلم¹ ...

لقد سعت جاهدا بكل ماوسعني في هذه الدراسة إبراز دور خطاب إصلاحي سياسي كُنتي له مسحة صوفية عملية معتدلة ساعد في خلق استقرار روحي ديني اجتماعي سياسي في منطقة عرفت بقساوة ظروفها الطبيعية، وشظف عيش أهلها، وفضاضة طباعهم زد على ذلك تمردهم في بعض الأحيان على سلطة أي تنظيم إداري أو سياسي .

كما سعت كذلك أن أوضح أن مساهمة العلماء الكنتيين السياسية والإصلاحية في حياة سكان موريتانيا والسودان الغربي تأتي في وقت استثنائي وظرفية خاصة، حيث الفوضى والتناحر بفعل تداعيات انهيار مملكة سنغاي في السودان الغربي والتفاعلات المستمرة لقيام الإمارات البيضانية في موريتانيا وما رافقها وتخلل مسيرتها من صراعات أهلية مريرة وقد خلت الساحة من شخصيات علمية إصلاحية معتدلة كارزمية، تملك وضوحا في الرؤية والتصور حول طبيعة التحديات التي تواجه المجتمعات الصحراوية الموريتانية السودانية، في وقت كان التهديد الأجنبي بارزا للعيان، حيث استقر الفرنسيون في سان لويس بالسنغال والبرتغال في الجديدة بالمغرب والأسبان في وهران وسبتة.

نتائج الدراسة:

مما تقدم نستطيع أن نستخلص حقيقة وهي أهمية الأدوار الذي لعبها علماء ومشائخ قبيلة كنتة وحضورهم المتميز في المنطقة لقرون عديدة، فقد شكلوا ثقلا حقيقيا، وعاملا مؤثرا في كل مظاهر الحياة في المنطقة المدروسة (في الدين والسياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع).

¹ - محمد الأمين فاضل، الطرق الصوفية في موريتانيا، والتعريف بمشائخها، مرجع سابق، ص 561.

*- أكثرية السكان منطقة السودان الغربي لم تتعرف على الإسلام إلا من خلال القادرية الكنتية، ولذلك وصفهم أحد الكتاب بأنهم "من أحسن مبشري الدين الإسلامي في غرب إفريقيا".

*- إن تراث وتجربة علماء كنتة واسهاماتهم المختلفة في شتى ربوع موريتانيا والسودان الغربي، كان لها مشعل الهداية والنور والعلم والاحترام والنهي عن المنكر والابتعاد عن الفتن والحروب.

*- تبرز كتاباتهم استمرار حياة الفقه السياسي الإسلامي في أطراف العالم الإسلامي الغربية، في عمق الصحراء الإفريقية البعيدة عن المركز، حيث قدم العلماء الكنتيين المصلحون في هذه الأطراف مدونات سياسية وفكرية عالجت الواقع المعيش في مناطقهم، وأبانت عن حيوية فقه السياسة في السودان الغربي وموريتانيا حيث الحياة البدوية بكل ماتعنيه من صعوبات تكييفها مع الأحكام الفقهية والشرعية وحتى الدنيوية، ولكنهم نجحوا في ذلك أيما نجاح.

*- اشتهر علماء كنتة بالزعامة الدينية بقدر ما اشتهروا به من زعامة سياسية بالإضافة إلى الخبرة التجارية التي عُرفت بها المجموعة الكنتية .

*- لقد حاول علماء ومشائخ كنتة علاج المعضلات السياسية في واقعهم اعتمادا على مقاربات الاجتهاد والفتوى الشرعية التي تميزت بخصائص هامة، تجاوزت بها ما كان سائدا في عصرهم من انكماش وتقليد وجمود، ميز الإنتاج الفكري لهذه الفترة في جل أقطار العالم الإسلامي إلا قليلا من البقاع التي قدمت نماذج من العلماء المجددين، مصداقا للآثار العديدة التي تحدثت عن سنة ابتعاث العلماء الربانيين "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها وهذا التجديد يقوم على إحياء العقيدة وأصل الإيمان، وتعميق مطابقة سلوك المجتمع الإسلامي لمقتضيات الشريعة التي تنزل عبر سلطة الاجتهاد في كل عصر ومصر طبقا لمراعاة الظروف، لقد شغل التجديد الديني حيزا كبيرا لدى علماء كنتة وذلك من حيث تناول والعمق والشمولية – في التقاليد العلمية والدينية في الفضاء الشنكيطي الموريتاني والسوداني، هذه الرؤية الشمولية لواقع الأمة، وهذا النجاح الكبير في الجمع بين الفكر والممارسة الدنيوية والدينية جعلت

فكرهم يحظى بشهرة واسعة في وقت لم تكن فيه وسائل التواصل كما هي عليه اليوم ولعل أكثر ما يبرهن على ذلك احتفاء المفكرين والعلماء العرب والغربيين بالتراث العلمي للعلماء الكنتيين كالعلامة كالطهطاوي الذي أشاد في كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"، والذي عده المؤرخون واحداً من أهم كتب النهضة الثقافية التي كتبت في الفترة الحديثة، إذ احتفى رفاعة الطهطاوي بالتراث العلمي لعلامة الصحراء الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير (ت1811م)، في إشارة تحمل أكثر من دلالة على الطابع التجديدي لهذا التراث ووصوله لكبريات الحواضر الثقافية العربية.

*- لقد أسست **قبيلة كنتة** لواحدة من أهم العلاقات الثقافية في المنطقة؛ وذلك بتكريسها للفكر الصوفي المستنير الذي مد جذور التنوير والعلم في آفاق إفريقية، ونقصد هنا دور الطريقة القادرية في ربط شمال إفريقيا بغربها ربطاً ثقافياً وسياسياً وأمنياً.

*- كانت القادرية الكنتية جزءاً أساسياً من الضمير الجمعي، ودافعت عن الذاتية الحضارية للشعوب المنطقة، وتوجيه الاقتصاد المحلي: تنظيم القوافل التجارية، حفر الآبار، بناء القرى، وأخترق كل الحواجز ومد الجسور بين قبائل شتى وأجناس وأعراق مختلفة، وأن تنظم قوى بشرية لم تستطع القبيلة تنظيمها، فكانت بمثابة أحزاب سياسية... يسودها الانضباط والطاعة والمحبة، لقد أثرت الحركة الصوفية الكنتية في حركة العلم والمعرفة في المنطقة المدروسة.

*- أسهمت القادرية الكنتية إسهاماً فعالاً في الدفاع عن بلاد شنقيط والسودان الغربي من الاستعمار الأجنبي، والحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية في إطار ما عرف بالمقاومة الثقافية التي تلت المقاومة العسكرية.

*- من النتائج الدّور التاريخي العظيم الذي لعبه العلماء الكنتيون في ترسيخ حركة التصوف الإسلامي السني المعتدل في بيئة المنطقة المدروسة، هو كيف نهضت القادرية الكنتية التصوفية بواجبات الدعوة والإصلاح.

*- من خلال قراءة عاجلة ومتفحصة في التراث العلمي والصوفي لعلماء كنتة هو إدراك تأثيرهم الفعال في النفوس البشرية في المنطقة

المدرسة((عامة الشعب - القيادات))، ودورهم الحاسم في إحداث التغييرات الكبرى والمهمة التي حدثت ، فقد اضطلعوا بدور فعال في الشؤون السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية في الغرب الإسلامي لاسيما في إفريقيا الغربية، وكانت بوابة ذلك بلاد موريتانيا التي شكلت واسطة العقد ما بين المغرب وبلاد السودان فقد استطاع علماء كنتة بالاعتماد على التصوف في تربيتهم الإصلاحية أن يتخرج عليهم أجيال من المصلحين المتجردين الذين قدموا بلاءات عظيمة في سبيل الارتقاء بمجتمعاتهم على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية، وحولت القادرية الكنتية المجتمعات الموريتانية السودانية إلى مجتمعات تملك تقاليد ثقافية عميقة الجذور ودعاة وسط الصحراء، وعند التخوم لحمل رسالة الإسلام.

*- الإبقاء على جذوة الإسلام والثقافة الإسلامية متقدة في هذه الربع الإفريقية وإلى اليوم.

*- الإجماع على الاعتصام بكل ما يمت إلى السنية بصلة من اعتدال ووسطية وتعايش.

*- دور في ترسيخ أسس الحضارة الإسلامية ومد إشعاعها إلى أعماق إفريقيا.

*- التآزر في دفع أسباب وعوامل الضعف والفرقة سواء كانت داخلية (أشباه العلماء وأدعياء التصوف) أو خارجية متمثلة في تهديدات الوثنية والاستعمار.

الملاحق

ملحق رقم (01)¹

صورة الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي كما
صورها الرحالة الدكتور هنريش بارث القرن التاسع عشر ميلادي



¹ - سيدي أحمد ولد الأمير، المجال الموريتاني مقالات في التاريخ والثقافة، مركز الدراسات الصحراوية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2014، ص22.

ملحق رقم (02)¹

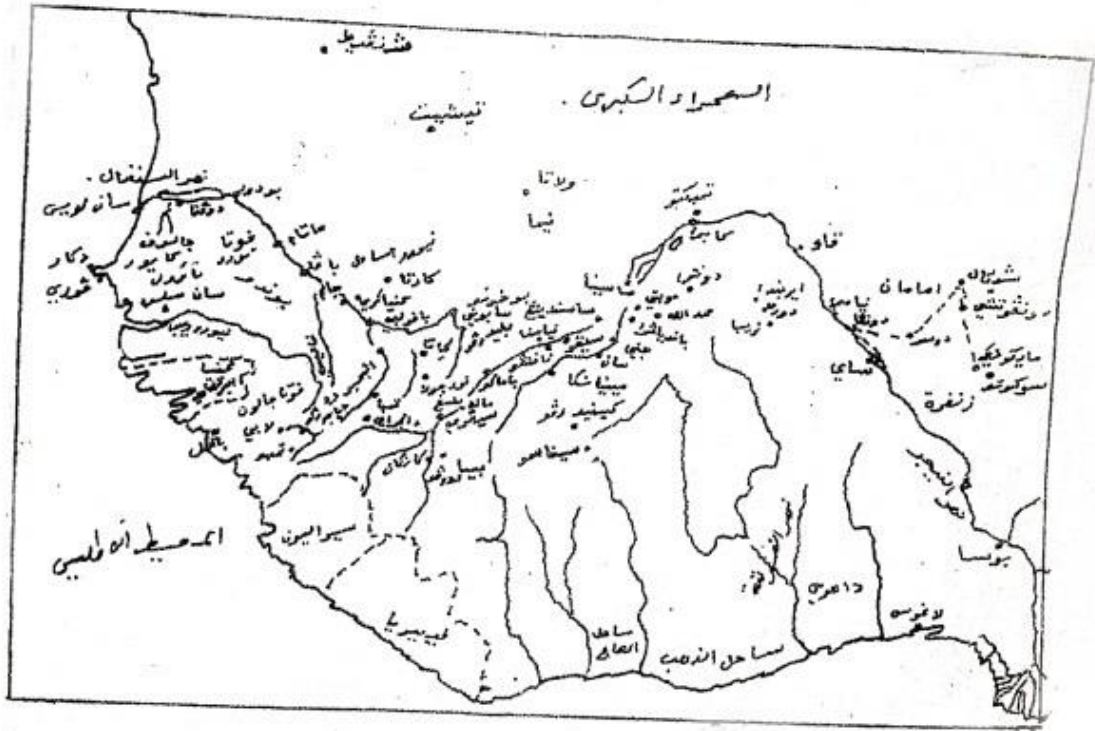


¹ - الأرشيف الفرنسي.



¹ - فتحي محمد أبو عيانة، جغرافية افريقيا: دراسة اقليمية للقارة مع التطبيق على دولة جنوب الصحراء، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، 1981م، ص232.

ملحق رقم (04): أهم مدن السودان الغربي في القرن التاسع عشر ميلادي¹.



¹ - حسين جاجوا، حركة الحاج عمر الفتوي في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر ميلادي، بحث لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1994، ص24.

ملحق رقم (05)¹

ومن خلق الشيخ سيدي أيضا العلاء
وكتب ورضي الله عنه ليترين هنري
أبي يترين ما نصه

من عبر به الغنى به محرم بن المختار بن اهر
أبي يترين إلى آخر الأعيان وأخلص
الأعيان أجب الأعيان والسيد الباني
الفر ضاب يترين هنري يترين أوه
الله اليم وأهل عليه الغنى الكثير
والنصر والنير وأخيه الأجر باب آخر
وكافة جماعة أولاد داود السلام
عليه ورحمة الله تعالى ومن كافة
وأهل الأجر الله أنزل الله الأهل
وأوصيه بالأحسان فيما وليت بحسب
إلى غاية فيها بالعرف العباد والأحلام
في البلاط كما أمسه الله اليط بشيوع النور
وخافية النصر والكفر فخر على أيرد أولاد
علو شرهم وسائر أخوانهم أولاد داود
بميزله

¹ - الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير، مجموع رسائل لأمرء وقبائل
الحوض الموريتاني، مركز الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير، غاو، مالي، بدون تصنيف أو
ترقيم.

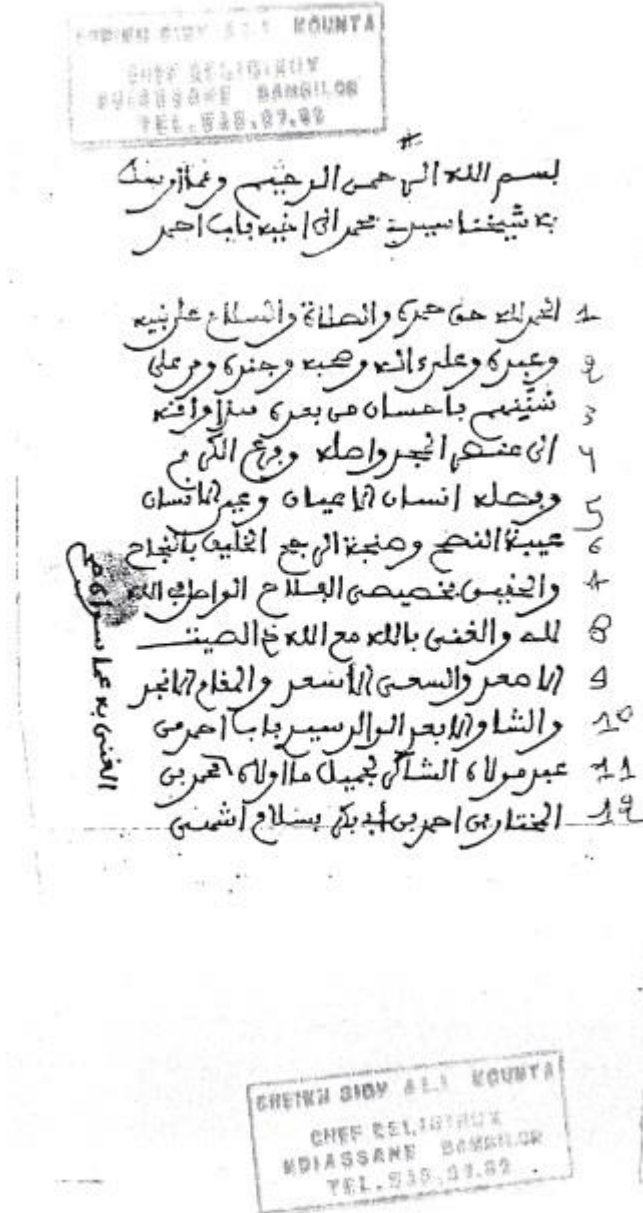
بجزل تحوز في غير الحاجه الى نفس الحاجه
 ويكون لك الله بنصره وتأييده كما كنت
 لم يحسب ان عاينة الحيرة قال رسول جلي
 الله عليه وسلم يقول ماوتي والاعشرة
 وما قوتهم فحسب الاكتبه الله في ديوان
 الخاشي والتعلم ان اعماله يكتبه مكتوبة
 في صحيفة ان احسنوا بل احسانهم وان
 اساءوا فحسب اساءتهم باحتسارهم في
 حليم على احسان وتخليص عن الاساءة
 والعدوان عسى الله ان يكتفي من فاعله
 العاقبة ويستغفر فيهم فليغفره
 ثم في حقيقتهم الايقنة وان اوتوا في فربلخا
 عنهم ما عسى ان يكون بلغ في نصيبهم
 الحرب لكانت بغيرا وعروانا وهم الشعب
 والعشيرة فلم ير فيوا فيهم الا اولادهم
 ولا عن جوانح منا ورجا والاحقة وفخر السبب
 بحر الله سبحانه في محض تراب المنزل والهمامة

بما فرغنا فنصهم الاكتبه الله في ديواننا عيسى و

في اجواهم ايام لايسدون واردا ولا يفاوهم
 مناهرا والما نساوا الله بنسبهم ولم يمسوا
 ما همهم من البراءة وغشيتهم واذا اراد
 الله بغوم سورا فلامس له وما لهم مردوه
 في وال بغير بلغنا انهم اغمازوا الخبيج وحرقة
 تكانتا وشنوا الغارات حتى بلغوا بها
 كهم تشيت وكراهم باعروا لهم ما استكلمتم
 مرفوعة وارصروا لهم كل من صروا اياكم
 وصاربة قلان باهم تلاعزتنا وحن بنا
 يفاقلون اعمراء الله في الله ويسالون
 مردان برين الله واتبع سفة رسول الله
 باياكم واياهم فلكم في الكبار من
 البنابر واشياعهم غنى عنهم ومنش
 لخرهم هـ

محمد بن
 محمد بن

ملحق رقم (06)¹



¹ - الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير، مجموع رسائل لأمرأء وقبائل الحوض الموريتاني، مركز الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير، غاو، مالي، بدون تصنيف أو ترقيم.

الى الغلب الشجى من كل صفة جيسند البس
 وتحيته في الجمر الى ميس وتنشئ البود
 الفريم ورحمة لا تنتمى أعمارها ولا
 تنفض أعمارها وبسكة قما سبط
 وتغاديد وتصح جميع من بنا حيد امابعر
 ايها الشفيق الشفيق الى فيمى الى فيمى
 ما منزا السلوان الراسع المتواصلة والبسوة
 الفاصم البعاصم الى ميس تسمع نحيما الى
 وبمسر ببالد مالناج وصاله الشمعى
 من الانس الحصى والنبع اليلد الجفى
 وماكاه الشينان جد ير عمران كحول
 ان ما من مرفولما وبفكم الله ولا خالف
 بينش ومساكان مرفيتهم وسرورما
 باجتمعا وما ميا ميتكان وانما ميا
 جيلان فاك الشيخ وخزان الله نيليه
 موق الشبير جيلاند من اقد غير الباع وكلا دكان
 وذاك

القزود منها السبعة الكويده بكاه قز
 ولسنا هي مية الرية يجتمع لها ويعق
 من اجلها ~~و~~ اشتغنا اليك اشتياك الماع
 الهوخر الحربة للكعبه وحس متنا عورنط
 واعزتنا عينك لاحس مت النوال ولا اعوزت
 المنال وانما يعز الاخ للملأ ~~و~~ حقت
 الرموع للبكاه بلر وملتنا وعلة اللد
 بل مرادك وشعبت ثلنا شعب الله ثلنا
 بلا سعادك لشكر الله تعلم لد دلج ولا جهز
 لد المتربة فيما منالنا ولا فرقا اميننا
 السخينة وسليت انفسا الشجينة بانه
 كمل يجب من مما حبيبي يجب من مما حبيبي
 بقر فان طهر الله عليه وسامح ان دابر الي
 او تضر اسك ود والريكة بقر ما ريبك
 اي لد حنك الله املد واعطى ملد ان قلم
 حنيننا ثلنا ملد ثلنا قلم د الخيرة رقة ملد
 حنيننا ملد ملد ثلنا ملد د الخيرة رقة ملد
 الشجينة

للملأ
 وفير في غفران الروض للوي
 الحمد لله الذي لا يناء ولا يبدل ولا يغير ولا يهول
 والحمد لله الذي لا يبدل ولا يغير ولا يهول

الشيتير، ويعر وجا نمة بصلنا وحلة الله ٩
 وفرو عرتنا وعرا نغ منه على تفتة وبني
 ادة العرة هي الكرمي ح يي وما ابلنا باجند
 حنك فبه رسالتك في نشانه الاما نجر منا
 هي التسوية بسبب المساجد والابا لله تعالى
 يعلم ان الرنما حجازي ما لا تقوم عنق مسرة
 في مسلي تظ بظلا عر مثله من اهما اول ما
 سبب الى خا كنه يوم مجييه البحث
 اليط شي لم قر له الامور تتراجع حنر كان
 الفضاء السابك البحث به في منزرة العرة
 التي الخيف ان شاء الله البحث به في
 والسلاح مابيه ورحمة الله وبر كاته

وقال تعالى ولا تحسبوا الزينى قتلوا
 في سبيل الله امواتا بل احياء يرزقون
 في حواصلهم مخبى غير واما شهادت المحبة
 باحياء باجسادهم مع الرنوية
 والشهيدان رضوان الله عليهما من شهادت
 المحبة رفر لقيت رضوان الله عليه
 في شكون له بنصر ما لينا بكرة بضد
 رضوان الله عليه كما يحب قال اقلنى ربح
 بنا الغيبة عنكم بالتخفيف في امر مسر
 كلابه فحق ان اتى بكم عناية وفعكم
 عن طاعة شهادة وعليتكم بالاجتماع
 والجماعة والامان والايام والبرقة والشهادة
 والاختلاف واعلم سيرنا سر دة الله
 بعنايته وجعلنا في عايته ان امر الرنوا
 يسيرون وعملنا وان امتنر فصي وعمل العاقل

الملحق رقم (07)¹

LE MONDE ILLUSTRÉ

JOURNAL HEBDOMADAIRE



8^e Année. N^o 378. — 9 Juillet 1864

Tous les communications relatives aux Abonnements, à la Rédaction ou à l'Administration doivent être adressées au Directeur, 15, rue Basse.

Tous les abonnements, toute demande de changement d'adresse doit être accompagnée d'un timbre indiquant le montant de l'abonnement, 15, rue Basse.

Toute demande d'abonnement doit être accompagnée d'un bon sur Paris ou sur la poste, toute demande de remboursement à laquelle ne sera pas joint le montant en espèces, sera refusée comme non avenue.

ABONNEMENTS POUR PARIS ET LES DÉPARTEMENTS :
Un an, 12 francs ; — Six mois, 6 francs ; — Trois mois, 3 francs.
Le numéro : 25 c. à Paris. — 40 c. dans les départements.
Tous les numéros demandés quatre semaines après leur apparition, sous peine de 40 c.
La volume complet de 12 fr. broché, — 16 fr. relié et doré sur tranches.
La collection des 15 volumes : 150 francs.

DIRECTION ET ADMINISTRATION : 15, RUE BASSE.
DIRECTEUR : F. ROYER.
BUREAU DE VENTE ET D'ABONNEMENT : 21, BULEVARD DES ITALIENS.

NOUVEAU MARCHÉ DU TEMPLE. — ÉVÉNEMENTS DE Pologne. — L'ANONYME. — FÉLIX. — MÉDAILLE D'OR. — ÉPÉE. — THÉATRE. — CHRONIQUE MARITIME. — CONSTRUCTION D'UN PORT AU SÉNÉGAL. — ORFÈVRE EN FER. — LÉON.

CHRONIQUE : Le fils du roi de Tombouctou. — Corail dans l'océan. — Courses à Bourges. — Drame de la tribu des Ouled-Sidi. — Chronique maritime de M. Bouvier. — Les nouveaux marchés du Temple. — Pologne. — Chronique maritime. — Ligne de mail. — Orfèvre en fer. — Faut-il sécher. — Léon.

Le fils du roi de Tombouctou

Les rapports de notre colonie du Sénégal avec les tribus du Sahara deviennent de plus en plus fréquents.

Sidna-Mohammed, fils d'Ahmed-el-Bekay, de la tribu des Kountah, chef de Tombouctou, est venu visiter la ville de Saint-Louis et présenter ses hommages au gouverneur de notre colonie. Pendant son séjour dans cette capitale de nos possessions sénégalaises, M. Cauvin, chirurgien de marine de 1^{re} classe, a pu photographier ce personnage, ainsi que les hommes de son escorte. Nous devons à M. Brunetière, capitaine de spahis, la communication de cette photographie ainsi que la notice intéressante que nous donnons ici :

Les Kountah prétendent descendre des Beni-Oumeyatad, tribu kherichite, à laquelle appartenait le kalife Mouawiah. Sid-Okba, le conquérant arabe de l'Afrique, qui a un tombeau à Kairouan, est un de leurs ancêtres. Les Kountah se trouvent aujourd'hui repandus dans le Sahara ; ils habitent dans le Touat, dans les contrées comprises entre le Touat et Tombouctou, dans l'Adrar et dans le Tagant. Dans le Touat et dans l'Adrar, ils ont des villages, des jardins et des palmiers. — Mais la plus grande partie de la tribu est tout à fait nomade ; tous les Kountah sont des marabouts guerriers. Ils ont pour rivaux et pour ennemis les Ouled-bou-Radda, à l'ouest de Tombouctou, dans

les environs d'Oualata, et les Ouled-Sidi-Mahmoud, vers le Tagant, à six journées au nord de Bakel.

En 1826, le fameux marabout Kountah-el-Mokhtar fut appelé de l'oasis d'El-Mahron à Tombouctou par les négociants maures, la plupart originaires de Tidames, qui résident dans cette ville, pour les aider de son immense influence religieuse contre les violences des Foul-lanes (pouls) du Macina.

El Mokhtar devint tout-puissant à Tombouctou, où l'on raconte sérieusement de lui une foule de faits merveilleux.

Après lui, son fils, Mohammed-el-Khalifa, lui succéda, et celui qui régnait aujourd'hui est son petit-fils, Ahmed-el-Bakay, dont le fils puiné, Mohammed, est venu rendre visite au gouverneur du Sénégal et dont on a pris la photographie à Saint-Louis.

On sait qu'Ahmed-el-Bekay soutient aujourd'hui, à la tête des Touaregs, des Maures sahariens et d'une partie des Foul-lanes du Macina, une formidable lutte contre notre ancien ennemi El-Hadj-Omar, qui est en train de fonder un vaste empire noir musulman, sur le haut Niger.

Sidna Mohammed est reparti de Saint-Louis pour Tombouctou le 14 mai 1864.

M. le lieutenant de spahis Perraud est parti avec lui, il cherchera à éliminer de Tombouctou en Algérie, un des fils d'Ahmed-el-Bekay.

Pour extrait : M. V.



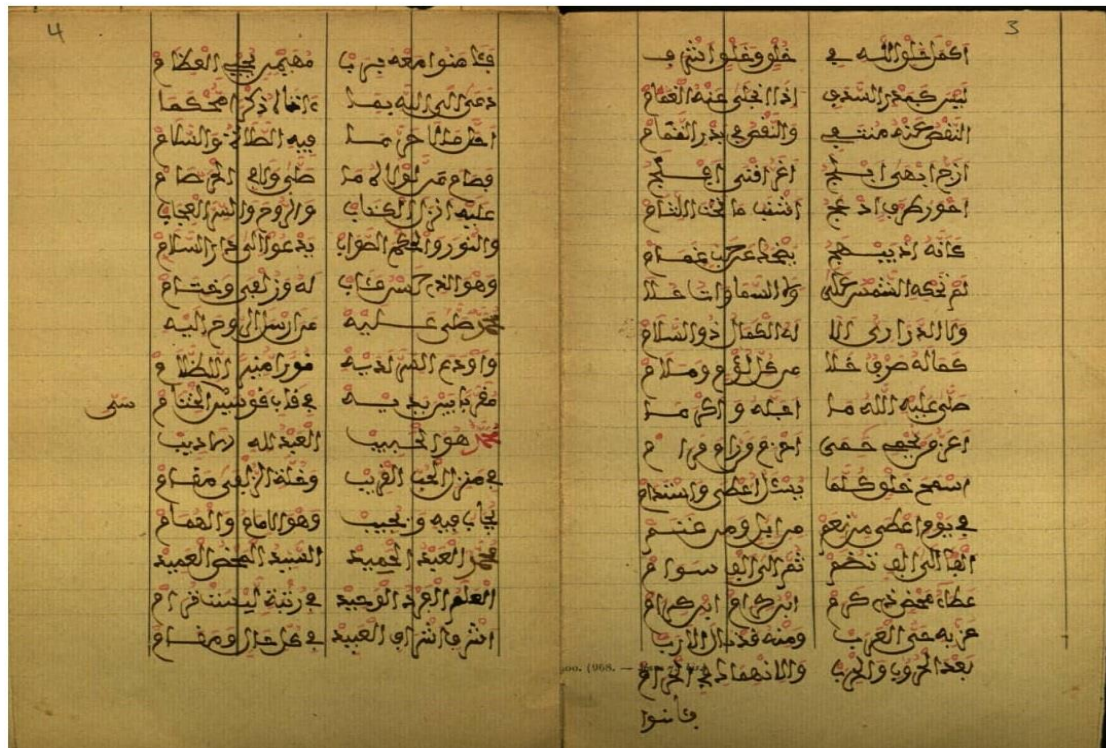
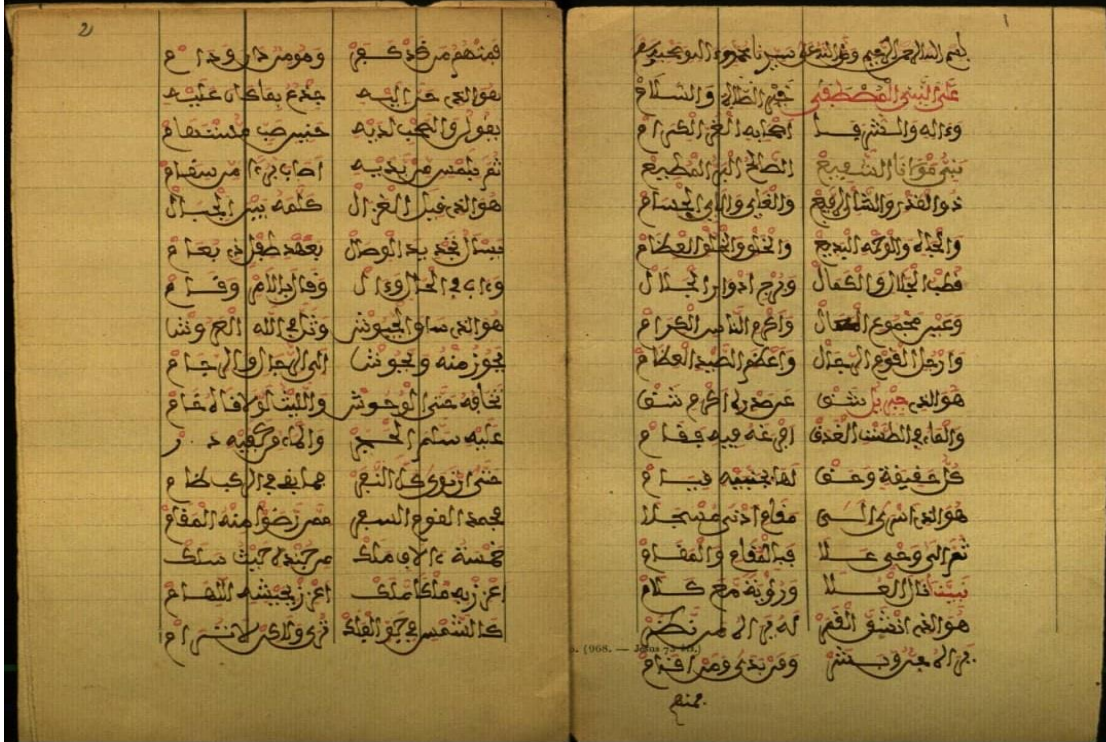
El-Mokhtar Kountah, du Tagant. — Sidna-Mohammed, fils du roi de Tombouctou. — Mohammed-Chik, frère d'El-Mokhtar. — Ahmed-Dani, serviteur. — El-Pain, serviteur.

Le fils du roi de Tombouctou et l'escorte qui l'accompagnait lors de sa visite au gouverneur du Sénégal. (Photographie de M. Cauvin, chirurgien de marine, communiquée par M. Brunetière, capitaine de spahis.)

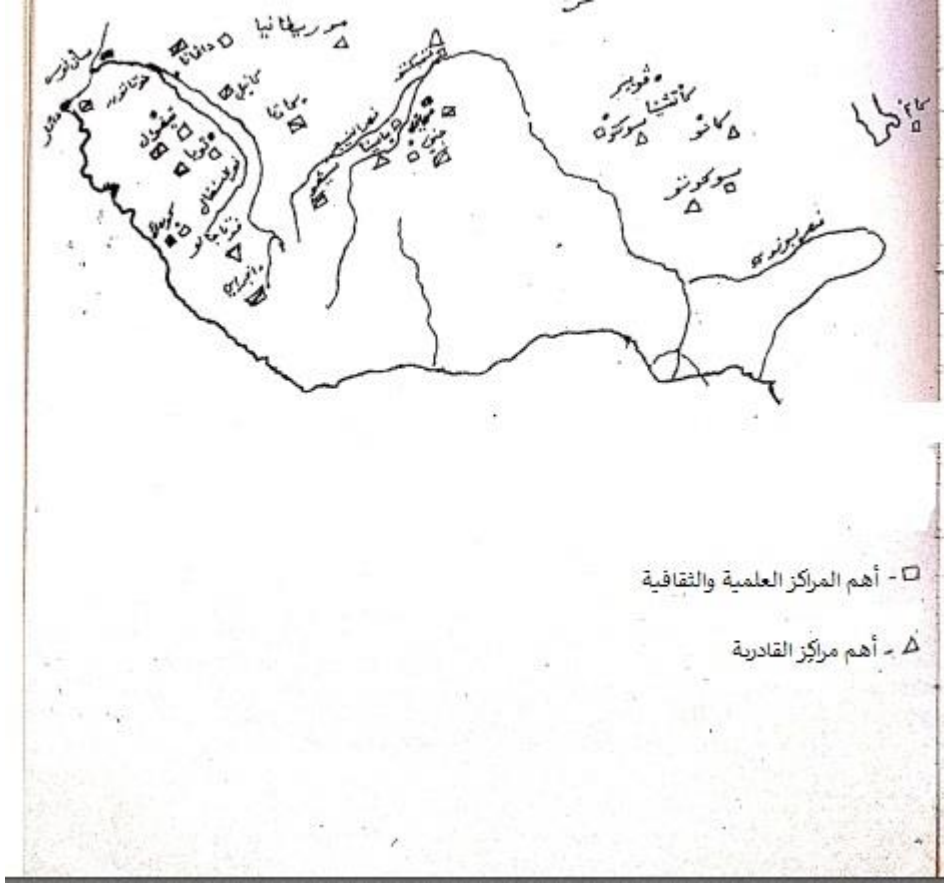
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

الملحق رقم (08)¹

قصيدة كنتية لمجد المصطفى صلى الله عليه وسلم



ملحق رقم (09): خريطة تمثل أهم المراكز الثقافية والمناطق الهامة بالطرق الصوفية في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر ميلادي¹.



¹ - حسين جاجوا، حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر ميلادي، بحث لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1994، ص112.

ملحق رقم (10): رسالة من الشيخ أحمد البكاي إلى سكان بلاد السودان يؤلبهم فيها ضد الحاج عمر.¹

انه من بعض الاشخاص المومنين والكاهنين ببلاد المغرب نستوطنون

في جميع المسلمين من العرب والروايا واهل بورت وند وكجاكف وهي ارض انضلم وتدمع وهم تحضار
سلام موجب سواكم من الحاج عمر الطوبى الهلوارى حل جدتم نهاية اموره ونحواتها واهل اقتديتم به في
جاهه ام رايت منها جملة قتل مؤننا نير الله عليه انه مجاهد في سبيل الله لا والله بل شهدت اجماله انه لا يوجد
لا ان يكون ملكا ماليا في الارض ومعداها ليستنى مجدا على جنس الروادين وليستولى عليهم وعلى
اموالهم ولقد تطلعت عنه بذلك وجاهل في بكرة تكبرا وتجبوا مدة سنين عديدة مكنتها في الشام وهي مصر يصل
انواعا من الحروب الدنية طلبا للبيعة وبهما تعلم بعض اشياء لافلا من ملوك الصغرى واليمن ليكون سلطانا
عليكم فدمض الكرك وملك الحمرن والسل واهاد واهى بمسكين الى مومن بعياها منها العرفاء لا نفيها مستينا
بجوع من مبداء الامنام بين الشابر وملكه وخرب بورت وبعض طورارعه وسلط راسه وهم مومنين من قديم
الزمان وجس الامام مفيدا في جيشه الذي لا يصى فيه ويوكل فيه كل منوع لاكل شرفاه من هذه اجماله
لا يمكن ان يقتربه احده

الم يدع المقربون به ان انسان من الصحيفة ومنهاج الشريعة والطريقة سيدنا سيد محمد الطليعة ابن شحنا
سيد المختار المختار من كل مختار قد نعى في رسالته الفلاية ولاية عبد الله ابن سيد محمود وصلاحه لما
اثر من الفتن وتبب له من القتال والعصا فاذا لعل بلفك من احد ممن صحت ولايته وصحت بدايته
ونهايته حتى تفاسل جنته التي قلنا ان قيل مثل ذاك حتى عبد الله يكون بهذا السوداني الذي حوام من
بلاد على العادة لانه طغى في البلاد واكثر فيها البسادة ايفظ الفتن وهي نايقه واوفد نارا الحرب وهي
خامده والسبب على المومنين سلها ودماهم في غير حق الله اطلها وهي الحـديث من
التي على الله عليه وسلم الفتنة نايمة لمن الله من ايفظها ووجه ايضا الحـرب نار لمن الله واندهاه ووجه
ايضا من سل علينا السبب ليس شاه

واما العرفيس الاتي يزعم انه لان في جهاد ما زالت تصر جميع الابرار المسلمين وتصب لها منها
القضاء لقرايها لاسلامية وتجري عليها لازلي من بيت مالها وبميرزتهم من الكثرة العجزة من اهل ايسفان
وغيرهم واما هذا الرجل المتبى الزاعم انه منصور بالله ما ان زال مارا امام عدوه امير اندر وكلما قصد دارا من
ديار الصغرى حزمه ولقد حاول دخول ايسفان وجلب وويل وسين رسالم بقتة ولم يجزا بل خاف وحجمه ما بين
نصر الله اياه في هذا كله بل مضروب عليه وشاهده كونه سببا لهذا البلاء على العباد والبلاد ولان قد رجح كرك
لكن حقتنا ان سيد برله امير اندر تديرا يمنعه من العود اليكم ابدا لانه سيني الحصون ويرسى السون ويترك جيشا
من الصنادير يقسم منه بكل السنة كلها حتى لا يستطيع ممر هذا ان يضر من كرك بحال وسيلهم عليه في كرك
من قروب سنة او سنتين وتصعكم بان تخرجوا المتحصنين معه من ارض دمكف وند وكجاكف ليشتلوا به بارض
كرك لان امير اندر حارف كل فصر موجود فيه احدا من ميال هذا الرجل المضروب عليه بلذاك لا بد من تفصيل
تام بين المومنين الراغبين في عايتة وهي السكنى مع على شاطا البحر بعونه واجازته في امن وامان في
المستقبل اعتادا على قوله تعالى لا ينهكم الله من الذين لم يقاتلوك في الدين ولم يخرجوك من دياركم وبين
هذا الرجل المضروب عليه الذي سيمصرو امير اندر ويصعبه في كرك كما تصب الجارية

وسيد له جميع حالات الحرية الواجبة في حقه ويدبر له كل تدبير حتى لا يستطيع ان يرجع لفسر وكسم واحرى
موصفا غيره وسيجعل المسافة التي بين ابنته ودياره ونوم الحاج الفطاع للطريق بيده مسهرا ان شاء الله
ولقد نعى الله على المومنين ما صدر منه من سوء والبلاء وجميع انواع الضرر والضرر موسى ان يكون
ذلك كبراءة لذنوب سلمت وسمنه الله من الرجوع الى مراده وهو تضرب البلاد الاتي ما
ان زال دين الله بها عزيزا ومنصورا والسلام على من اتبع الهدى

¹ - حسين جاجوا، حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر ميلادي، بحث لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1994، ص332.

رسالة من الشيخ احمد البكاي الى سكان بلاد السودان

يؤلبهم فيها ضد الحاج عمر

14 MI - 1014

انه من بعض الاخوان المومنين الكائنين ببلاد المغرب مستوطنين

الى جميع المسلمين من العرب والزوايا واحل فوت ويند وكجاك وهي ارض انكم
وكدمخ وهم كككار سلام موجه سواكم عن الحاج عمر الطوري الهلوارى هل جدتم نهاية
اموره وفواتمها وهل اعتديتم به في فعاله ام رايتم منها فعلة تدل مونا نور الله قلبه
انه مجاهد في سبيل الله ولا والله بل شهدت افعاله انه لا يريد الا ان يكون لنا
عاليا في الارض وفسدا فيها ليستبنى مسجدا على جنس السوادى وليستولى عليهم
وعلى اموالهم ولقد تعلقت حمة بذلك وجال في فكره تكبرا وتجبرا مدة سنين عديدة
يكسها في الشام وفي مصر يفعل انواعا من الحرف الدنية طلبا للمعيشة وفيها تعلم
بعض اشيا قلليل من علوم النصارى واليهام ليكون سلطانا عليكم قد ضيع الكل وذهبت
الحريت والتمل واياك وافنى خمسين الف مومن به يالها منها الشرفا الاتقيا
مستعينا بهم موع من عبدة الاصنام مقيدا في جيشه الذى لا يصل فيه ويوكل فيه كل صنوع
الاكل شرطا فمن هذه افعاله لا يمكن ان يغتر به احد

الم يدر المغترون به ان انسان عيين الحقيقة وشهاج الشريعة والطريقة
سيدنا محمد الخليفة هابن شيخنا سيد المختار المختار من كل مختار قد نفى في
رسالته الخلاوية ولاية عبد الله هابن سيد محمود وصلاحه ولما اثار من الفتن وتسبب
له من القتال والصحن وتايلا هل بلغك من احد من صحت ولايته وصلوات بدايته
ونهايته فتمتة تشاكل فتمتته الخ قلنا ان قيل مثل ذا في حن عبد الله فكيف
بهذا السردانى الذى هو اعم منه بلا على العباد لانه طمعى في البلاد واكثر فيها
الفساد ايقظ الفتن وهي نايه واوقد نار الحرب وهي خامد والسيوف على
المرضىين سلبها ودعا ثم فى غير جئ الله اطلبها وفي الحديث عن النبي صلى

الله عليه وسلم الفتنة نائمة لعن الله من ايظمها ، وفيه ايضا الحرب نار لعن الله
واقدها ، وفيه ايضا من سل علينا السيف فليس منا .

واما الفرنسيين اللذان يزعم انه الان في جهادها ما زالت تنصر جميع الابرار
المسلمين وتنصب لها منها القضاة لشرايعها الاسلامية وتجري عليها الارزاق من بيت
مالها ويجبرونهم من الكفرة الفجرة من اهل ايسنغان وغيرهم ، واما هذا الرجل المتبهي
الزاعم انه منصور بالله ما ان زال فارا امام عدوه اميراندر وكلما قصد دارا من ديار
النصارى هنم ، ولقد حاول دخول ايسنغان وجلف وبول وسين وسالم بفتة ولم يجرأ
بل خاف وحجم ، فاني نصر الله اياه في هذا كله بل مغضوب عليه وشاهده كونه سببا
لهذا البلاء على العسباد والبزاد ، والان قد رجع لكرط لكن حققنا ان سيد برله امير
اندر تدبيرا ينعته من العود اليكم ابدالا لانه سيبنى الحصون ويرسى السفن ويترك
جيشا من الصنادير يتشم عند بكل السنة كلها حتى لا يستطيع عمر هذا ان يخرج
من كرط بحال وسيهجم عليه في كرط من قريب سنة او سنتين وننصحكم بان تغربوا
المتعصبين معه عن ارض دمك ويند وكجك ليلتحقوا به بارض كرط لان اميراندر
حارق كل قصر موجود فيه احدا من عيال هذا الرجل المغضوب عليه فلذلك لا بد
من تفصيل تام بين المومنين الراغبين في عافيته وفي السكنى معه على شاطئ البحر
بمعونه واجارته في امن وامان في المستقبل اعتمادا على قوله تعالى لا ينهكم الله من
الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ، وسين هذا الرجل المغضوب
عليه الذي سيحصره اميراندر ويحبسه في كرط كما تحبس الجارية .

وسيعد له جميع الالات الحربية الواجبة في حقه ويدبر له كل تدبير حتى لا يستطيع
ان يرجع لقصره كم و اخرى موضعا غيره وسيجعل المسافة التي بين ابنته ودياره وقوم
الحاج القطاع للطرق بيضاء صحرا ان شاء الله .

وقد قضى الله على المومنين ما صدر منه من السوء والبلاء وجميع انواع الضرر
والضرر ومن ان يكون ذلك كفارة لذنوب سلفت وسيمنعه الله من الرجوع الى مراده وهو
تخريب البلاد اللذان ما ان زال دين الله بها عزيزا ومنصورا .

والسلام على من اتبع الهدى .

قائمة المصادر والمراجع:

- أ: المصادر المخطوطة:

- 1- الشيخ سيدى المختار الكنتي، كتاب المنة أو الارشاد، مخطوط، زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي، نواكشوط.
- 2- الشيخ سيدى المختار الكنتي، فقه الأعيان، مخطوط، زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي، نواكشوط، موريتانيا.
- 3- الشيخ سيد المختار الكنتي، الكوكب الوقاد في فضل المشايخ والأوراد، مخطوط، زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي، نواكشوط، موريتانيا.
- 4- الشيخ سيد المختار الكنتي، نزهة الراوي وبغية الحاوي، مخطوط، نسخة سيد محمد بن آدب ، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، رقم 0326/0003، نواكشوط.
- 5- الشيخ سيد المختار الكنتي الصغير، رسالة في كظم الغيظ وتوقيف الفتن، مخطوط، رقم 3276، قسم المخطوطات، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط.
- 6- الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، البرد الموشي في قطع المطامع والرؤى، مخطوط، زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي، نواكشوط.
- 7- الشيخ سيدى المختار الكنتي، تحفة المودود، مخطوط، زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي، نواكشوط، موريتانيا.
- 8- الشيخ سيدى المختار الكنتي، كشف اللبس فيما بين الروح والنفس، مخطوط، نسخة لمرباط ولد آدب، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، رقم 0347/0014، نواكشوط، موريتانيا.
- 9- الشيخ سيد المختار الكنتي، كشف الشبهات بالبراهين والبيانات، مخطوط، زاوية الشيخ سيد المختار، نواكشوط.
- 10- الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي، مجموع الرسائل إلى أمراء وقبائل الحوض، مخطوط، مركز الشيخ سيد المختار الكنتي للوثائق في كاو، أزواد ، مالي، من غير تصنيف.

- 11- الشيخ سيد محمد الخليفة ولد الشيخ سيد المختار الكنتي، مخطوط رسالة إلى أولاد الناصر ومشطوف، مخطوط، زاوية الشيخ سيد المختار، نواكشوط.
- 12- أحمد البكاي الكنتي، رسالة إلى أمير آدرار أحمد ولد عيدة المعروفة (بالعيدية)، نسخة شخصية بحوزتنا.
- 13- رسالة الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير إلى قبيلة إدوعيش -الأمير محمد ولد محمد الشين وإخوته، مخطوط، زاوية الشيخ سيد المختار الكنتي، نواكشوط، موريتانيا، من غير تصنيف وترقيم.
- 14- الشيخ محمد المامي، الدلفينية، مخطوط، المعهد الموريتاني للبحث والتكوين في مجال التراث والثقافة، رقم 0000/1379 ، نواكشوط موريتانيا.
- 15- الشيخ سيد المختار الكبير، رسالة إلى هنون ولد بيده، مخطوط، مركز الشيخ سيد المختار الكنتي للوثائق ، گاو ، مالي، من دون تصنيف وترقيم.
- 16- رسالة الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير إلى هنون ولد بيده و ابنه بيده زعيم قبيلة أولاد داود، مخطوط، مركز الشيخ سيد المختار الكنتي للوثائق ، گاو ، مالي، من دون تصنيف وترقيم.
19. الشيخ أحمد البكاي، ذخيرة السرمذ في جواب الشيخ أحمد بلو، مخطوط، مكتبة ماما حيدرة، تمبكتو، مالي.
- 20- الشيخ سيد محمد الخليفة، الأجوبة المباركة أو مايعرف بالأجوبة الفلانية، مخطوط.
- 21- نوح بن الطاهر، رسالة إلى اقاليم المسلمين بشأن أمير المؤمنين أحمد لبو، مخطوط، المكتبة الوطنية بباريس، الوثائق العربية، رقم 5259.
- 22- محمد الأمين الصحراوي، المجد الطارف والتالد، مخطوط، الخزانة العامة، الرباط، ك 588.
- 23- جدو بن الطالب الصغير، تاريخ جدو، صورة من نسخة الميكروفيلم في المعهد الموريتاني للبحث العلمي.

ب: المصادر والمراجع المطبوعة:

- 24- الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، فتح الودود شرح القصور والممدود، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه مأمون محمد أحمد، الناشر محمد طن إيجي، سوكتو، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2002م.
- 25- الشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي، الرسالة الغلاوية، دراسة وتحقيق حماء الله ولد سالم، منشورات مؤسسة امربيه رب، مطبعة المعارف، الرباط، 2007م.
- 26- أدب الشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكنتي، دراسة وتحقيق لنماذج من نثره وشعره، محمد أحمد جد، منشورات المركز الثقافي الكنتي، ط1، مطبعة شمس برينت، سلا، المغرب، 2020م.
- 27- الشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي، أوثق عرى الإعتصام للأمرء والوزراء والحكام، تحقيق بادي ولد عابدين، المدينة المنورة، 2000م.
- 28- الشيخ سيد محمد الخليفة، الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد، تحقيق عابدين بن باب احمد بن حمّ الامين، الجزء الثاني، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، 1994م.
- 29- الشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي، الطرائف والتلائد في حياة الشيخين الوالدة والوالد، تحقيق يحي ولد سيدأحمد، دار المعرفة، الجزائر 2011م.
- 30- الشيخ سيد المختار الصغير ولد الشيخ سيد محمد الخليفة، الرسالة العلوية، تحقيق سيد احمد ولد أحمد السالم، نواكشوط، 1994م.
- 31- الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، رفض الركون لولاية الحيوني، تحقيق سيداحمد احمد جد، دار قوافل للنشر، الرباط، 2017م.
- 32- الشيخ سيد محمد الخليفة بن الشيخ سيد المختار الكنتي، جنة المريد دون المريد، تحقيق محمد المهداوي، منشورات الرابطة المحمدية، 2012م.
- 33- محمد بلّو بن عثمان بن فودي، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التّكرور، دار ومطابع الشعب، القاهرة، 1383هـ-1964م.
- 34- باب بن الشيخ سيديا، إمارتي إدوعيش ومشظوف، دراسة وتحقيق ازيد بيه بن محمد محمود، المعهد التربوي الوطني، 2003م.

- 35- عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المعروف بالعبر وديوان المبتدأ والخبر، مراجعة سهيل زكار، ج6، دار الفكر، بيروت، 2001م .
- 36- عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر،، بيروت، 2001م.
- 37- ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار إفريقية والأندلس والمغرب ، طبعة ليفي بروفنسال ، 1980م.
- 38- محمد بن أبوبكر البرتلي،فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق الأستاذين حجي والكتاني، بيروت، 1981م.
- 39- أبوبكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاتي، منح الرب الغفور فيما أهمله صاحب فتح الشكور، دراسة وتحقيق، محمد الأمين ولد حمادي، 2011م.
- 40- أبوبكر الطرطوشي، سراج الملوك، تحقيق محمد فتحي أبوبكر، ج1، منشورات الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1994م.
- 41- أحمد بابا التمبكتي، معراج الصعود، تحقيق وترجمة فاطمة الحراق وجون هانويك، ط1، معهد الدراسات الإفريقية، مطبعة المعارف، الرباط، 2000م.
- 42- محمود كعت التنبكتي، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، دراسة وتعليق، آدم بمبا، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، سوريا، 2014م.
- 43- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، تحرير وتعليق وتقديم حماد الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م.
- 44- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، نسخة هوداس، المدرسة الباريسية، 1981م.
- 45- آدم عبد الله الألوري، الإسلام في نيجيريا، دارالكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 2014م.
- 46- محمود محمد ددب، من تراث تنبكتو والساحل الإفريقي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، الرباط، المملكة المغربية، 2011م.

- 47- مولاي أحمد بابير، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، دراسة وتحقيق، الهادي المبروك الدالي، ط1، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، الجماهيرية العربية الليبية، 2001م.
- 48- عبيد الله البكري، المسالك والممالك، الجزء الثاني، حققه وقدم له أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب و المؤسسة الوطنية للترجمة بيت الحكمة، د، ت، 1992م.
- 49- زكريا بن محمد المعروف بالقزويني، آثار العباد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، دت.
- 50- ابن بطوطة، محمد اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج2، قدم له وحققه الشيخ محمد عبد المنعم العريان، دار احياء العلوم، بيروت، 1987م.
- 51- الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.
- 52- الشيخ أبي إسحاق الفارسي. الأضطخري، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، دت.
- 53- ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، طبعة ليدن، 1920م.
- 54- عبد القادر الجيلاني، الغنية لطالبي طريق الحق في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية، الجزء الثاني، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط3، 1375هـ- 1956م.
- 55- أبي حامد الغزالي، القصور العوالي، حققه الشيخ محمد مصطفى أبو العلا، القاهرة، 1978م.
- 56- أبي نصر السراج الطوسي، اللّمع، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، 1960م.
- 57- أبي القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، ط2، مصر، 1959م.
- 58- خير الدين الزر كلي، الاعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ط15، 2006م.

- 59- محمد عمارة، الأعمال الكاملة للرفاعة رافع الطهطاوي، ج1، مكتبة الأسرة، القاهرة ط2010، 1م.
- 60- محمد صالح بن عبد الوهاب، الحسوة البيسانية في معرفة الأنساب الحسانية، تحقيق الحسن بن إبراهيم ولد صالح، المطبعة الجديدة، نواكشوط، 1993م.
- 61- سيدي عبد الله بن انبوجه العلوي، ضالة الأديب، تحقيق أحمد ولد الحسن، منشورات الإيسيسكو، 1996م.
- 62- عزيز بطران، الطريقة القادرية في غرب إفريقيا، حياة الشيخ سيد المختار الكنتي، جامعة هوارد في واشنطن، المعهد الإفريقي للدارسات، الرباط، المغرب 2001م.
- 63- محمد المنوني، المدرسة الكنتية كأبرز قناة للتواصل بين الإفريقيتين في العصر الحديث، العلاقات بين المغرب وإفريقيا الغربية، منشورات جمعية موظفي كلية الآداب، الرباط، 1992م.
- 64- سيد اعمر بن شيخنا، الفكر السياسي في غرب الصحراء، مطبعة طوب بريس، ط1، الرباط، 2012م.
- 65- حماد الله ولد السّالم، تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017م.
- 66- حماد الله ولد السّالم، الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.
- 67- حماد الله ولد السّالم، المجتمع الأهلي في موريتانيا. مدن القوافل، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008م.
- 68- حماد الله ولد السّالم، تاريخ بلاد شنقيطي موريتانيا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.
- 69- حماد الله ولد السّالم، تاريخ موريتانيا. العناصر الأساسية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007م.
- 70- حماد الله ولد السّالم، موريتانيا في ذاكرة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005م.
- 71- عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2014م.

- 72- عز الدين عبد العزيز بن عبد السّلام، القواعد الكبرى الموسوم ب
قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، تحقيق نزيه كمال حمّاد وعثمان جمعة
ضميريّة، ج1، ط1، دار القلم، دمشق، 2000م.
- 73- محمد مرتضى الزبيدي، المعجم المختص، اعتنى به وقابل أصوله، نظام
محمد صالح يعقوبي ومحمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية،
ط1، بيروت، لبنان، 2006م.
- 74- هارون بن الشيخ سيد باب، كتاب الأخبار، ج1، ط1، الشركة الإفريقية
للطباعة والنشر، نواكشوط، 1998م.
- 75- الحسين ولد محنّض، تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، ط1، دار الفكر،
نواكشوط، موريتانيا، 2010م.
- 76- الحسين ولد محنّض، تاريخ موريتانيا الحديث، دار الفكر، انواكشوط
موريتانيا، 2010م.
- 77- محمّد الصّالح حوتّية، آل كنتة، دراسة تاريخية من خلال الوثائق
المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة ه، دار الكتاب العربي،
الجزائر، 2008م.
- 78- محمّد الصّالح حوتّية، توات والأزواد، الجزائر، دار الكتاب
العربي، الجزائر، ج1، 2007م.
- 79- المختار بن حامد، موسوعة موريتانيا، التاريخ السياسي، دار الغرب
الإسلامي، ط1، 2000م.
- 80- المختار ولد حامد، حوادث السنين، تقديم وتحقيق، سيد أحمد ولد أحمد
السالم، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، 2009م.
- 81- المختار بن حامد، موسوعة موريتانيا، الجغرافيا، دار الغرب الاسلامي،
بيروت، 1994م.
- 82- المختار ولد حامد ، الحياة الثقافية، الدار العربية للكتاب، د.ت.
- 83- ج . ف . آدى آجاي، تاريخ افريقيا العام، المجلد6، اللّجنة العلميّة
الدّوليّة لتحرير تاريخ افريقيا العام، اليونسكو، طبعة حسيب درغام وابنائهم،
المكلس، لبنان، 1996م.

- 84- م. أبيتبول، تاريخ إفريقيا العام، المجلد 5، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، إفريقيا من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر، طباعة حسيب درغام وأولاده، بيروت، 1997م.
- 85- ج.ت. نياني، تاريخ إفريقيا العام، مجلد 4، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، 1988م.
- 86- بول مارتي، كننة الشرقيون، عربيه وعلق عليه، محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985م.
- 87- بول مارتي، القبائل البيضاوية في الحوض والساحل الموريتاني، تعريب محمد محمود ولد ودادي، دار السراح، بيروت، 2005م.
- 88- بول مارتي، البرابيش، ترجمة محمد محمود ولد ودادي، بيروت، 1983م.
- 89- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، مكتبة مدبولي، المطبعة الفنية، 1990م.
- 90- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1989م.
- 91- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة، 1998م.
- 92- محمد سعيد القشاط، الصحراء العرب الكبرى، دار الرواد، طرابلس، ليبيا، ط 1، 1994م.
- 93- محمد سعيد القشاط، من نقائض الشعراء العرب في الصحراء، شركة الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، 1996م.
- 94- محمد سعيد القشاط، أعلام من الصحراء، ط 1، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1997م.
- 95- محمد سعيد القشاط، أزواد صحراء التنييري، ط 1، مؤسسة ذي قار، 2000 إفرنجي.
- 96- عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1، 2010م.

- 97- عبد القادر زبادية، مملكة ســنــغاى فى عَـهـد الأسقيين 1493م-1592م، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ت.
- 98- عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي فى إفريقيا الغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.
- 99- عبد القادر بن تيجان، موسوعة تاريخ مالي، مؤسسة كجيري للتربية والبحوث التاريخية، مالي، 2015م.
- 100- عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية فى الغرب الإفريقي، دار الأمين، القاهرة، ط1، 2000م.
- 101- يحي ولد سيدأحمد، الديوان الصحراء الكبرى. المدرسة الكنتية. القصائد النيرات، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2010م.
- 102- أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط فى تراجم أدياء شنقيط، القاهرة، ط1، 1911م.
- 103- خليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة...والرباط عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)، مطبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987م.
- 104- الطالب أحمد بن طوير الجنة، تاريخ ابن طوير الجنة، تحقيق سيد أحمد بن أحمد السالم، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1995م.
- 105- محمدفال بن بابـه العلوي، كتاب التكملة فى تاريخ امارتي البراكنة والترارزة، تحقيق، أحمد ولد الحسن، بيت الحكمة، تونس، 1986م.
- 106- أحمد ولد الحسن، الشعر الشنقيطي فى القرن الثالث عشر الهجري مساهمة فى وصف الاساليب، ط1، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، 1995م.
- 107- يحيى ولد البراء، الفقه والمجتمع والسلطة، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط، 1994م.
- 108- مجموعة من المؤلفين، الحضارة الإسلامية فى مالي، تقديم ألفا عمر كوناري، ترجمة محمد وقيدي، الرباط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، مطبعة الهلال العربية، ط1، 1996م.

- 109- عبد الرحمن زكي، الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مطبعة يوسف، مصر، 1967م.
- 110- تقي الدين الدوري وخولة شاکر الدجيلي، تاريخ المسلمين في إفريقيا، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2014م.
- 111- توماس أرلوند، الدعوة إلى الإسلام، ترجمه إلى العربية وعلق عليه حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1947م.
- 112- الشيخ محمد الیدالي، شیم الزوايا، تقديم وتحقيق، محمذن ولد باباه، بيت الحكمة، تونس، 1990م.
- 113- المختار ولد گاگيه، مجمل تاريخ الموريتانيين، ط2، دن، 2010م.
- 114- عبد العلي الودغيري، اللغة العربية والثقافة الإسلامية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، 2011م.
- 115- الشيخ موسى كمر، أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر، منشورات معهد الدراسات الإفريقي، الرباط، 2001م.
- 116- رفاعه رافع الطهطاوي، تخلص الإبريز في تلخيص باريز، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2012م.
- 117- أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، الجزء السادس، الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقيا من دخلها الإسلام حتى الآن، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1990م.
- 118- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
- 119- الحمدي أحمد، الريادة العلمية والشيخة الصوفية بأزواد، دار قوافل للنشر، موريتانيا، ط2017، 1م.
- 120- فرج محمود فرج، اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.
- 121- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي. عصر الدول والإمارات، ط1، دار المعارف، مصر، د.ت.

- 122- أحمد الأزمي، الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المغرب، 2000م.
- 123- العباس بن إبراهيم السّمّالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، راجعه عبد الوهاب ابن منصور، ج8، المطبعة الملكية، الرباط، ط3، 1993م.
- 124- أحمد مولود بن أيده، الصحراء الكبرى . مدن وقصور، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2009م.
- 125- محمد محمود ودادي، وادي الرشيد التاريخ والمجتمع والبيئة، مطبعة المزايا، نواكشوط، موريتانيا، 2020م.
- 126- الناني ولد الحسين، صحراء الملثمين وعلاقاتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف القرن 2 هـ/8م إلى نهاية القرن 5 هـ/11م ، دار المدار، 2007م.
- 127- محمد يوسف مقلد، موريتانيا الحديثة أو العرب البيض في إفريقيا السوداء ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1960م.
- 128- محمد بن المختار بن الشيخ بن بده، سطور في تاريخ حاضرة كصر الركة وشعبها وحكامها، مطبعة الساحل، نواكشوط، 2013م.
- 129- بيبير بونت، روايات أصول المجتمعات البيظانية، مساهمة في دراسة ماضي غرب الصحراء، ترجمة وتحقيق الدكتور محمد بن بوعلييه بن الغراب، دار جسور للنشر، نواكشوط، 2015م.
- 130- بيبير بونت، إمارة آدرار، ترجمة: محمد بن بوعلييه بن الغراب، دار النشر جسور، نواكشوط 2012م.
- 131- محمد المحجوب ولد بيه، موريتانيا جذور وجسور، مكتبة القرنين 21/15 للنشر والتوزيع، نواكشوط، موريتانيا، 2016م.
- 132- محمّد بن محمّذن، المجتمع البيظاني في القرن التاسع عشر، قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية، الرباط، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، ط1، 2001م.
- 133- السالك ولد محمد، مجتمع البيضان تاريخ أمة وكفاح شعب، ب.د.ن، 2016م.

- 134- سيدي محمد بن عبد الله ولد يزيد، معجم المؤلفين في القطر الشنقيطي، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1996م.
- 135- احمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي 1230-1430م)، ط1، المجمع الثقافي، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1999م.
- 136- مقداد بالجن، فلسفة الحياة الروحية ، ط1، دار الشروق، 1985م.
- 137- محمد كمال جعفر، التصوف طريقا وتجربة ومذهبا، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1980م.
- 138- أحمد محمود صبحي، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، ط2، دار المعارف، 1983م.
- 139- زكريا الأنصاري، الفتوحات الإلهية في نفح أرواح الذوات الإنسانية، مطبعة العاصمة، القاهرة، 1976م.
- 140- ياسين بن روان، تاريخ التسامح في الصحراء (دراسة لفتوى الشيخ سيد أحمد البكاي الصغير في شأن النصراني) ، ط1، إصدار مركز بلعربي العلوي للدراسات التاريخية ، المغرب ، 2019م.
- 141- أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1976م.
- 142- عبد الحفيظ فرغلي علي القرني، التصوف والحياة العصرية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1984م.
- 143- سامية الخشاب، علم الاجتماع الإسلامي، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1985م.
- 144- أبو طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، الجزء الثاني، دار صادر، بيروت، 1989م.
- 145- زكي مبارك، التصوف الاسلامي في الأدب والأخلاق، ج2، ط1، مطبعة الاعتماد، مصر، 1938م.
- 146- أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، معراج التشوق إلى حقائق التصوف، قدمه وراجعته حفيده أحمد محمد بن عجيبة، ط1، مطبعة الميرني، تطوان، المغرب، 1982م.

- 147- سيد أحمد ولد الأمير، المجال الموريتاني مقالات في التاريخ والثقافة، مركز الدراسات الصحراوية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2014م.
- 148- مصطفى أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، مطبعة دار النشر المغربية، ط2، 1982م.
- 149- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، الجزء الأول، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.
- 150- جون هونويك، الإسلام في إفريقيا الاستوائية، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010م.
- 151- محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كرديدية، المسلمون في غرب إفريقيا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.
- 152- الهام محمد علي ذهني، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، دار المريخ، الرياض، 1988م.
- 153- عمّار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السّمراء، الموسوعة التاريخية للشباب، الجزائر، 1988م.
- 154- جوزيف كي- زيربو، تاريخ إفريقيا السوداء القسم الثاني، ترجمة يوسف شلب الشام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1994م.
- 155- نور الدين شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، دار الجزائر، الجزائر، 2015م.
- 156- الشيخ عقباوي عزيز، النفحات البهية في أفنان الشجرة الكنتية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2016م.
- 157- محمد الظريف، الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية من (1800-1956م)، جامعة، الحسن الثاني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، الدار البيضاء، المغرب، 2002م.
- 158- الشيخ مامين ولد الطالب اخيار ولد الشيخ ماء العينين، علماء وأمرء في مواجهة الاستعمار، منشورات مؤسسة مربيه رب لإحياء التراث، الرباط، 2007م.
- 159- نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة عمر الحكيم، كوناكري، 1960م.

- 160- محمد الأمين ولد سيد أحمد، السلطة والفقهاء في إمارة الترارزة، ط1، مطبعة المنارة، نواكشوط، موريتانيا، 2003م.
- 161- إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م.
- 162- إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975م.
- 163- صلاح الدين المنجد، مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، ط2، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1982م.
- 164- حسن الصادقي، أضواء على الثقافة العربية في إفريقيا في العصر الحديث مساهمة كنتة في الحياة الثقافية والسياسية، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2012م.
- 165- اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
- 166- الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، جامع كرامات الأولياء، تحقيق ومراجعة إبراهيم عطوة عوض، ج2، مركز اهل سنت بركات رضا، الهند، ط1، 2001م.
- 167- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ.
- 168- محمد علي التهانوي، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة رفيق العجم، تحقيق علي دحروج، ج1، ط1، بيروت، لبنان، 1996م.
- 169- حامد عبد الله ربيع، مدخل في دراسة التراث السياسي الإسلامي، التعريفات. النماذج الفكرية. الإحياء والتجديد، الجزء الثاني، تحقيق وتعليق، سيف عبد الفتاح إسماعيل، إشراف حسن نافعة، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1. 1428هـ - 2007م.
- 170- نصر محمد عارف، في مصادر التراث السياسي الإسلامي. دراسة في إشكالية التعميم قبل الاستقراء والتأصيل، تقديم د. منى أبو الفضل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1415 هـ - 1994م.

- 171- باتريك ه أونيل، مبادئ علم السياسة المقارن، ترجمة باسل جبيلي، ط1، دار الفرقد، دمشق، 2012م.
- 172- عبد الله بن عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، تحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، ط1، الدار البيضاء.
- 173- بول ريكور، من النص إلى الفعل، ترجمة محمد برادة، حسان بورقية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2004م.
- 174- هوتسي وقتسنيك، ليفي بروفنسال وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، تعريب زكي خورشيد وأحمد السنوي عبد الحميد يونس، الجزء الرابع، دار الشعب القاهرة، د.ت.
- 175- مصطفى ناعمي، الصحراء من خلال بلاد تكنة، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطابع عكاظ، 1988م.
- 176- محمد جلال شرف، دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومذاهب، دار النهضة العربية، بيروت، 1984م.
- 177- محمد العبده وطارق عبد الحليم، دراسات في الطرق الصوفية نشأتها وتطورها، 2001م.
- 178- محمد المختار ولد أباه ، الشعر والشعراء في موريتانيا ، دار الأمان ، الرباط ، ط2 ، 2003م.
- 179- محمد ابراهيم محمد سالم، كفاية المنصف في فهم التصوف، 1993م.
- 180- كمال المنوفي، الثقافة السياسية، دار ابن خلدون، بيروت، 1980م.
- 181- الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1999م.
- 182- الهادي المبروك الدالي، أدب إفريقيا في ما وراء الصحراء، دار صنين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1996م.
- 183- الهادي المبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.
- 184- الهادي المبروك الدالي ، التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، ط2 ، الشركة العامة للورق والطباعة ، مطابع الوحدة العربية ، الزاوية ، ليبيا ، 2001م.

- 185- الشيخ اهماده الميمون وآخرون، التراث الكنتي الإشعاع الروحي والامتداد البشري. مساهمة الكنتيين في استتباب الأمن في مناطقهم من خلال دراسة لأدب الرسائل، تنسيق وتقديم سعيد كويس، ط1، مطبعة شمس برنت، المغرب، 2020م.
- 186- مطير سعد غيث أحمد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، ط1، الدار المدار الإسلامي، ليبيا، 2005م.
- 187- فيلكس ديبوا، تمبكت العجيبة، ترجمة: عبد الله عبد الرزق، مراجعة وتقديم: شوقي عطا الله الجمل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003م.
- 188- حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1986م.
- 189- جاسم محمد، إفريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال (دراسة تاريخية)، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2003م.
- 190- أحمد إسماعيل راشد، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 2004م.
- 191- إزيديه ولد محمد محمود، الزوايا في بلاد شنقيط في مواجهة الاستعمار الفرنسي، منشورات المطبعة الوطنية، نواكشوط 2002م.
- 192- محمد المختار ولد السعد وآخرون، تاريخ موريتانيا (فصول ومعالجات)، نواكشوط، 1999م.
- 193- رحال بوبريك، المدينة في مجتمع البداوة التاريخ الاجتماعي لولادة خلال القرنين 18 و19م، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2002م.
- 194- رحال بوبريك، مدخل إلى تاريخ الصحراء الأطلسية، الرباط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط1، 2010م.
- 195- أبو بكر القادري، الشيخ عبد القادر الجيلاني ودوره في الدعوة الإسلامية في أنحاء العالمين الآسيوي والإفريقي، الدار البيضاء، 1999م.
- 196- مبارك جعفري، الأزواد خلال القرن 13هـ—19م دراسة تاريخية اجتماعية واقتصادية، ط1، دار الكتاب العربي، الجائر، 2021م.

- 197- فوزان بن عبد الرحمن الفوزان، الموسوعة الجغرافية للعالم الاسلامي، المجلد 11، إقليم الصحراء الكبرى، المملكة العربية السعودية، 1999م.
- 198- خالد با أبوبكر، صور من كفاح المسلمين في إفريقيا الغربية. الحاج عمر الفوتي، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، 1980م.
- 199- بشار أكرم جميل الملاح، تاريخ الإسلام في إفريقيا، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2014.
- 200- فيج . جي .دي، تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة وتقديم وتعليق .السيد يوسف نصر، راجع الترجمة إلى العربية بهجت رياض صليب، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1982م.
- 201- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج3، دار الرشاد الحديثة، ط2، الدار البيضاء، 1994م.
- 202- أبو العباس الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج2، دار الكتب، الدار البيضاء، 1997م.
- 203- محمد الراطي ولد صدف، السياسة الاستعمارية في موريتانيا واثرها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، نواكشوط، 1995م.
- 204- يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.
- 205- أحمد أبا الصافي الجعفري، من تاريخ توات أبحاث في التراث، منشورات الحضارة، ط1، الجزائر، 2011م.
- 206- محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، بغداد، دار الرشيد، 1981م.
- 207- محمود شاكر، موريتانيا بلاد شنقيط، نشر وتوزيع مكتبة دار الفتح، دمشق، 1385هـ — 1965م.
- 208- فتحي المصري، حياة الشيخ عثمان قبل الجهاد، د.ت، 1979م.
- 209- محمد بن أحمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، تحقيق أحمد بومزكو، ج1، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، 2006م.

- 210- الطيب عبد الرحيم الفلاتي، الفلاتة في إفريقيا ومساهماتهم الإسلامية والتنمية، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط1، 1994م.
- 211- أحمد بوكاري، الإحياء والتجديد الصوفي بالمغرب، المملكة المغربية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 2006م.
- 212- مهدي رزق الله أحمد، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الإستعمار وآثارها الحضارية، ط1، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1998م.
- 213- عدنان محمد أمامة، التجديد في الفكر الإسلامي، ط1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1424هـ.
- 214- محمد بن شاكر الشريف، تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، ط1، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، الرياض، 2004م.
- 215- عبد الكريم بكار، مقاربات في السياسة الشرعية، رؤية للثقافة والإعلام، 1438هـ/ 2017م.
- 216- محمد الهادي الشريف، مايجب أن تعرف عن تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، دار سراس للنشر، تونس، 1980م.
- 217- الشيخ محمد المنتقى احمد تال، الجواهر والدرر في سيرة الشيخ الحاج عمر، دار البراق، بيروت، 2005م.

ثالثا: الدوريات

- 218- عزيز بطران، الشيخ المختار الكنتي الكبير وأثره في نشر الإسلام، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، طرابلس، ليبيا، 1981م.
- 219- عمر أحمد سعيد، دور حركات التجديد الإسلامي في غرب إفريقيا، مجلة دراسات إفريقية، العدد6، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، 1990م.
- 220- عمر أحمد سعيد، نظرات حول أثر الإسلام في التشكيل الثقافي في غرب إفريقيا بتركيز على الدور الحضاري لخلافة صكتو، مجلة دراسات إفريقية، العدد 28، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، ديسمبر 2002م.
- 221- حسن مكي، رواد الفكر والتجديد في السودان وإفريقيا جنوب الصحراء في المئتي سنة الأخيرة، مجلة دراسات إفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، العدد 41 - 2005م.

- 222- عمر عبد الماجد، التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر، مجلة دراسات إفريقية، العدد 48، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، ديسمبر 2012م.
- 223- شوقي عطا الله الجمل، الحضارة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا سماتها، ودور المغرب فيها، مجلة المناهل، العدد 7، وزارة الثقافة المغربية، الرباط، المغرب، 1976م.
- 224- أحمد شيخي، الطريقة البكائية الكنتية بالصحراء ودورها العلمي والصوفي، مجلة المناهل، العدد 82-83، مطبعة دار المنار، وزارة الثقافة المغربية، الرباط، المغرب، 2007م.
- 225- حماد الله ولد السّالم، العلماء الموريتانيون والاستعمار الفرنسي، مجلة مصادر، يصدرها مخبر الدراسات والبحوث التاريخية، جامعة نواكشوط، العدد الثالث، مطبعة ميسك، نواكشوط، 2002م.
- 226- محمد فرقاني، مخطوط أوثق عرى الاعتصام للأمرء والوزراء والحكام، عرض وتحليل، مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم-مجلة عصور العددان 04-05- جامعة وهران، الجزائر، ديسمبر 2003م ويونيو 2004م.
- 227- إبراهيم طرخان، إمبراطورية صنغي الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، مجلد 8، 1981م.
- 228- بشير محمد حسين أبوبعيرة، اللغة العربية في الغرب الإفريقي، مجلة دراسات إفريقية، العدد 57، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، يونيو 2017م.
- 229- نور الدين شعباني، عائلة كوليبالي ودورها في مملكة البمبارا بين (1600-1800م)، مجلة الدراسات الإفريقية، المجلد 1، العدد 2، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، 2015م.
- 230- فردوس حناني، الداعية الاسلامي الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي ومخطوط "رسالة إلى الرماة"، مجلة تاريخ العلوم، العدد الثاني، جامعة زيان عاشور بالجلفة، 2016م.
- 231- فردوس حناني، محمد الخليفة الكنتي شيخ الطريقة القادرية بغرب إفريقيا ومريديه، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 29، رمضان 1437هـ/جوان 2016م.

- 232- عبد الرحمان العربي ،مخطوط ،إحصاء مؤلفات محمد بن المختار الكنتي لسيدا بن المختار الهيبة -دراسة وصفية وتحليلية، مجلة رفوف ، العدد الثامن ،مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا ، جامعة آدرار ، الجزائر ، 2015م.
- 233- بير بونت،الشيخ سيد محمد الكنتي وجه صحراوي منسي، مجلة المغرب الإفريقي، العدد1، الرباط، 2000م.
- 234- خديجة عنشيل، التراث الكنتي المخطوط قراءة في الدور الحضاري لزاوية كنتة، وأهم أعلام التراث الكنتي المخطوط،مجلة الذاكرة، العدد5،جامعة ورقلة، 2015م.
- 235- علي يعقوب، الفلانيون الشعب واللغة، مجلة قراءات إفريقية،العدد24، ربيع الآخر1436هـ،أبريل 2015م.
- 236- علي يعقوب،جهود العلماء الأفارقة في نشر الثقافة الإسلامية والعربية.غرب إفريقيا نموذجا، مجلة دراسات إفريقية، العدد3، ديسمبر 2008م.
- 237- علي يعقوب،حياة الشيخ أحمد حمدي لبو ودولته الإسلامية في ماسينا،مجلة قراءات إفريقية، العدد الثامن،تصدر عن المنتدى الإسلامي، السودان، 2011م
- 238- محمد الثاني عُمر موسى،الشيخ عثمان بن فودي والطريق لاستعادة الهوية، مجلة قراءات إفريقية، العدد1، السودان، أكتوبر 2004م.
- 239- آدم أديبايو سراج الدين، المؤلفات العربية الكانمية البرنوية بين الأدب والتاريخ، مجلة قراءات إفريقية، العدد 15، 2013م.
- 240- هارون المهدي ميغا، المراسلات العلمية لعلماء غرب إفريقيا في العصر الحديث وآثارها العلمية والاجتماعية، مجلة قراءات إفريقية، العدد17، 2013م.
- 241- بوفلج حرمه، المدرسة الكنتية الرقادية بالزاوية كنتة ودورها التربوي والتعليمي، مجلة رفوف، المجلد السابع، العدد الرابع، جامعة أحمد دراية، آدرار، ديسمبر 2019م.

- 242- الحسين المعماري، الزوايا كقناة للتواصل التجاري والثقافي والروحي بين المغرب الاسلامي وبلاد السودان خلال العصر الحديث والمعاصر، مجلة المناهل . عدد 80، 81، فبراير 2007م.
- 243- الحسن الفيلاي، من مستويات الخطاب في النص القرآني، مجلة كلية الآداب، عدد7، فاس، 1991م.
- 244- بوسليم صالح، جهود الشيخ سيد المختار الكبير الكنتي، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة الجيلالي اليايس، سيدي بلعباس، المجلد5، العدد2، جامعة، 2014م.
- 245- خالد الشكراوى، الأصول التاريخية للطرقية في حوض السنغال، مجلة المناهل، اصدارات وزارة الثقافة المغربية، العدد 80. 81، 2007م.
- 246- توفيق الطويل، خصائص التصوف الإسلامي، عالم المعرفة، عدد1985، 87م.
- 247- ل.م.د/أيوب شرفي، انتشار اللغة العربية في غرب إفريقيا، مجلة مدارات تاريخية ، المجلد الثاني – العدد الخامس، مارس 2020م.
- 248- محمد الأمين فاضل، الطرق الصوفية في موريتانيا ، والتعريف بمشائخها، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية ، المجلد2، العدد4، أبريل 2021م.

رابعاً: المؤتمرات والندوات:

- 249- بروفيسر الأمين أبومنقة / ودكتورة منيرة أبومنقة، القيم الرسالية والجمالية والبلاغية لأشعار قادة الحركة التجديدية في بلاد الهوسا، ديوانا الشيخين عبدالله بن فودي ومحمد بلو بن عثمان بن فودي، مؤتمر اللغة العربية في إفريقيا، نواكشوط من 5 إلى 7 محرم 1441هـ — الموافق 4-6 ستمبر 2019م.
- 250- بهيجة الشاذلي، دور زعماء الاصلاح الأفارقة في القرن (19م) في إثراء الثقافة العربية الإسلامية، ذكرى مرور أربعة عشر قرناً على الدخول للإسلام في إفريقيا، المؤتمر الدولي للإسلام في إفريقيا، ليبيا، 2006م.
- 251- عبد الودود ولد عبد الله، تحولات التصوف عبر الصحراء من الزاوية الرقادية إلى المدرسة المختارية، " الأدب المقاوم في القارة

- الإفريقية"، أعمال ملتقى عيون الأدب العربي، النسخة التاسعة، دورة الشيخ سيدي المختار الكنتي، منشورات جمعية النجاح للتنمية الاجتماعية، المغرب، ط1، أبريل 2018م.
- 252- أحمد محمد كاني، حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر. الاستراتيجية والمنهجية والأهداف، ندوة الشيخ عثمان بن فودي (دان فودي)، الخرطوم، 19-21 نوفمبر 1995م.
- 253- محمد رزوق، ملاحظات حول الوجود المغربي بالسودان الغربي خلال فترة أحمد المنصور الذهبي، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ، الدار البيضاء، 1989م.
- 254- يحي ولد البراء، حياة الشيخ سيد المختار الكنتي - علماء تنبكتو، الجزء 3، المحررون: شامل جمبي وسليمان ديانغ، مجلس البحث حول العلوم الإنسانية، جنوب إفريقيا، سنة 2008م.
- 255- الأمين أبو سنقا، حركة الجهاد السكتية، ندوة الثقافة العربية الإسلامية بإفريقيا جنوب الصحراء غرب إفريقيا أنموذجا المنعقدة بتنبكتو، نشر مؤسسة التميمي، تونس، 1997م.
- 256- التليلي العجيلي، التنفذ الطرقي والحملات الإستكشافية للصحراء الإفريقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أوراق المؤتمر العلمي التداخل والتواصل في إفريقيا، منشورات جامعة الخرطوم، الخرطوم، يناير 2006م.

خامسا: الرسائل الجامعية:

- 257- الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير، فتح الوهاب على بيان ألفاظ هداية الطلاب، ج1، دراسة وتحقيق، يحيى ولد الغزالي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب، 2013م.
- 258- دودود ولد عبد الله، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر 17م-18م، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، السنة الجامعية، 1992م-1993م.
- 259- مجموعة من المؤلفين، حوليات تجكجة، تحقيق عائشة بنت ديدي، جامعة نواكشوط، 1990م.

- 260- مجموعة من المؤلفين، حوليات ولاتة، تحقيق سيد عبد الله بن البخاري، جامعة نواكشوط، 1992م.
- 261- مجموعة من المؤلفين، حوليات النعمة، تحقيق محمد ولد اعلي فال، جامعة نواكشوط، 1998م.
- 262- أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وأثاره، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الدراسية، 1999م-2000م.
- 263- حفظه ولد الطالب أعلي، دراسة لعلاقة السيطرة والتبعية في المستعمرات الفرنسية من خلال الواقع الموريتاني (1902م-1960م). بحث لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية مرقون، 1999م.
- 264- محمد الصوفي بن محمد الأمين، المحاضر وأثارها التربوية في المجتمع الموريتاني، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد بن سعود، الرياض، 1406هـ.
- 265- سيدات بن الداه، التغيرات المناخية في موريتانيا في القرن العشرين، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مرقون، 1996م.
- 266- سعيد سامي، العلماء ومجتمع السودان الغربي خلال العصر الإسكي (1493-1591م)، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجزء الأول، العام الجامعي، 2000-2001م.
- 267- خالد الشكراوي، الإسلام والسلطة في السودان الغربي في القرن 19م، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس أكادال، 2001م-2002م.
- 268- محمد ولد أشريف أحمد، الإدارة الاستعمارية في موريتانيا (1902-1960م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مرقون، 2004م.

- 269- زهرة الهامل وأسماء عكريمي، الإسهامات العلمية لآل كنتة في غرب إفريقيا، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة أحمد دراية، آدرار، الجزائر، السنة الدراسية، 2017م-2018م.
- 270- أجه ولد محمد، العلاقات الثقافية بين بلاد شنقيط والمجال المتوسطي خلال القرنين 18-19م، أطروحة دكتوراة، جامعة الحسن الثاني – المحمدية 2014م.
- 271- الناني ولد الحسين، إمارة أولاد امبارك في الحوض 1712م-1841م، مذكرة نهاية الدراسة، كلية الآداب، جامعة نواكشوط 1985م-1986م.
- 272- عبد الله موما، الكنتيون وعلاقتهم بالسلطة السياسية في السودان الغربي خلال القرن 19م، بحث لنيل الدراسات المعمقة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرارز، جامعة سيد محمد بن عبد الله، فاس، السنة الجامعية 2007م-2008م.
- 273- حسين جاجوا ، حركة الحاج عمر الفوتي في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر ، بحث لنيل شهادة الماجستير ،قسم الدراسات العليا ، جامعة الجزائر ، 1994م ، ص59.
- 274- سيدي عبد الله بن امبوجة العلوي، فتح الرب الغفور في تواريخ الدهور، تحقيق محمد الأمين بن سيدي المختار، جامعة نواكشوط، 1995م.
- 275- علي سالمان علي بدوي، الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريتانيا (1903م-1960م)، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة القاهرة، 2003م.
- 276- فرح سعد، الحياة الاجتماعية والإقتصادية من خلال نوازل الشيخ باي بن عمر، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه ، جامعة وهران ، 2015م/2016م.
- 277- قحام عمار بن شعبان سلمى، الطرق الصوفية في السودان الغربي و دورها في الحياة الثقافية الدينية (مابين القرنين 9هـ -13هـ / 15م-19م) ، ماستر في التاريخ، جامعة 8ماي قالمه، السنة الدراسية 2016م-2017م.
- المواقع الالكترونية:**

- 278- الحسين ولد محنض، مدرسة الشيخ سيد محمد الكنتي ودورها في التاريخ الموريتاني، (مقال الكتروني)، موقع مركز الصحراء للدراسات والاستشارات، 2013م، بدون ترقيم، الرابط: <https://bit.ly/2YCoTdu>.
- 279- محمد ولد البرناوي، الشيخ سيدي محمد الكنتي الولي، العالم، المؤسس، جريدة تقدم الإلكترونية، 1017/12/23م، التوقيت 23:12، الرابط: <https://bit.ly/3a2QuGX>.
- 280- أحمد الشرقاوي بوكاري، دور العلماء المتصوفة والزوايا في ترسيخ روابط المغرب الإفريقية، جريدة هسبريس الإلكترونية، 14 أبريل 2015م، الرابط: <https://bit.ly/3ulxliu>.

أ

أحمد الطالب ابن محمد بن جد بن خليفة ابن
الطالب المصطفى الغلاوي 130
أحمد بن أحمد لب 223
أحمد بن الحاج بن أحمد بن الفغ 130
أحمد بن حبيب الله 130
أحمد محمود التندغي 131

ا

الأمين الكلّمي 130
البخاري بن محمد الأمين 130
الحاج أحمد التركي 130
الحاج عمر تال الفوتي 223
الحبيب بن أحمد الجكني 130
الشيخ "عثمان فودي" 191
الشيخ أبات ولد الطالب عبد الله 116
الشيخ ابن دح الأزموري 85
الشيخ أحمد البكاي الكنتي .. 30, 216, 217
الشيخ أحمد بلو . 16, 69, 207, 216, 321
الشيخ أحمد بن أحمد 223
الشيخ أحمد لب 77
الشيخ أحمدو 208, 214, 250
الشيخ السيد الكبير التازاري 116, 186
الشيخ العافية 116
الشيخ القاضي الإيجيبي 116
الشيخ الكنتي 55, 81, 82, 106, 188, 190, 192, 227, 242, 245, 252
الشيخ المختار 23, 30, 41, 53, 83, 109, 115, 116, 117, 121, 127, 189, 194, 197, 208, 217, 243, 246, 253, 256, 259, 265, 266, 278, 286, 341
الشيخ المصطفى ولد الحاج 116
الشيخ المصطفى ولد العربي 116
الشيخ بابا الحي ولد محمود 116

الشيخ باي 99, 243, 347
الشيخ جبريل 193
الشيخ دان 191
الشيخ سعد الغدامسي البليلي الفندقكي 198
الشيخ سيد أحمد البكاي 6, 33, 35, 79, 138, 218, 219, 220, 223, 224, 226, 256, 270, 273, 274, 277, 280, 333
الشيخ سيد البكاي 218, 226
الشيخ سيد المختار الصغير . 16, 76, 109, 129, 133, 154, 190, 210, 214, 215, 216, 226, 253, 323
الشيخ سيد المختار الكنتي . 9, 10, 13, 15, 17, 23, 33, 36, 41, 43, 44, 64, 74, 75, 76, 80, 81, 83, 84, 99, 110, 111, 113, 114, 117, 119, 121, 122, 123, 124, 128, 138, 149, 153, 189, 192, 195, 197, 198, 199, 202, 208, 215, 217, 218, 220, 242, 244, 245, 251, 252, 259, 260, 261, 265, 266, 267, 268, 269, 273, 274, 295, 320, 321, 322, 323, 326, 345, 350
الشيخ سيد المختار بن أحمد الكنتي 36
الشيخ سيد أحمد الكنتي 54
الشيخ سيد بابا 89
الشيخ سيد محمد ... 9, 13, 16, 17, 37, 39, 40, 44, 46, 53, 56, 57, 65, 72, 78, 84, 89, 94, 95, 104, 109, 126, 127, 128, 138, 139, 140, 142, 143, 144, 145, 146, 147, 148, 149, 150, 153, 154, 157, 199, 200, 201, 208, 210, 211, 212, 213, 214, 216, 218, 220, 252, 269, 273, 276, 321, 322, 323, 342, 351

الشيخ سيد محمد الخليفة 9, 16, 17, 33, 37,
39, 40, 44, 46, 65, 72, 84, 89,
94, 95, 104, 109, 126, 127, 128,
138, 139, 138, 140, 142, 143,
144, 145, 146, 147, 148, 149,
150, 154, 199, 200, 201, 208,
210, 211, 212, 213, 214, 216,
220, 252, 269, 276, 321, 322,
323, 351
الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي..... 16, 17
الشيخ سيد محمد الكنتي.. 23, 79, 155, 158
الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي.. 71, 73, 74,
75, 84, 141, 143, 202, 208, 214,
245, 342
الشيخ سيدي أحمد البكاي 35, 39, 45, 79,
151, 152, 158, 219, 220, 224,
245, 272, 280
الشيخ سيدي أحمد البكاي الصغير 45
الشيخ سيدي أحمد بن سيدي محمد الرقاد ... 39
الشيخ سيدي أحمد ولد أعويسي..... 116
الشيخ سيدي أعر 32, 257, 270
الشيخ سيدي المختار الكنتي.. 18, 35, 40,
44, 46, 57, 71, 83, 129, 138,
140, 144, 147, 154, 200, 201,
209, 245, 266, 267, 268, 275,
279, 283, 288, 304, 307, 320,
322, 344
الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير, 35, 154,
304, 307
الشيخ سيدي عمر 158, 274, 275
الشيخ سيدي محمد الخليفة. 18, 34, 57, 71,
82, 84, 105, 114, 129, 131, 134,
138, 140, 144, 154, 200, 201,
209, 250, 267, 272, 280, 322,
323
الشيخ سيدي محمد الكنتي 23, 56, 57, 58,
78, 79, 80, 81, 152, 155, 280,
281, 283

الشيخ سيدي محمد ولد امني..... 116
الشيخ سيديا..... 88, 89, 90, 107, 114, ...
116, 117, 120, 122, 123, 124,
131, 132, 152, 153, 215, 224,
323
الشيخ عثمان الفودي..... 77, 188, 199
الشيخ عثمان دان الفودي..... 21
الشيخ عثمان فودي..... 191, 250
الشيخ عثمان فوديه..... 68
الشيخ علوارة..... 45
الشيخ محمد الأغظف الداودي 41
الشيخ محمد الأمين الكانمي..... 217
الشيخ محمد الأمين ولد عبد الوهاب 116
الشيخ محمد الحافظ 38
الشيخ محمد المحمود المغربي 198
الشيخ محمد بن الصديق الرقادي 41
الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي 35
الشيخ محمد المامي 115
الشيخ مختار الكنتاوي 9
الشيخ، سيدي الوافي 159
الطالب أبي بكر 130

أ

ألفا إبراهيم..... 116, 186

ا

القاضي بن الحاج الفُعة..... 131
الكوري ولد المختار السالم التركزي.... 116
الكيلسوسي محمد بن يحي 223
المختار الصغير 16, 130, 214, 215,
226, 280
المختار بابيه بن محمذن بن بوحبيني التندغي
116.....
المختار بن مولود 130
المصطفى العربي..... 131

ب

بالشيخ سيد المختار الكنتي الكبير 6

س

سيدي المختار بن أحمد بن محمد الغلاوي
التواتي 116
سيديا بن المختار بن الهيبة 130, 215

ص

صالح بن محمد الأعظف 130

ع

عابدين بن الشيخ سيدي امجد الكنتي 41
عبد القادر بن معلوم البوسيفي 130
عبد الله العلوي 131
عبد الله بن الشيخ أحمد 223
علي بن المختار العلوي 130

غ

غالي بن المختار فال 130

ل

محمد فاضل بن مامين 130

م

محمد الخرشى 130
محمد الخليفة الكنتي... 53, 126, 127, 131, 144, 209, 210, 212, 247, 342
محمد الشيخ 59
محمد العاقب بن علي الفلاني 131
محمد محمود 130
محمد المختار من آل الأعمش 130
محمد المصطفى 130
محمد أماش 18, 136, 137, 138, 138, 143, 144
محمد بن البركة 130
محمد بن غويسى 131
محمد بن محمد فاضل 130
محمد علي باشا 129
محمد ولد محمد الشين 17, 121, 321
محمود بن القصري 130

ن

نوح بن الطاهر 131, 198, 209, 322

و

ويقي ولد سيدي الأمين البوسيفي 116

فهرس الأماكن

آ

آدرار, 35, **42**, 52, 53, 54, 57,
90, 94, 107, 132, 152, 153,
156, 157, 156, 158, 159,
209, 281, 282, 292, 322,
333, 343, 344, 347

أ

أزوات, 9
أكذ, 170

ا

الأزواد, 7, 38, **40**, **41**, 43, 241,
340
الأقدسي, 193
الإمارات الموريتانية, 5, 18, 107,
110, 147, 292
البيضانى, 5, 95, 96, 107, 108,
112, 229, 284
التكرور, 7, 20, 61, 64, 88, 120,
162, 167, 168, 170, 172,
173, 177, 178, 179, 182,
183, 194, 197, 198, 199,
204, 205, 210, 250, 251,
258, 275, 324, 325, 353
الجزائر, 3, 4, 13, 29, 30, 31,
38, 39, **41**, **53**, 82, 88, 104,
132, 162, 164, 165, 174,
195, 209, 222, 227, 240,
257, 270, 271, 274, 276,

278, 288, 304, 315, 316,
324, 328, 330, 331, 332,
333, 336, 337, 340, 343,
347, 348
الحوض, 9, 16, 33, 34, **46**, **54**,
55, 61, 65, 69, 109, 111,
125, 126, 134, 135, 136,
137, 138, 138, 140, 141,
142, 143, 144, 145, 146,
147, 148, 149, 150, 151,
152, 153, 163, 164, 169,
305, 308, 322, 329, 348
الرشيد, 34, 37, 42, **53**, **54**, 60,
146, 333, 341, 350
الزمور, 156
الساحل, 18, 36, 42, **49**, 78, 88,
103, 111, 117, 242, 280,
333
السنغال, 6, 12, 33, 35, **49**, **51**,
77, 87, 88, 92, 93, 100, 101,
102, 107, 163, 164, 165,
166, 167, 168, 171, 173,
174, 176, 177, 179, 182,
187, 187, 230, 231, 239,
257, 271, 273, 293, 344
السيبة, 24, 25, 26, 34, 104,
106, 113, 154, 351
الصحراء الكبرى, 5, 8, 10, 14,
22, 23, 25, 32, 38, **41**, 42,
43, **55**, 71, 78, 79, 81, 82,
88, 94, 104, 114, 115, 118,
119, 129, 132, 140, 162,

فهرس الأماكن

170, 173, 174, 187, 193,
218, 257, 272, 277, 278,
282, 286, 293, 327, 331,
333, 337, 340
الغرب الإفريقي, 7, 216, 355
القيروان, 29, 32, 79, 91
الكانم, 162, 183, 191, 218, 231,
248, 353, 354
المبروك, 24, 40, 134, 168, 171,
178, 220, 222, 242, 282,
325, 338, 349
المحيط الأطلسي, 92, 177
الميمون, 40, 41, 110, 216, 282,
339, 349
النيجر, 6, 8, 9, 12, 31, 32, 33,
36, 37, 45, 48, 51, 63, 64,
77, 153, 162, 163, 164, 168,
169, 171, 172, 173, 175,
177, 179, 180, 181, 182,
187, 188, 192, 194, 203,
205, 206, 231, 236, 239,
241, 244, 247, 252, 257,
271, 286, 292
انيورو, 12, 153

أ

أهير, 170, 182, 219, 286

ب

بنين, 6, 171, 277
بوركينا فاسو, 12
بورنو, 191, 218, 219, 231, 249

ت

تاوجافت, 282
تلاودني, 37, 43, 106
تغازة, 37, 282
تكانت, 24, 33, 37, 41, 42, 54,
94, 108, 122, 123, 124, 125,
134, 135, 136, 153, 282
تمبكتو, 8, 9, 37, 45, 48, 60, 61,
63, 108, 174, 181, 186, 187,
189, 191, 197, 200, 203,
209, 218, 220, 221, 228,
229, 230, 231, 232, 236,
238, 243, 246, 254, 271,
286, 322, 342
تمبكتوا, 44, 235, 243, 350
توات, 7, 8, 14, 29, 30, 31, 32,
36, 37, 39, 41, 43, 47, 53,
54, 80, 91, 156, 159, 165,
174, 218, 247, 254, 257,
271, 272, 274, 276, 278,
279, 282, 288, 328, 332,
340
تيرس, 37, 52, 155, 156
تيشيت, 42, 125, 134

ج

جنوب الصحراء, 5, 8, 17, 19, 22,
31, 39, 45, 74, 78, 105, 106,
112, 162, 188, 192, 193,
194, 200, 207, 219, 221,
225, 226, 227, 230, 231,
234, 235, 239, 240, 241,

فهرس الأماكن

242, 243, 244, 250, 252,
271, 303, 330, 342, 346
جوبير, 196

ح

حمد الله, 207, 208, 213, 215,
232, 234, 236, 237

س

سبخة الجل, 37, 106
سجلماسة, 36, 103
سوكوتو, 186, 200, 227, 230,
231, 250, 281, 293
سيغو, 172, 182, 187, 237
سينلوي, 227

ش

شنقيط, 5, 9, 10, 13, 23, 33, 38,
41, 42, 49, 53, 61, 62, 78,
80, 82, 87, 88, 89, 90, 91,
92, 95, 97, 98, 102, 103,
104, 107, 113, 114, 125,
129, 191, 222, 225, 227,
257, 280, 282, 294, 297,
331, 339, 341, 346, 348,
351

ص

صحراء المثلثين, 88
صنغي, 20, 182, 343

غ

غاو, 60, 109, 180, 182, 305,
308, 322, 323
غرب إفريقيا, 6, 8, 13, 25, 32,
50, 58, 65, 69, 80, 81, 82,
89, 109, 112, 117, 163, 165,
166, 168, 169, 173, 174,
175, 184, 185, 186, 187,
189, 190, 191, 192, 193,
195, 196, 199, 200, 203,
204, 209, 219, 222, 239,
242, 248, 249, 250, 251,
257, 272, 274, 287, 292,
295, 327, 330, 331, 335,
336, 340, 342, 344, 345,
346, 347
غرب الصحراء الإفريقية, 6

ف

فصك, 79, 153
فوتاتورو, 100
فوتاجلون, 187, 206

ق

قبيلة كنتة, 6, 7, 8, 9, 11, 13, 25,
29, 30, 31, 32, 33, 38, 40,
109, 111, 242, 248, 280,
289, 295, 296
قصر البركة, 24, 42
قصر الشيخ, 41, 349

فهرس الأماكن

ك	م
7, 187, 231, 238, 292, كارتا 37, 170, 185, كاشنة 1, 5, 7, 10, 11, 13, 15, كنتة 16, 18, 22, 24, 25, 26, 28, 29, 30, 31, 32, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 40, 41, 42, 43, 44, 46, 48, 53, 64, 67, 68, 69, 70, 71, 73, 74, 75, 78, 79, 80, 81, 84, 86, 105, 106, 107, 108, 110, 111, 112, 113, 114, 117, 121, 122, 128, 129, 134, 138, 143, 144, 150, 154, 155, 156, 158, 159, 161, 186, 189, 196, 200, 203, 205, 206, 209, 213, 215, 216, 217, 216, 217, 218, 219, 220, 221, 223, 228, 229, 233, 234, 240, 241, 242, 243, 244, 245, 246, 248, 251, 252, 253, 255, 257, 258, 274, 275, 276, 278, 279, 282, 284, 284, 286, 287, 288, 290, 291, 292, 294, 295, 296, 297, 328, 329, 337, 343, 344, 347, 349, 350, 351, 352, 353, 355 180, كوكيا 168, كيدال	6, مدينة تنبكتو 1, 4, 5, 7, 9, 12, 13, 16, 18, 21, 22, 24, 25, 26, 27, 32, 34, 46, 48, 49, 50, 51, 52, 53, 55, 57, 56, 57, 58, 61, 62, 63, 65, 67, 69, 73, 76, 78, 85, 87, 88, 90, 91, 92, 93, 94, 95, 97, 98, 99, 100, 101, 102, 103, 104, 107, 110, 111, 112, 113, 115, 119, 121, 122, 123, 124, 125, 127, 129, 134, 135, 136, 137, 138, 142, 144, 145, 146, 147, 148, 149, 151, 152, 153, 154, 155, 156, 159, 165, 167, 169, 176, 177, 179, 221, 228, 232, 233, 236, 242, 252, 256, 261, 269, 270, 271, 273, 274, 275, 279, 280, 282, 290, 291, 292, 294, 295, 297, 321, 322, 327, 328, 329, 332, 333, 334, 336, 338, 339, 340, 341, 345, 347, 348, 350, 351, 352, 354, 355
	ن
	37, 163, 167, 168, 169, نيجيريا 178, 183, 185, 192, 193,

194, 196, 199, 200, 204,
227, 250, 271, 325

و

159, وادان
1, 5, 7, 10, 12, والسودان الغربي
18, 19, 20, 24, 25, 26, 27,
48, 62, 67, 74, 76, 107, 114,
164, 165, 166, 203, 226,
234, 235, 236, 256, 257,
280, 290, 291, 292, 294,
295, 297, 333, 350, 354,
355
88, 129, 195, إفريقيا و غرب
244, 247, 257, 276, 333
19, 32, **42**, **46**, **47**, 61, ولالة
65, 79, 90, 125, 134, 138,
153, 221, 271, 272, 278,
346, 350

فهرس المحتويات

1	مقدمة.....
6	صعوبات البحث.....
18	منهج الدراسة.....
19	إشكالية البحث.....
20	أهمية البحث.....
20	خطة البحث.....
21	المبحث الرابع: القادرية الكنتية.....
23	الفصل الأول: الدور السياسي والإصلاحي لعلماء كنتة.....
24	المبحث الأول: لمحة تاريخية عامة عن كنتة.....
28	أ- كنتة أهل سيدا محمد الكنتي الصغير "كنتة الغرب".....
29	ب- كنتة الطالب بوبكر الحاج.....
30	ج- كنتة أهل سيد أعر الشيخ "كنتة الشرق".....
33	تأسيس زوايا والمدن الكنتية.....
33	- زاوية كنتة.....
34	- زاوية أقبلي.....
34	- زاوية قصر الجديد.....
34	- المبروك.....
35	- المامون أو الميمون.....
35	- قصر الشيخ.....
35	- كَصر البركة.....
36	- واحة تالمست.....
36	- واحة تالغزة.....
36	- واحة تجكجة الأولى.....
36	- الرشيد.....
38	- تمبكتوا.....
39	- ولاتة.....
41	المبحث الثاني: الأوضاع العامة للمنطقة قبل الفترة المدروسة.....

42	1 – البعثات الكشفية والتواجد الأجنبي في موريتانيا والسودان الغربي
44	2- هجرة القبائل المعقلية الحسانية إلى غرب الصحراء وتأسيس إمارات
51	3- انهيار مملكة سونغاي
55	3-1- نتائج انهيار مملكة سونغاي على السودان الغربي وموريتانيا
59	المبحث الثالث: الخطاب السياسي الكنتي ومحدداته
59	أ-الخطاب
59	ب-السياسة
63	ج- الظاهرة السياسية عند علماء كنتة ؟
69	المبحث الرابع: التجديد الكنتي في موريتانيا والسودان الغربي
78	الفصل الثاني:
79	المبحث الاول:موريتانيا العامل الطبيعي والبشري
79	أ- العامل الطبيعي
79	1- الموقع
83	2- التضاريس
84	1 – المنطقة الساحلية في الغرب
84	2- المنطقة الصحراوية الشرقية
84	3 – منطقة الهضاب في الشمال والوسط
84	4- المنطقة الجنوبية
85	ب:المجال البشري
87	I- فئة العرب
88	أ – الفئة المحاربة
88	ب – الفئة الزاوية
89	ج – المجموعة التابعة
89	1 – أزنّاكة أو اللحمة
90	2- الزقانون (المعّنون)
90	3- الصناع:(المعلمون)
90	4- الحراطين
91	5- فئة العبيد
91	II -المجموعة الزنجية
91	أ – فئة الهالولار

1- الطبقة الأولى	91
2- الطبقة الثانية	91
3- الطبقة الثالثة	92
4 - الطبقة الرابعة	92
ب - فئة السار كولي (sarkolé)	92
ج - الفئة الولفية	93
الثقافة العربية الإسلامية في موريتانيا (شنقيط)	93
ترسيخ الإسلام	94
المبحث الثاني: ظاهرة السبية والفراغ السياسي في موريتانيا	95
علماء كنتة ودورهم في الترابط التاريخي بين المكونين الموريتاني والسوداني	98
المبحث الثالث: الجهود الإصلاحية والسياسية في موريتانيا	101
1- الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير ودوره الاصلاحى والسياسى فى موريتانيا	103
- علاقته بإمارة إيدوعيش اللمتونية	111
-علاقته بقبيلة أولاد داود	114
2-الشيخ سيد محمد الخليفة ودوره السياسى والاصلاحى فى موريتانيا	116
-العلاقة بسلطنة أولاد امبارك	123
-البعد الصوفى للشيخ سيد محمد الخليفة ودوره الاصلاحى فى سلطنة أولاد أمبارك	125
- موقفه من الحرب فى سلطنة أولاد أمبارك	129
أ- الرسائل الموجهة لمختلف تفرعات أولاد امبارك	131
رسالة إلى السلطان "المحمد بن أعمار الملقب"أماش"السلطان أولاد أمبارك بشأن الحرب	132
رسالة إلى جماعة إمارة فونتي وأهل بهدل	133
رسالة إلى سيد أحمد ولد المختار أمير فاتة	134
رسالته إلى هنون ولد بوسيف أمير قبيلة أولاد الفحفاح	134
رسالة إلى أبناء أحمد بن هنون العبيدي	135
ب- الرسائل الموجهة إلى قبيلة ادغموس (لادم) وحلفائهم	136
-إدغموسه	136
-حلفائهم أهل الطالب مصطفى	137
"من عبد ربه ابن المختار إلى جماعة الإخوان الأعيان والأحباب الخرسان جماعة أهل الطالب مصطفى عموما	137
ج- رسائله إلى قبيلة أولاد داود وإخوتهم أهل بوردة	137

رسالته إلى قبيلتي أولاد الناصر ومشظوف.....	138
أولاد الناصر.....	138
مشظوف.....	139
3- الشيخ سيد امحد الكنتي الصغير ولد الشيخ سيد محمد الخليفة الكنتي وجهوده الاصلاحية والسياسية في منطقة شمال موريتانيا	142
الفصل الثالث: علماء كنتة وعلاقتهم بالسودان الغربي	147
- المبحث الأول: السودان الغربي محدداته	148
السودان الغربي.....	148
- السودان الشرقي.....	150
- السودان الأوسط	150
- السودان الغربي.....	150
السكان في بلاد السودان الغربي.....	151
1-الفولبي.....	152
2- الهوسا.....	154
3- الماندانغ.....	155
4- التكرور	157
5-الولوف.....	158
6-التوارك	159
نشأة الممالك في السودان الغربي.....	159
- مملكة غانا.....	160
-مملكة مالي.....	162
-مملكة الصنغي.....	164
-مملكة الكانم – البرنو.....	167
- إمارات الهوسا.....	168
المبحث الثاني: علماء كنتة وعلاقتهم بممالك السودان الغربي.....	170
1-الدولة الفودية	175
2- الدولة الماسنية.....	186
أ- العامل الأول	188
ب- العامل الثاني	188
ج-العامل الثالث	188

190	 العلاقة الكتنية الماسنية
195	 الدور الإصلاحى والدينى فى الدولة الماسنية
196	 دور علماء كتنة فى تثبيت دعائم مملكة ماسينا
220	 3- مملكة الكانم -برنو
201	 4- العلاقة الكتنية مع الدولة العمرية التيجانية
201	 حياة أحمد البكاى الكتنى
210	 أحمد البكاى والصراع مع التيجانية العمرية
222	 المبحث الثالث: الجهود السياسية والإصلاحية فى السودان الغربى
225	 التدخل فى منصب وظيفه الأمير
227	 الاهتمام بالأستقرار والأمن
235	 الفصل الرابع: التصوف القادري الكتنى فى موريتانيا والسودان الغربى
236	 المبحث الأول: نشأة الفكر الصوفى الكتنى
237	 -المبحث الثانى: محددات التصوف
244	 خصائص الصوفية
248	 المبحث الثالث: نشأة الطريقة القادرية
251	 المبحث الرابع: القادرية الكتنية
266	 خاتمة
270	 نتائج الدراسة
274	 الملاحق
293	 قائمة المصادر والمراجع
341	 فهرس الأعلام
344	 فهرس الأماكن

ملخص الأطروحة:

تتناول الأطروحة إبراز دور علماء كنتة الإصلاح والسياسي في مجتمعات موريتانيا والسودان الغربي وما قدموا من مجهودات في نشر الإسلام والطريقة القادرية في المنطقة.

لقد برز من الكنتيين علماء جهابذة طبقت شهرتهم الآفاق واحترمهم العامة والخاصة، لقد امتازت الحالة الدينية في الفترة المدروسة بالسيطرة المطلقة للطريقة القادرية وارتباط هذه الطريقة بالأسرة الكنتية.

لقد ساهم الحضور المبكر نسبيا للأجداد الكنتيين في الصحراء والغرب الإفريقي بالقيام بواجب الدعوة والإصلاح وبناء أرضية ملائمة لنجاح الجهود الإصلاحية في السودان الغربي وموريتانيا، وبلورة رؤية سياسية متينة وحاضنة لمختلف إشكالات الواقع المحلي، ومتطلعة لتجاوز الإشكالات منذ انهيار دولة سنغاي.

ولم يبخل علماء كنتة بفعل طبيعتهم الإصلاحية عن القيام بواجباتهم اتجاه مجتمعات موريتانيا والسودان الغربي.

لقد كان لعلماء كنتة دور كبير في نقل المعارف الإسلامية إلى الشعوب المنطقة وترسيخ الإسلام من النخبة إلى عامة الشعب، لقد استطاع العلماء الكنتيين تحويل المجتمعات الموريتانية السودانية إلى مجتمعات تملك تقاليد ثقافية عميقة الجذور ودعاة وسط الصحراء والغابة، وعند التخوم لحمل رسالة الإسلام. لقد حمل العلماء الكنتيون مشعل الهداية والنور لشعوب المنطقة.

وتكشف هذه الدراسة عن نفوذ وتأثيرات الكنتيين وإسهاماتهم في بناء عقل الجماعات السودانية والموريتانية، لقد مثلوا أهم أداة للمصالحة والسكينة والاطمئنان.

Résumé de la thèse :

La thèse porte sur la mise en évidence du rôle réformiste et politique des savants de Kenta dans les sociétés de la Mauritanie et du Soudan occidental, et les efforts qu'ils ont déployés pour diffuser l'Islam et la méthode Qadiri dans la région. Des Kantiens sont sortis des savants de génie dont la renommée s'appliquait aux horizons et ils étaient respectés aussi bien par le public que par les individus. La situation religieuse à la période étudiée était

caractérisée par la domination absolue de la méthode Qadiriyya et l'association de cette méthode avec la famille Kent.

La présence relativement précoce des ancêtres kentiens au Sahara et en Afrique de l'Ouest a contribué à accomplir le devoir de plaidoyer et de réforme, à créer un terrain propice au succès des efforts de réforme au Soudan occidental et en Mauritanie, et à cristalliser une vision politique solide qui embrasse les différents problèmes de la réalité locale, et attend avec impatience de surmonter les problèmes depuis l'effondrement de l'État Songhaï. En raison de leur nature réformiste, les érudits de Kenta n'ont pas hésité à s'acquitter de leurs devoirs envers les sociétés de Mauritanie et du Soudan occidental.

Les érudits de Kenta ont joué un grand rôle dans la transmission du savoir islamique aux peuples de la région et dans la consolidation de l'islam de l'élite au peuple, au milieu du désert et de la forêt, et aux frontières pour porter le message de l'Islam. Les savants de Kent ont porté le flambeau de l'orientation et de la renaissance pour les peuples de la région. Cette étude révèle l'influence des Kentiens et leurs contributions à la construction de l'esprit des groupes soudanais et mauritaniens, ils représentaient l'outil le plus important pour la réconciliation, la tranquillité et le réconfort

Summary of the thesis:

This thesis focuses on highlighting the reformist and political role of Kenta scholars in the societies of Mauritania and Western Sudan, and their efforts to disseminate Islam and the Qadiri method in the region. From the Kantians came genius scientists whose fame extended to the horizons and they were respected by the public as well as by individuals. The religious situation in the studied period was characterized by the absolute dominance of the Qadiriyya method and the association of this method with the Kent family.

The relatively early presence of the Kentian ancestors in the Sahara and West Africa helped to fulfill the duty of advocacy and reform, to create a fertile ground for the success of reform efforts in Western Sudan and Mauritania, and to crystallize a

strong political vision that embraces the various problems of local reality, and looks forward to overcoming the problems since the collapse of the Songhai state. Due to their reformist nature, the scholars of Kenta did not hesitate to discharge their duties to the societies of Mauritania and Western Sudan.

The scholars of Kenta have played a great role in transmitting Islamic knowledge to the peoples of the region and in consolidating Islam from the elite to the people, in the midst of the desert and the forest, and to the borders to carry the message from Islam. The scholars of Kent carried the torch of guidance and renaissance for the peoples of the region. This study reveals the influence of Kentians and their contributions to building the spirit of Sudanese and Mauritanian groups, they were the most important tool for reconciliation, tranquility and solace.